بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سلسلة عندما نطق السراة

بين آدمين
آدم الإنسان وآدم الرسول

قسم الدراسات والبحوث
جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية
مملكة البحرين

الطبعة الأولى

٢٠٠٧

فهرست المحتويات

فهرست المحتويات.......................... ٣

المقدّمة................................ ١٠

أ- توطئة البحث............................ ١٠

* موجز قصّة آدم الإنسان في البحثين السابقين........... ١٦

ب- إشكاليّة البحث: الزعم بوجود آدمين ٢٨

ج- خارطة البحث.............................. ٤٠

د- خلاصة مفردات ومفاهيم البحث ٤٥

١- البشر ٤٦

٢- آدم الإنسان/ آدم الأوّل ٤٧

٣- آدم الرسول/ آدم الثّاني ٤٧

٤- البشر الهمج............................. ٤٨

٥- الإنسان (البشر الإنسان) ٤٨

٦- الإنسان الهمج............................ ٤٩

٧- بنو آدم................................ ٥٠

٨- الرّوح................................. ٥٠

٩- النّفس ٥٢

١٠- العقل ٥٤

١١- شجرة المعصية وشجرة الخلد ٥٥

١٢- الشجرة الملعونة.......................... ٥٦

١٣- اللغة العربيّة القديمة ٥٧
١٤- السّراة ٥٨
١٥- النظام القرآني ٦١
١٦- تراث الآباء والمعلّمين ٦٢
١٧- مدوّنة التوراة ٦٣
١٨- ليلة القدر ٦٤
الفصل الأوّل – وهْم التصوّر التوراتي ٦٧
أوّلاً- أسباب تدوين كهنة التوراة شجرة الإنسانيّة ٦٩
* شمشون الجبّار بصمة على غايات التدوين ٧٩
١- بطولة تعويضيّة ملفّقة ٨١
٢- تفسير خرافة شمشون ودليلة ٩٣
ثانياً- مآرب تلطيخ أنبياء الله بالأباطيل ٩٦
أ - سكر نوح بزعْمهم! ١٠٠
ب- انتهازيّة إبراهيم! ١٠٢
ج- منكر لوط وابنتيْه! ١٠٥
د- التواءات إسحاق ويعقوب والأسباط! ١٠٩
هـ- جرائم داود وأبنائه! ١١٦
* انحراف اليهود وانعكاسه في تدوين الأسفار ١٢١
ثالثاً- أنواع الأشجار البشريّة في التوراة ١٢٨
رابعاً- الشجرات الثلاث ١٣١
أ- شجرة البشر ١٣١

ب- شجرة الإنسان ١٣٥
ج- شجرة الرسل ١٣٧
خامساً- شجرة أبناء آدم التوراتيّة ١٤١
سادساً - اختلال تكهّنات الكهنة ١٥٠
خاتمة الفصل ١٥٥
الفصل الثاني - صدام التفاسير مع القرآن والعلم ١٥٧
أوّلاً- وهم القداسة ومعضلة العصمة والمعصية ١٥٩
ثانيا- الإذعان للنتائج العلميّة الآثاريّة ١٦٣
ثالثا- بين آدم العلميّ (الإنسان) وآدم التوراتي (الرسول).............. ١٦٨
رابعاً- الآيات الفارزة بين آدمين ومناقشتها ١٧٠
أ- (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ) ١٧٢
١- تفسيرٌ يضرّ ولا ينفع ١٧٢
٢- الاصطفاء على العالمين موضوعُه ومداه........................ ١٨١
٣- البيت المصطفى الخامس (آل إبراهيم)........................ ١٨٧
ب- (النَّبِيُّونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) ١٩٧
ج- أسبقيّة الوجود الإنساني على الانبعاث الرسالي ٢١٣
١- الأمّة الواحدة والرسل ٢١٤
٢- سمة الرسل وملامح زمانهم............................ ٢١٥
د- ملامح عامّة للشجرة الآدميّة ٢١٩
خاتمة الفصل ٢٢٩
الفصل الثالث - وهم سببه مرويات وموروثات وآراء................. ٢٣١

أوّلاً- مرويّات تفضي بوجود آدمين؛ الإنسان، والرسول ٢٣٢
ثانياً- حكاية قابيل وهابيل وبوادر الهمجيّة ٢٥٠
أ- الحكاية التوراتيّة..................................... ٢٥٢
ب- تحليل المفكّرين العرب للقصّة.......................... ٢٥٩
ج- الغاية القرآنيّة من ذكْر القصّة ٢٦٤
د- لا تزْنِ، لا تقتلْ....................................... ٢٧١
هـ- الإرث الديني واضطرابه................................ ٢٧٦
و- قابيل وهابيل السريان العرب ٢٩٣
ثالثا- آدم ونوح وأحجية عمر الألف سنة ٢٩٧
أ- نوح مرآة آدم ٢٩٨
ب- لغز الألف سنة... ٣٠٢
ج- بين السنة والعام....................................... ٣١٦
د- غاية الأعمار المُعمِّرة المديدة ٣٢٢
* ملخّص إشكاليّة عمر نوح ٣٤١
هـ- البطون الكثيرة لآدم، ومغزاها ٣٤٨
خاتمة الفصل ٣٥٠
الفصل الرابع - آدم وأوادم رسالات الحضارة ٣٥٣
أوّلاً- حقبة الرسل ومعلّمي الحضارة ٣٥٤
أ- أربعة سريانيّون ٣٥٤
ب- معلّمو الحضارة... ٣٦٧
ج- آدم المؤسّس الرمز ٣٨٠

د- تعليم الإنسان بين الملائكة والنبيّين................................ ٣٨٥
هـ- مهمّة آدم الرسول .. الراعي الصالح (دوموزي) ٣٨٩
ثانياً- سبب تسمية شخصيّتيْن (آدم)................................ ٣٩٨
ثالثاً- (إنليل) السومريّ، المثال والمثيل ٤٠٠
أ- أنبياء الأمم أوادم ربّانيّة بثّتها حظيرةُ القدَّس ٤٠٥
ب- التقمّص الأسطوري والأوادم الإنليليّة ٤٤٤
ج- فرضيّة رجعة آدم الأوّل كآدم ثانٍ................................ ٤٤٦
* ملخّص فرضيّة حياتين لآدم ٤٦٠
خاتمة الفصل ٤٦٦
الفصل الخامس – الأسرة الإنسانيّة شريعة (إيل)/الله................. ٤٦٩
أوّلاً- الأسرة الآدميّة في شواهد اللّغة ٤٧٢
أ- نشأة الأرحام أسّست للأسرة (مفهوم الزوجة) ٤٧٦
ب- البلد ووالد وما ولد (مفهوم السكَن)............................ ٤٧٩
ج- اللّبِنة الأولى للمجتمع الإنسانيّ................................ ٤٨٤
د- الأسرة، الشجرة الوارفة الظلال (مفهوم الجنّة) ٤٨٧
ثانياً- عقوبة الجلد وارتباطها بالذرّية الطيّبة ٥٠١
ثالثاً- محور قصّة آدم ٥٢١
خاتمة الفصل ٥٢٧
الخاتمة................................ ٥٣١
قائمة المصادر والمراجع ٥٣٤
أولاً – العربية والمترجمة ٥٣٤

ثانياً – الأجنبية ٥٤٧
ثالثاً – الإنترنيت ٥٤٧
رابعاً – الإلكترونية ٥٤٩
أ – القــرآن ٥٤٩
ب – التــوراة ٥٤٩
ج – أقراص مدمجة ٥٤٩

المقدّمة

(الحقُّ كلُّه ثقيل، وقد يخفّفه الله على أقوامٍ طلبوا العاقبة فصبّروا أنفسهم)
الإمام عليّ (ع)[1].

أ- توطئة البحث

أمّتنا التي منها بدأ الإنسان الأوّل، والكتابة والقلم، وخُتمتْ آخر مللها بتفجير إمكانيات العقل والبحث مُستهلّةً بلواء "**اقرأ**"، من المعيب عليها والغريب أنْ تدع غيرها يكتب تاريخها لها، أو أنْ تستلف رُقَعاً تخيطها فتشوِّه أحسنَ ما عليها.

إنّ القصص القرآنيّ حقّ، أتى لغايات معيّنة، واختُصر لغايات معيّنة، غايات كثيرة، لكن ليس منها ما دأب بعضُ المسلمين على فعله، بإكمال الناقص وملأ الفراغ بقصص أهل التوراة الذي ألّفه الكهنة، لماذا؟

لأنّ القرآن، حين قصّ قصّة يوسف في سورة كاملة، استهلّ كلامه قائلاً **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ)**(يوسف:٣)، فبيّن أنّ هنالك قصّاً سيّئاً كان سائداً، لا سيّما ذلك القصّ الذي يُكثر من الخوارق والخرافات، وتبديل المواقع والأرقام، وتحريف الكلم عن مواضعه، وتفحيش الأنبياء المعصومين بالمخازي والعيوب.

---

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، ج٣، الكتاب ٥٣، ص١٠١، عهده (ع) لمالك الأشتر.

وحين جاء بقصّة أهل الكهف، أوصد الباب أمـــام القـــصّاصين الراجمين بالغيب بقوله **(نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِـــالْحَقِّ)**(الكهــف:١٣)، فهناك من درج على أنْ يقصّ بالباطل والتزوير لا بالحقّ.

أمّا حين ذكر ذا القرنين قال **(سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْراً)**(الكهف:٨٣)، فليس الغاية القصّ إلاّ بما يُفيد.

ومن الرُّقع المُستدانة من القصّاصين ومن كهنة التوراة، قـــصّة آدم، فمعظم الروايات المنسوبة لأئمّة الحديث تجد نسختها الحرفيّة في التوراة، ما يدلّك أنّه أصلها.

ولو أنّها بقيت كحكاية تُروى بين الحقّ والخرافة كمـــا أرشـــدنا نبيُّ الأمّة(ص)، لهان الأمر، أمّا أنْ يُؤتى بها في سياق ملء الفـــراغ القرآني، كما يُتصوَّر، واستدراكاً على المسكوت منه عنـــه، بـــل وأنْ يُؤتى بها تفسيراً منصوباً بها لألفاظ القرآن وآياته، فهذه هي الطامّـــة الكبرى، وهذا هو المعيب، معيبٌ لماذا؟

لأنّ **(هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيـــهِ يَخْتَلِفُونَ)**(النمل:٧٦)، وليس العكس.

ففي مسألة حقيقة آدم وتاريخه، سنحاول أنْ نعتمد القرآن فـــي قصّه، وسنُثبت أنّ الثّابت لدى المسلمين من "قصّ بني إسرائيل" هـــو وإن كان يحفل بحقائق مدسوسة، إلاّ أنّه مختلـــف ومتنـــاقض، مـــع المنطق، ومع التاريخ، ومع شواهد العلم، وفوق ذلـــك مـــع القـــرآن الحكيم.

سبق منّا أنْ قدّمنا في بحث "خلــق آدم" كيــف بــزغ الجــنس البشري الأوّل، حتّى حانت لحظة انتخاب زوْجين منه لأنسنتهما بنفخ الرّوح الربّانيّة، منذ بضع عشرة آلاف من السنين. فكان بهذا آدم أبــاً للناس جميعاً، لا أباً للبشر.

ثُمّ قدّمنا في بحث "معصية آدم" كيف تمّت المعــصية الأولـــى، وماذا كان أثرها على المسيرة الإنسانيّة، ومضينا مع القــرآن حتّــى نفَسِه الأخير مستمعين له ومنصتين بأنّ آدم عصى وغوى، فلمْ نأبــه لمن زعم عصمة آدم أبي الإنسانيّة جمعاء، ولمْ نأبه للتخريجات التــي تُعارض نصوص كتاب الله البيّنة والروايات المتّفقة والموافقة.

على أنّا أشرنا إلى وجود شخصيّة أخرى معصومة فعلاً، هــي شخصيّة آدم الرسول السريانيّ، والسريانيّة أحدُ لهجــات اللغــة الأمّ الأولى، هذه الشخصية طُمِرتْ في ظلال شخــصيّة آدم الأوّل، فــآدم الرسول فاتحة الرسالات، ومنه بدأ التاريخ الإنساني، فــإذا كــان آدم الأوّل أبا الإنسانيّة جميعاً طبيعياً، فــإنّ آدم الثــاني المعــصوم أبــو الإنسانيّة روحيّاً، فلا غرو أنْ تماهى[1] الآدمان.

وللحقّ، ما تمّ الدمج تاريخيّاً بين شخصيتين كما تمّ بين أبينا آدم الإنسان وآدم الرسول، فكلّ التراث التفسيريّ (لا المرويّ) الذي بــين أيدينا لمْ يخرج عن كهف مدوّنات التوراة، ولقد راجعنا معظم ما كتبه

[1] – تماهى: مفردة مشتقّة من "الماء" وتعني اختلاط شيء بشيء، وذوبان معالم كلّ منهمــا فــي الآخر.

المسلمون لدى جميع طوائفهم من مرويّات وآثار عن آدم بما أُتيح لنا العثور عليه، فما وجدناه يفارق ما تقوله التوراة إلاّ في تفاصيل بسيطة لا تُقدّم ولا تؤخّر، على أنّه يُوجد أخبار صحيحة عن رسول الله (ص) بإمكان الباحث أن يعتبرها بداية الخيط، منها قوله **(يا أباذر أربعة من الرسل سريانيّون: آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل مَنْ خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيّكم**[1]**)**، فآدم هنا رسول سريانيّ.

مع أنّ المتمعّن في التوراة التي سطّرها كهنة بني إسرائيل مسجّلين فيها بعض تراث المنطقة من وجهة نظرهم، يستطيع أنْ يتلمّس أيضاً طريقه بين غبار هذه المسألة.

كان طريقنا واضحاً بيّناً، الاستمساك بالقرآن والقرآن وحده، وكان يكفينا أنْ نستنطق القرآن للبتّ في هذه القضيّة، "**ففيه خبر ما**

---

[1] – سيأتي تحليل هذا الحديث لاحقاً، وتمامه، وقد نقلناه من: السيّد الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج٢، ص١٤٤، وقد علّق بعدها أنّ الرواية من الروايات المشهورة عند طوائف المسلمين ورويت عن عدّة من أهل البيت (ع)، وهي: **(عن أبي ذر رحمه الله قال: قلت يا رسول الله كم النبيون؟ قال: مائة وأربعة وعشرون ألف نبي، قلت: كم المرسلون منهم؟ قال ثلاثمائة وثلاثة عشر جمًّا غفيرا، قلت: من كان أول الأنبياء؟ قال:** آدم، **قلت: وكان من الأنبياء مرسلا؟ قال: نعم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه، ثم قال: يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيون:** آدم، **وشيث، وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خطّ بالقلم، ونوح، وأربعة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، ونبيك محمد (ص)، وأوّل نبيّ من بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى وستمائة نبي، قلت: يا رسول الله! كم أنزل الله تعالى من كتاب؟ قال: مائة كتاب وأربعة كتب، أنزل الله على شيث خمسين صحيفة وعلى إدريس ثلاثين صحيفة، وعلى إبراهيم عشرين صحيفة، وأنزل التوراة، والإنجيل، والزبور، والفرقان)**.

كان قبلكم ونبأ ما يأتي بعدكم"، وهو ما سنفعله حتماً، لكنّا أردنا التوسّع ليُدرك القارئ أنّ النبيّ (ص) وآل بيته وخيارَ أصحابه لمْ يضنّوا بعلمهم على الأمّة ولمْ يشتبه عليهم الأمر، وإنْ كان من إخفاء علم، فلأنّ الناس لا تستوعبه تلك الأيّام، ولأنّ القرآن قد تضمنّه، فهي دعوةٌ منه (ص) حثّاً على كتاب الله أنْ يُراجعه المراجعون.

نحنُ سنفترض أوّلاً أنّ (آدم الإنسان) الأوّل غير (آدم الرسول)، لأنّه لا مخرج علميًّا أو قرآنيًّا غير هذا، وسنُحاول إثبات ذلك بدقّة للّبيب المتمعّن، لندرك حكمةً واحدة أنّ الرسُل (ويُمثّلهم آدم الرسول)، ما بعِثوا إلاّ لإرجاع الناس (ويُمثّلهم أبوهم "آدم الإنسان") إلى إنسانيّتهم العُليا، فالرسالات هي لصنع الإنسان إنساناً لا أكثر.

قال تعالى: **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**(العنكبوت:٢٠).

نبدأ مشوارنا من حيث أمرتنا هذه الآية الشريفة، مُكملين ثالثة حلقات بحثنا عن آدم؛ البحث الأوّل هو (**الخلق الأوّل**)، البحث الثاني هو (**وعصى آدم**)، والبحث الثالث هو هذا (**بين آدمين**)، على أن يكون البحث الرابع (**جنّة آدم**).

يأمرُ اللّهُ تعالى نبيّه (ص) نبيّ الرحمة والعلم، بأن يقول للنّاس آمِراً: سيروا في الأرض، لا في الأوهام ولا في الكتب، بل في الأرض لينظروا كيف بدأ الخلق، وطبعاً فالموضوع ليس هو نشأة الكون والمجرّات، ولا نشأة جيولوجيا الأرض، بل نشأة الإنسان في

طوره البشريّ الأوّل، حين نبت من الأرض نباتاً، هـذا أمـرٌ قـادرٌ الإنسان على اكتشافه يوماً ما، بالصورة التي حكاها القـرآن ودوّنتـه أساطيرُنا العربيّة منذ زمن سومر، وأوضحناه في بحث أسبق (**الخلق الأوّل**)، إذ سياق الآية لا يحتمل إلاّ هذا المعنى، لأنّ الله يُعقّـب بـأنّ النشأة (**الآخِرة**) سيُنشئُها سبحانه على غرار النشأة الأولـى، فالنـشأة (**الآخرة**) (البعث من قبور الأرض كالنبات) لم تقل الآية أنّهـا نـشأة (أُخرى) لتكون مُغايرة عن النشأة البشريّة الأولى من طـين الأرض بل هي نشأة (**آخِرة**) أيْ بنفس الكيفيّـة، ولا يُـسمّيها القـرآن نـشأة "**أُخرى**" إلاّ حين يُقارنها بالنشأة البشريّة الاعتياديّة التي نُعاصرها كلّ يوم وهي نشأة (**الأرحام**)، وقد بيّنا هذا هناك أيضاً.

وما دام الإنسان لا يسير في الأرض مكتشفاً، فسيظلّ متطـايراً كالريشة في عواصف الخداع يميناً وشمالاً، لا سيّما وأنّ "تفـسيرات" النصوص الدينيّة لو سلمت عن التزوير والتحريف، لم تُقدِّم له سـوى تأويلات متضاربة مع نفسها ومتناقضة مع العلم والعقل ومع الـنصّ نفسه. ولقد رأينا في البحثيْن السابقيْن كيف أنّ نصوص التـوراة قـد حُرِّف بعضها ولُفّق آخر وكُتب ثالثٌ بجهل أو عمْـد، لاسـيّما فيمـا يتعلّق بالمسائل الدقيقة كخلق البشر والإنسان، وكخلـق حـواء مـن ضلع، وخديعة الحيّة لها وانخداع آدم بحوّاء لا العكس، فهذه أهـواء ذكوريّة وتصوّرات أُسقطت في نصّ لتُؤلّف كلاماً تزعم أنّه من عنـد الله، ولم تكن الحقبة الإسلاميّة بمأمن من هـذه الأهـواء وتـضليلها، وأحسن محملٍ لها توصّلنا إليه هو خلط المدوّنين بين حوّاء الإنـسانة،

و(حوّاء!) أخرى الهمجيّة البشريّة التي عصى آدم معها، فلمْ يحفظ لنا التاريخ بمطبّاته وتقلّباته نصّاً نزيها معصوماً عن الأهواء أو الأخطاء البشريّة غير النصّ القرآني الذي ما هو بـــ **(قول البشر)**، وضَمِن اللهُ حفظه على مستوى (الذكر) فقط (أي قالبه النصّي)، لا على مـــستوى التفسير، بل التفسير ربّما كان البوابةَ العظمى التـــي فتحـــت ســـدود الأباطيل والتوراتيّات والأهواء لتُغرق الجـــواهر المعرفيّـــة للـــنصّ القرآني وتطمرها، وقد قال عليّ (ع) يوماً يصف زمانه هـــو فكيـــف بزماننا **(إنّ هذا الدين قد كان أسيرًا في أيدي الأشـــرار يُعمـــل فيـــه بالهوى، وتُطلب به الدنيا)**[١]! وأخبر نبيّنـــا الأكـــرم (ص) بـــضرورة وجود أو إيجاد فئة **(ينفون عنه تأويل الجـــاهلين، وانتحال المبطلين، وتحريف الغالين ..)**[٢]!

* موجز قصّة آدم الإنسان في البحثين السابقين

ممّا قدّمناه اختصاراً في البحثيْن السابقين في المسيرة "البـــشريّة – الإنسانيّة– الرسوليّة" الآتي[٣]:

قبل مئات الآلاف من الســـنين (قد تصل إلى عدّة ملايين) وبعد

---

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، الكتاب ٥٣، عهده (ع) لمالك الأشتر.

[2] – البيهقي، **السنن الكبرى**، ج١٠، ص٢٠٩. أيضاً: المجلسي، **بحـــار الأنـــوار**، ج٢، ص٩٣. أيضاً: عبد الله بن عديّ، **الكامل**، ج١، ص١٤٧.

[3] – البحثان السابقان هما: **(الخلق الأوّل – كما بدأكم تعودون)**، و**(وعصى آدم – الحقيقـــة دون قناع)**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، وهذا الملخّص منقول نصّاً من خاتمة بحث (وعـــصى آدم).

أنْ تهيّأ كوكب الأرض عبر مئات الملايين من السنين لاستقبال الحياة النباتيّة ثمّ الحيوانيّة، حان دورُ خروج آخر كائن حيوانيّ معقّد وهو البشر، فخرجتْ بداياتُهم كما خرجت بدايات كلّ دابّة كما قال القرآن وأكّدته الأساطير العربيّة وأثبته العلمُ، بتكوّن شفراتها الجينيّة من أملاح الماء (البحر اللجّي الأوّل) كخلايا أولى (كود برمجي، دي.إن.إيه – **DNA**– وغلاف بروتيني واقٍ، تماماً كأقوى الفيروسات التي تبحث عن عائل مناسب تنشط فيه وتنقسم)، ثمّ علقت باليابسة لمّا تشكّلت اليابسة عبر دورات الماء، حتّى آن أوان تنشّطها وانقسامها في الحقبة الملائمة لها في موادّ "أولى" حيويّة مناسبة (هيولى[1])، تماماً كالبذرة التي تحيى بعد موات (سبات) في التربة والماء والظرف المناسب، فاغتذت ونمت في حاضنات الطين اللازب جنب المستنقعات النهريّة، لتنشقّ الأرض الطينيّة بعد مدّة تخليق عن كائنات بشريّة كاملة، خرج البشر الأوائل رجالاً ونساءً بالغين (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً**)(النساء:١)، وظلّ هذا الخروج والنسل الأرضي (النشأة من الأرض) يتوالى، حتّى جاءت حقبة التناسل من الذكر والأنثى في زمن كانت فيه السلالة البشرية الأخيرة

[1] – إنّ كلمة (هيولى) ليست يونانية كما يُزعم، بل عربية قديمة (هاء التعريف + يولى/أولى) حيث بين الياء والألف إبدالات معروفة (مثل يسرائيل/إسرائيل، يسحاق/إسحاق، ماء/ماي، مئة/مية، وقراءات القرآن أئنّكم/أينّكم ..) فالكلمة (هيولى) هي نطق آخر عامّي قديم لما صار بالفصحى (الأولى)، تماما مثل (هؤلاء = أولاء).

النابتة من الطين، قد بلغت مستوىً محسّناً يسعفها على هذه النقلة، هنا صار البشر كأنّهم يخلقون أنفسهم مِن ذكرهم وأنثاهم (يتوالدون) كما كلّ الحيوانات التي سبقتهم، فانتقل الخلق البشريّ (النشأة) من طوْر نشأة الأرض إلى طوْر نشأة الأرحام (**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**)(النجم: ٣٢).

ظلّ هذا الوجود البشري يتطوّر بيولوجيّاً شيئاً فشيئاً باعتباره أرقى كائن حيواني وأذكاها وأكثرها قابليّة، لكنّه مع ذلك يستحيل عليه أن يُطوّر له حضارة أو وعياً أو ديناً أو لغة لأنّ جوهر الإبداع وهو "الرّوح" الربّاني العُلويّ يخلو منه، بل هو كائن أسير الغريزة مهما اشتدّ ذكاؤه، ولا يستطيع أن يرى غير عالمه الذي يُكنّه ويأسره وحاجاته الذاتيّة. إلى أنْ جاءت لحظة التدخّل الربّاني في هذه السيرورة الطبيعيّة البطيئة الممتدة لملايين السنين، فجاءت قفزة بزوغ الوجود الإنساني لتصنع من الكائن اللاواعي البشري كائناً آخر واعياً حرَّ المشيئة، ذا عقلٍ مبدع، ليتأهلّ ليُصبح الخليفة الواعي المدبِّر للكوكب ومثيل الربّ في الأرض.

تسلّل كائنان بشريان من الهمج اللاواعي داخل مغاور جبال السَراة في الجزيرة العربيّة مهد الإنسان الأوّل[1]، واستُدرجا لدخول الجنّة المحروسة بالملائكة "**فرادى**"، الذكَرُ منهما دخل قبل الأنثى، في

[1] – راجع: **جنّة آدم – تحت أقدام السّراة**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

زمن كان بداية تحوّلٍ فلكيّ كونيّ له ارتباط بدورة الشمس في المجرّة، جوّ موبوء بمناخ قاسٍ، متوافق مع آخر عصر جليديّ الذي بدأ ليُهلك في طريقه هذا الجنس البشري الهمجي السابق المنتشر[١] والذي سيبيد بعضُه بعضاً وتبيده الكواسر والوحوش ومكابدة الظروف، ضمن خطّة إلهيّة تنفذُّها الطبيعة والقوى الربّانيّة لاستبداله بالإنسان الخليفة بذرّيته الإنسانيّة، كما يُنقّي الزرّاع بيْدَره ويستتبتُ أجودَ فسائله ويجتثّ اللاّملائم، هذا العصر الذي بدأ قبل أكثر من خمسين ألف سنة تقريباً. وبدأ عمل تخليق الإنسان وتسويته وصفّ جيناته، ثُمّ (لعلّه) وُضِع في حالة سُبات، انتظاراً لقدوم الربّ.

بعده بمدة استُدرجتْ الأنثى الجنّة، أو سهّلت الملائكة الصافّة المدبِّرة لدخولها، وشرعوا في إعادة تخليقها وتحسينها وتعديل جيناتها بنفس الطين والتركيبة الجينية ("من فاضل الطينة" كما يقولون)، وجرى عليها ما جرى عليه تماماً من طينته ومن شفرته ونفسِه **(من نفسٍ واحدةٍ)**، وكانت إبادة الظروف القاسية للهمج قائمة خارجاً.

في اليوم الربّاني، لتقدير المصائر، يوم القدْر[٢]، هبط الربّ/الروح الأعظم (ربّ الملائكة/"آن وروحُه إنليل" لدى السومريّين) ونفخ - في الكائن البشريّ المستوي المعدَّل السابت- مِن روحه بكيفيّة لا نعرفها، فوُجدتْ لأوّل مرّة بدايات الإنسانيّة بولادة

---

[1] - **(وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ)**(الأنعام:١٣٣).

[2] - راجع بحث: **ليلة القدر - عيد الخليقة**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

كائنين مثيليْن للربّ (آدم وحوّاء) كأطفالٍ في هـذا العـالَم الـواعي الجديد، وتمّ تولية الملائكة المدبّرين على هذا الخلق الإنساني الجديد.

نُوديت الجنود الروحانية من جنّ وملائكة مسئولة عن الأرض خارج المقرّ الربّانيّ (الجنّة)، للانتظام في مشروع إعداد وتأهيل هـذا الكائن الجديد (وليّ العهد) واحتضانه والقيام بمعونته وتعهّده وتعليمـه وخدمته (وهو المسمّى بالسجود لآدم)، فأبى فرْعٌ من الجُند المُخـتصّ بالنفس البشريّة والنفوس الطبيعيّة، ورأسهم إبليس مع قبيله وأتباعُـه (الجنّ)، فجادل مسئوله، مسئول الطبيعة من المدبّرين، وهـو سـيِّده ميكائيل[1] الذي ينوب عن الربّ حيالَهم، طُرد إبليس من المقرّ الجنّـة بعد رفضه الخضوع والإذعان لأمر الربّ بالانتظام ضمن التخطـيط الجديد (أبى السجود)، أي قبل قريبٍ من خمسين ألف سنة.

ظلّ آدم وحوّاء في الجنّة (في اللاّزمن) يتعلّمان فيهـا سـمات الأشياء (أسرارها) بصحبة الأبرار من الملائكة فـي جـوٍّ روحـاني غافليْن عمّا يُمكن أنْ يصدر منهما من شرور راجعة لطبيعة الـنفس وقواها المادّية الكامنة. كان ينبغي لآدم أنْ يظلّ كامناً في الجنّة حتّـى

---

[1] – (ميكا–ئيل) أيْ ميكا = مِحْكا= محاكي ومثيل إيل، مثيل الربّ، وفي تراثنا الإسـلامي هـو المسئول عن الأرزاق (الطبيعة)، وعن مجادلات إبليس لميكائيل ذكر الإنجيل مواقف مـن هـذه (**وَأَمَّا مِيخَائِيلُ رَئِيسُ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا خَاصَمَ إِبْلِيسَ مُحَاجّاً** ..)(يهوذا ١: ٩)، وذكرنا فـي بحـث (وعصى آدم) أنّ الذي نادى مجاميع الملائكة للسجود لآدم ليس الربّ مباشرة بل المدبّرون لأمر الربّ وواسطة كلامه في تلك المجاميع وأمرهم أمره وكلامهم كلامه، بدليل كلمة (**قلنا**) بضمير الجمع المتكلِّم (**وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَـى وَاسْـتَكْبَرَ وَكَـانَ مِـنَ الْكَافِرِينَ**)(البقرة:٣٤).

إبادة سلالة (شجرة) الهمج خارجاً ليبدأ مهامّه بعد تأهّله وبعْدَ زوالهم مع تغيُّر الأجواء الكونية، ولمْ يكن في المُخطّط المعهود لآدم أنْ يخرج ولا أنْ يصنع له ذرّيةً بعد، بل الذرّية ساكنة (غير مفعّلة) في عالَم آخر مجهول (سمّاه التراث: عالَم الأصلاب، عالم الذرّ، عالَم الأظلّة)، لنقلْ أنّها معدودة ومذخورة في علْم الكتاب الأوّل الذي نزل بأمْر خلْق آدم وخلق أنفس الذرّية، في قبضةٍ واحدة (كما يقبضُ ملكُ الموت الأنفس)، شخَصَ منها فردان هما آدم وحوّاء ووُضع الباقون في طور الكمون (شبيهاً بالأجنّة المجمّدة، لتقريب الفكرة مادّياً)، فقال تعالى (**لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْداً**)(مريم:٩٤، ٩٥)، أحصاهم في الماضي، وعدّهم.

بعد مدّة، أغرى إبليس المطرود والذي حسد آدم على مقامه، بعضَ بقايا البشر الهمج بالصعود، لا سيّما أنثى منهم، بإيحاءات نفسيّة (في المجرى الصافي لغدير من الغدران المترقرقة من مغارة الجنّة، مجرى "بردى/بردو").

خرج آدم إليها بعد نزاع وتسويل، ووقع في الفخّ وعاشر مُستَغْفلاً تلك الهمج، قارَب "شجرة" البشر المُراد له أنْ ينقرض والمنهيّ أنْ يقربه بالتزاوج منه، ليُكوّن "شجرة الخلد" التي له (سلالة بشريّة من نسله تُخلِّده)، فأدام الكينونة/النفسيّة الهمجيّة بإنتاج ذرّية تحمل الأنسنة والهمجيّة معاً، كان الأمر أشبه بهندسة جينيّة، واختلط النسل الإنساني بالهمجيّ. فأضرّ نفسه وذرّيته بإيقاع الخلل في

برنامجه الجيني والرّوحي، وبالخروج لمكابدة الظرف الموبوء كونياً، هذا عدا أنّه فقد درعه الرّوحي (اللّباس- حسب المسمّى القرآنيّ).

رُبّما يكون من المفترض عدم خروج آدم من جنّته حتّى الألف السادس عشر قبل الميلاد على الأقلّ، العلمُ عند الله، إذْ عندها سيبدأ انحسارُ العصر الجليدي وبداية عصر الدفء الكوكبيّ، ولولا أنّ آدم قد أدام وجود العرْقِ الهمجيّ في قالب إنسانيّ لكان الهمج قد أُبيدوا تماماً تقريباً، لا سيّما من المنطقة، وبعوامل كثيرة. لكنّ آدم خرج بطوعه بخداع إبليس، وارتكب معصيته، فعاقبه الربّ بإهباطه عن الجنّة، ثمّ بعد فترة أهبطتْ له حوّاء/إغاثة الله، لتنقل له بشائر قبول توبته، ليقوما -بعد زمن غير معلوم وسيُعالجه البحث وفق فرضيّتيْن- بنسل الذرّية الإنسانيّة المُعافاة، ثمّ في مرحلةٍ مباشرة بعد جيل أهبطت الملائكةُ إناثاً بشريّات أخريات مخلّقات إنسياً ليتمّ التزاوج بهنّ من أبناء آدم الشرعيّين.

ومع هذا، فالزمن الكونيّ السيّء لا يتبدّل ولابدّ أنْ يأخذ دورته، فقد خرج آدم في الظروف القاسية، أيْ قبل قرابة ٥٠ ألف سنة تقريباً. وبقي محاصراً بتلك الظروف القاسية وشبه مجمّد وأعزلاً في تلك المغاور نتيجة للظروف التي هي ظروف إهلاك في الحقيقة لا إعاشة، ولكثرة وجود الهمج الوحشيّين حوله الذين كان المفروض خروجه سيّداً كخليفة وقد انقرضُوا. فضلاً أنّ آدم بمعاشرته إحدى الهمج منذ قرابة خمسين ألف عام قد أوجد سلالة بشرية هجينة،

"الإنسان الهمج"، الجنس الإنساني السائد المدخول بالهمجيّة، وقد كان الهمج البحت قصير العمر، فأدام وجودَهم بنحوٍ مـا علـى مـستوى الجينات بالصورة الجديدة في لباس الإنسان، فصار بنو آدم لهم ذكـاء الإنسان وقوّة عقله ولهم قابليّة شراسة الهمج وسفكه الدماء وشـرور النفس، ونتساءل: لو تلفّتْنا هنا وهناك؛ أليس هذا حالَ معظم الموجـود من النّاس حاضراً؟!! فصار "بنو آدم" في ختام الأمر جنسيْن؛ جنـساً من أب إنسان وأمّ إنسان (آدم وحوّاء) وهذا قد تأخّر ظهوره ربّما بعد آلاف السنين، وجنساً من أب إنسان وأمّ بشريّة همجيّـة، صـنعه آدم أوّل الأمر وانتشروا وسادوا على أنّهم بنو آدم.

تأخّر ظهور الإنسانيّة الآدميّة الصفيّة، وظلّت تتكـاثر بنـسبٍ بسيطة وتنتشر حسب المتاح لها ضمن شريطٍ حيويّ صالح للحياة بين مدار الجدي ومدار السرطان، في الوقت الذي كان قـد انتـشر فيـه العرق الإنساني الآخر الحامِل الهمجيّة، وهو العرق الذي انتشر شرقاً وغرباً ليُشارك بذكائه وقابليّاته الجديدة في إبادة وانقراض بقايا البشر الهمج الخالصين الذين لا يتطوّرون، فاكتسح الأرض وانتـشر، وراح في محاولاته ليصنع دينه وأصوات لغته واكتشافاته وأدواته في الفترة المنسيّة مـن التـاريخ التـي سـمّاها تعـالى **(كَـانَ النَّـاسُ أُمَّـةً وَاحِدَةً)**(البقرة:٢١٣)، وفسّرته الروايات أنّهم كانوا قبل مجـيء النبيّـين على فطرة الطبيعة التي خُلقوا عليها لا ضالّين ولا مهتدين، أي معفوّاً

عنهم حتى بعث لهم سبحانه من إخوتهم الآدميين أنبياء ورسلاً[1] يعلّمونهم اللغة والدين وشرائع الاجتماع وينفون عنهم مظاهر الهمجيّة.

بدأ ذلك مع بدء انحسار العصر الجليدي، حين بدأ يكون للإنسان الخالص وجودٌ فعلي وانتشار حضاريّ حقيقيّ، رافق ذلك بعثات الله الرسل البشريّين لتعليم الناس المتخلّفين حضارياً (أيْ بني آدم) المنتشرين شرقاً وغرباً، تعليمهم الاجتماعَ الحسن والاستخلاف الصالح ودين التوحيد[2] واللّغة الفطريّة[3] والأخلاق وإزالة مظاهر الهمجيّة منهم، لاسيّما آدم الرسول (ع) قبل نوح بعدّة آلاف من السنين، آدم المعلّم العالميّ (ع) الذي تماهى (اختلط وتجانس) في ذاكرة النسّابين مع آدم الإنسان الأوّل، وقام الإنسان ينتقل في سهول الأرض ليُعمّرها شرقاً وغرباً انطلاقاً من "سَرَاة" الجزيرة العربية[4]

---

[1] – تكملة الآية يرينا سبْق وجود هذا الجنس الإنساني (الأمّة الواحدة) على بعثات الأنبياء والرسل فيهم لتأنيسهم وتحذيرهم وتعليمهم وضبط تصرّفاتهم **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ)**(البقرة: ٢١٣)، وهذه الآية بالذات تضاربَ المفسّرون فيها لأنّهم لم يتعقّلوا إحداثيّتها الزمانية اللائقة بها كحقيقة تاريخية محضة تكشف فصلاً من بدايات الوجود الإنساني.

[2] – راجع بحث: **التوحيد– عقيدة الأمّة منذ آدم**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[3] – راجع بحث: **اللسان العربيّ – بُعد فطريّ وارتباط كونيّ**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[4] – عددنا (مكّة) أوّل بقعة انتشر منها الإنسان لدلائل تراثية وعلمية كثيرة، وكانت جزيرة العرب جنّات وأنهاراً، وستعود يوماً بحسب الحديث النبويّ، وبحسب نبوءات العلم الفلكي والجيولوجي، والطوفان الذي أصاب درع جزيرة العرب محى الكثير من معالم حضارات الإنسان الأوّل وصحّرها ومحى معالَم حتى البيت العتيق، لكن العلم قد أثبت بأنّ أولى الحضارات كانت تُحيط

ليُهذّب أخاه الإنسان الآخر السائد (الهمجيّ)، حيث لمْ يكن (حوض البحر الأحمر) والخليج العربي بالخصوص، سوى وديان خصيبة تجري وتصبّ فيها الأنهار.

فبدأت القرى وبدأت التجمّعات، وصارت الأمّة الواحدة أممًا فزامن بعثات الرسل بشرائعهم الاجتماعية والتعاليم. وراحت الشعوب تتناقل في ذاكرتها الأولى وتراثها أحداث القصّة الآدميّة الأولى رمزاً وأسطرةً ومحكيّاتٍ وتعاليمَ[1] لتعلّمهم كيف بدأوا وتكوّنوا بتلك "المعصية" وكيف ضلّت مسيرة الإنسان وتأخّر تفعيل قواه الباطنيّة الحقّة، ولترسم لهم عنصر وجودهم الحقيقيّ، وما كان يُرجى منهم من تطهّر من همجيّة دخيلة عليهم عوّقتهم، ليُفعّلوا (الرّوح) الذي وُوري برنامجُه هذه المرّة وقُدّم برنامج (النّفس) الدنيا عليه.. ولأنّ الجنس الإنساني لمْ يعُدْ مجدياً التفريق فيه بين من يرجع إلى الأم حوّاء أو إلى الأم الهمجيّة، ولم يعُدْ مهمّاً أو بالاستطاعة، لأنّ القابليّات صارت واحدة بكثرة موْج بعضهم في بعضٍ بالتناسل، لهذا وهذا سقط من التراث أو دُسّ وأُرْمِزَ (كما في القرآن) ذكْرُ الأمّ "الهمجيّة" وبقي ذكْرُ حوّاء، كأمٍّ أصلٍ يرجع النّاس إليها، لأنّه هكذا كان ينبغي، مع أنه لمْ

بأرض الجزيرة في شمالها في الشام في أريحا وإيبلا وأوقريت وصور، وفي شرقها وشمال شرقها حيث العبيديون والسريان والسومريون، وفي غربها حيث شرق أفريقيا حضارة ملوك وادي النيل العظيمة، وفي جنوبها حيث حضارات اليمن، وجاءت علوم التاريخ والآثار لتُثبت بأنّ هذه باكورة حضارات العالم ومركز إشعاعه ومنها ومن رجالها المتجوّلين المعلّمين انتشرت كلّ علوم الإنسان إلى البقاع القريبة والبعيدة.

[1] – راجع بحث: **الأسطورة – توثيق حضاري**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

يكنْ الأمرُ كذلك، وصار يُنقل ويُدوَّن أنّ "حوّاء" هي سـبب الخطيئـة والتي أغرت آدم بالمعصية، وهو صحيح بشرط واحد فقط؛ أنْ تكون "حوّاء" هذه هي الأنثى الهمجيّة المُغفَل ذكرُها.

ومع ذلك، فإنّ الإنسان لمْ يُوقـف بحـال ممارسـة الخطيئـة والعدول عن أوامر الربّ والخضوع لغريزة النفس الأمّـارة، فـسادَ التزاوجُ الإباحيّ (العشتاريّ) بين الإنسان الهمج الذي اختفـت معـالمُ تميّزه الظاهر وصار هو والإنسان واحداً باعتباره من بني آدم، حتّـى لمْ يبقَ في عصرٍ متأخّرٍ جدّاً، في المنطقة المقدّسة، قرب مهـبط آدم، قريباً من مكّة، إلاّ القليل النقيّ أو المُهذّب أيّام نوحٍ وأبيه "لمك"، **(فلمّا أدْرك نوحٌ قال له لَمَك قد علمت أنّه لم يبق في هذا الموضع غيرنـا فلا تستوحش ولا تتّبع الأمّة الخاطئة)**[١].

حين اكتمال الانحسار الجليدي، وامتلاء الأودية العظيمة بميـاه المحيطات الذائب جليدُها التي رفعت مناسيبها عدّة مئات من الأقـدام وتشكّلت بحارا وخلجاناً، كما امتلأت فـي حـوض البحـر الأحمـر والخليج العربيّ، سبّب ذلك ضغطاً هائلاً على الدرع العربي في شبه الجزيرة من الجهتين[٢]، الدّرع الذي يُخفي تحته خزاناً هائلاً من المياه الجوفية الأولى ("الأبزو" في الأساطير)، فـانفجرت فوهـاتُ جبـال

---

[1] – الطبريّ، **التاريخ**، ج١، ص ١٠٨.

[2] – The sea has risen 100 meters since the last ice age, ocean water now exerts a downward force on parts of the continental shelf that had been above sea level. http://yosemite.epa.gov/oar/**globalwarming.nsf**/content/ClimateTrendsSeaLevel.html.

السراة البركانية التي تُعانق السماء، عن ماء شديد منهمر، وتفجّرت الأرض عيوناً كما أخبر سبحانه **(فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُوناً فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ)**(القمر:١١، ١٢)، أغرق قسماً كبيراً من شبه الجزيرة العربيّة، وجرف القرى والزروع، الأمر الذي صحّرها بعدئذ. لكنّه أباد بقايا الهمجيّة بفروعها الثلاثة في المنطقة تلك:

- "البشر" الهمج سلالياً (كائن إباحي مفسد غير واعٍ) <--- (مخاض تزاوج بشر همج، مع بشر همج)، ولعلّه كان غير موجود حينها، بل انقرض وأُبيد بالمرّة تماماً قبل ذلك بعشرات آلاف السنين.
- "الإنسان" الهمج سلالياً (كائن واعٍ إباحي مفسد اختياراً) <--- (مخاض سلالة تزاوج إنسان واعٍ (آدميّ)، مع بشر همج).
- "الإنسان" الهمجي سلوكاً (كائن واعٍ إباحي مفسد اختياراً) <--- (مخاض تزاوج إنسان واعٍ، مع إنسان واعٍ)، تسرّبت له الهمجيّة من دواعٍ أخرى، تربويّة، أو نفسيّة، أو تقليديّة بالجهل.

فأُهلك كثيرٌ من الإنسان الخاطئ الهمجيّ السلوكِ، الظالمِ والفاجرِ، الساكن في هذه الدّائرة الجغرافيّة، كما أخبر القرآن عن نوح: **(إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)**(نوح:٢٧)[1].

---

[1] – **طوفان نوح – بين الحقيقة والأوهام**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

ب- إشكاليّة البحث: الزعم بوجود آدمين

هذا آنفاً، هو ملخّص ما قُلناه أو أثبتناه باستنطاق كتاب الله ومن مدوّنات الآباء والأنبياء والمعلّمين، ولقد ذلّلنا بعض الإشكالات التي قد ترد على الذهن المتسلّح بالتراث الفكريّ والاعتقاديّ الرجاليّ والمدسوس لا القرآنيّ، منها أنّ آدم العاقل أبا الإنسانيّة (وليس البشريّة)، هو غيرُ معصوم، على خلاف التخريجات التي تريد أنْ تلوي النصّ القرآنيّ الحكيم، لأنّه ببساطة ليس برسول (وإن كانت الملائكة حاطته وتعهّدته)، وإنّ من طبيعة النفس البشريّة الخطأ واتّباع الغريزة والهوى، ومن استمدّ من "الرّوح" قيادَه نجى أو تاب بعد عثرة فهُدي، هذا ما قاله نبيٌّ عظيمٌ كيوسف **(وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)**(يوسف:٥٣).

فإذا كان هذا النبيّ (ع) على كثرة ما بلغه من تعاليم ربّانية وتجارب وحظوة لا يُبرّئ نفسه في الاستجابة لمهاوي السوء، فيناجي ربّه في صرف إغراء النسوة **(وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ)**(يوسف:٣٣)، فما بالَك بمن هو دونه وليس نبياً كآدم أبي النّاس، الطريّ العود، الحديث في هذا العالَم الأرضيّ، الذي لمْ يُجرِّب خداع إبليس ولمْ يعرف من عالَم الشرور والزيْف والمكائد شيئاً؟!

واستدركْنا بوجود "آدم" آخرَ هو أبو الرسل والأنبياء المعروفين

في الذّاكرة التراثيّة، وهو نبيٌّ ورسولٌ معصوم عن المعـصية، لــه نصيبٌ وافر من ذكْرٍ في بعض آيات القرآن والمرويّات، وهو الأمــر الذي خلط الأمور وغلّقها، وارتبك فيه المنظّرون بين قائــلٍ بعــصمة آدم نافٍ معصيته، وبين مثبتٍ معصيته نافٍ عصمته، وبــين البينــيْن أقوامٌ كثيرة لها تخريجات تُخفّض كفّة المعصية أو كفّة العصمة، ولــم يخرج أمرهم عن هذا.

وسنضيف في هذا البحث عــدّة أمــور ســنُعالجها بالتفــصيل وبعرض الدليل خلال البحث، تدلّل للقاريء ضرورة افتراض وجــود آدمين، أو بالأحرى زمنين مختلفين لشخص اسمه آدم، منهــا علــى سبيل الاختصار:

١- عصمة آدم الرسول ولا عصمة آدم الإنسان الذي عصى يقينــاً، بيّن ذلك نصّ القرآن والتراث والروايات، وقد خلصنا من هذا في بحث "**وعصى آدم**".

٢- بخلاف الجنس البشريّ الذي أرجعته مصادر العلــم إلــى عــدّة ملايين من السنين، فقد أجمعت كلّ المصادر العلميــة والآثاريــة على تواجد جنس الإنسان العاقل الذي نرجع إليه جينيّاً، قبل قرابة ٥٠ ألف سنة، ما يحــتّم موْضــعة الإنــسان العاقــل الأوّل (آدم الإنسان/أبي الناس) في حدود هذا التاريخ، وعثر علمــاء الآثــار وخبراء الأركيولوجيا على صخور لمنحوتات فنّية فائقــة الدقّــة للإنسان العاقل في أستراليا يعود تاريخها إلى ٤٥ ألف عام، وفي

الكهوف الأوربية إلى ٣٢ ألف عام، وجنوب فرنسا إلى ٢٦ ألف عام، بل اكتشف علماءٌ بمتابعةٍ جينيّة عالميّة وجود شــخص (آدم علميّ) فعليّ واحد، يرجع إليه كلّ الناس سلاليّاً بحسب العيّنــات العالميّة المأخوذة، تواجد قبل قرابة ٥٠ ألف ســنة، فــلا يُمكــن وضع آدم (أبي الإنسانية) حيث تاريخ (آدم التــوراتي وهــو آدم الرسول) الذي أرّخوا له بأربعة آلاف سنة قبل المــيلاد! مــع أنّ حضارات موجودة للإنسان العاقل قبل هذا التاريخ، وأنّ استئناس الكلب وتسخيره حدّده علماء الآثــار بـــ ١٥ ألــف ســنة ق.م، واستئناس الماعز بـــ ١٠ آلاف ســنة ق.م، فالإنــسان العاقــل موجود قبل هذه التورايخ.

٣- دلّت الآثار المرويّة بأنّ (آدم) الرسول، هو أبو شيث، الذي يرجع إليهما المندائيّون بتراثهم وعقيدتهم، وينسبون كتابهم (الكنزا ربــا) إليه، ويُرجع المسلمون إليه أبوّة سلالة سائر الأنبيــاء، وأرّخــوا زمنه إلى تاريخ قريب، لا يتجاوز العشرة آلاف ســنة الأخيــرة، ولدى التوراة بحسب نسخها إمّا ٤٠٠٠ أو ٥٧٠٠ قبل الميلاد (أي ٦ آلاف إلى ٨ آلاف سنة تقريباً من الآن)، وليس بكلّ حال إلــى ٥٠ ألف سنة، فهذا وُغولٌ ســاحق لا يُمكــن تأريخــه وتوثيقــه وتدوينه، ولم يقل أحدٌ به ولمْ يتناول إلاّ عكسه، لأنّه زمن ســحيق جدّاً قبل "التأريخ" الشفوي والكتابي في الذاكرة الإنسانيّة.

٤- أجمعت الآثار المروية والتراث العربي لدى ملل التوحيد والقرآن، على ربط زمن إدريس، بشيث، بآدم (الذي هو قطعاً آدم الرسول)، خاصّة وأنّ زمن إدريس المسمّى (هرمز) و(أخنوخ) و(تحوت) معروف لدى الحضارات العربية وله ذكرُه وآثارُه ومنها الأهرام التي شُيِّدت بعلومه، وإدريس بحسب التاريخ وتلك الآثار والشواهد يرجع إلى ٤٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

٥- اتّفقت الآثار المرويّة ومدوّنات تراث المنطقة، على أنّ آدم تكلّم السريانيّة كإدريس وكنوح، والسريانية فرعٌ من اللغة الأمّ الضامّة كلّ اللهجات، لا أنّها اللغة الأمّ، فآدم الأوّل قطعاً كان يتكلّم اللغة الأمّ البسيطة، وآدم الرسول هو من تكلّم لهجة السريانيّة.

٦- تناصرت الآثار المرويّة والقرآن على ربط آدم بنوح، فنوح من حمل عظامه في السفينة، حتى قالتْ مرويّات بتجاور قبريْهما معاً في ظهر الكوفة، وكتبوا سلالة شجرة آدم إلى نوح عبر عدّة آباء فقط، ويُسلَّم عليهما معاً في زيارات مرويّة لدى طوائف من المسلمين، هذا مع العلم أنّ زمن نوح أرّخه التراث وارتبط بالطوفان الذي حصل قبل ٥ آلاف سنة (٣٠٠٠ ق.م)، وربط القرآن قوم نوح في المنطقة العربيّة بأقوام جاءت من بعدهم كخلائف لهم وبادوا كقوم عاد، وقد أرّخ العرب قوم عاد قريباً من ٢٠٠٠ سنة قبل الميلاد.

٧- لم يتمّ العثور على نتاج إنساني حضاري قبل العشرة آلاف سنة

الأخيرة، فكلّ الانفجار الحضاري، والقفزة الإنسانيّة على مستوى علوم الدين والشرائع والتمدّن والصناعات والزراعة والفلك والملاحة والهندسة وآثار العمران المعتبرة وتجمّعات القرى واللغة والنقوش واكتشاف رموز التدوين، بدأ في العشرة الأخيرة تقريباً، والذي هو زمن الرسل السريان بفاتحتهم آدم الرسول، ما يعني أنّ الحقبة السابقة كانت في هجعة همجيّة عامّة تتطوّر ببطء شديد لا يُؤبه له.

٨- وأخصّ من ذلك، أنّ أعظم اكتشاف تاريخي، أعطى للتاريخ مدلوله ومعناه، وحُفظت به العلوم، هو اكتشاف (الكتابة)، أي التعليم بالقلم، وهو أمرٌ تمّ بتعليم إلهيّ ولا يُمكن منطقيّاً إلاّ أن يكون بتعليم إلهيّ شأنه شأن كلّ القفزات الحضارية وعلومها التي تكشف أسرار الطبيعة، لقوله تعالى (**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ* خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ* اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**)(العلق:١- ٥)، ولولا القلم لما احتُفظ بعلم ولا حُفظ تراث من تحريف واندثار، ولما كان من مدلول لكلمة (تاريخ، تراث، كتاب، قراءة، تلاوة) ولولا (الرمز/الحرف/الرقم) لسقطت كلّ العلوم الرياضية والفلكية والحساب والمعاملات، ملخّصاً؛، فالتعليم بالقلم تعليمٌ ربّاني، أي جاء وحياً، ما يعني أنّه بدأ مع بعثات الأنبياء، سواءً في صورته الأولى عبر الكتابة التصويريّة (Logographic) أو حين تطوّرت إلى المقطعية (Syllabic) أو أخيراً حين ارتقت هائلاً إلى تمييز الحرف (ألف

لام ميم، طا هـــاء، كـــاف هـــاء يـــاء عـــين صـــاد) الألفبائيّـــة (Alphabetic)، ولقد أرمز القرآن لدلالة الحروف المقطّعة هـــذه والتطوّر الحاصل بإزائها، فـــالعلم أثبـــت أنّ مـــستهلّ اكتـــشاف الحرف/الصوت بدأ في الألفيّة السادسة والخامسة قبـــل المـــيلاد ليكتمل في الألفيّة الثالثة، والتراث نقل لنا أنّ (أنوش) وهو أحـــد أحفاد آدم الرسول السرياني هو **(من خدش الخدوش)** في المنطقة العربيّة، وأنّ إدريس/هرموز هو من درّس الكتب وعلّـــم الرمـــز والحرف الكتابيّ، ونقلت لنا الروايات أنّ الله أنزل صـــحفاً علـــى "شيث" ما يعني وجود نظام قراءة وكتابة مهما كان نظامها، كـــلّ هذا يُشير إلى أنّ حقبة (شيث، أنوش، إدريس) في المنطقة هـــي الحقبة نفسها التي تم تدشين فيها نظام "الكتابة" واستخدام "الرمـــز" و"القلم" المسماري أو الذي تلاه، أي الألفية السادسة قبل المـــيلاد، وهي تبعد بعشرات الآلاف من الـــسنين عـــن آدم أبـــي الجـــنس الإنساني.

كلّ ذلك وغيره من دلائل تُطلعنا على وجودٍ لآدم قريبٍ، يبعـــد قرابة ٨٠٠٠ عام؛ آدم سريانيّ رسول معصوم، بعده انفجرت علـــوم الحضارة والدين واللغة وسارت الرسل فـــي الأقطـــار، آدم هـــو أب للإنسانيّة لكنْ لا في معناها البيولوجي بل الإنساني والروحي والعلميّ والحضاريّ، هو الذي أرّخ له العرب والتـــوراة ومرويّـــات الأديـــان والأساطير، وأرّخوا لسلالته الـــصفيّة التـــي منهـــا انبعـــث الرســـل والمعلّمون، وهذا غير آدم الأوّل الذي بزغ قبل قرابة ٥٠ ألف ســـنة،

والذي هو الأب البيولوجي لجميع الناس في أقطـــار الأرض والـــذين نسمّيهم "بني آدم".

سبق أنْ قُلنا بعض ذلك، غير أنّه بقيت إشكالات منها:

١- هل انعدمت الأسماء في العربيّة، ليُسمّى آدم الرسول بذات اسم آدم الأوّل فنقع في التيه؟ أليس أنّ القرآن والتوراة همـــا مَـــنْ أوقعا الأمّة جميعاً في هذا الوهم، ورسّخته الروايات أيضاً؟

جواب مختصر: ماذا لو كان العكس؟! أنّ القرآن :

- **أراد** فتحَ العقول لا تلقينها وتبليدَها ..
- **أراد** إعمالَ العقل في كلّ الأمور لا القبولَ بالسطحيّة أو الادّعـــاءَ بالالتزام بظاهر النصّ وقد خُولِف نظامُه وإحكامُه ..
- **أراد** طرْقَ أبواب العلوم العقليّة والتطبيقيّة ولـــيس فقـــط النقليّـــة، بالاستفادة من علوم الآثار والتاريخ والحضارات واللغات ..

فالقرآن يُعلّمنا أنْ نقرأه بتدبّر، لا بتقليد أعمى، ثمّ هـــو يأمرنـــا ويُعلّمنا أنْ نقرأ كلّ الأشـــياء[1] وكـــلّ مـــصادر المعرفـــة والثقافـــات ونعرضها عليه، نُحاكمها أو أن نستفيد منها.

ثمّ أنّ القرآن ليس هو الذي ابتدع الأسماء فهو يقصّ الحقّ كما هو، وسنرى لاحقاً أنّ ثمّة غير "آدم" من أسماء ذكرها التراث الديني

---

[1] – يقول الشاعر العراقي الغيور مظفّر النوّاب: **(وطني علّمني أنْ أقرأ كـــلّ الأشـــياءْ، وطنـــي علّمني أنّ حروفَ التاريخ مزوّرةٌ حين تكونَ بدون دماءْ)**، ونحن نقول أنّ دين العلـــم والعـــدل والإنسانيّة يُعلّم هذا أيضاً وأكثر، ما كان نقيّاً لمْ يتشوّه!

تدلّ على شخصين أو مكانيْن، ليُدلي إلينا بظاهرة التيمّن (بالأسماء)[1] التي حملها الإنسانُ الأوّل بين جوانحه وما يزال، عملتْ بها الأمم الإنسانيّة كمذكِّرةٍ لهم ولأجيالهم على أصلهم الأوّل ومركزهم الجغرافي واللّغوي والسلالي والديني أينما ذهبوا لينقلوا تاريخهم حيث ما انتقلت الجغرافيا بهم، فعلينا أن نستفيد من كلّ ذلك لنترسّم خارطة الرجوع (الجغرافي والتاريخي) إلى المركز، مركز الأمّة الإنسانيّة الواحدة، والتوحّد حول حقيقة إنسانيّة جامعة واحدة، أيْ ممارسة حركة لولبيّة تلمّ التيمّنات والتشابهات والمحاكيات الحضاريّة والشعوبيّة تجاه المركز، إلى الأصل الواحد، **(وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ)**(البقرة:١٤٤)[2]، لا أنْ يُضلّنا ذلك التعدّد ويُشتّتنا إلى حركة خارج المركز بلا روابط وضياعٍ تام وانفلات وتلاشي الحقيقة وتناحر إثني وديني وتفاصل إنساني، كما حصل في قراءة باحثين لمعالم وخرائط أصوات اللغة وعدم الاهتداء إلى اللغة الأمّ أو الحضارة الأمّ، ولا أصل السلالات، وعدم الاهتداء إلى الإنسانيّة الربّانيّة الأولى،

---

[1] – ظاهرة التيمّن، هو احتفاظ المتنقّلين من الشعوب والمهاجرين بأسماء مناطقهم القديمة التي تأخذ قدسية واعتزازا في ذاكرتهم ليُسمّوا بها مناطق المهجر الجديدة، فالفرات الأصل في جزيرة العرب ثمّ نُقل الاسم لفرات العراق، والنيل كذلك (مع زعمنا بوجود ارتباط جغرافي قديم بين فرات الجزيرة وفرات العراق، ونيل الجزيرة ونيل مصر، ويستطيع المراقب أن يرى في أمريكا مثلاً أسماء مدن تُسمّى: لندن، إسكندريّة، ديلفي، يورك (أو يورك الجديدة: نيويورك)، قاهرة، مكة، يلحظها بالعشرات هناك، كلّ ذلك تيمّناً بالأصول الإثنيّة والجغرافيّة والدينيّة أيضاً.

[2] – والغريب أنّ الآية قالت **(الحقّ من ربّهم)** وليس (الحقّ من ربّكم)، فمكّة معروفة لديهم، فيما أوحي إليهم من ربّهم من قبلكم، على أنّها أرض المركز، وقبلة إبراهيم (ع).

وقراءتهم أسماء البلدان والأنهار والآثار وعدم الاهتداء للجزيرة العربيّة مهد الإنسان والأنبياء[1].

- **لماذا سُمّي آدم** (الرسول) **باسم آدم** (الإنسان الأوّل)؟

فالجواب الأوّل: تيمّناً بذاك الاسم.

والجواب الثاني: لأنّ (آدم) وبالسريانية (آدمو) معناه: الشبيه والمثيل، مثيل الربّ، فكان الاسم أليق انطباقاً بآدم الرسول كونه لمْ يعصِ ربّه، ومارس الخلافة الربّانية في تعليم الناس وتدبيرهم، ألْيق من آدم الأوّل الذي (عصى ربّه) بإجماع الديانات كلّها ونصوص القرآن والأساطير والمرويّات، ولمْ يُمارس تعليماً لأحد حسبما يبدو، ولو مارس شيئا منه مع ذرّية مفترضة أو ذرّية الخطيئة فهو تعليم بسيط لا يحتاج نبوّة فضلاً عن احتياجه إلى رسالة، بل إنّ الصابئة المندائيّة الذين يرجعون بتعاليمهم إلى آدم الرسول ما زال في لغتهم الجذر (دمو)- (دموثا) تعني الشبيه، وبالفصحى (دمية) تعني شبيه مصغّر.

والجواب ثالثا: لاحتمال سندّخره لنهاية البحث تحت عنوان **(فرضيّة رجعة آدم)**، نسوقه على نحو الفرضيّة، قد يقلب الأمور كلّها رأساً على عقِب!

٢- ما الدليل على هذا الزعم من كتاب الله "القرآن"، ومن مدوّنة

[1] - راجع بحث: **نداء السّراة - اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية

التوراة، ومن مدوّنات الأولّين، ومن المرويّات الإسلاميّة؟!

هذا ما سنأتي لتفصيله في بحثنا هذا، لاكتشاف هذا وأكثر منه.

٣- لماذا لمْ يقلْ هذا الكلامَ أحدٌ من الأمّة؟

نستعجل الإجابة على السؤال الثالث لأنّه خارج إطـار بحثنـا، ولأنّه علّة كلّ مشاكلنا المعرفيّة وتردّينا الحضاري والإبداعي. وأكبر مُشاغب في العقل التقليديّ الذي اعتاد الـسماع والمتابعـة بحيـث لا يحتمل وجود حقّ خارج مألوفه.

ونُجيب، بأنّ القرآن قدْ قاله فعْلاً لمن ألقى الـسمعَ إليـه وهـو شهيد، وبعضُ الروايات قالته كذلك، والعلمُ يقوله أيضاً، وهـا نحـن نُضيف ونُسهم بقوله، فما المـانع أن يكـون تـاريخ التـصحيح أو الاكتشاف أو الإضافة من هذه اللحظة!

أمّا رجالات الأمّة السابقون فليس بالضرورة أنْ يقولـوه، فـلا نُكلِّفهم عسْراً، بل عليهم كما علينا أن نكتشف ما قاله القرآن الحكـيم، فقد يُخطئون لبشريّتهم وأدواتهم البحثيّة والمعرفيّة وقد يُصيبون، وقـد يكتشفون وقد يتيهون، وقد يُقلّدون آلافاً من الـسنين وقـد يجتهـدون وينبغون، فلقد ظلّ بعضُهم يقول بمركزيّة الأرض وتـسطّحها ردحـاً من الزمن حتّى خرج من يقول العكس! بل ربّما قاله بعـضُهم ولـم يصلنا فليس كلّ ما صدر عن الماضين وصلنا، وهذا أمـرٌ لا يُمكـن المكابرة فيه، لا سيّما وأنّ كثيره لم يُدوّن، وأكثر المـدوّن أُحـرِق أو

سُرِق أو أُتلف بالغزاة الهمج على الأمّة منذ التتار والصليبيّين وحتّى اليوم.

اللهُ تعالى لمْ يمدح لنا الأوائل بسبقهم إيّانا في ميادين العلم والمعرفة بل بالإيمان **(وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْأِيمَانِ)**(الحشر:١٠)، ومن الظلم تعطيل العقل الإنساني بدعوى أنّ الأوائل لم يقولوه (أو بالأحرى لمْ يصلنا منهم)، فتميّزهم إنّما في السبْق الإيماني لا العلميّ، ناهيك عن العلميّ كُلّه.

فالسؤال يُحوّر إذاً ليُصوَّب إلى: (لماذا لمْ يكتشفه أحدٌ مِن سالف رجالات الأمّة ونوابغها؟) فهذا سؤال لا نعتقد أنّه بحاجة إلى جواب، فالأوائل لو كانوا اكتشفوا كلّ شيء في قرآن الله العميق الذي لا غوْر له ولا حدّ، واكتشفوا علوم تاريخ الأمم الماضية وحقائقها، لما راحوا يتهافتون على القصص والحكايات ليُدرجوها من كلّ قصّاص ومَن هبّ ودبّ لتلبّي تساؤلاتهم البحثيّة ولو قليلاً، لهم أجر الجهد ولهم احترام المحاولة لكن لا إسباغ الاكتشاف والإحاطة، فلو اكتشفوا فعلاً أبعاد حقائق القرآن وقصص الأمم السابقة، لما سقطت أمّتنا وتردّت وتشتّتتْ واختلفت، ولما صار لدينا مذاهب وفِرق، ومئات من التفاسير المتغايرة المتضاربة للقرآن ليس فيها من صوابٍ سوى أقلّ من خمسة بالمائة لو أنصفنا التفاسير وأكرمناها وبخسنا القرآن حقّه.

فهذا سؤالٌ يستبطن رأياً خاطئاً وشائعاً مع الأسف، يدّعي بأنّ القرآن قدْ فسَّرته الرجال[1]! وأنّ الفرد المؤمن التابع لن يعدم أن يجد حتماً تفسيراً يُحقّق بُغيته ومراده -في أيّ آيةٍ- من أحد التفاسير المتشتّتة والمُشتِّتة! مع احترامنا لأصحابها الفضلاء وإكبارنا لجهودهم وصحيح آرائهم. فهذا ما اعتقلَ كلام الله أن يبوح بمضامينه أو أنْ يُقفز بالفكر على السائد من التصوّرات التي تملأ ساحة الثقافة والاعتقاد لاكتشاف الحقيقة القرآنيّة بدون "نظّارة" المفسّرين أيّا كان لونها سوداء أو حمراء أو صفراء تسرّ الناظرين أو حتّى بيضاء!

هذا ما جعلنا نركن القرآن ونركم فوقه التفاسير وكتب الروايات والقصص والآراء! لأنّ القرآن المُبهم قد فسَّرته هذه الكتب! فنضب! ونضبت الحاجة له! إلاّ حين نتلوه على ميّتٍ من الناس، أو ميّتٍ من قلوبنا! فنترحّم!

وأخيراً فإنّ مثل هذا السؤال ما يستدعي اندهاش نبي الله (ص) بقوله **(الله أكبر، إنّها السنن .. لتركبنّ سنن من كان قبلكم)**[2] ليُذكّرنا باستنكار قوله سبحانه على من قال **(مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ)**(المؤمنون:٢٤)، فأولئك لمْ يربطوا أنفسهم بالآباء فحسب، بل بما وصلهم وسمعوه عن الآباء، ولمْ يهمّهم إن كان تراث الآباء الأوّلين فعلاً قد وصلهم كاملاً أم لا، أو وصلهم سليماً غير محرّفٍ أم لا! بل

---

1 - راجع بحث: **مفاتح القرآن والعقل**، جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية.

2 - ابن حبان، **الصحيح**، ج١٥، ص٩٤.

ما وصلهم كيفما كان وبالقدْر الذي هو، ولو كان مزوّراً ومُفترىً على الآباء!

ناهيك أنّهم لا يهمّهم إن كان آباؤهم الأوائل عرفوا الحقيقة الكاملة أم لا **(أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلا يَهْتَدُونَ)**(البقرة: ١٧٠)! ومع يقيننا أنّ الآباء الربّانيّين الأوائل (لا مُطلق الآباء) قد عرفوا الحقيقة عارية، إلاّ أنّنا كأسلاف، على غرار أولئك الذين قالوا **(ما سمعنا بهذا)** لا يهمّنا الحقيقة التي عرفها الآباء ودوّنوا بعضها لنا وقد تكون عُبث بكثير منها أو أُتْلِفتْ وضُيّعتْ، لا يهمّنا اعتقادَ الآباء بالفعل، ولا الحقيقة التي هي الحقيقة، بل يهمّنا (تأويلُنا المناسب لأوضاعنا) لبقيّة قليلة مبتورة من تراث الآباء قد وصلنا، لا يُدرى أمسّته يدُ التزوير في طريقه إلينا أم لا! بل يُدرى، ويُقطع أنّها مسّته وحرّفته وهندستْه وأهالت عليه أكوام أوساخها وجهالاتها ومآربها.

ج- خارطة البحث

في هذا البحث، سنختم فصول حديثنا عن آدم، الذي بدأناه في البحثيْن السابقين (الخلق الأوّل) ثمّ (وعصى آدم)، وسنفكّ هنا التماهي (الزمني) التاريخي والتوراتي والقرآني والعلميّ بين الآدمين؛ آدم الإنسان (أبي الناس جميعاً، وهو الذي عصى)، وآدم الرسول (ع) (المصطفى، وهو أبو الرسل المعروفين).

لن يكون فقط -حسب ما يتراءى من العنوان- بحثًا مقتصراً عن الآدمين فقط بشخوصهما، بل سيُفرّق بين حقبتيْن آدميّتين؛ حقبة

البروز الإنساني العاقل قبل قرابة خمسين ألف سنة، وحقبة الرسل التي هي حقبة الحضارة بما فيها من علوم وتشريعات قبل قرابة عشرة آلاف سنة.

ولأنّ الرسل الأوائل الأربعة المشهورين جاءوا كمعلّمين حضارات (آدم، شيث، إدريس، نوح) فسيتمّ التطرّق لأولئك الرسل العالميّين (بالمعنى القديم للجغرافيا).

بل سيذهب البحث أشواطاً بعيدة في كثير ممّا هو غائب ومجهول وخاطئ لينسف كثيراً من المسلّمات التاريخية المتوارثة والمحكيّة، ممّا لها علاقة بالتأسيس الآدميّ الوجودي على هذه الأرض، من آثار الحضارة ومقولات الدين والتاريخ واللغة، أي سيأخذ شوطًا له في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا).

سنُحاول عبر مصادرنا المعرفيّة المتاحة التي اعتمدناها في بحوثنا السابقة، إعادة رسم خارطة الإنسان مُنذ وُجِد في أصله الأوّل (آدم)، وكيف فقد خلافته بعد اختلال إنسانيّته وسقوطه المدوّي؟ كيف بدأ صراع الشيطان معه؟ واصطياد الذرّية؟ ثمّ كيف أسعفه اعتناءُ الربّ به، فوضع سبحانه محطّات زمانيّة مقدّسة كونياً لتعهّده كلّ ألف سنة بخطّة لتقدير مصائره، وأمدّه بالملائكة لتعليمه حين طفولته الإنسانيّة (حُقَب عشرات الآلاف الأولى من السنين)، ثمّ بعث رسلاً من جنسِهِ إليه (في الآلاف الأخيرة)، من الشجرة الإنسانيّة الخالصة التي أُعيذت من شرْك الشيطان الرجيم على المستوى الجينيّ

والنفسيّ، انتدبهم إليه لترميم فطرته ليعود الناسُ جميعاً الإنسانَ الـــذي كانوه أو ينبغي أن يكونوه.

سنُحاول تتبّع الخارطة المأثورة سلالياً التي تُرجع خطأً إنـــساننا إلى ٤ آلاف سنة قبل الميلاد! أي إلى آدم الرسول (كما نزعم) بـــدلاً من آدم الأوّل، والتي هي (شجرة الرســـل والمعلِّمـــين) لا (شـــجرة الناس)؟

سنُحاول وضع يدنا على غرض الكهنة التوراتيّين من تـــدوين هذه الشجرة، وتوثيق انتسابهم إليها، ثمّ عمـــدهم لتـــشويه رموزهـــا باختلاقات قصصيّة زائفة والطعن في أخلاق أنبيائها العظام؟ لنكتشف سبب هذا الطعن المزري بصفوات الله من أنبياء؟ وهل له مدخليّة في تسويغ طبائع طغاة اليهود، وتبرير انحرافهم، وفي حربهم الشعواء مع عيسى (ع) ثمّ مع محمّد (ص)؟ وفي مسخ عقولنـــا لتمريـــر الكثيـــر واستساغته، مما نُسب زوراً في التـــوراة أو فـــي التفاســـير أو فـــي مرويّاتنا إلى ســـاحة الأنبياء بمن فيهم خـــاتمهم (ص) من ابـــتذالات وأخطاء مادّية وروايات مبتذلة رخيصة الأخلاق؟

سنتعرّف كيف اكتشف علمُ الآثار حديثاً الفرق بين آدمـــين؛ آدم العلميّ (الإنسان) وآدم التوراتي (الرسول)؟

وسنبذل جهدنا لتتبّع أبناء آدم الرسول، قابيل وهابيـــل والنبـــيّ شيث، لمعرفة القصّة الحقيقيّة وفضّ النزاع فيها بناءً علـــى المنطـــق القرآني والعقليّ والأسطوريّ؟ ثمّ دور الرســـل الـــسريان المعلّمـــين

الأوائل كإدريس ونوح (ع)، ومعرفة آثارهم المعرفيّة التأسيسيّة وسرّ أعمارهم المديدة لغاية التعمير الاستخلافي، واكتشاف دور الرسل وعلاقتهم بصناعة الإنسان الربّاني، بعيداً عن طقوس الشرائع والمذاهب المتباينة السائدة الآن التي صارت كأنّها هي الدين وهي ليست لبّه وجوهره؟

وسنتطرّق أيضاً لأسئلة ذات صلة ببزوغنا الآدمي الإنسانيّ الصفيّ، من مثل:

- ما دور (الزنا/الفواحش/الإباحة) كعلاقة قائمة على الغريزة البحتة (هي من توابع العصر الآدميّ الأوّل) بدلاً من الحبّ والسكن والتنشئة (هي من تعاليم العصر الآدميّ الثاني)، ما دوره في مسخ الفطرة الآدميّة؟ وما ارتباط فطرة التوحيد الواعية، بوصية "عدم الزنا" مع الوصيّة الإنسانيّة الأخرى "بعدم القتل" الواردة في الوصايا التراثيّة في كلّ الشرائع ومنها التوراة والإنجيل والقرآن (**وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ**)(الفرقان:٦٨)؟
- كيف نشأت قيم الأسرة والمحارم وانتشرت في العالَم بأسمائها السريانيّة العربيّة بتتبّع (إتيمولوجي: Etymology)[1]، التي سنجد مدهوشين أنّها احتفظت بعشرات تلك الأسماء كما هي في معظم

[1] - إتيمولوجي (Etymology): علم دراسة جذور الكلمات وأصولها.

اللغات لتكون محضن الإنسان المثيل الربّاني في نقله من البـــشريّة الغرائزيّة إلى الإنسان الواعي؟

- لماذا حافظ التراث الديني بأساطيره شرقاً وغرباً علـــى طقــوس الزواج المقدّس لإكرامه ولإبعاده عن الإباحيّة العـــشتاريّة الأولـــى (تبرّج الجاهليّة الأولى)؟

- ما دور (مكّة) و(بكّة) في صنع الإنسان المفقود؟ كيف فرّقنا بـــين الشجرة البشريّة التي يقف على رأسها قطعان البشر النابـــت مـــن بيوض الطين في الزمن الأوّل (قبل ملايين السنين)، ثمّ التي أخصّ منها الشجرة الإنسانيّة ويقف على رأسها آدم الإنسان الذي خـــرج من الجنّة وعصى (قبل قرابة خمسين ألف سنة)، ثمّ التـــي أخـــصّ منها الشجرة الرسولية ويقف على هرمها آدم المصطفى (قبل قرابة عشرة آلاف سنة)؟

- كيف احتفلت الشعوب بمولد الإنسانيّة الآدميّة فيها، وصـــار لكـــلّ منها أبوها الحضاريّ الصالح؛ هو آدمها الرمز، مِن سومريّين إلى سوريّين إلى قدامى المصريّين إلى الإغريق إلى أهل فـــارس إلـــى أهل الصين والهند وغيرهم؟ وأرّختـــه الـــديانات رمـــزاً أصـــيلاً تذكاريّاً، كالكريسماس في المسيحية وما قبلها، وليلـــة القـــدر فـــي الإسلام؟

- ما دورنا بعد أن نفهم قصّة الإنسان وقصّة آدميّتنا فـــي الانـــضواء لأحد البرنامجين؛ برنامج (أسفل سافلين) الـــذي بـــه "عـــصى آدم

الأوّل" يُنشّطه احتناكٌ شيطاني يمسح صبغة الـرب الفطريـة، أو برنامج (الأحسن تقويم) الآخر الذي به أُرسِل آدم الثاني لتنـشيطه؟ وكيف نُرمِّم فطرتنا التي تشوّهت؟

وسنجد لزاماً علينا الاسترسال قليلاً جانحين عـن العمـود الفقري للبحث لشرح بعض النقاط الجانبيّـة، لأنّ فـروع العلـم الحضاري متّصلة، وباعتبار أنّ التشويه للحقائق قد مسّ جوانـب التراث كلِّه والتاريخ والجغرافيا واللغة والدين وتفسير النـصوص وترجمتها وأنثروبيا الشعوب وحقائق الكون والطبيعة وطال كـلّ المقدّمات والمسلّمات والأدوات، ما أفرز عقلاً مشلولاً متخبّطاً لأنّه يحتفظ بالكثير من الهراء والأغاليط على أنّها حقـائق ومـسلّمات، فالسائد الذي يملأ الأذهان ليس خاطئاً في أصوله وأدواته وحـسب بل في الكثير من جزئيّاته وفروعه ومسلّماته، على أمل أنّ بعض هذه الاسترسالات التي تبدو لوهلتها الأولى غير ذات صلة تـري القارئ عِظم التشويه المعرفيّ، وتقدح لديه فرصته ليسترسل بنفسه في متابعتها وبحثها والتحقّق منها واستكمالها، لتحرير عقله.

د- خلاصة مفردات ومفاهيم البحث

بناء على ما قدّمناه من موجز، ومن إشـكاليّة، ومـن طبيعـة بحوثنا التي دأبنا بتقديمها من خلال منهجيّة خاصّـة تعتمـد - فـي قراءتها- وحدة اللغة الأمّ ووحدة قيَم، وحقائق، وأهداف أديان السماء، مع تنوّع شرائعها ومناهجها التربويّة وفـق الأرضـيّات التاريخيّـة

والتطوّر الشعوبيّ، منهجيّة تعتقد بهيمنة الكتاب الخاتم وموسوعيّته وتميّزه (أي القرآن الكريم) بنظام قراءة بلسانٍ عربيّ مبين، يظهر به خطاباً متسلسلاً علميّاً منطقيّاً مقنعاً يصف الحقيقة الموضوعيّة ببيانه السهل الممتنع الخاصّ، وتعتمد منهجيّتنا في ثالث أثافيها نظرةً متجرّدة إلى التراث والأساطير ومدوّناتها بما فيها مدوّنة التوراة وأدوات قراءتها بعيداً عن التحريفات التفسيريّة والإسقاطات الموظّفة، وتعتمد أخيراً تبنّي حقائق العلم والانصياع لها لأنّها حقيقة موضوعيّة لا يُمكن مكابرتها، بناءً على ذلك وعلى المُنجَز السابق من نتائج، فإنّنا سنلخّص هويّة المفردات التي تكرّرت وتتكرّر في سياق هذه البحوث كما يلي:

١- البشر

هو الكائن الأعلى الذي خرج إلى الوجود بعدَ – وعلى قمّة هرَم– سلسلة الكائنات الحيّة، وحقبته ترجع إلى عدّة ملايين من السنين، وأطور سلالة (نوع) منه يرجع إلى مئات الآلاف من السنين، وعلى ركام أطور سلالة منه، انتُخب منه كائنين ليُصنع منهما "إنسانيْن"، يكونان أبويْ الجنس الإنساني الذي يُراد استخلافه ممثّلاً للربّ لتدبير كوكب الأرض بكلّ ما فيه، فـ"البشر" مفردة أعمّ من "الإنسان"، هي توصيف بلحاظ البيولوجيّة والفيزيولوجيّة أي المادّية الحيويّة لصنفنا، تُعرّف (الإنسان/نحن) ككائن حيويّ فقط، لذلك فهي تعمّ "البشر اللاواعي/الهمجي"، و"البشر الواعي/الإنسان" (**البشر** =

البشر الهمج + البشر الإنسان).

٢- آدم الإنسان/ آدم الأوّل

هو المخلوق (الذكر منه آدم والأنثى حوّاء) الذي كان -قبل أن يتسمّى بالاسم- مجرّد بشر غير واعٍ (همجي)، استُدرج للجنّة الأرضيّة قبل قُرابة خمسين ألف سنة، واستقبلته الملائكة الصافّات المدبّرة، وصنعوا به كما يصنع الخزّاف في طينه، قضوا على المخلوق السابق وأنشأوه خلْقاً آخر هو "الإنسان" الذي نفخ فيه بعدئذٍ الربّ من روحه بعد صناعته وتسويته وسمّاه "آدم" أي الشبيه، المثيل المصغّر للربّ (ومنه كلمة: دمية)، فصار واعياً سميعاً بصيراً، وهو الذي منه نسلت النّاس العاقلة كلّها. وهو ليس بمعصوم عن الخطأ بدليل أنّه عصى ربّه وتسلّل خارج الجنّة بتغرير إبليس ليتزاوج مع أنثى من الشجرة البشريّة السابقة التي كان جنسُه القديم منها.

٣- آدم الرسول/ آدم الثّاني

هو أحد الرسل بل من أوّل الرسل التي بعثها الله سبحانه للبشر الإنسان (الناس) في التاريخ المعهود ربّما قبل أكثر من ٨٠٠٠ سنة، ليُعلّمهم العلوم الربّانية كالتوحيد وزكاة النفس وأعمال البرّ والتكافل، ويُشيّد القرى، ويُعلّم الناس تسخير الطبيعة كالزراعة والتدجين واستئناس الحيوان والصناعات، ويُوقِد شُعلة الإنسانيّة وتعاليمها كفنّ الاجتماع واللغة والشرائع (القوانين).

٤- البشر الهمج

هم الصنف الأوّل اللاواعي، كان موجوداً قبل آدم، ومنهم أُخِـذ أحدهم ليكون المادّة الحيّة (الطينة) التي يُصنع منها جسم آدم المادّي، وبقي هذا الصنف الذي كان يُفترض أن ينقرض، حتّى بعد وجود آدم وبنيه، هو صنْف يُصنّف كأذكى كائن حيواني، له عقل لكنّه محكـوم بالغرائز، له لغة غرائزيّة بالمحاكاة كالبهائم، ولا يُمكـن أن يَعـرف (ولا أنْ يتعلّم أو يصنع) حضارة ولا ديناً ولا لغةً عليـا ولا أيّ علـم إنساني أو إبداعٍ خارج عن الغريزة، لأنّه لا يملك الرّوح وبالتـالي لا يملك العقل المُبدع السياديّ. لذلك فليس له بعثٌ ولا حساب ولا كتاب، والمفروض أنّ سلالاته انقرضت منذ عدّة عشرات آلاف من السنين.

٥- الإنسان (البشر الإنسان)

هو البشر المنفوخ فيه الرّوح، بـدأ بزوغ أوّل جنسه بخلق آدم وحوّاء، واليوم كلّ بني آدم (الناس) هم إنسان، هو كائن عاقل قـادر على تعلّم اللغة وتعلّم العلوم الإنسانيّة (الحضاريّة) والعلـوم المادّيـة المدنيّة (الثقافيّة)، وهو مُحاسب أمام الله للأمانة الوديعة التـي لديْـه وهي الرّوح، وسيتمّ بعثه للحساب بعد انتهاء "أجَل" الخطّـة الربّانيّـة لمشروع الامتحان الأرضي للبشر المكلّف (التطهّر والتطوّر)، المقدّر حسب القرآن والتراث القديم بخمسين ألف سنة منذ آدم الإنسان حتّـى قيام الساعة الأرضيّة، والمحسوبة قرآنيا بيوم ربّاني **(يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)**(المعارج:٤)، منذ مجيئ الربّ أوّل مرّة لبـدء خلـق

الإنسان (المبدئ)، إلى مجيئه ثاني مرّة (المعيد) لإعادة خلق الإنسان لدينونته في الظرف الذي وصفه القرآن: **(وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا)**(الزمر:٦٩)، و**(جاء ربّك والملك صفّاً صفّاً)**(الفجر:٢٢).

٦- الإنسان الهمج

هو صنف تولّد من تزاوج الكائن الواعي الإنساني (آدم حين عصى)، بالكائن اللاواعي الهمجيّ (أنثى الهمج/"ليليت" حسب الأساطير)، فتولّد كائن آدميّ (من بني آدم)، سمّاه التراث ثمرة "ميلا-مطعايا"[1] (Melametaea)[2]، أي نتاج الميل الطاغي، وسمّاه تفاحة آدم، وشجرة المعصية، ونسل الخطيئة، ورث هذا الجنس الآدمي تفعيل الروح من جهة، وورث "سجلّ" الهمجيّة، التي هي شريط تخزيني لذاكرة لا شعوريّة للجنس البشريّ الهمجيّ المتراكم عبر سلسلة السلالة القديمة، وتعزّزت غرائزه الحيوانيّة بنحو أقوى ممّا عُدِّل وهُذِّب ولُطِّف في آدم وحوّاء من برنامج غرائزي ضروريّ اعتيادي ووري (أي أُخفي). هذا الكائن الإنسانيّ هو الذي انتشر أوّلاً بالمعصية الأولى، شرقاً وغرباً كونه يتّبع شريعة الطبيعة شريعة الخصب والإباحة العشتاريّة، إذ يكفي وجود ذكَر إنسانيّ-همجي واحد لتلقيح مئات من إناث الهمج ليضعن بعد جيل واحد وجيلين مئات

---

1 - "ميلا-مطعايا" = ميلا-مطغايا (حيث "غين" الفصحى تُلفظ "عين" بالسريانية) = الميل الطاغي.

2 - صامويل كريمر، **من ألواح سومر**، ص ١٦٨.

وآلاف من "الإنسان-الهمج" ليصير هو السائد، وقد كان لهذا الجنس الحظّ الوافر في إبادة جنس "البشر الهمج" (الهمج البحت)، كون هذا الإنسان يملك عقلاً مبدعاً مكّنه من صنع الأدوات والسلاح، وبدأ محاولات لغويّة (قبل بعثات التعليم)، ومحاولات بحثية عن الربّ والعبادة والطقوس، هذا الكائن هو الناس (نحن) في الحقيقة (الأغلب)، وهو الذي أُرسلتْ له المعلِّمون من الأنبياء والرسل لتعليمه اللغة والدّين وشرائع التنظيم والتأنسن بالأخلاق وبالتمدّن ونبذ التوحّش لتطهيره وتصفيته.

٧- بنو آدم

هم الذرّية الإنسانيّة جمعاء سواءً جاءت نتيجة توالد إنسان بهمج، أو إنسان بإنسان، فهم السلالة التي ترجع إلى بذرة الطاعة (أبناء آدم وحوّاء الإنسانة)، أو بذرة المعصية الأقدم (أبناء آدم و"حوّاء" الهمجيّة)، وقد تمّ التزاوج بين هذين الصنفيْن حتّى لمْ يعد مهمّاً التصنيف بينهما أو التفريق، فهما جنس الإنسان المكلّف الذي خاطبه سبحانه بعدئذٍ: **(يا بني آدم) (يا أيّها النّاس) (يا أيّها الإنسان)**.

٨- الرّوح

الروح التي فينا، هي سرّ ربّانيّ لا نعلم عنه شيئاً بالمرّة ولا جزءً من بليون جزء منه، ولكن نعلم بعض آثاره، هي قوّةٌ أو دفقٌ أو

كائنٌ ربّانيّ (من عالم الأمر) أُضيف في أبينا آدم مـــن روح الـــربّ مباشرة، وسرتْ جزئيّة هذا الروح مع كلّ كائن آدميّ يُولد، فأُخرجنـــا بالرّوح من ظلمات البهيميّة والغرائز واللاوعي، إلى فـــسحة معرفـــة الوجود كلّه أو محاولة التعرّف عليه، به صار "البشر" إنساناً مذكوراً، وبه ارتقى عقله فوق الغرائز، وبه تقدّمتْ فطرته من فطرة غرائزيّـــة مادّية مبرمجة على حفظ النفس وإدامتها وراحتهـــا وســـلامتها، إلـــى نُسخةٍ برْمجةٍ فطريّة أرقى **(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِـــنَّ أَكْثَـــرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ)**(الروم:٣٠).

برمجةٍ (فطرة إنسانيّة) قد تدفع صاحبها على خلاف البرمجـــة السُفلى الموجودة أيضاً فيه (كفطرة بشريّة)، ليُضحّي بـــالنفس وهـــي أعزّ ما يملك ويحوط، طلباً للكمال ومحبّة معرفة المجهول والأسرار، أو تصديقاً لوعد، أو شغفاً وتوقاً للاتّصال بمبدأ الربوبيّة أو لمعرفتهـــا أو لممارستها، ولولا "الرّوح" لما عرف البشر تاريخاً ولظـــلّ يأكـــل بعضه ليعيش، بلا أخلاق ولا علوم ولا حضارة ولا لغة، وإنّنا غـــداً سنُجزى بمقدار ما أصغيْنا لنداء الرّوح وتجاوزنا نـــداءات الغرائـــز، فالأكثر استخداماً وتفعيلاً واستجابةً للرّوح يَضحى كائناً روحياً ويرقى ويعرج، والعكس يُمسخُ كائناً نفسانياً محضاً ويخلد لـــلأرض أصـــله الترابيّ (وهي أمّه الهاوية) ويهوي.

٩- النّفس

بالنسبة للبشر هي انعكاس الروح في عالَم المادّة، وسبب الحياة في الكائنات، سرّ بيولوجيا الحياة والنموّ، وكلّ الكائنات الحيّة التي تدبّ تملك نفساً حيّة والتي لها ارتباط وشائجيّ بالشفرة الجينية (DNA) كبرنامج (صفّ مقدَّر خلاّق)، هي القوّة الفاعلة أو البرنامج (الأمر) الربّاني الذي أعطى للمادّة حياتها الشعورية والحسّية والحركيّة والتفاعليّة، بالصورة التي نراها، و(آدم) قبل أن يكون (آدم) الإنسان، كان كائناً بشرياً يملك (نفْساً) غير واعية ولا متطوّرة، ككلّ الموجودات الحيوانيّة، لا كما تقوله التوراة، بل قد نُفخت فيه الرّوح وليس النفس. فقد كان بشَراً (يملك نفساً حيّة) ثُمّ سوّي الكائن البشري وسُوّيتْ نفسُه (لا أنّها خُلقت توّاً) وأُلهمت الوعي (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**)(الشمس:٧، ٨)، على المستوى الجيني والعقلي والعاطفي، وذلك بعد أن نفخت فيه "الرّوح" لإنشائه "إنساناً" أُلهِم بهذا معنى التقوى والفجور، فبالرّوح صارت النفس ناطقة (**يا آدم بروحي نطقتَ**)[١]، أي صار لها عقل يملك وظائف الوعي الأدنى من حدس وتحليل وتفكير وإدراك واستنتاج، والوعى الأعلى من اتّصال بالمبدأ وإلهام وتسديد وطموح للأعلى، هذا ما أثبته القرآن الكريم وأكّده عليّ (ع) في صفة خلق آدم[٢]. وأوصى الربُّ النّاسَ

---

[1] – حديث قُدسيّ: الكليني، **الكافي**، ج٢، ص٩. وأيضاً: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٥، ص٢٢٧.

[2] – (**ثُمَّ نَفَخَ فِيها مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْساناً ذَا أَذْهَان يُجيلُهَا، وَفِكَر يَتَصَرَّفُ بِهَا**): الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمد عبده، ج١، ص٢٠.

جميعاً أنْ يصوغوا من "أنفسهم" كائناً روحانياً يُحاكي الرّوح (فالرّوح أُعطيتْ لتكون مثالاً يُحتذى)، وعلى كلّ فرْد أن يستغلّ فرصة عُمره قبل استرجاع الوديعة منه بعده، بأنْ يُشكّل جاهداً هذا (المثيل) الرّاقي من "نفسه" التي هي ذاتُه على (مثال) "الرّوح" الذي أُعطي له كرسولٍ ربّانيٍّ باطنٍ ليكون (واسطته) إلى السماء، وهو القرين/الزوج في القرآن، ولدى المندائيّين[1] اقتران النفس الإنسانيّة (النسمة: نشمثا) واتحادها مع الشبيه (دموثا) في عوالم النور (آلمي دنهورا)[2]. الشبيه الذي في عالَم الأنوار الذي يقترن المرء به، الذي سمّاه قدامى المصريّين في مدوّناتهم (الـ كا، والـ با)[3] أي المثيل والمثال، وللآن في العربيّة الحرف (كا) للتمثيل، و(با) للواسطة، وكانت أوّل بقعة تُدعى (بكّ/بكّة) في خفاء جبال السراة، أرض اقتران (الواسطة) العليا "ب" (بالمثيل) الأرضي "ك"، النّفس بالرّوح، وسمّى العربُ المناطق العالية (بك) تيمّناً مثل (بعل-بك) (ت-بُك: تبوك)، ومنها جاءت

---

1 – كورت رودولف، **النشوء والخلق في النصوص المندائية**، ص٢٠٤، ٢٠٥.

2 – المندائية كلهجة سريانية آرامية، تبدل السين العربية شينا وبالعكس فنلاحظ (نشمتا) هي نسمة، ولأنّ العين تلفظ ألفاً فكلمة (عالَم) هي (آلم) وهم يميّزون المفرد بالواو والجمع بالياء، فكلمة (عالم: آلم) تُصبح مفرداً (عالمو/آلمو) وجمعاً (عالمي/آلمي) بدلاً من الياء والنون العربيّة (عالمين)، فعبارة (آلمي دنهورا) أي (عالمين) ذي (التعريفيّة) نهورا (نورا)، وما زال (النهار) في العربية يعني النور و(النهر) يعني الماء وهو أساس الحياة والتعميد والتطهّر لدخول عالَم النور لدى الصابئة بل والأديان، لذلك سمّوه (يردن) أي (الورْد) لأنّ ورود الحياة الأخرى ترد عبر الاغتسال والتطهّر فيه، فالعبارة تعني "عوالم النور".

3 – بردية آني، كتاب الأموات، ترجمة السير والس بدج، انظر:
http://www.ancienttexts.org/library/egyptian/bookodead/book6.htm.

تسمية القمة (Peak) "بِك"، وقد قال تعالى في هذه المهمّة التي لا مهمّة للإنسان سواها (**وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا* قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا* وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا**)(الشمس:٧-١٠).

١٠- العقل

هو الأداة التي يُدبّر بها الكائن الإنساني شئونه ومن معه، هو جزءٌ من النفس أشرق عليه الوعي، لذلك تُسمّى النفس بالنّاطقة، وقد كان على المستوى البشري المحض يحتال الوسائل المعروفة لديه ليُدبّر حاجات الغرائز أيْ كان محدوداً ببرمجة الفطرة البشريّة، لكنّه على المستوى الإنساني صار يُدبّر الأمور خارجاً عن الغرائز لكن ضمن برمجة الفطرة الإنسانيّة هذه المرّة، لذلك فالبشر قبل آدم لن يُفكّر في الدجاجة سوى كغذاء ووجبة سريعة، ولكنّه كإنسان يُفكّر فيها ككائن حيّ له حقّ العيش والرّحمة، وإمكانية تسخيرها والانتفاع بها زمناً مديداً دون قتل، وقد يصوم عن أكلها أو أنْ يأكل منها بنسبة أقلّ ممّا يُشبعه، ويُطبّبها ويمنعها من الانقراض ويدرسها ويكتشف أسرارها ويُحسّن نسلها .. والعقل على المستوى البشري لا يملك لغة إلاّ كأصواته الطبيعيّة التي توفّرها الغرائز وخبرة العادة كصيحات الخوف، الغضب، التوقّف، الانطلاق، الحزن، التربّص، الحذر، الانزعاج، أمّا على المستوى الإنساني فقد انعكست آثار الرّوح على عالَم النفس بصياغة حروف اللغة وشكّلت له دلالات الأشياء في ذهنه (تصوّر سمات الأشياء كلّها ضمن قالب لغويّ تفكيريّ حاضر) وهو

أحد أنواع المعبّر عنه **(وعلّمَ آدمَ الأسماءَ كلَّها ...)**(البقرة:٣١) و**(خلَق الإنسانَ* علّمَه البيانَ)**(الرحمن:٣، ٤). بقي أنْ نقول أنّ العقل (الكسبيّ/المسموع) يزيد بحفظ تجاربه، لكنّه مهما كان فهو محدودٌ بقوانين عالم الحس والمادّة أي لن يخرج عن حدود بنود العقل المطبوع ومبادئه الأولى، ولا يُمكنه أن يستوعب أو يُحيط العوالِم التي فوقه وخارج إدراك قوانينه، لأنّها بكلّ بساطة فوقه وخارجه، وهذا سبب عدم معرفتنا ما الرّوح، وما النفس، وهذا سبب توهان الفلاسفة، أو العلماء العقليّين والتجريبيّين الذي يُفتّشون عن الربّ بعقولهم وفي مختبراتهم، ويُنكرون ملائكته أو ما وراء حجاب المادّة، فالعقل قصاراه أن يعي الآثار المشاهدة ويستدلّ بها لا أن يعي الماهيّة والكيفيّة والمستوى الوجودي الذي هو موازٍ فيه أو الذي أعلى منه.

ومع الأسف فإنّنا، بخلاف الغرض من تزويدنا بالعقل، أكثر ما نُوظّف اليوم العقل في إبداعات وابتداعات ومنافسات وصراعات واختراعات مادّية تخدم الغريزة والأطماع والأهواء وحاجات النفس الدُنيا، بدلاً من خدمة إنسانيّتنا (الأنا العُليا) أو تدبير ما حولنا بالعدل والرحمة (ممارسة خلافتنا)، فعُدنا كما كنّا "كائن لاواعٍ لكن ذكيّ" كالأنعام لا تُفكّر إلاّ في نفسها، بل أضلّ.

١١- شجرة المعصية وشجرة الخلد

(الشجرة المحرّمة)، هي سلالة البشر الهمج التي انفصل منها آدم وتميّز عنها بتخليقه ونفخ الرّوح والعقل فيه، والتي أُمر آدم

الإنسان بعدم الخروج من الجنّة لمقاربتها جنسياً، لأنّ الخطّة الربّانية كانت تقتضي التريّث لإبادتها طبيعياً وانقراضها، فخدعه إبليس وصوّر له الأمر بخلاف ما اعتقد وأنّ النهي الربّاني لم يكنْ يتعلّق به ما دام ليس ملاكاً وما دام غير مفروضٍ عليه الخلود داخل الجنّة[1]، فخرج آدم وعصى ربّه، وقارب تلك الشجرة البشريّة، وكوّن ذرّية (نسل) (الإنسان الهمج) وهي (شجرة معصية) أيضاً، التي غرّره بها إبليس وسمّاها له كذباً (شجرة الخُلد) أي السلالة الحقيقيّة الموعودة التي ينبغي أن تكون مستخلفة من ذرّية آدم، وسمّاها السومريّون (ميلا متعايا).

فعليه:

(الشجرة المحرّمة) شجرة البشر الهمج التي منها الأنثى عشيرة آدم الأولى.

(شجرة المعصية) شجرة النسل الآدمي المتولّد من تلك المعاشرة المحرّمة.

(شجرة الخلد) النسل الموعود لبني آدم ليخلد كمدبّر للأرض.

١٢- الشجرة الملعونة

(أي المطرودة عن الرحمة) **(قَالَ اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُوماً مَدْحُوراً لَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ)**(الأعراف:١٨)، هي شجرة لا

---

[1] - **(فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ ... وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)**(الأعراف:٢٠).

علاقة لها بشجرة الهمج الغرائزي البحت اللاواعيّة، فضلاً عن أشجار نباتية في الأرض أو في جهنّم، بل هي للكائن الواعي بالخصوص ليستحقّ لعناً، الكائن الذي لديه مشيئة الاختيار وأمامه سبيلان؛ يتّقي غضب الربّ في واحد أو يفْجر في الآخر متعرّضاً للغضب، فكلّ نفسٍ واعية (إنسيّة أم جنّية) اتّخذت سبيل الغيّ واستحقّت اللّعن فقد انضمّت إلى الشجرة الملعونة، فليس عند الربّ إلاّ شجرتان، شجرة تُقرَّب وتُطوَّب، وأخرى تُبعَد وتُطرد وتُلعن، "شجرة طيّبة" تُؤتي أكلها (طوبى)، وأخرى "شجرة خبيثة" عاقبتُها الاجتثاث من أرض العاقبة، بدأ أصل الشجرة الملعونة إبليس، وضمّ معه كلّ محتنَكٍ من بني الإنسان، كلّ مَن لعنه القرآن هو من (الشجرة الملعونة في القرآن)، فتشمل الظالمين والمفترين والمجرمين والمكذّبين والمفسدين .. وكلّ مَن باع إنسانيّته أو فقدها سواءً جحد الله تعالى أو حتّى تلفّع بأقدس دين وحمل المصاحف جميعاً والقرآن والزبور والإنجيل.

١٣- اللغة العربيّة القديمة

هي اللغة التي هبط بها آدم، وهي القاعدة العربيّة العريضة التي تتوزّع على تلالها كلّ اللهجات العربيّة القديمة من سريانيّة قديمة بكلّ اللهجات المتفرّعة عنها كالآراميّة و(ما يُسمّى الكنعانيّة) وكالفارسيّة و(الكلدانيّة!) وغيرها، إلى الآموريّة الفينيقيّة التي أنجبت مع السريانيّة الإطار الأكبر لكلّ اللهجات التي انطلقتْ غرباً سواءً

شمال أفريقيا وولّدتْ مثل الأمازيغيّة (أمــازيج: قــد تعنـــي لهجــات ممتزجة مختلطة!)، أو جنوباً كالحبشيّة، أو شــمالاً لتكــوين لهجــات أوروبا ثُمّ لغاتها عبر (أطوار إغريقيّة ولاتينيّة وغيرها من لهجــات)، إلى لهجات قبائل العرب القديمة والحديثة (العاميّــة الواســعة)، إلــى أعلى قممها وهي العرباء الفصحى المُبينة التي تميّزت فــي أجــواء معيّنة والتي نزل بها القرآن الكريم، وبهــذا نــضع حــدّاً للــصراع التمايزيّ بين الأمم التي هي ذات أصل واحد، وبين قبائــل وشــعوب الأمّة الواحدة القاطنة في آسيا وأفريقيا، فليست اللغة العربيّة الفصحى أمّ اللغات كما يظـــنّ بعــضُ المــسلمين، فالــسريانية والأمازيغيّــة والآموريّة (والبربريّة أيضاً) وغيرها، قد تكون سبقت الفصحى تميّزاً وانفصالاً وعراقةً، لكنّها كلّها تتّكئ على قاعدة واسعة أوسع بكثير من هذه التنوّع اللّهجيّ الذي يبدو متباعداً، نسمّيها نحن (العربيّة القديمة)، ولا مشاحة في تسميتها (باللغة الربّانيّة الأمّ)، هي أكثر بكثير جدّاً ممّا نجده في القواميس العربيّة والسريانيّة والفينيقيّة ثمّ اللاتينيّة، وممكنــة لمدى أوسع من المعاني والأفعال وصياغات الاشتقاق وأنساق تركيب الجُمل، لأنّها تقوم على ثبات قيمة للحرف (الصوت) الإنسانيّ نفــسِه، أي دلالة الحرف الأبجديّ، الذي هو واحد بين كلّ هذه اللهجات بألف بائه.

١٤- السّراة

ومعناها الأعالي، ومنه "سر/سار/سارة/سرى". (السُّراة) بالضمّ

تعني الأشراف والسادة والمعلّمين الذين انطلقوا ليُعلّموا الأمم علوم السماء السامية ويكشفوا أسرارها، و(السَّراة) بالفتح تعني الجبال العالية وبالذات غرب الجزيرة العربيّة[1].

هذه "السَّراة" هي أوّل يابسة انشقّ عنها كوكب الأرض حين كان مغطّىً بغمر الماء المحيط الذي يلفّه، وأسفله حميم (صهير حمم)، جاء (روح الربّ) وهي قوّة ربّانية عليا لا نعلمها، وصاغ من البخار والأدخنة الصاعدة طبقات سماء هذا الكوكب درعاً واقيا وقبّة (غلافا) صُنع بواسطته معنى الليل والنّهار لكوكبنا الأرضي[2]، ثمّ بعد ذلك عيّن موضعاً لأوّل يابسة ستطفو كمحلٍّ لعرش التدبير لصنع أحياء الأرض (أي اليابسة) ونفوسها التي آخرُها سيكون الإنسان (كما بيّنت هذا التوالي سورةُ الشمس)[3]، هذا الموضع قال تعالى عنه (**إِنَّ**

---

[1] – راجع: ابن منظور، **لسان العرب**، ص٥٦٠– ٥٦٥.

[2] – آيات كثيرة تدلّ على هذه الاختصارات، منها (**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ**)(فصلت:١١) والسماء هنا العلوّ، والطبقات العليا، وكانت دخاناً من مقذوفات البراكين فسوّاهنّ سبع سماوات أي طبقات، ومن الآيات الدالّة أيضاً سورة الشمس، وسورة الليل، والنازعات وغيرها، ومن الروايات من مثل: (عن ابن عبّاس قال: **ثم خلق الله النون فدحا الأرض عليها فارتفع بخارُ الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال**) (البيهقي، **السنن الكبرى**، ج٩، ص٣)، والنون يعني الماء المحيط بكوكب الأرض حينها، والأرض في الرواية تعني اليابسة فقط.

[3] – (**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا* وَالْقَمَرِ إِذَا تَلاهَا* وَالنَّهَارِ إِذَا جَلاَّهَا* وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا* وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا* وَالأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا* وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا* فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا**)(الشمس:١–٨)، وأنّ ما جعل الشمس تتجلّى كشمس أي كدائرة مشعّة منيعة عن التحديق بها، هو (غلاف الأرض المواجه للشمس) وهو "النّهار"، تمّ ذلك والسماءُ المعروفة حالياً لم يكتمل بنيانها بعد إلى سبعة أغلفة (سماوات) ولم يثبت استقرارها بالأوزون وغيره، لذلك تأخّرت جملة (والسماء وما بناها)

أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ)(آل عمـران:٩٦)، فخرجــت بــراكين الأرض وزبد البحر بفعل قوى ربّانية محدّدة، لتعلو على الماء وتُشكّل أوّل رصيف أرضي نابــت مــن البحــر الأوّل، ثــمّ تــوالي الفلــق (Volcan) البركاني لتمتدّ اليابسة وتتّسع منتشرةً على سطح الكوكب وتزحف ماخرةً طبقات المــاء **(والأرضَ مــددْناها)**(الحجـر: ١٩، ق: ٧)، **(والأرضَ بعدَ ذلك دَحَاها)**(النازعات: ٣٠)، وكانــت حينهــا عنــد خــطّ الاستواء قبل أن تسبح اليابسة بقارّاتها وتتوزّع دحواً لتلتفّ على كرة الكوكب، ومن خطبة لعليّ (ع)**(كــبَسَ الأرضَ علــى مَــوْر أمــواجٍ مُستَفحِلة، ولُججِ بحارٍ زاخرة)**[1]، وفي الأدعية **(يا مَن كــبسَ الأرضَ على الماء)**[2]، هذه السلسلة الجبليّة (السَّراة) وكانت ملتــصقة بجبــال إيران وجبال شرق أفريقيا، كانت دائماً المهد الأوّل للحياة الأرضــيّة، ومصدر انتشارها، وآخرها البشر، ثمّ للإنسان، ثــمّ صــارت أرض الرسالات، من الجبال المقدّسة الموزّعة فيها ومن وديانها حواليّ بقاع مكّة، جبل النور والضياء (ضيون/صهيون/زيون)، طــور ســينين، ساعير، فاران[3]، التنور، طوى، حورِب، لبنان، الجودي، كلّها أســماء لجغرافية واحدة في تلك الربوات والقمم.

وأيضاً لم تستقرّ اليابسة إذّاك وتنتشر على سطح الكوكب (والأرض وما طحاها).

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**،شرح محمّد عبده، الخطبة ٩١، المسمّاة بخطبة الأشباح.

[2] – الطوسي، **مصباح المتهجد**، ص٧٩.

[3] – كلّها أسماء لنفس الجبال حوالي مكّة، الجبال البركانية، الحرار، التي فيهــا أضــاء الــربّ وأشرق، والتي فيها موسى (ع) رأى قبس النار، وكلّها أسماء تدور على معنى النور والــضوء والنار، فجبال فاران هي المحيطة بمكّة من فار/ثار أي البركانية (ولها ارتباط بفوران طوفــان

١٥- النظام القرآني

هو النظام اللغويّ والمنطقـيّ والعلمـيّ والهندسـي (البنـائيّ التركيبيّ) الدقيق المحكم الذي نزل به القرآن الكريم "بلـسانٍ عربـيّ مبين" وبيانُه منه لا من خارجه، ينبغـي اسـتقراؤه واكتـشافه لفهـم عبارات القرآن، بدلاً من الاجتهادات والتخمينات لا في مسائل نـسبيّة محتمِلة للقراءات (مفتوحة)، بل في مسائل علميّة وتاريخيّـة محـضة (مُغلقة) حيث الظنّ لا يُغني من الحقّ شيئاً بل يُضلّ، فلأجل اكتشاف هذا النّظام ينبغي الإيقان بأنّ كلام الله فعلاً فوق كلام البشر، وبالتالي الاستعداد لتجاوز أيّ قاعدة موضوعة بـشريّاً (وتجـاوز أي نتيجـة مسبقة) من بنات النحويّين أو البلاغيّين أو الكلاميّين أو المفسّرين، لا سيّما وأنّها لمْ تُوصلنا إلى زبدة سليمة أو منطقيّة في فهـم مـضمون الآية الدقيقة المُباركَة، فلا نتعامل معـه كـشعر يحـوي المجـازات والضرورات اللغوية والقوافي والسجعات، ولا تُعامَل الآية إذا خالفت مألوفنا كمُشكلٍ اعتقاديّ أو نحوي ينبغي ترويضه (حلّ إشكاله!)، ولا نقدّم ونؤخّر ونحذف كلماته وعباراته ونقدّر وجود غيرها، فقط لأنّـا

نوح)، وساعير من التسعّر أي الناريّة، وجبل النور هو الذي تسمّى حور–رب جبل الربّ لأنّـه مقرّ المدبّرين والملائكة (**ربّ الجنود الساكن في جبل صهيون**)(أشـعياء ٨:١٨)، وصـهيون أو زيون (Zion) هما اللفظ السرياني لكلمة "ضيون" تصغير ضيا أي النور (حيث الصاد أو الزاي هي المعادل التعويضي لحرف الضاد غير الموجود ولا المنطوق في العربية القديمة/السريانية)، وطور سينين/سيناء بنفس المعنى من السناء، و"سينين" لفظ سرياني تـصغير سـنا أي النـور، والطور هو (تور أي ثور) وفي كلّ الأساطير القديمة يُشبَّه الثبات والشهوق بالثور، وفي مكـة جبل ثور لأنه شامخ كسنام الثور، وهو (طور).

عجزنا عن فهم بنائيّة الجملة أو اضطرابها وتعارضها مـــع مكـــدَّس سبقيّاتنا الذهنيّة ومقدَّسِها، ولا نستخدم ممسحة الترادف التـــي تُطيِّـــر نصف دلالات القرآن، سواء في عباراته أو كلماته أو حروفه، فلـــيس مِن حرف مرادفاً لحرف، ولا مِن كلمة ترادف كلمة، ولا من عبـــارة تُساوي عبارة أخرى، ولا نتعامل بالضمائر جزافاً وبإسقاطات تـــشطّ عن المنطق اللغوي حتّى البسيط، فضمائر المفرد مفـــرد، والغائـــب غائب، والجمع جمْع، بلا تزييف ولا تزيين، مثلما أنّ الفعل الماضـــي ماضٍ والحاضر حاضر، بلا فبركات عقائديّة ملفلفة.

١٦- تراث الآباء والمعلّمين

هو التراث التعليميّ الربّانيّ المبثوث للإنسان لتستقيم مـــسيرته الصالحة ذاتياً ومدنياً وحضارياً، منذ أُهبِط آدم الأوّل من الجنّة، عبـــر اتّصال الملائكة بمعلّمي البشريّة من نبيّين ومرسلين بُعثوا باللهجـــات العربيّة الواسعة وآخرها بالفصحى، ثمّ تمّت صياغته (هـــذا التـــراث الواعي) لحفظه عبر الأجيال شفوياً لآلاف السنين، ثمّ نقشاً برسومات وجداريّات وتصويرات وكتابات سومريّة وبابليّة وفينيقيّة وهيروغليفيّة وغيرها، تضمّنت مادّتُه الحقائق العلميّة، والعبر، والحكم، والأمثـــال، والأخلاق، والشرائع، وتعليم المدنيّة والصناعات والمهن والأســـرار، ثُمّ للتداول والحفظ، سبكتْه خلائفُ أولئك المعلَّمين كتابياً حين ابتُدعتْ الكتابة والنقش، في صياغات لغويّة، في صُحفٍ ومدوّنات قصـــصيّة،

أو ملاحم شعريّة، أو سبائك أسطوريّة وبطولات، سمّاها القرآن **(زُبر الأوّلين) (أساطير الأوّلين) (أثارة من علم) (الصحف الأولى)**.

١٧- مدوّنة التوراة

هي "التوراة = التوريث" قال عنهم سبحانه **(وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ)**(الشورى:١٤)، لقد جاء موسى (ع) لبني إسرائيل بصحف نُقلت من ألواح ربّانية مكتوبة تُدعى توراة فيها هدى ونور (شريعة ونبوّة)، لكنّ هذه المدوّنة المتداولة التي تُدعى التوراة ليست هي تلك، بل برزتْ إلى الوجود حين تحويل الشفوي الأصل –مع ضياع كثيره– إلى قراطيس كما قال القرآن، أُخفي الكثير، وضاع وزوّر وحُرّف وأضيف الكثير، مع احتفاظهم باسم "توراة" لأسفار هذه المدوّنة الخمسة الأولى على أقلّ تقديرهم**!** فهي تحوي تاريخ صحيح وآخر ملفّق لعشيرة بني إسرائيل البدويّة وقضاتها وملوكها (أي زعماء عشائرها ومضاربها) وجوْلاتها في الديار العربيّة بين العشائر والقبائل، وهي من تأليف الكهنة بعد موت موسى (ع) بأكثر من ألف سنة**!** الكهنة الذين حارب أنسالُهم أرميا[1] (ع) وأشعيا وعيسى (ع) ومحمّداً (ص)، خلطوا في مدوّنتهم بعضاً من تاريخ تراث الأمّة العربيّة وعلومها، بتاريخهم، بحشدٍ هائل من

[1] – قال أرميا للكهنة: **(أَمَّا وَحْيُ الرَّبِّ فَلاَ تَذْكُرُوهُ بَعْدُ لأَنَّ كَلِمَةَ كُلِّ إِنْسَانٍ تَكُونُ وَحْيَهُ إِذْ قَدْ حَرَّفْتُمْ كَلاَمَ الإِلَهِ الْحَيِّ رَبِّ الْجُنُودِ إِلَهِنَا)**(أرميا ٢٣: ٣٦)، وقال **(كيف تقولون نحن حكماء وشريعةُ الربّ معنا؟ حقّا أنّه إلى الكذب حوّلها قلمُ الكتبة الكاذب!)**(أرميا ٨: ٨)، وأُثِر عن مارتن لوثر زعيم البروتستانت قوله: (إنّ اليهود قد أفسدوا الكتاب المقدس من الدفّة إلى الدفة).

تعاليم موسى ووصايا النبيّين وكلماتهم المقدّسة وتعاليم الربّ عبرَ أولئك المعلّمين ودعواتهم النضاليّة وآلامهم معهم، ممزوجاً بأهواء المدوّنين وسردهم وتلفيقاتهم ودسائسهم، وأطلقوا عليه اسم "التوراة"، فهو وثيقة تاريخيّة مهمّة تحوي المقدّس الصحيح بجوار الملفّق؛ تعاليم الآباء الربّانيّين الأوائل، وأهواء أو أخطاء خلائفهم المدوّنين! تماماً كبعض كتب مرويّاتنا حذو القذّة بالقذّة والنعل بالنعل.

١٨- ليلة القدر

هي ليلة ربّانية اختيرت بتوافقات كونيّة، كإحداثيّة لانطباق التقويم القمري بالشمسي (**الشمسُ والقمرُ بحسبان**)(الرحمن:٥)، تمّ فيها خلق "الإنسان" في كوكب الأرض، أي جلب (روح) من عالَم النور (عالَم الأمر) وضخّها في كائن بشري همجي موجود (عالَم التكوين) الذي كان يسكن الأرض منذ ملايين السنين، عُدِّل وسُوّي جينيّاً وأُعيد تخليقه مرّةً أخرى في قالب طّين الجنّة، ليُصاغ إنساناً يحظى باسم (آدم: أي مثيل الربّ)، هي ليلة ميلاد الطفل الربّاني رمزاً (آدم) الذي جعلته المسيحيّة "ابن الله"! مولد النور، مولد الخليفة، وقد وافقتْ إبّانها ٢٥ ديسمبر، الزمن الذي قال عربُ وادي النيل في مدوّناتهم قبل المسيح بأكثر من أربعة آلاف عام أنّ شفيعهم "أوزيرس" ثمّ "حورَس" وُلِدا فيه، ومضتْ أكثر الديانات بالاحتفال به وجعله يوم ميلاد شفيعها ومعلّمها، من دموزي، إلى بوذا، إلى كريشنا، إلى ميثرا وغيرهم، ثُمّ تيمّن بهذا اليوم المسيحيّون ونقلوا مولد عيسى (ع) إليه، وهو مولد

(آدم) في الحقيقة أي بدء فطْر الإنسان الكامل، ويُوافق في التاريخ القمري الليلة الأخيرة (٢٩) من شهر رمضان، هذه الليلة تحصل مرّة بعد كلّ ألف شهر رمضان (قمري) **(ليلة القدر خيرٌ من ألف شهر)**(القدر:٣)، يتنزّل فيها روح الربّ (الذي شبّهه التراثُ القديمُ بطائر الفينيق "Pheonix") يتنزّل مع الملائكة لتقدير مصائر البشر ضمن برنامج أَلْفيّ وإيكالها إلى مجموعة المدبّرين الأربعة الروحانيّين في المقرّ الربّاني (حيث الجنّة الأرضيّة) وهم إسرافيل وميكائيل وجبريل وعزرائيل، فبعد كلّ ألف رمضان تحدث ليلة قدر، وهذا يُعادل يوماً تدبيريّاً عند الربّ **(وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)**(الحج:٤٧)، وإنّ المسيرة البشريّة للآدميّين في الأرض ريثما يهتدون ويتحوّلون من إنسانهم الناقص إلى إنسان كامل (متأنسن) يستحقّ الاحتفاظ بمنحة الرّوح (أي بوسيلة اتّصاله بالسماء لكينونة تطوّره)، أُعطيتْ مُهلة خمسين يوماً ربّانيا (**"يوبيلاً ذهبياً"**، حسب التوراة)، أي خمسين ألف سنة **(تَعْرُجُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)**(المعارج:٤)[1]، تقومُ بعدها (الساعة) أيْ القيامة الأرضيّة على الكائنات المختارة في كوكبنا لحسابها النهائي الخاتم، تُثاب عندها أرواح الناس (أنفسهم الروحانية) الطاهرة بعروجها إلى جنّة المأوى، وتُلقى النفوس النجسة (الهمجيّة اختياراً) في الأرض (السفلى) الخرِبة المحروقة (جهنّم) وتُنسى كما كانت قبل

---

[1] – يوم الربّ (وهو الفارق بين مجيئين للربّ) = ٥٠ ألف سنة بحسابنا.
ويوم تدبيريّ عند الربّ = ألف سنة بحسابنا.

هبتها "الروح الإنسانيّة" إلى ما شاء الله، لأنّها حرمت نفسها مـــن أن تكون كائناً إنسانياً متطوّراً يستحقّ الزيادة اللانهائيّة في عوالم أُخرى.

الفصل الأوّل

وهْم التصوّر التوراتي

"إن الربانيين والحاخـــاميين فـــسروا التوراة حسب أهوائهم وبالشكل الذي يلبي غرائزهم الــشريرة ونـــزوعهم للتفوّق على بقية أجناس البـــشر"..

ويل ديورانت – قصة الحضارة..

التوراة، كمدوّنة تاريخيّة، حوت مرويّات أناس هـــذا المركـــز البشريّ الأوّل وتأويلاتهم، تُشكّل قيمة حقيقيّـــة فـــي التعـــرّف علـــى التصوّر السليم لهذه الحقيقة، وعلى الآخر المتوهّم أو الجاهـــل، فهـــي تحوي الأمرين بين طيّات نصوصها، كونها خليطاً منقـــولاً مـــدوّناً، وباستطاعتنا استلال منها خيطاً ينتظم مع مقولات التـــراث الربّـــاني السابق للتوراة (لدى سومر ووادي النيل) وبعدها في القـــرآن، عـــن الحقيقة الواحدة، غير أنّ الذي يستوقفنا في البدء، الخلفيّة التي كانـــت السبب في تدوين السليم بغير السليم في التوراة، الخلفيّـــة النفـــسيّة أو الذهنيّة لكتّاب التوراة، وتخوّضهم في حقيقة تُعدّ بائدة أو غـــائرة فـــي زمانهم، كما هي في زماننا الراهن، لا تخوّضاً استكشافيّاً، بل دينـــيّ إفتائيّ، بقولٍ فصل صادرَ الحقيقة إن لمْ يكن علـــى مـــستوى ظـــاهر النصّ فلا أقلّ على مركَبِ مفسّريه وأقلام شُرّاحه، مـــا أدّى لتـــأخّر العمليّة العلميّة والاستكشافيّة لمعرفـــة الـــسلالة الإنـــسانيّة والبـــزوغ

البشري والحضاريّ في المنطقة فالعالَم، أدّى ليكــون حجابــاً عنيفــاً سواءً لعلم الآثار أو لنصوص القرآن ردحاً طويلاً، بل للآن.

قد خلصنا إلى أنّ محور قصّة آدم (وكلّ آدمي) هــو تعــرّض الشجرة الإنسانيّة للتسفّل "البشريّ" بالمعصية الأولى، ثمّ لاحقاً بتتــالي المعاصي والقبائح، بدلاً من الالتزام بأمر الربّ في الزمن الأوّل، ثــمّ لاحقاً تاريخياً بضرورة التسامي الأخلاقي والالتزام بتعاليم الأســرة، الذي يُعيد للشجرة الإنسانيّة صفاءها الإنساني، وإنّ ظهــور شــجرة الأنبياء هو بمثابة الرافعة التاريخيّة لشجرة آدم تنتشلها من الحضيض البشري والإباحيّ أو لتقيها حتّى من الاجتثاث.

سنُحاول في ختام هذا الفصل تقــديم مقاربــة لــسبب ظهــور التصوّر التوراتي عن شجرة البشر، ثمّ شجرة الإنسان، ثــمّ شــجرة الرسل، حسب تواليها التاريخي، لمعرفة المزيد عن التواجد البــشري ثمّ الآدميّ، وكيف أرّخوا أبناء آدم وأحفاده، وأيّ آدم هذا؟ ومــا هــو سياقُه التاريخيّ والجغرافيّ؟ وسنضع النقاط علــى الحــروف حــالَ مناقشة هذه الخارطة التاريخيّة ونقدها التي ظلّت مرجعاً للأثنوجرافيا (علم السلالة البشرية) آلافاً من الــسنين، تكــبح الأذهــان العلميّــة والمنطقيّة عن تجاوزها!

سنستهلّ فصلَنا بتحليل أسباب اقتراح مثل هذا التدوين وتثبيتــه، وسنستلّ نموذجاً توراتيّاً (حكاية شمشون) يستبين من خلالــه عمليّــاً بعضُ غايات التدوين لدى عشائر اليهود وفُلولهم، الغايات البغيــضة

التي تمادت حتّى نالت من مقام معلّميهم الأطهار وأنبيائهم وقدّيسيهم وقدحت فيهم بما يُناقض التأسيس الربّاني للشجرة الإنسانية الصفيّة، المفطورة على كره القبائح والمأمورة بالتنزّه عنها، سنذكر التدوينات المفتراة الوقِحة التي طعنت في أنبياء الله العظام، والتي يشفّ كلّها عن اختراقات جنسيّة أُلصِقتْ بالطاهرين، بل جرائم جنسيّة، تنتهك حدود الله، تدوينٌ غايتُه تأصيل لاهوتيّ مفترى لتسويغ الإباحة العشتاريّة التي مارسها كثيرٌ من كهنتهم وملوكهم المفسدين (والتي هي درب سقوط آدم الأوّل)، بدل تأصيل شرائع العفّة والزواج المقدّس الذي هو أصل الأسرة، وتعاليمها، وأبناء الحلال، وسلامة الفطرة (والذي هو مهمّة آدم الثاني الرسول).

سنلحظ أنّ خطّ الانحراف الملفَّق هذا، المؤسّسَ له عبر نصّ التدوين، قد برّر بنحوٍ أو بآخر ثقافةً دينيّةً ظالمةً بعيدةً عن الالتزام الأخلاقي لدى أجيال بني إسرائيل، ما فرض في الأثناء تتالي بعثات الأنبياء إليهم لتطهير سبُلهم (لصناعة سبُل الربّ المستقيمة)[1] وفضح انحراف كهنتهم، وأدّى في النهاية إلى نفض يد السماء عنهم بالمرّة لفساد صلاحيتهم أن يكون من ذراري أجيالهم هُداةَ الأمم.

أوّلاً- أسباب تدوين كهنة التوراة شجرة الإنسانيّة

ما الذي حدا بالكهنة الذين دوّنوا التوراة، أن يضعوا "سفْر

[1] - (صوتٌ صارخٌ في البرّية: أعدّوا طريق الربّ، اصنعوا سُبُلَه مستقيمةً)(متى ٣:٣).

الخليقة" ويُضمّنوه (كتاب مواليد آدم)، لاسـيّما وأنّ "تـوراة موسـى" ليست هذه، فالثانية أُلّفت بعد موسى بألف من السنين، ونحن نعلم أنّهم أخطأوا جدّاً في تدوين شجرة الأنساب هذه، والعلم أثبت أنّ الإنـسان يرجع إلى قريبٍ من ٥٠ ألف سنة، لا كما تقوله التوراة إلى ما قبـل ٦٠٠٠ سنة فقط! فما الذي حدا بهم لفعل هذا؟

قبل أن نُحاول الإجابة، علينا أن نتجرّد مـن مـشاعرنا تجـاه صهاينة اليوم الذين صادروا (مدوّنة التوراة العربيّة) وجعلوها كأنّهـا كتابهم المقدّس الخاصّ بهم، بعد أن أسـقطوا أسـماءها العـشائريّة التاريخيّة الصغيرة على أرض اغتصبوها في الشام، ليجعلـوا منهـا بعنفٍ لا منطق فيه (أرض الأجداد وأرض الوعد)!! لا ننسى أنّ ثمّة يهوداً في العالَم لم يغتصبوا فلسطين، ثمّة بعضهم في كثير من بلادنا العربيّة كمواطنين وفي إيران وغيرها، علينا أن نتيقّن أنّ الكهنة الذين ألّفوا التوراة هم عرب، من هذه الأمّـة، ينتـسبون لبنـي إسـرائيل، وإسرائيل هو يعقوب (ع) السريانيّ الآرامـيّ العربـيّ ابـن خليـل الرحمن إبراهيم (ع)، والتوراة كتاب سرياني عربـي فـي الأصـل، والإنجيل أيضاً، تماماً كالقرآن (عربيّ)، وتعاليمها وقيَمُها (لو حافظت على نقائها وصحّة نصوصها) وليس شريعتُها هي للعـالَم كلّـه بـلا ريْب، وينبغي أن يفخر بها العربيّ قبل غيره، لأنّهـا خرجـت مـن جزيرة العرب وبلغتهم وتُرجمتْ وانتشرت. ولا علاقة سلاليّة لأولئك الكهنة العرب القدماء بالمتقاطرين حديثاً اليـوم مـن العـالم علـى

(فلسطين) وسمّوا أنفسهم يهوداً، كما لا علاقة بين الاسم السياسي التوظيفي "إسرائيل" ببني إسرائيل أبناء يعقوب الأوائل.

فلننظر إلى التوراة بالفحص والنقد كأيّ كتابٍ تاريخي عربيّ (كتاريخ الطبري مثلاً أو كتب السيرة النبويّة أو كرّاسات قصص الأنبياء أو جوامع الروايات) فهي وهذه سواء، فما الحافز الذي دفعهم لتدوينها (على الأقلّ شجرة الأنساب) كتاب مواليد آدم وقصّة الخليقة؟

هناك محامل حسنة وأخرى سيّئة، وبدون أن نرجّح أحدها على غيره، فمن المحتمل أن يكون:

١- لميزةٍ راقيةٍ في العربي (والكهنة منهم) أنّه يفخر بأصله الشرعيّ، هذا الأصل الذي كما قلنا يفترع إلى أصلين؛ أصل آدميّ صحيح وأصل آدميّ هجين، ثمّ بعد تأصيل شرائع الأنبياء تطوّرا ليكونا: أصلاً منبثقاً من زواج شرعي وآخر من إباحي، حتّى أنّ العرب تُعيّر من لا أصل له معروفاً، لا لعنصريّة جنسيّة لديْهم بل لاستبشاع مُتوارث تجاه الطرق غير السويّة في التناسل، مثلما صار يُعيّر ابن الزنا أيضاً وإن كان عربياً، وأشعار الأوائل وخطبهم، ولمزهم لخسيس الطبع واللئيم مثلاً أنّه (دعيّ بن دعيّ) و (زنيم)، تعجّ بهذا، ليظلّ طريق الزنا محفوفاً بالمعائب والنبذ والتبعات الثقيلة في الذّاكرة حتّى على مستوى الذرّية فيتنزّه عنه المرء ويتّقِ أن تُظلَم ذرّيته بسوء فعله وتخيّره لنطفته. فكان العرب يتناسبون، ويحتفظون بأشجار عائلاتهم،

لأنّه أمرٌ يُمثّل لديهم انقّاد قيمة الأسرة والعشيرة والقبيلة التي رقى إليها الإنسان من همجيّته اللااجتماعيّة الإباحيّة. ثمّ لمّا صارت المدن واختلط الناس وضعفت العشائريّات ووُضعت الضوابط قلّت قيمة هذا الانتساب، كما يتبيّن حديثاً في مجتمعاتنا.

٢- لطبيعة في الإنسان أنّه يُحبّ أن يكون له مجدٌ ومَفاخرٌ وتاريخ، فيسرد صادقاً أو كاذباً، بطولات حقيقية أو خيالية له ولآبائه، الأمر الذي سمّاه الله تعالى **(وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا)**(آل عمران:١٨٨)، ومن يطّلع على أشعار العرب وكيف كان يتفاخر جرير والفرزدق والأخطل بآبائهم، وكيف يُلّفقون الأمجاد لهم ولو كانوا أزرياء الحال والمثالب لآباء غيرهم، يُدرك هذا، هذه الطبيعة هي التي تدعوه في أسوأها إلى العصبيّة وحميّة الجاهليّة والعنصرية البغيضة والتعالي على الأقوام وعلى الأمم الأخرى، فتجعل العربي يظنّ أفضليته على الفارسي، أو العكس، والقرشي على غيره، الأمر الذي ذمّه القرآن **(لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ ... وَلا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ ...)**(الحجرات: ١١)، وذمّه النبي (ص) **(لا فضل لعربي على أعجمي)**[1]، وجعل اليهود يظنّون أنّهم **(أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ)**(المائدة:١٨) بينما هم كحال الجميع من غيرهم، مجرّد **(بَشَرٌ مِمَّنْ خَلَقَ، يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ)**(المائدة:١٨).

---

[1] – أحمد بن حنبل، **المسند**، ج٥، ص٤١١.

٣- لنقصٍ يقع فيه شعبٌ في واقعه المُعاش المُحاصر بتخلّفه، وانهزامه، وتلكّؤه، ودبيب الفاحشة في نسله وانحداره، فيتعلّق كتّابُه (الكهنة المدوّنون مثالاً) بالماضي الأقدم الأنصع، يُعوِّضون به نقص حاضرهم المزري، ويجترّون من بطولات وأمجاد ونقاء الآباء (صادقةً كانت صورة نقاء السلالة أو خياليّة) ما يُرطِّب نضوب الحاضر غير المشرّف، أو يُهيّج الحاضرين للتأسّي بالشرف القديم والانتهاض لإعادة المجد الأثيل للماضين. وقد تتّخذ عقدة هذا النقص طريقاً تزويرياً بشعاً فتغيّر مجرى التاريخ حين تُعيد كتابته بغير ما كان، فتحرف طريق العلم، فإنّ غرور الإنسان وانتفاخ ظنّه بمركزيّته جعله يُصرّ بعنفٍ بالغ بمركزية الأرض في الكون ودوران النجوم حولها مع مساعفة قصوره العقلي لذلك. إنّ بشاعة التزوير تكمن في أنّ كلّ وصْلٍ يُقابله حتماً قطْع، فالذي قال أنّه (هندي) كذباً وهو (سندي) فإنّ وصْل نفسه بالهند تزويرٌ واحدٌ، وقطْع نفسه من السند تزويرٌ ثانٍ، إنّه كسرقة لاعبٍ من فريقٍ لكرة القدم وإلباسه قميص الفريق الخصم، فالفارق ليس لاعباً واحداً بل لاعبين (١٠ إلى ١٢)، هكذا هو التزوير، يُضلّ من الجهتين. ونحن نعلم حسب قصّ القرآن وحسب قصّ التوراة أيضاً، المخازيَ التي وقع فيها بنو إسرائيل والشعب اليهودي إبّان عصور الكهنة بعدئذ مع أنبياء الله، وجبنهم وانحدار قيَمهم وضياع نسلهم، فهل وصْم الأنبياء الطاهرين بما استشرى فيهم هم من فواحش ومهانةٍ من

جهة، ثمّ تلفيق سردٍ (نسليّ) شريف من جهةٍ أخرى لأنفسهم، كلاهما تعويض، لصنع تاريخٍ مرضيٍّ لمن لا تاريخ مشرّفَ له؟ سنفصّل في هذا أكثر بعد قليل.

٤- أيّ شعب يتعرّض لثقافة أخرى تتحدّى تراثه وعاداته، يقوم بفعلٍ غرائزي بإحياء تراثه وإعادة اجتراره وتزيينه وتدوينه ليُشكّل للأجيال التي عاصرتْ حدث التحدّي درْع أصالة يحبسه عن الانسياق مع الجديد البرّاق صادقاً كان التراث أم خادعاً، هذا ما تفعله الأمّة اليوم، بل كلّ أمّة مع أيّ غزو أو تسلّل ثقافي أو تجديد دينيّ، إنّ استدعاء الآباء واستلاف الأسلاف أمرٌ نقوم به الآن ضدّ ضلالات الغزو الغربيّ (**حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**)(المائدة:١٠٤)، وربّما نقوم به غداً حتّى ضدّ أيّ مصلحٍ حقيقيّ (**أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا**)(يونس:٧٨)، لقد قام به اليهودُ ضدّ محمّد (ص) وشهَروه سلاحاً قبلاً ضدّ عيسى (ع) حين دوّنوا توراتهم بالخصوص احتراساً ممّا أتاهم به، ليقولوا له ضمناً (معنا ما يكفينا) و(لا نسْخَ ولا تبديلَ لما عندنا) و(**يدُ الله مغلولة**) عن استبدالنا، هذا ما قالوه لعيسى (ع) ولمحمّد (ص) وردّ عليهم القرآن فيه[1] وفضح جرائمهم وافتراءهم وسوءهم

[1] – منها قوله تعالى فيهم: (**بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْياً أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ**)(البقرة:٩٠)، فقد كفروا بأن يتفضّل الله ويُنزّل نبوّةً على غيرهم من عباده الأصفياء، كفروا برسالة عيسى (ع) ونبوّته ثمّ ببعثة محمد (ص)، فباءوا بغضبيْن؛ الأوّل لكفرهم الأوّل بعيسى

وتردّيهم واستعلاءهم الخادع على أمم الناس، الأمر الذي استدعى استبدالهم بالمرّة وبلا هوادة.

لذلك لا نستبعد أن يُلملم الكهنةُ العرب آنذاك كلّ ما سمعوه من الأنبياء السابقين وكلّ ما لدى العرب من أساطير وحكَم وأمثال ويضمنوّها (توراتهم) ليقولوا لعيسى (ما عساك أن تأتي بمزيد؟) فلدينا (الجامعة)! هذا هو أيضاً حال من يكتب اليوم في كلّ شيء ويكتب بالأيدلوجيّة التي لديه في كلّ العلوم ويُغلق الأسئلة، فهو في غير حاجة إلى أحد حتّى لو نزل له من عند الله سبحانه، هكذا هم كثير من علماء متأدلجين اليوم (علماء تجريبيّين أو علماء دين تقليديّين)، وهم بالذّات الذين يُوقدون نار الصراع بين الدين والعلم، والدين والسياسة، حين حشروا نظراتهم لتفسير كلّ شيء، قد أعدّوا لكلّ مسألة جواباً، **(ولكل باب مفتاحا، ولكلّ ليلٍ مصباحاً!)**[1].

ولو سألنا سؤالاً آخر، ما الذي جعلهم يُخطئون حين دوّنوا الشجرة الإنسانيّة في التوراة وأُمضيتْ على العالَم دهراً وللآن؟!

١- ربّما جهل وبداوة الكهَنة بالعالَم، الذي جعلهم يظنّون أنّهم مركز الكون، وأبناء الله، مُضافٌ إليه عدم اطّلاعهم على شعوبٍ كثيرة قبلهم وحضارات شامخة في العراق وشمال أفريقيا والصين

(ع)، والثاني لكفرهم الثاني بمحمّد (ص).

[1] – ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج١٠، ص١٦٤.

والهند، موجودة قبل التاريخ الذي افترضوه بداية للبشريّة، وخارج الأشجار السلاليّة المدوّنة التي رُسمتْ لتُؤدّي لعشيرتهم المتناهية في الصغر، فحالهم كحال أيّ شعب بدائي ضيّق الأفق، محصور في بقعته، حين يظنّ أنّ قريته هي الكوكب كلّه، وأنّ الإنسانيّة بدأت بهم، وأنّ الربّ على صورتهم، وأنّ طوفاناً يُصيب أجدادهم العرب هو طوفان قد أهلك العالَم كلّه!

٢- ربّما لأصيلةٍ في عقل الإنسان، وخاصّية بحثيّة فيه، أنّه يهوى سريعاً حلّ المشكلة بالمتوفّر من العناصر التي لديه، حتّى ولو كانت أعقد ممّا يُتصوّر وأكبر، وهي خاصّية وإن كانت ذات سمةٍ إيجابيّة، لكنّها موردِ معظم الضلالات، فالذكاء الإنسانيّ دائماً يُحاول تفسير الأمور بشمولها بقليل من المعطيات العقليّة أو الحسّية المتاحة، نزوعُه للاختصار، وفطرتُه على لزوم إيجاد نظام أو اكتشاف نظام، وغريزته العجولة، تدفعه لاختلاق إجابة بدلاً من اكتشافها، هذه الإجابة إذا خرجت منْ جيل آبائيّ ضمن أجواء تقليديّة في طور انحطاط فكريّ وحضاريّ، ثُمّ تُدوَّن في وقتٍ يعزّ فيه التدوين فلا يُدوَّن فيه إلاّ الحقّ والمُقدَّس والمخوف ضياعُه، يجعلها ثقافة عزيزة تُعمّر في الأجيال اللاحقة وتُقدَّس لتُجمّد العلم والعقل معاً، بل وقد يُقتَل من يُحاول التفكير خارج ذلك الحلّ المزري الناقص، أمثال هذه الوسيلة جعلت الكهنة يضعون الأرض مركزاً للكون، وآدم يُخلَق من تمثال طين، وحوّاء تستزلّ آدم بتفّاحة بإغراء حيّة! وينطلقوا ليُجيبوا على كلّ

الأسئلة العلميّة الكبرى بجرّة قلمٍ معتجل، وهذا ما قام به كثيرٌ من المسلمين من أهل التفسير أيضاً وللأسف، فجمّدوا الفكر الإسلامي وانحرفت بآرائهم حقائقُ القرآن والتوتْ نصوصهُ، فحُورب العلم وازدري بالعقل، وبات اليوم عسيراً قلعُها فيُهزأ ممّن يُحاول ذلك، كأنّه قزمٌ يُحاول أن يُطاوِل أفذاذ الآباء! أو يُلعن على جرأته مخالفتهم أو تخطئتهم!

فالكهنة كان لديهم أسماء آباء وأنبياء معلّمين، كونهم عرباً يحتفظون بتراث المنطقة ومحكيّاتها ولخروج أنبياء كثيرين بين ظهرانيّهم علّموهم هذا التاريخ وبثّوا لهم هذه الأسرار كما علّمنا نبيّ الأمّة (ص) علومنا، فكان لديهم علمٌ مجمَل بحقب تاريخيّة ماضية صحيحة، فقاموا بترتيب تسلسلها حسب اجتهادهم، وحسب نظرتهم المحدودة، النظرة الضيّقة التي جعلت الأرض مركز الكون، وجعلت من عشيرتهم مركز الكرة الأرضيّة! فجعلوا من "إدريس" لعلمهم بقدمه على نوح، جدّاً لنوح، ومن أبناء نوح آباء العالَمين! ولعلمهم بأنّ (قابيل وهابيل) هما من أبناء آدم (وجهلوا أنّهما ابنان غير مباشرين لآدم الأوّل) ولكونهم لا يدرون فعلاً إلاّ بآدم واحد، ولمعرفتهم بأنّ آدم (الرسول) من آخر أبنائه رجل دُعي "شيث" النبيّ، فرتّبوا الأمور حسب مخيّلتهم أنّ قابيل وهابيل وشيث إخوة في زمنٍ واحد، وهما أوّل من في الوجود الإنساني (والبشريّ أيضاً!) حتّى أنّ بقتْل قابيل لهابيل قُتِل ربْع سكّان العالَم على ما في اللغز الخاطئ المشهور!

ثمّ لمعرفتهم بأنّ زمن آدم (الرسول) يسبق نوحاً بمئات السنين جعلوا ذلك كلّه في بداية الألف الخامس قبل الميلاد (٤١٠٠ ق.م)، أي قبل طوفان نوح تقريباً بألف سنة! مع أنّ حضارة العبيديّين التي على أعقابها خرج السومريّون سبقتْ نوحاً بأكثر من ألفي سنة! وعلى هذا فآدم الذي هو أبو النّاس (بل والبشر أيضاً حسب مقولتهم) خرج قبله أناس في الخليج العربيّ وجنوب العراق والشام بعدّة آلاف سنة!! ووُجدت آثار للنطوفيّين بل ولقرى قائمة في أريحا و"شتال حيوك" وغيرها من تجمّعات للإنسان العاقل ترجع إلى أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، أي قبل آدم الأوّل (حسب زعمهم) بستّة آلاف عام، هذا فضلاً عن الوجود البشريّ غير الواعي الذي سبق آدم بمئات آلاف من السنين! فلا همّهم التناقض التاريخيّ ولا العلميّ، ولَمْ يدروا به، فذلك مبلغهم من العلم، إنّما العُهدة على مَن درى به وواصل الاجترار والعناد!

خلاصة النقاط السابقة:

هل لنا أن نقول أنّ اليهود القدامى (العرب)، أرادوا صنع تاريخ لهم، وهم كعشيرة عربيّة تتفاخر بالأصول الشريفة، أخذوا من الآباء الذين أكثرهم رسلٌ أو أنبياء ومعلّمون، ما يحرزون به المناقب والمآثر، فجمعوا ما سمعوه من هنا وهناك، وكونهم بدواً محصورين في البرّية والمضارب والمغاور، لم يحتكّوا لا بفارس ولا بالهند ولا

بالصّين بل ولا بالشام والعراق الحضاريّ مباشرة، ولا بشعوب وادي النيل التي سبقتهم، قاموا فقط بكتابة ما لفلفوه مما يُناسبهم من تـــاريخ الروّاد الذين نبتوا في مكّة وحواليها من نجدٍ والحجاز وعسير واليمن، ليكون غرضها الأساس وصْل شجرتهم بها، يلحــظ هــذا الأمــر أيّ مدقّق، في قصّة سام وتمييزه على إخوته، ثمّ فـــي مباركـــة إســـحاق ليعقوب دون أخيه البكر (عيسو) بعملية استغفال ومخادعة، ثُــمّ فـــي تصييرهم إسحاق هو الذبيح، واستبعاد ذكْر إسماعيل وتشويه صورته بأنّه وحشيّ أيضاً، وفي ذمّهم القبائــل التـــي جـــاورتهم، كنعـــانيّين، فلـــستيّين، حثّيـــين، مـــديانيّين، مـــوآبيّين، أدوميّـــين، عمـــوريّين، صيدونيّين .. ونفخ تفاصيل لا أوّل لها ولا آخر، أي أنّ التركيب كان مقصوداً لهدف تسويغ (**نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ**)(المائـــدة:١٨) و(الـــشعب المختار). فهو تركيب يهودي مغرض وإن كان كثير من لبناته تحتمل الصحّة كونها مأخوذة من النسابين العرب في منطقة مكّة وحواليها أو من المعلّمين والأنبياء، وإليك قارئنا الكريم نموذجاً، نكشف به بعـــض هذه الأغراض، لرسم ما يتعلّق بعرْقهم وفكـــرهم ونظـــرتهم للآخـــر وللمرأة وللحياة وللربّ!

* شمشون الجبّار بصمة على غايات التدوين

حكاية شمشون الجبّار، مثّلتها السينما العالمية والعربيّة أفلامـــاً ومسلسلات، وأُلّفت قصةً للأطفال، وهي حكاية طالما ردّدناها ونحـــن أطفال، وتفاخر قويّنا أنّه مثل شمشون، شمشون الذي كانت قوّته فـــي

خصلات شعره، وأحبّ "دليلة" وباح لها بسرّ قوّته، فخانته وقصّت شعره وهو نائم ففقد قوّته، وأعلمت قومها به، فهجموا عليه وقيّدوه بالسلاسل، ثمّ نبت شعره في خلسة الفجر، وبقوّة خارقة أسقط أساطين القصر المربوط إليها فتهدّم وخرّ عليه وعلى جميع أعدائه!

كان شمشون لدى قدامى اليهود الوجه الشعبي لأسطورة عنترة العربي، ولداراسينغ الهندي، ولهوركليس (هرقل)[1] الروماني، ولسوبرمان الأمريكي ثُمّ "رامبو" الذين يُحاربون الجيوش وحدهم! لذا لا نعجب أن تُسمّي الدولة الصهيونية اليوم سلاحها النووي لإبادة العرب "خيار شمشون"!

فهل حكاية "شمشون" تنفيس عن العجز والتنكّب باصطناع البطولات الفيلميّة والقصصيّة الخارقة؟ بناء مجد قائم على الكلام والحكايات والخرافة؟ إذ الحكاية الخرافة إنْ لمْ تنطلِ على جيل التأليف فقد تفعل على أجيال ما بعده، ليحسبوه تاريخاً بطولياً حقيقيا لأسلافهم! أم هو أسلوب استنهاض وإعلاء لقيم البطولة والتضحية ولو في أجواء الذلّ والمسكنة والتقاعس؟

---

[1] – هرَقِل/هركولس: مع حذف السين التي يُضيفها الرومان، فهي (هرگُل)كلمة عربية سريانيّة من: هاء التعريف + رگْل، أي رجل، فهي الرجل، البطل، وما زلنا إلى اليوم نقول عن الشهم والبطل أنّه (رجُل ورجّال) ولديه رجولة. لأنّ "رجَلَ" في جذرها العربي معناها القوّة، لذلك سمّيت "رِجْل" تلك التي يمشي بها الإنسان لأنّها أقوى ما لديه وتحمل كاملَ جسمه ولو ركضاً بل وأثقالاً أضعافه فوقه، وهذه الـ (رِجْل/رِگْلْ) هي التي تحوّرتْ في الغرب لقرب المخارج والاختصارات النطقية إلى لِگْ (Leg).

مهما كان الأمر فهذه خرافة شعبيّة اندسّت لنا من توراة الكهنة، وشربناها ضاحكين ومستأنسين.

١- بطولة تعويضيّة ملفّقة

ففي جزيرة العرب من جبال عسير، في صراع بني إسرائيل العشائري مع قرى الفلستيّين (الفلسطينيّين) والكنعانيّين وغيرهم، الذين كانوا أقوى منهم وأكثر مدنيّة وعدّة، ونتيجة لفساد عشائر بني إسرائيل وجبنهم وتنكّصهم عن تعاليم الأنبياء حتى قالوا لموسى **(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ)**(المائدة:٢٤)، ولمحبّتهم الحياة ولو الذليلة **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ)**(البقرة:٩٦)، **(يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)**(البقرة:٩٦)، جعلهم يرضون بحياة الذلّ، ويستمرئون العبودية والجبن، ويعتاضون عن الحرّية ودرب العزّة بتأليف بطولات زائفة، بطولات الكلام والأفلام، باصطناع حكاية (شمشون) وتضمينها التوراة لتُتْلى! شمشون (البطل الفرد) الذي **(حَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ)**[1]، فقلع باب الحصن وحده، وشقّ الأسد نصفين بيده المجرّدة، وقضى نحبه بهدم قلعة على ألوف الفلسطينيّين بمقولة ذاع صيتُها **(عليّ وعلى أعدائي)**، بطولة لشخصيّة خرافية اصطنعوا ميلادها ثُمّ قبروها بدون أنْ تُنجب عقِباً ولا ذرّية، الهدف منها؛ استشعار العزّة والتعويض عن الجبن ومظاهر الذلّة، وإناطة تحرير الشعب من ذلّته وعبوديّته برجل بطلٍ واحد فريد خارق، لا بقيامهم

---

[1] - **سفر القُضاة: ١٦.**

بأنفسهم لينفروا جميعاً، ذلك لأنّ الأمر يحتاج إلى بطولة خارقة لا عاديّة! فقعدوا على غرار ما صدق الله فيهم **(فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا)**(المائدة:٢٤)، فصنعوا "شمشون" الذي تحلّ عليه قوّة الربّ ليقاتل هو وربُّه الأعداء بالنيابة عنهم **(لأَنَّ الرَّبَّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ)**(يوشع ١٠: ٤٢)[1]، وهم وادعون آمنون (قاعدون)، لا يقومون لعزّتهم ولا ينفرون لحضارتهم ولا يُجاهدون للفضيلة ولا للحرّية والعدل والازدهار، بل قعدوا وقلّدوها وأناطوها "شمشونهم أو مسيحهم أو مهديّهم" الخاصّ الذي تحلّ عليه قوّة الربّ، فيقوم ينتقم لهم من أعدائهم الشخصيّين ومخالفيهم المذهبيّين، هكذا هي الطوائف والعقليّات التي تجعل من نفسها محور الاهتمام والفئة المختارة، والطائفة المحقّة، تُسخّر الله ربّ العالَمين، وأنبياءه، وأولياءه، وأبطالاً (ولو مصطنعين)، تُسخّرهم لها، لتبقى هي مرتاحة مخدومة قاعدة، ولو ظهر نبيّ أو مهدي وقال لهم قوموا معي لقالوا (اذهب أنت وربّك فقاتلا) ليظلوّا قاعدين!

ونجد الاستهانة بالقيَم الأخلاقيّة في حياكة القصّة لرسم مسلك دينٍ شيطاني باسم الله، بحيث لا يهمّ كم من ألوف الأبرياء سيقتل "شمشون" ولا كم سيحرق من مزارعهم، ولا كيف سيقضي لياليه في أحضان بنات الهوى، ومضّجعاً مع الزانيات **(ثُمَّ ذَهَبَ شَمْشُونُ إِلَى غَزَّةَ وَرَأَى هُنَاكَ امْرَأَةً زَانِيَةً فَدَخَلَ إِلَيْهَا)**(القضاة ١٦: ١) إلاّ أنّهم

---

[1] – وأيضاً **(وَلَمْ يَكُنْ مِثْلُ ذَلِكَ الْيَوْمِ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ سَمِعَ فِيهِ الرَّبُّ صَوْتَ إِنْسَانٍ. لأَنَّ الرَّبَّ حَارَبَ عَنْ إِسْرَائِيلَ)**(يوشع ١٠: ١٤).

وصفوه كذا مرّة قبلاً وبعداً بأنّه **(حَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ)**، فقط لأنّه يُحارب ويُؤذي أعداء "بني إسرائيل" من "الفلسطينيّين"! هذه فضيلته الوحيدة "إيذاء مخالفي قومه"، ويُذكّرنا هذا بالجندي الصهيوني يومنا أو الأمريكي، فهو بطل مغوار يحبّه الله إذا دافع عن أمريكا أو إسرائيل، ولا يهمّ كم يقتل ويفجّر ويحرق ويُعذِّب ويزني ويفجر ويلوط ويغتصب ويسكر ويُحشّش ويسرق ويدوس من الشعوب!

كما نجد في حبّ شمشون (الإسرائيلي) لـ "دليلة" الفلسطينيّة، التي تزوّجها وباح لها بسرّ قوّته وسلّمته لشعبها وفقأوا عينه وأوثقوه بالسلاسل، محاولة وعظيّة لترويض اليهود لرجالهم ألاّ تستهويهم نساء القبائل المجاورة لهم، وأنّ المرأة شرّ وغادرة منذ حوّاء التي أوّل من لوّث سمعتها كجانيةٍ على آدم هم اليهود، فكيف بامرأةٍ من قومٍ آخرين، فكأنّهم يُحاولون نسج "حاراتهم/الغيتو" منذ تلك الأيّام، ويعيشون القبليّة، والفئويّة المُغلقة، التي تتجاوز العلاقات الإنسانيّة وتُبغّضها على أساس عرقيّ وقوميّ. ولو استعرضنا لمحاتٍ من هذا التدوين لتلك القصّة لرأينا هول الاستخفاف بالعقل، في جعل هذا، تاريخاً، وسفْراً للقضاة، يُدرج مع كلام الربّ والأنبياء الأبرار والمصلحين في "توراة" واحدة!

الصورة رقم (١): شمشون في حضن دليلة تقصّ خصلات شعره

من الإصحاح ١٣-١٦ من سفر القضاة:

فَهَا إِنَّكِ تَحْبَلِينَ وَتَلِدِينَ ابْناً. وَلاَ يَعْلُ مُوسَى[1] رَأْسَهُ. لأَنَّ الصَّبِيَّ يَكُونُ نَذِيراً لِلَّهِ

مِنَ الْبَطْنِ. وَهُوَ يَبْدَأُ يُخَلِّصُ إِسْرَائِيلَ مِنْ يَدِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ.

وَلَمْ يَعْلَمْ أَبُوهُ وَأُمُّهُ أَنَّ ذَلِكَ مِنَ الرَّبِّ لأَنَّهُ كَانَ يَطْلُبُ عِلَّةً عَلَى الْفِلِسْطِينِيِّينَ. وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتِ كَانَ الْفِلِسْطِينِيُّونَ مُتَسَلِّطِينَ عَلَى إِسْرَائِيلَ.

فَنَزَلَ شَمْشُونُ وَأَبُوهُ وَأُمُّهُ إِلَى تِمْنَةَ وَأَتَوْا إِلَى كُرُومِ تِمْنَةَ. وَإِذَا بِشِبْلِ أَسَدٍ يُزَمْجِرُ لِلِقَائِهِ.

فَحَلَّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ. فَشَقَّهُ كَشَقِّ الْجَدْيِ وَلَيْسَ فِي يَدِهِ شَيْءٌ ...

---

[1] – موسى: هنا تعني شفرة حلاقة.

الصورة رقم (٢): رسم لشمشون يشقّ الأسد شقّاً

وتتواصل القصّة ...

فَقَالَ لَهُمْ شَمْشُونُ: «إِنِّي بَرِيءٌ الآنَ مِنَ الْفِلِسْطِينِيِّينَ إِذَا عَمِلْتُ بِهِمْ شَرّاً».

وَذَهَبَ شَمْشُونُ وَأَمْسَكَ ثَلاثَ مِئَةِ ابْنِ آوَى. وَأَخَذَ مَشَاعِلَ وَجَعَلَ ذَنَباً إِلَى ذَنَبٍ. وَوَضَعَ مَشْعَلاً بَيْنَ كُلِّ ذَنَبَيْنِ فِي الْوَسَطِ. ثُمَّ أَضْرَمَ الْمَشَاعِلَ نَاراً وَأَطْلَقَهَا بَيْنَ زُرُوعِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ. فَأَحْرَقَ الأَكْدَاسَ وَالزَّرْعَ وَكُرُومَ الزَّيْتُونِ.

وتُترجم بالإنجليزي[1]:

And Samson went and caught three hundred foxes, and took firebrands, and turned tail to tail, and put a firebrand in the midst between two tails.

الصورة رقم (٣): شمشون يُطلق الثعالب لتُشعل النار في حقول (الفلسطينيّين)

(يبدو أنّ تخريب أراضي الشعب العربيّ "الفلــسطيني" اليــوم وتجريف أشجارهم وحرق كرومهم ومزارعهم قد استلهُمتْ من عقليّة

---

[1] – مع أنّا نشكّ في صحّة الترجمة للعربية والإنجليزية، هل أنّه صنع ثلاثمائة شعلة وضعها بين أذناب عدد قليل من الحيوانات وأطلقها، أم هي فعلاً ٣٠٠ ثعلباً؟! باعتبار أنّ كلمة (شعل) تعنــي الأمرين، تعني شعلة، وتعني ثعلباً لإبدال (العبرانية!) وهي سريانية قديمة، الثاء شيناً، وإليك أيّها القارئ الكريم المفردات المهمّة في نصّ (القضاة ١٥: ٤):

باللغــة "العبريــة!": לכד. שלושה. מאיה. שׁעל. לפד. פנה. זנב. אל. זנב. לפד. תוך. בין. שנים. זנב.

وبنطقها عربيا: لكد (لقط). شلوشة (ثلاثة).ماية (مائة). شعل. لپد (لبادة/ربطة). فنه (ثنى). زنب (ذنب). إل. زنب. لبد. توك (طوق). بين. شنيم (اثنين). زنب.

التقط ثلاثة مائة (شعلة/ثعال: ثعالب)، صنع لبادة وثنى ذنبا إلى ذنب، وجعل لبادة طوق بين كل اثنين ذنب.

"شمشونيّة"، أمّا حكاية صيده لـــ ٣٠٠ ابن آوى (ثعالب) مع اســتحالة واقعيّة لصيد عشرة منهم، ثمّ تسطير هذه المئات من ابن آوى كالجند المصفوفة، وانتظارهم له طائعين كالدّمى يربط بين أذنــابهم ويــضع المشاعل وسط عُقَدها، فهذا حتّى أعتى أفلام الكارتون و"ديزني لانــد" تسطيحاً تعجز عن رسْمها وتجميع لقطاتها المضحكة في نفسها وعلى العقل!!)

... ووَجَدَ فَكَّ حِمَارٍ طَرِيّاً. فَأَخَذَهُ وَضَرَبَ بِهِ أَلْفَ رَجُلٍ. فَقَالَ شَمْشُونُ: «بِفَكِّ حِمَارٍ كُومَةً كُومَتَيْنِ. بِفَكِّ حِمَــارٍ قَتَلْــتُ أَلْــفَ رَجُلٍ».

الصورة رقم (٤): شمشون بفكّ حمار يقتل ألفاً من الفلسطينيّين!

(ولا ندري ما الفرق بين فكّ الحمار الطري والمجفّف! وكيف قتل به ألف رجل فلسطينيّ؟! هل فكّ الحمار من أسلحة الدمار الشامل أم ماذا؟ لو كانوا ألف دجاجة يتقافزون لكان الأمر مستحيلاً أن يقتلهم بسيف لا بفكّ حمار، ولسقط شمشون مغشيّاً عليه من التعب والإعياء قبل إكماله المائة دجاجة، لما قدر أن يقتل منهنّ إلاّ بضع عشرات من الدجاج، إلاّ إذا سُطّرت له الدجاجات منبطحات، فهذا أمرٌ آخر! كما سُطّرت الثلاثمائة ابن آوى قبلاً ليربط أذيالها! ومن جهة ثانية لا ندري ما حكاية "فكّ الحمار" دون غيره، فشمشون هنا يقتل الفلسطينيّين بفكّ حمار، وقابيل قبلاً يقتل أخاه هابيل بفكّ حمار! ألا يُوجَد شيءٌ غير هذا الفكّ؟ أم هي بصمةُ من عقليّة المدوِّن القاصّ؟! أم هناك مغزى خفيّ أنّ الذي لا ينفغر "فكُّه" دهشةً وتكذيباً لإمكانية قتل ألفِ رجلٍ محارب بفكّ "حمار"، فإنّه "هو"! مع الاعتذار للاثنيْن!!)

... فَقَالَتْ دَلِيلَةُ لِشَمْشُونَ: «أَخْبِرْنِي بِمَاذَا قُوَّتُكَ الْعَظِيمَةُ وَبِمَاذَا تُوثَقُ لإِذْلاَلِكَ؟»

وَأَنَامَتْهُ عَلَى رُكْبَتَيْهَا وَدَعَتْ رَجُلاً وَحَلَقَتْ سَبْعَ خُصَلِ رَأْسِهِ. وَابْتَدَأَتْ بِإِذْلاَلِهِ. وَفَارَقَتْهُ قُوَّتُهُ.

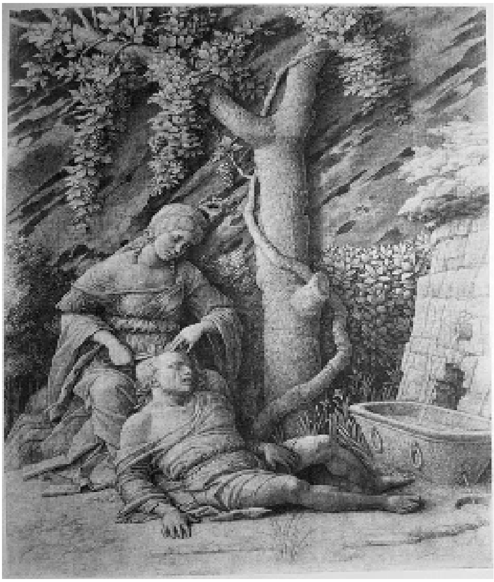

الصورة رقم (٥): دليلة تقصقص خصلات شعر شمشون لتسلبه قوّته!

وَقَالَتِ: «الْفِلِسْطِينِيُّونَ عَلَيْكَ يَا شَمْشُونُ». فَانْتَبَهَ مِنْ نَوْمِــهِ وَقَــالَ: «أَخْرُجُ حَسَبَ كُلِّ مَرَّةٍ وَأَنْتَفِضُ». وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ الرَّبَّ قَدْ فَارَقَهُ! فَأَخَذَهُ الْفِلِسْطِينِيُّونَ وَقَلَعُوا عَيْنَيْهِ. وَنَزَلُوا بِهِ إِلَى غَزَّةَ وَأَوْثَقُــوهُ بِــسَلاَسِلِ نُحَاسٍ.

وَأَوْقَفُوْهُ بَيْنَ الْأَعْمِدَةِ. فَقَالَ شَمْشُوْنُ لِلْغُلَامِ الْمَاسِكِ بِيَدِهِ دَعْنِيْ أَلْمِسِ الْأَعْمِدَةَ الَّتِيْ الْبَيْتُ قَائِمٌ عَلَيْهَا لِأَسْتَنِدَ عَلَيْهَا.

وَكَانَ الْبَيْتُ مُمْلُوْءًا رِجَالًا وَنِــسَاءً وَكَــانَ هُنَــاكَ جَمِيْــعُ أَقْطَــابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَعَلَى السَّطْحِ نَحْوَ ثَلَاثَةِ آلافِ رَجُلٍ وَامْــرَأَةٍ يَنْظُــرُوْنَ لَعْبَ شَمْشُوْنَ.

وَقَبَضَ شَمْشُوْنُ عَلَى الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِمَــاً عَلَيْهِمَا وَاسْتَنَدَ عَلَيْهِمَا الْوَاحِدِ بِيَمِيْنِهِ وَالْآخَرِ بِيَسَارِهِ.

وَقَالَ شَمْشُوْنُ لِتَمُتْ نَفْسِي مَعَ الْفِلِسْطِيْنِيّينَ. وَانْحَنَى بِقُــوّةٍ فَــسَقَطَ الْبَيْتُ عَلَى الْأَقْطَابِ وَعَلَى كُلِّ الشَّعْبِ الَّذي فِيْهِ فَكَانَ الْمَوْتَى الَّــذِيْنَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَياتِهِ.

Samson Destroys the Temple
"And Samson took hold of the two middle pillars upon which the house stood . . . And Samson said, Let me die with the Philistines. And he bowed himself with all his might; and the house fell upon the lords, and upon all the people who were in it." (Judges 16:29-30)

الصورة رقم (٦، ٧): وأسقط شمشون الأعمدة وقضى على نفسه مع جميع الفلسطينيّين

لنتجاوز صدمتنا بمحاولة الاستخفاف هندسيّاً بعقولنا بجملة **(الْعَمُودَيْنِ الْمُتَوَسِّطَيْنِ اللّذَيْنِ كَانَ الْبَيْتُ قَائِماً عَلَيْهِمَا)** بأنّه ثمّة بيتاً يقف كلّه على عمودين في الوسط متقاربين بعرض ٥ أقدام بينهما ليدفعهما شمشون! ومع ذلك يحوي هذا البيت داخله الآلاف وعلى سطحه الآلاف، أي فيه **(جَمِيْعُ أَقْطَابِ الْفِلِسْطِينِيِّينَ وَعَلَى السَّطْحِ**

نَحْوَ ثَلاثَةِ آلافِ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ)، سنتجاوز هذا السخف، ونتجاوز أنّ شمشون مع كونه أعمى مفقوء العينيْن عرف أنّ البيت الذي يحوي "آلاف الفلسطينيّين" يعتمد فقط على عمودين في وسطه!

ولنتأمّل العبارة الأخيرة **(فَكانَ الْمَوْتى الَّذيْنَ أَمَاتَهُمْ فِي مَوْتِهِ أَكْثَرَ مِنَ الَّذينَ أَمَاتَهُمْ فِي حَيَاتِهِ)**، ولو قرأنا القصّة كلّها لما رأينا جريمة للفلسطينيّين سوى عداوة مزعومة أُمضيتْ، وقد قرأنا قبلاً أنّ شمشون قد قتل ألف فلسطيني بفكّ حمار، وأنّه أحرق مزارع كرومهم، يعني أنّ شمشون بالنهاية قتل عدّة آلاف ودمّر وأحرق محاصيل وأباد حيوانات ومزارع الفلسطينيّين، طبعاً بلغة اليوم هذا يُسمّى إرهاباً وإبادة شاملة، لكنّ مع الأسف هذه هي العقليّة التي ترسمها بعضُ نصوص التوراة الملفّقة، فمثلاً نقرأ أفعالاً مُنكرةً أُخرى تُعطى القدسيّة والشرعيّة، لا على أنّها قتال شجعان، ومعارك مبرَّرة يسقط فيها المقاتلون أو تُذبح فيها الأبطال، فهذا حدَث في التاريخ كلّه ولم يشذّ عنه لا دولة ولا دين، بل قتل البهائم وحرق الممتلكات وذبح الأطفال والنساء، فاقرأ:

(وَأَخَذُوا الْمَدِينَةَ. وَذبحُوا كُلَّ مَا فِي الْمَدِينَةِ مِنْ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ. مِنْ طِفْلٍ وَشَيْخٍ. حَتَّى الْبَقَرَ وَالْغَنَمَ وَالْحَمِيرَ بِحَدِّ السَّيْفِ)(يوشع ٦: ٢١).

(وَكُلُّ غَنِيمَةِ تِلْكَ الْمُدُنِ وَالْبَهَائِمَ نَهَبَهَا بَنُو إِسْرَائِيلَ لأَنْفُسِهِمْ. وَأَمَّا الرِّجَالُ فَضَرَبُوهُمْ جَمِيعاً بِحَدِّ السَّيْفِ حَتَّى أَبَادُوهُمْ. لَمْ يُبْقُوا نَسَمَةً)(يوشع ١١: ١٤).

(وَرَجَعَ رِجَالُ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى بَنِي بَنْيَامِينَ وَضَرَبُوهُمْ بِحَدِّ السَّيْفِ مِنَ الْمَدِينَةِ بِأَسْرِهَا حَتَّى الْبَهَائِمَ حَتَّى كُلَّ مَا وُجِدَ وَأَيْضاً جَمِيعُ الْمُدُنِ الَّتِي

وُجِدَتْ أَحْرَقُوهَا بِالنَّارِ)(القضاة ٢٠: ٤٨).

(الَّتِي بِهَا أَعْطَى الْمَلِكُ الْيَهُودَ ... وَيُهْلِكُوا وَيَقْتُلُوا وَيُبِيدُوا قُوَّةَ كُلِّ شَعْبٍ وَكُورَةٍ تُضَادُّهُمْ حَتَّى الأَطْفَالَ وَالنِّسَاءَ)(أستير ٨: ١١).

وفيما أوحى الله لموسى كما زعموا:

(فَضَرْباً تَضْرِبُ سُكَّانَ تِلْكَ الْمَدِينَةِ بِحَدِّ السَّيْفِ وَتُحَرِّمُهَا بِكُلِّ مَا فِيهَا مَعَ بَهَائِمِهَا بِحَدِّ السَّيْفِ. تَجْمَعُ كُلَّ أَمْتِعَتِهَا إِلَى وَسَطِ سَاحَتِهَا وَتُحْرِقُ بِالنَّارِ الْمَدِينَةَ)(التثنية ١٣: ١٥-١٦).

بينما نجد النقيض في الإسلام؛ وصايا لقتال المعتدين والظالمين فقط، لكن لا حرق المزارع والأشجار وقتل البهائم وذبح الأطفال والنساء، لأنّ المبرّر الشرعي والأخلاقي للقتال هو صيانة الأبرياء (ومنه الحيوان) من الضرر الأكيد ورفع الجور والفساد، و(**الله لا يُحبّ الفساد**)، و(**لا يُحبّ الظالمين**)، و(**لا يُحبّ المعتدين**)، فرسوله (ص) يُوصي المقاتلين يومئذٍ: (**لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ولا شيخا فانيا، ولا طفلاً صغيراً، ولا امرأة**)، ونهى في أحاديث عدّة عن قتل البهائم وقطع الأشجار وتدمير البيئة وإلقاء السموم[1].

٢- تفسير خرافة شمشون ودليلة

فالآن، من أين أتوا باسم "شمشون" و"دليلة" (Samson Delilah)؟

---

[1] - محمد الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج١، ص٥٦٥.

إنّه اسم من ثقافة العرب، ومن أساطيرها العلميّة، حيث "شمش" هو قوّة الشمس، وما زالت لهجات عربيّة ذات أصول سريانيّة تُسمّي "شمس" "شمش/سمس" إلى يومنا، وفي أساطير بابل، "شــمش" رمــز لربّ العدالة وعين الرقيب التي لا يخفى عليها شيء، فهــي الــشمس التي تُشرق سواسية على الجميع ولا يخفــى شــيء عليهــا، ولهــذه الخاصّية سمّاها السومريّون "أوتو" تحويراً صوتيا مــن "حوطــو" أي المحيطة/ القرص، فعدا أنّها قرص محيط، فحرارتها وضوؤها يحيط بالجميع وتشرق على الأرض كلّها، وكذلك سمّاها قدامى عرب وادي النيل (أوتو/حوطو) وبلام التعريف (لأوت/لْوت)، ثمّ لمّا انحرف دين التوحيد قبل مبعث النبيّ الأعظم (ص)، استوردوا هــذا الاســم مــن الماضين أو من القبائل السريانية المجاورة، وجعلوا لهذه القوّة/الرمــز وثناً فصارت تُعبَد من دون الله وأدخلوا عليها ألف لام التعريف مــرّة أخرى (اللوت/اللات)[1] وهي التي أشار لها القــران (**أَفَــرَأَيْتُمُ اللَّــاتَ وَالْعُزَّى**)(النجم:١٩).

فــ(شمش) هو اسم هذه القوة، وتصغير (شمش) بإضافة الــواو والنون قديماً (شمشون)[2]، كقولنــا (حمــزون، صــيدون، زيــدون، صغيرون، شارون ..)، لإحالتها إلى الصورة البشريّة.

---

[1] – البعض يقول: (اللات) مؤنّث (الله) ويعني الربّة، وهذا صحيح لأنّ أصنامهم لربّات إنــاث بزعمهم، والكنعانيّون يُسمّون الربّة مؤنّث (إيل/الله) (إيلة) (إيلات) (انظر: يحيى عبابنة، **اللغــة الكنعانيّة**، ص٣٣٣، ٤٠٩)، ومنها سُمّي ميناء (إيلات) في فلسطين، وتُلفظ عربيا (اللات).

[2] – من الغريب أنّ قاموس سترونج الإنجليزي/العبري يُترجم (shimshôn) أنّها بمعنى ضوء

الصورة رقم (٨): الشمس بأشعّتها (شمشون بشعره)

وحين يُرسم وجه الشمس، إلى اليوم، يُرسَم محاطاً بشَعْر متطاير، فأشعّتها الحارقة هي شعْرُها، وقوّتها في هذه الخصائل، لذلك نرى في الحكاية شمشون يُحرق الأربطة والقيود بقوّة شعره! والشمس عند المغيب (أي لدى نومها) تفقد هذه الخصائل الملتهبة فتضعف قوّتها، وظاهراً للعين هي تنزل إلى الأرض (خلف الأفق) لتكون -بدلاً من سماويّتها السابقة- كأحد الناس، تماماً كما قاله (شمشون) **(فَإِنْ حُلِقْتُ تُفَارِقُنِي قُوَّتِي وَأَضْعُفُ وَأَصِيرُ كَأَحَدِ النَّاسِ)**، وحين ذهب (شمس) لينام تأتي (دليلة) لتقصّ شعر شمس (أيْ أشعّة قرص الشمس) فيفقد قوّته، فـ (دليلة) وكما تُترجم بالإنجليزية Delilah هي (ذي-ليلة)، (ذي) أداة التعريف العربيّة القديمة التي صارت بالفرنسية De وبالإنجليزية The والألمانية حافظت على "دا" (Das أو Der) أمّا بعض لهجاتنا فتنطقها (د).

الشمس أيضاً (sunlight). وتُنطق بالعبري שמשון. أي شمشون.(Rick Meyers,E-Sword, Ver 7.1.0,2000-2004).

فالأمر كلّه، والخلاصة، علمياً وتعليمياً، أنّ (الليلة) تُقصقص أشعّة الـ (شمس) حين تنام/تهبط، وتتبعث مرّةً ثانية لـ (الشمس) أشعتُها (شعْرها) خلسةً مع طلوع فجر اليوم الثاني، فتسترجع قوّتها وتقضي على الكائنات التي تظهر مع الليل (ذي ليلة)، أنصار الليلة والظلام، سواءً النجوم أو الخفافيش وما شابه.

حكمة رمزيّة وتعليميّة ربّما للأطفال لا أكثر ولا أقلّ، طُرّزت في قالب بشري ونُكِّهَتْ وزيدتْ، لتأليف بطولة عشائريّة خاصّة، لأهداف خاصّة، بعد أنْ أهيل عليها تقديسٌ توراتيّ من القصّاصين اليهود!

هذه بعض المآرب والغايات التي تتضح من خلال هذه المحكيّة، وثمّة تفصيل لهذه المآرب سيتّضح فيما سيأتي.

ثانياً- مآرب تلطيخ أنبياء الله بالأباطيل

إنّنا إذ نقرّ أنّ من بين اليهود يهوداً مؤمنين كما أخبر القرآن وكما هو الواقع، بل كما هو الحال في شعوب الأرض جميعاً، وأنّ ثمّة انحرافاً وبشاعة في كلّ فكر دينّي، تخرخ نسخة محرّفة منه وبشعة أشبه بالفيروس الذي يحتلّ خليّة سليمة ويُعيد برمجة شفرتها لتُصبح خليّة سرطانية، فالمؤمنون في اليهود باتوا قلّة مُستضعفة يُخشى عليها المسخ أو الزوال، لأنّ النصّ اليهودي المحرّف وبقوّة

السياسة والمال والغطرسة أُمضي على العالَم كلّه بمن فيهم المسلمين والمسيحيّين فكيف لا يمضي على يهود مستضعفين.

وإنّنا نقرّ أنّ مدوّنة التوراة، تراث يختزن كمّاً هائلاً من كــلام الربّ وأقوال الأنبياء المقدّسين وقصصهم، لكنّه مع ذلك تلــوّث بيــد المحرّفين المنحرفين، واندسّ السمُّ في العسل، فإنّنــا إذ نُــشير إلــى الملوَّث منه بإصبع الاتّهام، ليس بغرض تكذيبنا للــصحيح والرّاقــي الذي فيه وهو كثير فعلاً، بقدر بغيتنا تصفيته من هذا الخبث المُضاف الذي أزرى بكلام الله وبمقام أنبيائه ومقالهم حين دُوِّن بإزائها! وهــذا تماماً كما نُصفّي أحاديث رُويت عن نبيّنا (ص) لنُخرج الميّــت مــن الحيّ ونفرز الخبيث الهائل المكــذوب عــن الطيّــب، لا لنــزري أو نستخفّ بشريف كلام نبيّ الله (ص)!!

ماذا أضاف من تزويرٍ وكذبٍ قلمُ الكتبة[1]؟

إنّ الخدش في السيرة المطّهرة لنبيّنــا الأكــرم (ص) بافتعــال انحرافات أو إكثارات أو حكايات جنسية أو فاقــدة للحيــاء أخلاقيــاً ومليئة بالتلهّي، دُوّنت إبّان العصر الأمويّ وأُلصق كثيرها على لسان زوجته أم المؤمنين عائشة أو غيرها ظلماً وصيّرهنّ كمحظيّــات لــه يروين قصصهنّ الجنسيّة، وإن وُجدت في كتــب صــحاح الــسنّة أو الشيعة أو سلّم بها الجميع واستنبطوا منها أحكــام النكــاح والحــيض

---

[1] – جاء في التوراة على لسان إرميا هذه الحقيقة (**كَيْفَ تَقُولُونَ: نَحْنُ حُكَمَاءُ وَشَــرِيعَةُ الــرَّبِّ مَعَنَا؟ حَقّاً إِنَّهُ إِلَى الْكَذِبِ حَوَّلَهَا قَلَمُ الْكَتَبَةِ الْكَاذِبُ**)(إرميا ٨: ٨).

والاعتكاف وغيرها، فهي حسبما نعتقد مــن دسّ الــساسة الجــائرين المغرضين بالاستعانة بخبراء اليهود وتلفيقاتهم إبان عــصور تلفيــق الأحاديث وتدوينها، ابتداءً من جعل شــغله الــشاغل (ص) النــساء والجواري والزواج من طفلة ومباشرة عائشة وهي حــائض والتولّــه بها ومتابعة غيرات نسائه ومنافــساتهنّ عليــه وعــراكهنّ، مــروراً بقصص رُويتْ بأنّه (ص) يخاف من نساءه ويكذب عليهنّ وتــستغفلنه وتنطلي عليه خدعهنّ ويصدّق ألاعيبهنّ ولا يعــدل بيــنهنّ فيفــضّل واحدة على الباقي ويُعاشر خلسة إحداهنّ في ليلة واحدة أخرى وعلى فراشها فتكشفه ويتوسّل لها بالكتمان .. الخ، وصــولاً إلــى أبــشعها كمزاعم إطلالته (ص) على زينب بنت جحش حين كانت زوجةَ فتــاه زيد بن حارثة وإعجابه بها، وهي تغتسل في رواية، أو تطحــن فــي رواية أخرى[1]، فهي حبكة يهودية واضحة تُحاكي تماماً مــا نــسبوه لداود (ع) في قصّة أوريا بعد أن فرّق بين المرء وزوجه، ليقع فــي الكفْر بتعاليم ربّه والزنى بحليلة جاره والتخطيط لقتل زوجها لتخلــو له، كما يزعمون، ثمّ نسبوا الفحش والكفر نفسه لولــده ســليمان (ع) أيضاً الذي برّأه الله في قرآنه الكريم ممّا يتلونه ويفترونه عليه.

واندسّ هذا في روايات أخرى لا تزال تُلطّخ كتبنــا الإســلاميّة عن زعم زواج داوود (ع) من ٩٩ امرأة وتشوّفه لما لدى غيره أيضاً من نساء! وفي استسلام يوسف (ع) وجلوسه للفاحشة لولا أن وكــزه

[1] – راجع: ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٦، ص٢٠١. وأيضاً: الطوسي، **التبيان**، ج٨، ص٣٤٤. ومعظم التفاسير.

جبريل فأخرج الشهوة منه! الخ، التي تملأ كتب قصص الأنبياء وبعض تفاسيرنا! كلّها دسائس معتادة منهم للحطّ من مقام الأنبياء (ع) الأزكياء الفطرة ليكونوا وهم سواء، وتسود الفاحشة بين المؤمنين، ولتقوم الحجّة على الله بأن ليس ثمّة طاهر فلماذا يُستبدلون[1]؟! وليغدو النبي كالفاحش، والبيع مثل الربا، والنكاح كالسفاح، لذا لا نستعجب أن يكون الزنا والربا صناعة يهوديّة عالميّة.

وإننا حين نقرأ قوله سبحانه فيهم مع الأنبياء (**أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لا تَهْوَى أَنْفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقاً كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقاً تَقْتُلُونَ**) (البقرة:٨٧) أنّ القتل (كونه جاء بصيغة المضارع المستمر) فهو يتّسع على نحو الإيماء ليكون قتلاً معنويا، فانظر كيف يقول القرآن (**سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ**)(الصافات:٧٩). وكيف يدوّنون أنه سكر وتعرى ولعن من لا يستحق وميّز عنصريا ساماً بين أولاده الثلاثة المزعوم عدم وجود سواهم، هذا أبشع قتل معنوي يتعرّض له نبيّ جليل، فضلاً عن قتلهم المعنويّ للوط (ع)، ولإبراهيم (ع) الذي بزعمهم يكْذب ويجبن ويُعرّض سارة للإغراء ويحتمي بها!! ولداوود وسليمان ويعقوب وإسماعيل الذي جعلوه وحشياً ويدُه على كلّ أحد .. الخ.

ومن الغريب أنّ يد القصّاص مضتْ تجتهد لتُفتي في كلّ المسائل، وتعلَّل القضايا والأسماء بلا حرمة لنبيّ ولا ملاك، فألّفوا

[1] – هي تماما كمحاولة إبليس، أراد إثبات ظلم تفضيل آدم عليه، بأن ُعمل ليُزلّ آدم ويحرف جميع ذرّيته، ليثبت عملياً أنّ الاختيار الإلهي غير صائب، لهذا قال تعالى عن هذه المحاولات المرضيّة الدنيئة (**وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً**)(النساء:٨٩).

قصة صراع يعقوب مع الله (الملاك) وطعنه في فخذه، وتسميته على ضوء ذلك، إصْراع-إيل (إسرائيل)، أي الـذي جاهـد الله، فكـأنّهم يُؤسطرون (من الأسطورة) للاسم تخريجًا، كما فعلوا مع إبراهيم، مع أنّ إبراهيم ويعقوب لم يكونوا يهودًا وسبقوا مدوّني التوراة بأكثر مـن ألف سنة، ولهجتهم السريانية تختلف، لكـن هـذا الـصراع يـذكّرنا بالرواية اليهودية المدسوسة في مصادرنا بأنّ موسى (ع) لكَم بقبضته ملك الموت في عينه لما جاءه ليقبضه[1]!!

فإليك أمثلة من بعض الأقذار التي ينبغي إزالتها، والتـي أزرتْ بها كمدوّنة مقدّسة، وطعنت في مصداقيّتها كوثيقـة تارخيّـة علـى السواء[2]:

أ - سكر نوح بزعْمهم!

في سفر التكوين الإصحاح التاسع (٢٠-٢٧): **(وَابْتَدَأَ نُوحٌ يَكُـونُ فَلَّاحا وَغَرَسَ كَرْما، وَشَرِبَ مِنَ الْخَمْرِ فَسَكِرَ وَتَعَرَّى دَاخِلَ خِبَائِـهِ، فَأَبْصَرَ حَامٌ أَبُو كَنْعَانَ عَوْرَةَ أَبِيهِ وَأَخْبَرَ أَخَوَيْهِ خَارِجا. فَأَخَـذَ سَـامٌ وَيَافَثُ الرِّدَاءَ وَوَضَعَاهُ عَلَى أَكْتَافِهِمَا وَمَشَيَا إِلَـى الْـوَرَاءِ وَسَـتَرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا وَوَجْهَاهُمَا إلى الْوَرَاءِ. فَلَمْ يُبْصِرَا عَوْرَةَ أَبِيهِمَا. فَلَمَّـا**

[1] - انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج٦، ص٣١٥.

[2] - لقد تنبّه كثير من المفكّرين والباحثين الغربيّين والشرقيّين، حتى اليهود منهم، لهذا المستوى من السفاسف والانحدار الأخلاقيّ في محكيّات التوراة، والبعض فصّل في تحليلهـا، والـبعض استعرضها بشكل مختصر وشامل لبيان الخلل الحادّ في العقيدة الأخلاقيّة التوراتية، انظر: فراس السوّاح، **الأسطورة والمعنى**، ص٢٥٨ - ٢٨٠.

اسْتَيْقَظَ نُوحٌ مِنْ خَمْرِهِ عَلِمَ مَا فَعَلَ بِهِ ابْنُهُ الصَّغِيرُ، فَقَالَ: «مَلْعُونٌ كَنْعَانُ. عَبْدَ الْعَبِيدِ يَكُونُ لإِخْوَتِهِ». وَقَالَ: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلهُ سَامٍ. وَلْيَكُنْ كَنْعَانُ عَبْدًا لَهُ)، فنوح الشيخ (ع) الذي أُغرقت الظالمون بدعائه .. يسكر، ويتعرّى بلا ضابط، ثمّ يلعن نسَباً بريئاً، ويُشرّع لجواز ووجوب استعباده لهفوةٍ وقعت من الجدّ (نوح) قبل أن تكون من الابن (حام) ولا شأن بها للحفيد (كنعان) الذي لُعِن نسلُه وشُرِّع لاستعباده! ثمّ يُبارك الربّ إله "سام" فقط، وكأنّ رائحة تعدّد الآلهة يُراد وضعها هناك وتخصيص سام بالإله والدّين، وكأنّ يافث الآخر بلا ربّ ناهيك عن حام![1].

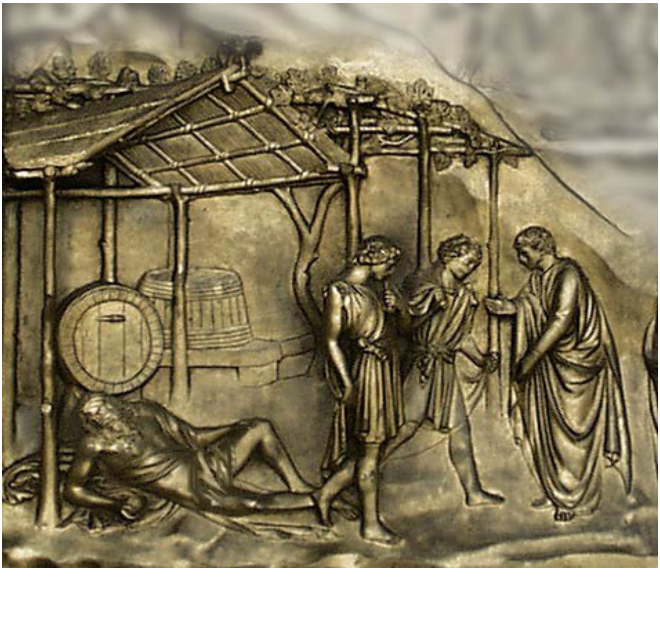

1 – للمزيد راجع بحث: **طوفان نوح- بين الحقيقة والأوهام**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية

الصورة رقم (٩، ١٠): هكذا مثّلوا نوحا (ع) سكرانا ومعرّى، وأحد أبنائه يستره! يُعَنْوَن مشهد اللّوحة "سكرة نوح" (Drunkennes of Noah)

ب- انتهازيّة إبراهيم!

في سفر التكوين الإصحاح الثاني عشر (١١-١٩): (وَحَدَثَ لَمَّا قَرُبَ أَنْ يَدْخُلَ مِصْرَ أَنَّهُ قَالَ لِسَارَايَ امْرَأَتِهِ: «إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكِ امْرَأَةٌ حَسَنَةُ الْمَنْظَرِ. فَيَكُونُ إِذَا رَآكِ الْمِصْرِيُّونَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: هذِهِ امْرَأَتُهُ. فَيَقْتُلُونَنِي وَيَسْتَبْقُونَكِ. قُولِي أَنَّكِ أُخْتِي لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ»... فَصَنَعَ إِلَى أَبْرَامَ خَيْرا بِسَبَبِهَا وَصَارَ لَهُ غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَحَمِيرٌ وَعَبِيدٌ وَإِمَاءٌ وَأُتُنٌ وَجِمَالٌ. فَضَرَبَ الرَّبُّ فِرْعَوْنَ وَبَيْتَهُ ضَرَبَاتٍ عَظِيمَةً بِسَبَبِ سَارَايَ امْرَأَةِ أَبْرَامَ. فَدَعَا فِرْعَوْنُ أَبْرَامَ وَقَالَ: «مَا هذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِي؟ لِمَاذَا لَمْ تُخْبِرْنِي أَنَّهَا امْرَأَتُكَ؟ لِمَاذَا قُلْتَ هِيَ أُخْتِي حَتَّى أَخَذْتُهَا لِي لِتَكُونَ زَوْجَتِي؟)! لاحظ هنا سارة عمرها فوق السابعة والستّين على الأقلّ حسب معادلاتهم!

وأيضاً الإصحاح العشرين، في جولةٍ أخـرى عند مـضارب أخرى وقد بلغت سارة التسعين سنة وصارت عجـوزاً كمـا قالـت التوراة نفسها: (**وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَنْ سَارَةَ امْرَأَتِهِ: «هِيَ أُخْتِي». فَأَرْسَلَ أَبِيمَالِكُ مَلِكُ جَرَارَ وَأَخَذَ سَارَةَ. فَجَاءَ اللهُ إِلى أَبِيمَالِكَ فِي حُلْمِ اللَّيْـلِ وَقَالَ لَهُ: «هَا أَنْتَ مَيِّتٌ مِنْ أَجْلِ الْمَرْأَةِ الَّتِي أَخَذْتَهَا فَإِنَّهَا مُتَزَوِّجَـةٌ بِبَعْلٍ».. ثُمَّ دَعَا ابِيمَالِكُ إِبْرَاهِيمَ وَقَالَ لَهُ: «مَاذَا فَعَلْتَ بِنَـا وَبِمَـاذَا أَخْطَأْتُ إِلَيْكَ حَتَّى جَلَبْتَ عَلَيَّ وَعَلَى مَمْلَكَتِي خَطِيَّةً عَظِيمَةً؟ أَعْمَالا لا تُعْمَلُ عَمِلْتَ بِي!» .. (فيردّ إبراهيم) وَحَدَثَ لَمَّا أَتَاهَنِي اللهُ مِنْ بَيْـتِ أَبِي أَنِّي قُلْتُ لَهَا: هَذَا مَعْرُوفُكِ الَّذِي تَصْنَعِينَ إِلَيَّ: فِي كُلِّ مَكَانٍ نَأْتِي إِلَيْهِ قُولِي عَنِّي هُوَ أَخِي»**).

سارة هذه ظلّ يستخدمها إبراهيم كلّما دخل قرية، حتّـى مـع كونها شاخت، إلاّ أنّ القصّة هي نفسها، وكأنّ الراوي الحاكي نـسي الأزمنة، ونسي أنّه قال قبل هذا الموقف في الإصـحاح ١٨ (**وَكَـانَ إِبْرَاهِيمُ وَسَارَةُ شَيْخَيْنِ مُتَقَدِّمَيْنِ فِي الأَيَّامِ وَقَدِ انْقَطَعَ أَنْ يَكُونَ لِسَارَةَ عَادَةٌ كَالنِّسَاءِ**)(التكوين ١٨: ١١)، ونسي قوله أنّها بلغت تسعين سنة.

العجيب أنّ هذا الأمر كرّروا نسبته إلى إسحاق أيضاً، فجعـل يقول للأقوام التي يحلّ بها أنّ امرأته "رِفْقة" هي أخته، حتّى انكـشفت خدعته وكذبه لمّا رأوه خلسةً يُداعبها! (**فَدَعَا أَبِيمَالِكُ إِسْحَاقَ وَقَـالَ: «إِنَّمَا هِيَ امْرَأَتُكَ! فَكَيْفَ قُلْتَ: هِيَ أُخْتِي؟» فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ: «لأَنِّـي قُلْتُ: لَعَلِّي أَمُوتُ بِسَبَبِهَا». فَقَالَ أَبِيمَالِكُ: «مَا هَذَا الَّذِي صَنَعْتَ بِنَـا؟**

لَوْلا قَلِيلٌ لاضْطَجَعَ أحَدُ الشَّعْبِ مَعَ امْرَأتِكَ فَجَلَبْتَ عَلَيْنَا ذَنْبا»)(التكوين ٢٦: ٩-١٠)**!!.**

فإبراهيم (أبرام) الخليل، الذي نراه في القرآن فتىً بطلاً غيوراً لا يهاب قومه المشركين، يُكسِّر أصنامهم، لا يأبه بتهديد رجم أبيه له، ولا يأبه بحرق نيرانهم، أمّةً في رجل، يُجادل ملوك تلك العشائر خلال جولاته في الجزيرة العربيّة (لا خارجها كما زُعِم) بلا خوفٍ ولا تعتعة وبكلّ جسارةٍ وإيمان، إبراهيم (ع) الذي يُضحّي بابنه ذبيحاً لله، ويترك امرأته وصغيره في البيداء توكّلاً على أمر الله، نراه هنا في التوراة يُضحّي بشرف زوجته لينجو ويثرى، نراه انتهازيّا ووصوليّا وبلا قيَمٍ من شرفٍ ولا صدْق ولا شجاعة، يتوسّل بجمال زوجته سارة للتقرّب إلى ملك كلّ قبيلة مرّ عليها، والحصول على الممتلكات والماشية، ولا يغار على زوجته أن دخل عليها فرعون أم غيرُه أم لم يدخُلوا! بل نرى أنّهم يستنكرون عليه فعله!

بل ندهش جدّاً حينما لا نرى القرآن يقصّ عن إبراهيم (ع) إلاّ مآثره وفتوّته ودعوته إلى ربّه أينما حلّ ومقارعته للأصنام ومظاهر استغفال العقل والشرك والظلم ويُقيم صروح التوحيد والعدل ويقول عنه وعن أبنائه (**وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إبْرَاهِيمَ وَإِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ أُوْلِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ، إنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ، وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ**)(ص:٤٥-٤٧)، ولا نرى في سرد حياته (ع) في التوراة على طولها في سفر التكوين (من الإصحاح ١١ إلى ٢٥ أي

١٥ إصحاحاً تفوق الأربعين صفحة) لا نرى هذا الشيء بالمرّة، وكأنّه ليس بنبيّ ولا برسول، ما نرى إلاّ رجلا رحّالاً يبحث عن قطعة أرض ويسوق أغنامه وأمواله ويتزلّف زعماء العشائر، مرّ بصراعات على غنم وعلى بئر وعلى أملاك، وكلّ التركيز الذي تكرّر اثنتي عشرة مرّة أنّ الله يُورّثه الأرض وسيعطيه نسلاً تكون الأرض له، يُمهّدون لأنفسهم فيما بعد كورثةً للأرض، بهذا الوعد والعهد!

أليس هذا التردّي في الشخصيّة عن الاستواء فضلاً عن الكمال، ما يُراد أن يُسوّغ له ويُبرّر في أفعال الكهنة والزعماء لاحقاً؟! الوصولية، وفقدان الغيرة والشجاعة وقيَم الشرف والصدق، والتوجّس من الشعوب الأخرى، واقتناء الممتلكات بالتملّق والمداهنة والحظوة لدى الزعماء، مردوفاً مع ذلك بحماية الربّ؟! والدليل "المسلك الإبراهيميّ" المفترى الآنف!! أليس هذا زبدة ما أُريد إسقاطه أو تبريره؟! والأخطر، أليست هذه أولى لبنات تسليع المرأة وتسويغ استغلال أنوثتها ومحاسنها في المهمّات والدعايات والاتّفاقات، بدلاً من عقلها أو إنسانيّتها ووعيها وقدراتها؟!

ج- منكر لوط وابنتيْه!

في سفر التكوين الإصحاح التاسع عشر (٣٠-٣٨): **(وَصَعِدَ لُوطٌ مِنْ صُوغَرَ وَسَكَنَ فِي الْجَبَلِ وَابْنَتَاهُ مَعَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَسْكُنَ فِي صُوغَرَ. فَسَكَنَ فِي الْمَغَارَةِ هُوَ وَابْنَتَاهُ. وَقَالَتِ الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ:**

«أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الأَرْضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الأَرْضِ[1]. هَلُمَّ نَسْقِي أَبَانَا خَمْرا وَنَضْطَجِعُ مَعَهُ فَنُحْيِي مِنْ أَبِينَا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ وَدَخَلَتِ الْبِكْرُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَ أَبِيهَا وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا. وَحَدَثَ فِي الْغَدِ أَنَّ الْبِكْرَ قَالَتْ لِلصَّغِيرَةِ: «إِنِّي قَدِ اضْطَجَعْتُ الْبَارِحَةَ مَعَ أَبِي. نَسْقِيهِ خَمْرا اللَّيْلَةَ أَيْضا فَادْخُلِي اضْطَجِعِي مَعَهُ فَنُحْيِيَ مِنْ أَبِينَا نَسْلا». فَسَقَتَا أَبَاهُمَا خَمْرا فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَيْضا وَقَامَتِ الصَّغِيرَةُ وَاضْطَجَعَتْ مَعَهُ وَلَمْ يَعْلَمْ بِاضْطِجَاعِهَا وَلا بِقِيَامِهَا فَحَبِلَتِ ابْنَتَا لُوطٍ مِنْ أَبِيهِمَا. فَوَلَدَتِ الْبِكْرُ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ «مُوابَ» - وَهُوَ أَبُو الْمُوابِيِّينَ إِلَى الْيَوْمِ. وَالصَّغِيرَةُ أَيْضا وَلَدَتِ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ «بِنْ عَمِّي» - وَهُوَ أَبُو بَنِي عَمُّونَ إِلَى الْيَوْمِ).

لا ندري ما التعليق المناسب المؤدّب الممكن وضعه هنا! فهذه القصّة مُضحكة حتّى لو جرت في مغارة كوكب آخر، لوط شيخ كبير تقيّ، امرأته عجوز هلكتْ، استنقذته الملائكة الأطهار من القرية الآثمة التي ستُضرب بالبركان والزلزال، فيُنجّوه مع ابنتيه ويلجأ إلى مغارة، وتكون ابنتاه العفيفتان اللتان قال عنهما لوط قبل أسطر **(هُوَذَا**

[1] - **(ليس في الأرض رجل)** و**(كلّ الأرض)**، تعبير محلّي، لا يعني كوكب الأرض، بل تلك الأرض التي هم فيها، هذه النقطة لم يفهمها مترجمو التوراة أو مفسّروها أو حرفوها عمدا ففسروا أن طوفان نوح كان على كلّ وجه الأرض في التكوين: ٧ **(وَأَمْحُو عَنْ وَجْهِ الأرض كُلَّ قَائِمٍ عَمِلْتُهُ)**، وقالوا أنها غطّت كلّ الجبال، مع أنّهم أوردوا أنّ ارتفاع المياه كان ١٥ ذراعاً أي ثلاثين قدماً تقريباً، أي عشرة أمتار **(خَمْسَ عَشْرَةَ ذِرَاعا فِي الارْتِفَاعِ تَعَاظَمَتِ الْمِيَاهُ فَتَغَطَّتِ الْجِبَالُ)**!!

لِي ابْنَتَانِ لَمْ تَعْرِفَا رَجُلا)(التكـوين ١٩: ٨)[1]، وأشاد بهما القرآن **(بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ)**(الذاريات:٣٦)، تكونان بهذا الشبق المرضيّ الشنيع، الـذي لا تعرفه حتّى فتيات الهوى المرتميات في أحضان مئـات الرجـال، لا فتاتان بكران لم تريا الرجال، يُخطّطان سويّة لإسكار أبيهمـا النبـيّ العجوز ومضاجعته من دون أن يشعر!! ويُعلّلان ذلك أنّهما تريـدان أن تُحييا نسلاً من أبيهما!! ما هذا الهراء الفاحش! لوط الواعي النبـيّ يُسكَّر كما سُكِّر نوح من قبل، بل ويُضاجع بلا وعـي ولا إحـساس، وكأنْ لا وجود لعقل ولا لملائكة ولا لربّ ينبّهه ويأخذ بيده؟ أذكاءٌ من (الربّ) الذي أنقذ لوطاً أن يستنقذ فتاتيْن رخيصتيْن بهذه النفسيّة؟ فمـا دناءة من أُهلِك عليهما وقد أتيا بفاحشة أشدّ وأنكر (اغتـصبا أباهمـا، نبيّهما، شيخهما، جنسياً)! فأساءا إلى نبيّ الله وإلى الله وإلى البـشريّة أشدّ من إساءة قوم لوط بأشواط؟! فإن كان قوم لوط قد بدأوا بـاللواط الجماعي، فهاتان بدأتا بالسفاح الجماعي مع الأب الغافل، وإلى اليـوم فالبشرية تُنكر الثاني بأشدّ من إنكار الأوّل. فمكرَّمٌ لوط (ع) ومُكرَّمةٌ ابنتاه.

---

[1] – ولقد جعلوا الفتاتيْن لم تعرفا الرجال تمهيداً لتسويغ زعم حملهما من أبيهما لوط، وإلاّ فـإذا كانت الأولى هي البكر (كبرى بناته) والثانية هي الأصغر، فبمن كان أصهاره متزوّجين حـين دوّنوا أنّ لوطاً حذّر أصهاره ليخرجوا معه **(فَخَرَجَ لُوطٌ وَكَلَّمَ أَصْهَارَهُ الآخِذِينَ بَنَاتِهِ)**(التكـوين ١٩: ١٤)؟! بل لماذا لم تكن كلّ واحدة حاملاً من أولئك الأصهار حين خرجت؟ هذا مع تكـذيبنا رواية النسب من أساس!

الصورة رقم (١١): لوط وابنتاه كما صوّروهم، وخلفهم امرأته التي هلكت **Lot Leaves Sodom and Gomorrah**

فمن نقل لهم قول الفتاتيْن حين خطّطتا للفاحشة؟ قطعاً ليس الفتاتان، وليس لوط، ومحال أنْ يأتي الوحي لإبراهيم بهذا القبيح، الذي لفّقوه للطعن في شرعيّة وطهارة قبائل منافسيهم، كما فعلوا بعيسى حيث اتّهموه أنّه ابنٌ غير شرعيّ.

انظر كيف يُؤسّسون لأصول الشعوب ولأولويّتهم عليهم، فبالأمس مع نوح أحفادُه الكنعانيّون يُلعنون! وغداً إسماعيل هو "ابن الجارية"، وهنا العمونيّون والموآبيّون وهم قبائل منافسة، يُؤسَّس لهم أنّهم أبناء زنى شاذّ بشع، وبالإمكان العثور لاحقاً في التوراة عن السبب الحقيقي لهذا التأصيل لأمثال هذه القصّة، حين نشهد صراعاً وحروباً بين بني إسرائيل العشيرة الرعويّة مع العمونيّين والموآبيّين الذين لهم أرض ومواشٍ وآبار وأملاك، ووقائعهم مع المديانيّين و(بلعام بن باعور)، ثمّ كيف كان النصر حليف العرق الإسرائيليّ أيّام

داوود ليكون (**أقوياء موآب تأخذهم الرجفة**)(الخروج ١٥: ١٥)، أي من شعب إسرائيل، و(**يبرز كوكبٌ من يعقوب ويقوم قضيبٌ من إسرائيل فيحطم طرفيّ موآب**)(العدد ٢٤: ١٧)، فهي كعادة قبائل عرب الجاهليّة حين تغير على بعضها، لا يدّخر شعراؤها في كيل الشتائم وقذف أمّهات ورجال القبيلة المنافسة كدعاية إعلاميّة نفسيّة تُحطّم الخصم أو تُهينه وتُهوّنه، لا لتُؤخَذ تاريخاً وحقيقة.

د- التواءات إسحاق ويعقوب والأسباط!

التوطئة لتمييز إسحاق، لأنّهم من نسله، يبدأ مع ولادة إسماعيل، حيث نجدهم يقولون، أنّ سارة اشمأزّت من وجوده يلعب أمامها (**فَقَالَتْ لإِبْرَاهِيمَ: «اطْرُدْ هَذِهِ الْجَارِيَةَ وَابْنَهَا لأَنَّ ابْنَ هَذِهِ الْجَارِيَةِ لا يَرِثُ مَعَ ابْنِي إِسْحَاقَ». فَقَبُحَ الْكَلامُ جِدّاً فِي عَيْنَيْ إِبْرَاهِيمَ لِسَبَبِ ابْنِهِ. فَقَالَ اللهُ لإِبْرَاهِيمَ: «لا يَقْبُحُ فِي عَيْنَيْكَ مِنْ أَجْلِ الْغُلامِ وَمِنْ أَجْلِ جَارِيَتِكَ. فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ**)(التكوين ٢١: ١٠-١٢)[1].

[1] - المفارقة الغريبة أنّ إسماعيل بلغ الثالثة عشرة مع أبيه وخُتن حسب سفر التكوين (١٧: ٢٥)، إلاّ أنّه حين طرده مع أمّه هاجر يقولون أنّ ذلك تمّ حين الاحتفال بكبر إسحاق وفطمه أي بعد ٣ سنوات على الأقلّ، أي أنّ عمر إسماعيل حينها فاق الستّة عشر ربيعاً، وإليك هذا، لتحسبه رياضيّاً: (**كَانَ أَبْرَامُ ابْنَ سِتٍّ وَثَمَانِينَ سَنَةً لَمَّا وَلَدَتْ هَاجَرُ إِسْمَاعِيلَ لأَبْرَامَ**)(التكوين ١٦: ١٦)، و(**وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ حِينَ وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ ابْنُهُ**) (التكوين ٢١: ٥)، فالفارق بين إسماعيل وإسحاق ١٠٠- ٨٦ = ١٤ سنة. فبعد أنْ (**فَكَبِرَ الْوَلَدُ وَفُطِمَ**)(التكوين ٢١: ٨) أي إسحاق، أمرت سارة بإبعاد إسماعيل، وعمره ١٤ + ٢ = ١٦ سنة على الأقلّ، فالمعضلة هي:

فالمراد تثبيت أنّ "**ابن الجارية** (إسماعيل) **لا يرث مع .. إسحاق**"، وهذه الغاية تتّضح مع وفاة إبراهيم (ع) **(وَأَعْطَى إِبْرَاهِيمُ إِسْحَاقَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ)**(التكوين ٢٥: ٥). والغريب أنّ الكهنة الذين طالما استخدموا لغةً تُهين المرأة وتجعلها قاصرة تماماً، قالوا في سفْر التكوين عن آدم أنّ الربّ عاقبه **(لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ)**(التكوين ٣: ١٧)، إلاّ أنّهم هنا ولصالح عين إسحاق جدِّهم، جعلوا الربّ يأمر إبراهيم بالعكس؛ أن يسمع لقول امرأته دائماً **(فِي كُلِّ مَا تَقُولُ لَكَ سَارَةُ اسْمَعْ لِقَوْلِهَا لأَنَّهُ بِإِسْحَاقَ يُدْعَى لَكَ نَسْلٌ)**!!

ثمّ يُتعامل مع إسحاق كأنّه البكر الذي يُنذَر لله ليُقبَل أو يُفدى[1]، فتعاملوا مع إسحاق على أنّه الذّبيح وليس إسماعيل الابن الأكبر كما بيّنه القرآن وأخفوه وبيّنه الحديث الشريف أيضاً، فجعلوا القصّة لإسحاق **(فَقَالَ: خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحَاقَ وَاذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ)**(التكوين ٢٢: ٢)، البعض يفترض أنّ الموريا هو المروة نفسه، لأنّ إبراهيم سكن مكّة فعلاً وسنّ مناسك الحجّ ومنها الفداء، لا أنّه سكن في فلسطين كما زُعِم! والتوراة تحكي هذه الجغرافيا المكّية بنصوصها بوضوح، عدا القرآن بصريح عباراته.

لماذا صوّروا إسماعيل وكأنّه غلام صغير، يبكي، وسيموت من العطش فتبتعد عنه هاجر وتقول **(لا انْظُرُ مَوْتَ الْوَلَدِ)**، كأنّه طفل لا يستطيع المشي، ويُناديها الربّ **(قُومِي احْمِلِي الْغُلامَ)**(التكوين ٢١: ١٨)! أيّ غلام هذا الذي تحمله أمّه وعمره فوق الستة عشر سنة؟!

[1] – **(قدّس لي كلَّ بكْر)**(الخروج ١٣: ٢) وأيضاً **(وكلّ بكر إنسان من أولادك تفديه)**(الخروج ١٣: ١٣).

عموماً مأربهم يفوح من قولهم (**ابنــك وحيــدك الــذي تُحبّــه إسحاق**) مع وجود إسماعيل الذي ينبغي محوه من الذاكرة، فإســحاق هو الابن، وهو الوحيد، وهو محبوب الأب، وهو الذي نــصّ عليــه الربّ وتقبّله وفداه!

الصورة رقم (١٢): هاجر وإسماعيل مهجوران في العراء

(Hagar and her little boy in the desert)

الصورة رقم (١٣): إبراهيم يفدي إسحاق (!) على جبل "المريا"

(Abraham-and-Isaac-on-mount-moriah)

ثمّ يتتالى هذا التمييز، حتّى ولادة يعقوب (الذي سُمّي إسرائيل)، فتبدأ الفبركة منذ الحمل، بين يعقوب وتوأمه "عيسو" البكر، إذْ يقول الربّ لزوجة إسحاق الحامل **(فَقَالَ لَهَا الرَّبُّ: «فِي بَطْنِكِ أُمَّتَانِ وَمِنْ أَحْشَائِكِ يَفْتَرِقُ شَعْبَانِ: شَعْبٌ يَقْوَى عَلَى شَعْبٍ وَكَبِيرٌ يُسْتَعْبَدُ لِصَغِيرٍ»)**(التكوين ٢٥: ٢٣)[1]! فها هم منذ الولادة شرّعوا استعباد، والاستقواء على، السلالة المنحدرة من "عيسو/عيشو" مع كونه البكْر والكبير، عيسو الذي سُمّي (أدوم) **(وأرسل إسرائيلُ** (يعقوب) **رسلاً إلى ملك أدوم قائلا دعني أعبر في أرضك. فلم يسمع ملك أدوم. فأرسل أيضا إلى ملك موآب فلم يرْضَ)**(القضاة ١١: ١٧)، ومن أغانيهم (مزاميرهم) **(مُوآبُ مِرْحَضَتِي. عَلَى أَدُومَ أَطْرَحُ نَعْلِي. يَا فَلَسْطِينُ اهْتِفِي عَلَيَّ)**(مزمور٦٠: ٨)**!!** (ومن المناسب التنبيه أنّ موآب، وأدوم، وفلسطين هنا، ليسوا سوى مضارب عشائر وقرى، لا غير، في منطقة السراة من شبه الجزيرة العربية).

والنصّ التالي يضع النقاط على الحروف ليسمّي أعداء إسرائيل

---

[1] – وبإمكان المرء بلا جهد يُذكر أن يُتابع أنّ المشاهد واللغة والأسماء هي عربيّة صرفة، وأنّ "إسحاق" حسب اللهجة السريانية، هي "إضحاك" حسب الفصحى، لكنّ القرآن احتفظ بالنطق السرياني للكلمة، وما زالت التوراة تُترجم (إسحاق) الذي يلفظونه (يسحاق) إلى الضحّاك أو الضاحك (laughter)، وهو اسم عربي مشهور. والسبب في نسبة تسميته إلى الضحك، هو ضحك سارة من كونها ستلد وهي عجوز، فورد في التوراة **(وَقَالَتْ سَارَةُ: «قَدْ صَنَعَ إِلَيَّ اللهُ ضِحْكا)**(التكوين ٢١: ٦)، وبيّنه تعالى في كتابه **(وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ)**(هود:٧١)، ويعقوب لأنّه أعقب إسحاق في البشارة، أو أعقب أخيه التوأم (عيشو) في الولادة، حسب التوراة.

من أبناء لوط، وأبناء إسماعيل، وأبناء عيسو في عمليّة تقطيع أواصر القربى والنزاع بين القبائل (**فَهُوَذَا أَعْدَاؤُكَ يَعِجُّونَ وَمُبْغِضُوكَ قَدْ رَفَعُوا الرَّأْسَ. عَلَى شَعْبِكَ مَكَرُوا مُؤَامَرَةً وَتَشَاوَرُوا عَلَى أَحْمِيَائِكَ. قَالُوا: [هَلُمَّ نُبِدْهُمْ مِنْ بَيْنِ الشُّعُوبِ وَلاَ يُذْكَرُ اسْمُ إِسْرَائِيلَ بَعْدُ]. لأَنَّهُمْ تَآمَرُوا بِالْقَلْبِ مَعاً. عَلَيْكَ تَعَاهَدُوا عَهْداً. خِيَامُ أَدُومَ وَالإِسْمَاعِيلِيِّينَ. مُوآبُ وَالْهَاجَرِيُّونَ. جِبَالُ وَعَمُّونُ وَعَمَالِيقُ. فَلَسْطِينُ مَعَ سُكَّانِ صُورٍ**)(مزمور ٨٣: ٢-٧).

وما أن بلغا مبلغ الرجال احتال الكهنةُ المدوِّنون ليجعلوا يعقوب (إسرائيل) هو الوارثَ لأبيه بدلاً من عيسو البكر، فجعلوا البكوريّة تُشترى وتُوهب! (**فَقَالَ يَعْقُوبُ: بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتَكَ**)(التكوين ٢٥: ٣١)، فقام عيسو بمنحها له (**فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ**)(التكوين ٢٥: ٣٣)! ومع صفقة البيْع هذه إلاّ أنّهم ناقضوا أنفسهم، فتصرّفوا وكأنْ لا بكوريّة بيعتْ! فكان لا بدّ للاحتيال على إسحاق النبيّ (ع) ليمنح بركة البكوريّة يعقوب بدلاً من عيسو، فألّفوا حكاية طريفة فيها يُخدَع إسحاق ويُستغفَل، ويتحايل يعقوبُ ويكذب ويغشّ! وكأنّهم ليسوا أنبياء صلحاء أمناء يعرفون الله وينظرون بعينه! فيتنكّر يعقوب بلباس أخيه عيسو ويدخل على أبيه إسحاق وقد شاخ وضعف بصره ليُخادعه (**فَدَخَلَ إِلَى أَبِيهِ وَقَالَ: «يَا أَبِي». فَقَالَ: «هَأنَذَا. مَنْ أَنْتَ يَا ابْنِي؟»، فَقَالَ يَعْقُوبُ لأَبِيهِ: «أَنَا عِيسُو بِكْرُكَ. قَدْ فَعَلْتُ كَمَا كَلَّمْتَنِي. قُمِ اجْلِسْ وَكُلْ مِنْ صَيْدِي لِتُبَارِكَنِي نَفْسُكَ». .. فَقَالَ إِسْحَاقُ لِيَعْقُوبَ: «تَقَدَّمْ لأَجُسَّكَ يَا ابْنِي. أَأَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو أَمْ لاَ؟»، فَتَقَدَّمَ يَعْقُوبُ إِلَى**

إسْحَاقَ أَبِيهِ فَجَسَّهُ وَقَالَ: «الصَّوْتُ صَوْتُ يَعْقُوبَ وَلَكِنَّ الْيَدَيْنِ يَدَا عِيسُو». وَلَمْ يَعْرِفْهُ لأَنَّ يَدَيْهِ كَانَتَا مُشْعِرَتَيْنِ كَيَدَيْ عِيسُو أَخِيهِ. فَبَارَكَهُ. وَقَالَ: «هَلْ أَنْتَ هُوَ ابْنِي عِيسُو؟» فَقَالَ: «أَنَا هُوَ». فَقَالَ: «قَدِّمْ لِي لآكُلَ مِنْ صَيْدِ ابْنِي حَتَّى تُبَارِكَكَ نَفْسِي». فَقَدَّمَ لَهُ فَأَكَلَ وَأَحْضَرَ لَهُ خَمْرًا فَشَرِبَ. فَقَالَ لَهُ إِسْحَاقُ أَبُوهُ: «تَقَدَّمْ وَقَبِّلْنِي يَا ابْنِي». فَتَقَدَّمَ وَقَبَّلَهُ. فَشَمَّ رَائِحَةَ ثِيَابِهِ وَبَارَكَهُ. وَقَالَ: «انْظُرْ! رَائِحَةُ ابْنِي كَرَائِحَةِ حَقْلٍ قَدْ بَارَكَهُ الرَّبُّ. فَلْيُعْطِكَ اللهُ مِنْ نَدَى السَّمَاءِ وَمِنْ دَسَمِ الأَرْضِ وَكَثْرَةَ حِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. لِيُسْتَعْبَدْ لَكَ شُعُوبٌ وَتَسْجُدْ لَكَ قَبَائِلُ. كُنْ سَيِّدًا لإِخْوَتِكَ وَلْيَسْجُدْ لَكَ بَنُو أُمِّكَ. لِيَكُنْ لاعِنُوكَ مَلْعُونِينَ وَمُبَارِكُوكَ مُبَارَكِينَ») ثمّ جاء المغدور به عيسو، وعلم أنّ رئاسته وأفضليّته (بكوريّته) كوريث شرعيّ قد سُرِقَتْ.

(فَعِنْدَمَا سَمِعَ عِيسُو كَلاَمَ أَبِيهِ صَرَخَ صَرْخَةً عَظِيمَةً وَمُرَّةً جِدًّا وَقَالَ لأَبِيهِ: «بَارِكْنِي أَنَا أَيْضًا يَا أَبِي!»، فَقَالَ: «قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ». فَقَالَ: «أَلا إِنَّ اسْمَهُ دُعِيَ يَعْقُوبَ فَقَدْ تَعَقَّبَنِي الآنَ مَرَّتَيْنِ! أَخَذَ بَكُورِيَّتِي وَهُوَذَا الآنَ قَدْ أَخَذَ بَرَكَتِي». ثُمَّ قَالَ: «أَمَا أَبْقَيْتَ لِي بَرَكَةً؟»، فَقَالَ إِسْحَاقُ لِعِيسُو: «إِنِّي قَدْ جَعَلْتُهُ سَيِّدًا لَكَ وَدَفَعْتُ إِلَيْهِ جَمِيعَ إِخْوَتِهِ عَبِيدًا وَعَضَدْتُهُ بِحِنْطَةٍ وَخَمْرٍ. فَمَاذَا أَصْنَعُ إِلَيْكَ يَا ابْنِي؟»)(التكوين ٢٧)! فحقد "عيسو" على يعقوب وقرّر قتله فهرّبته أمّه لينجو!

الصورة رقم (١٤): تصوّرهم لخداع يعقوب أبيه إسحاق لسرقة بكوريّة عيسو وبركته

(Jacob Deceives Isaac)

هكذا .. الأنبياء يشربون الخمر، ويُستغفلون، ويرثون الرئاسة الدينية والدنيوية بالغشّ والكذب والظلم والانتهاب، ثمّ لا سبيل للرجوع عن الخطأ وتداركه! حكايةٌ طريفة جدّاً ومُضحكة حقّاً وبغيضة، لو كانت لأناس متخلّفين أغبياء لا إلهيّين وأنبياء!

ويتواصل مسلسل فساد الفطرة فيهم حتّى ينسبوا للأسباط أبناء يعقوب الزنا، فرأوبين (Robin) يضاجع سريّة أبيه: **(ثم رحل إسرائيلُ- أيْ يعقوب- ونصب خيمته وراء مجدل عدر، وحدث إذ كان إسرائيلُ ساكناً في تلك الأرض أنّ رأوبين ذهب واضطجع مع بلهة سريّة أبيه)**(التكوين ٣٥: ٢١-٢٢).

أمّا بنت يعقوب **(فَرَآهَا شَكِيمُ ابْنُ حَمُورَ الْحِوِّيِّ رَئِيسِ الأَرْضِ وَأَخَذَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا وَأَذَلَّهَا ... وَغَضِبَ الرِّجَالُ وَاغْتَاظُوا جِدًّا**

لأنَّهُ صنَعَ قَبَاحَةً فِي إِسْرَائِيلَ بِمُضَاجَعَةِ ابْنَةِ يَعْقُوبَ)(التكوين ٣٤)، ثمّ يهوذا بن يعقوب زنى بامرأة من دون أن يعرفها أنّها زوجة ابنه! ثمّ **(أُخْبِرَ يَهُوذَا وَقِيلَ لَهُ: «قَدْ زَنَتْ ثَامَارُ كَنَّتُكَ. وَهَا هِيَ حُبْلَى أيْضا مِنَ الزِّنَا». فَقَالَ يَهُوذَا: «أَخْرِجُوهَا فَتُحْرَقَ»)**(التكوين ٣٤)، فأخبرتهم أنّ الذي زنى بها إنّما هو يهوذا نفسُه! ثمّ ولدتْ له من هذا الحبْل الآثم ولديْن "فارص/بيريز Peretz" و"زارح"، وبيريز أو فارص (فارض بالفصحى) ذاك، هو الذي ذكره إنجيل متّى في سلسلة نسب عيسى (ع) ومن قبله نسب داوود (ع) **(كِتَابُ مِيلاَدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِ دَاوُدَ ابْنِ إِبْرَاهِيمَ. إِبْرَاهِيمُ وَلَدَ إِسْحَاقَ. وَإِسْحَاقُ وَلَدَ يَعْقُوبَ. وَيَعْقُوبُ وَلَدَ يَهُوذَا وَإِخْوَتَهُ. وَيَهُوذَا وَلَدَ فَارِصَ وَزَارَحَ مِنْ ثَامَارَ. وَفَارِصُ وَلَدَ حَصْرُونَ .. وَدَاوُدُ الْمَلِكُ وَلَدَ سُلَيْمَانَ مِنَ الَّتِي لأُورِيَّا)**(متّى ١: ١-١٦) أي أنّ الزبدة أنّ المسيح الطاهِر (ع) حصل في آبائه ثلاثة زناة حسب "الكتاب المقدّس"! (يهوذا مع ثامار، ثمّ داوود مع امرأة أوريا، ثمّ مريم (ع)) على قول اليهود!! ذلك لنعلم لماذا قال القرآن عن داوود وعيسى **(لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ)**(المائدة:٧٨).

هـ- جرائم داود وأبنائه!

أمّا داوود، وكيف أُخِذ بجمال زوجة قائد فرسانه حين رآها عاريةً تستحمّ، فزنى بها، فحبلت سفاحاً، ولمّا رجع (أوريّا) زوجُها من المعسكر احتال عليه داوود ليذهب ويضجع مع زوجته ليستر

فضيحة حبلها حتّى يُنسب الولد لأوريا زوجها، إلاّ أنّ أورياّ المُـرابط لم ينم تلك الليلة إلاّ مع الجنود، ثمّ خطّط داود للتخلّص منــه ليـضمّ امرأته الجميلة، فبعث بأوريّا إلى المعسكر وأوعز إلى قائده **(كَتَبَ فِي الْمَكْتُوبِ يَقُولُ: «اجْعَلُوا أُورِيَّا فِي وَجْهِ الْحَرْبِ الـشَّدِيدَةِ، وَارْجِعُـوا مِنْ وَرَائِهِ فَيُضْرَبَ وَيَمُوتَ»)**(صامويل الثاني ١١: ١٥). فغدر داوود بأوريا لأجل امرأته، وهذه القصّة قد دُسّتْ في كثير من تفاسيرنا ومرويّاتنـا ورووها حتّى عن أهل بيت النبيّ (ص) افتراءً، ولاقت قبـولاً دهـراً ما.

الصورة رقم (١٥): رسوماتهم لتشوّف (تشهّي) داود لامرأة أوريا "بت شيبة"

(David Covets Bathsheba)[1]

فكيف يُعاقب الله داوود يا تُرى؟! يُرسل له نبيّاً (يُدعى ناثـان) يُذكّره بخطئه[1]، قائلاً له: **(لِمَاذَا احْتَقَرْتَ كَلاَمَ الرَّبِّ لِتَعْمَلَ الشَّرَّ فِـي**

---

[1] – نلاحظ أنّهم استخدموا الفعل "يشتهي" (Covet) وهو (شوفة/چوفِـتْ) أي تـشوّف: تطلّـع وتشهّي.

عَيْنَيْهِ؟ قَدْ قَتَلْتَ أُورِيَّا الْحِثِّيَّ بِالسَّيْفِ. وَأَخَذْتَ امْرَأَتَهُ لَكَ امْرَأَةً. وَإِيَّاهُ قَتَلْتَ بِسَيْفِ بَنِي عَمُّونَ)[2]. ثمّ **(هَكَذَا قَالَ الرَّبُّ: هَئَنَذَا أُقِيمُ عَلَيْكَ الشَّرَّ مِنْ بَيْتِكَ، وَآخُذُ نِسَاءَكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ وَأُعْطِيهِنَّ لِقَرِيبِكَ، فَيَضْطَجِعُ مَعَ نِسَائِكَ فِي عَيْنِ هَذِهِ الشَّمْسِ)**(صاموئيل الثاني ١٢: ٩-١١)، إذن داود يُعاقب بأنْ يُزنى بنسائه جهاراً -عقوبةً من الربّ!- كما زنى هو خفيةً بامرأة جاره!! فسبحان الله عن هذه الافتراءات التي تعاظمت عن الردّ والعدّ.

ويتواصل مسلسل الزنا بين أبناء داود! الذي قال تعالى لهم **(اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْراً)**(سبأ:١٣)، فيُخطِّط ابنه البكر (أمنون ابن داود) للزنى بأخت أخيه غير الخالص (ثامار أخت أبسالوم ابن داود)! ويشير عليه "حكيم الملِك!" كيف يُخطّط ويحتال بالمرض ليختلي بها

---

[1] – هذا الخطأ المزعوم هو الذي فُسّرت به بعدئذٍ آيات القرآن في احتكام الخصمين أمام داود عن الأخ صاحب الـ ٩٩ نعجة الذي يريد ضمّ نعجة صاحبه إلى نعاجه، كما وردت في سورة ص! فقد ورد في التفاسير، ومنها: الطبرسي، **تفسير مجمع البيان**، ج٣، ص١٠٨: **(وكان لداود تسع وتسعون امرأة، ولسليمان مائة امرأة. وقال بعضهم: كان لسليمان ألف امرأة: سبعمائة سرية، وثلاثمائة امرأة)**!!!!!!! (لا يسعنا أن نضع ألف علامة تعجّب)، وهذا يُبيّن لنا سطوة الإسرائيليّات من جهة، وكيف يُجافي التفسيرُ بديهيّات العقل والمنطق والفطرة، وتناسوا أنّ الله تعالى في القرآن عقّب بمكافئة نبيّه داود بعد حادثة الفتنة هذه بأن جعله خليفة يحكم في الأرض العربيّة تلك، حيث تواجدَ بنوإسرائيل، **(يا داوود إنّا جعلناك خليفة في الأرض)** (سورة ص٢٦)، فكيف يُحكّم الله الزاني الجاني ليكون الحاكم القاضي؟ يا له افتراءً على الله سبحانه قبل أنبيائه.

[2] – قارن بين النصّ هذا وما أورده الطبري من تفسير، أنّ الربّ قال لداود موبّخاً (لك تسع وتسعون نعجة امرأة، ولم يكن لأوريا إلا امرأة واحدة، فلم تزل به تعرضه للقتل حتى قتلته، وتزوجت امرأته) ابن جرير الطبري، **جامع البيان**، ج٣٢، ص١٧٦.

وليغتصبها! فتنطلي مسرحيّة التمارض على داود! فيُرسل ابنة زوجته للسهر على ابنه **(فَأَرْسَلَ دَاوُدُ إِلَى ثَامَارَ إِلَى الْبَيْتِ قَائِلاً: «اذْهَبِي إِلَى بَيْتِ أَمْنُونَ أَخِيكِ وَاعْمَلِي لَهُ طَعَاماً»)**(صامويل الثاني ١٣: ٧). **(وَقَدَّمَتْ لَهُ لِيَأْكُلَ، فَأَمْسَكَهَا وَقَالَ لَهَا: «تَعَالَي اضْطَجِعِي مَعِي يَا أُخْتِي». فَقَالَتْ لَهُ: «لاَ يَا أَخِي، لاَ تُذِلَّنِي لأَنَّهُ لاَ يُفْعَلُ هكَذَا فِي إِسْرَائِيلَ. لاَ تَعْمَلْ هذِهِ الْقَبَاحَةَ. أَمَّا أَنَا فَأَيْنَ أَذْهَبُ بِعَارِي، وَأَمَّا أَنْتَ فَتَكُونُ كَوَاحِدٍ مِنَ السُّفَهَاءِ فِي إِسْرَائِيلَ! .. فَلَمْ يَشَأْ أَنْ يَسْمَعَ لِصَوْتِهَا، بَلْ تَمَكَّنَ مِنْهَا وَقَهَرَهَا وَاضْطَجَعَ مَعَهَا.)**(صامويل الثاني ١٣: ١٢-١٤)!!! ثمّ يقتل الأخ أخاه! ثمّ يقوم أبسالوم ابن داود بمعاشرة سراري أبيه! ويقود حملة انقلاب على أبيه لقتله ...!

أمّا سليمان بن داود (ع) الذي قال تعالى عنه **(وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ)**(ص:٣٠)، فلم يذروا له كفراً ولا انحرافاً ولا زنى ومجوناً وشرّاً إلاّ وسموه به: **(وَأَحَبَّ الْمَلِكُ سُلَيْمَانُ نِسَاءً غَرِيبَةً كَثِيرَةً مَعَ بِنْتِ فِرْعَوْنَ: مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ، مِنَ الأُمَمِ الَّذِينَ قَالَ عَنْهُمُ الرَّبُّ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ: [لاَ تَدْخُلُونَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ إِلَيْكُمْ، لأَنَّهُمْ يُمِيلُونَ قُلُوبَكُمْ وَرَاءَ آلِهَتِهِمْ]. فَالْتَصَقَ سُلَيْمَانُ بِهؤُلاَءِ بِالْمَحَبَّةِ. وَكَانَتْ لَهُ سَبْعُ مِئَةٍ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَاتِ، وَثَلاَثُ مِئَةٍ مِنَ السَّرَارِيِّ. فَأَمَالَتْ نِسَاؤُهُ قَلْبَهُ. وَكَانَ فِي زَمَانِ شَيْخُوخَةِ سُلَيْمَانَ أَنَّ نِسَاءَهُ أَمَلْنَ قَلْبَهُ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى، وَلَمْ يَكُنْ قَلْبُهُ كَامِلاً مَعَ الرَّبِّ إِلهِهِ كَقَلْبِ دَاوُدَ أَبِيهِ. فَذَهَبَ سُلَيْمَانُ وَرَاءَ عَشْتُورَثَ إِلهَةِ الصَّيْدُونِيِّينَ وَمَلْكُومَ رِجْسِ الْعَمُّونِيِّينَ.**

وَعَمِلَ سُلَيْمَانُ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، وَلَمْ يَتْبَعِ الرَّبَّ تَمَاماً كَدَاوُدَ أَبِيهِ. حِينَئِذٍ بَنَى سُلَيْمَانُ مُرْتَفَعَةً لِكَمُوشَ رِجْسِ الْمُوآبِيِّينَ عَلَى الْجَبَلِ الَّذِي تُجَاهَ أُورُشَلِيمَ، وَلِمُولَكَ رِجْسِ بَنِي عَمُّونَ. وَهكَذَا فَعَلَ لِجَمِيعِ نِسَائِهِ الْغَرِيبَاتِ اللَّوَاتِي كُنَّ يُوقِدْنَ وَيَذْبَحْنَ لآلِهَتِهِنَّ. فَغَضِبَ الرَّبُّ عَلَى سُلَيْمَانَ لأَنَّ قَلْبَهُ مَالَ عَنِ الرَّبِّ إِلَهِ إِسْرَائِيلَ الَّذِي تَرَاءَى لَهُ مَرَّتَيْنِ، وَأَوْصَاهُ فِي هَذَا الأَمْرِ أَنْ لاَ يَتَّبِعَ آلِهَةً أُخْرَى. فَلَمْ يَحْفَظْ مَا أَوْصَى بِهِ الرَّبُّ.)(الملوك الأول ١١: ١-١٠)**!!**

والغرض يتجلّى في قولهم (**مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ وَأَدُومِيَّاتٍ وَصَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ**) فهؤلاء هم المذمومون، وقد مررنا بهم سابقاً، ومهّدوا لذمّهم واستبشاعهم بتلفيق القصص:

(**مُوآبِيَّاتٍ وَعَمُّونِيَّاتٍ**)، أبناء زنا محارم بين نبيّ الله لوط (ع) مع ابنتيه، كما زعموا ّ!

(**أَدُومِيَّاتٍ**) أبناء أدوم وهو عيسو الذي حقد على يعقوب (إسرائيل) لسرقته البكوريّة والبركة منه، وعليه أنْ يُستعبَد!

(**صَيْدُونِيَّاتٍ وَحِثِّيَّاتٍ**) أبناء كنعان[١] الذي لُعِن (ظلماً) لأنّ أباه حاماً قد رأى عورة جدِّه نوح (ع) السكران بزعمهم!!

ونسبوا أيضاً لسليمان "نشيد الإنشاد" (Song of songs)[٢] وهو سِفر خلى من أيّ حقيقة دينيّة أو تعليمة اجتماعيّة أو أخلاقيّة أو

---

[1] – (**وَكَنْعَانُ وَلَدَ: صَيْدُونَ بِكْرَهُ وَحِثَّ**)(التكوين ١٠: ١٥).

[2] – (Song) كلمة عربية هي (صنج) وهي آلة موسيقية قديمة كانت تُستخدم مع الأناشيد الدينية.

تاريخيّة، ويخلو من ذكر الربّ بالمرّة، هو كأيّ شعر عربي غزلي صريح أو ماجن ممزوج ببعض الحكمة وقصص الحبّ والغزل بين فتيان وفتيات الحيّ، به ألفاظ فاضحة نجد مثيلها في نشيد الإنشاد السومريّ، وأناشيد عشتار وعقائد الخصب والإباحة والتغنّي بالطبيعة لتشويق الزواج والممارسات الجنسيّة حينها[1].

وواصلوا في تدوينهم عدم استبشاع الزنا واعتياديّته في الأنبياء، حتّى أنّ الله يأمر أحد أنبيائه به، فيما نسبوا لوحي الله لهوشع **(أَوَّلَ مَا كَلَّمَ الرَّبُّ هُوشَعَ قَالَ الرَّبُّ لِهُوشَعَ: «اذْهَبْ خُذْ لِنَفْسِكَ امْرَأَةَ زِنًى وَأَوْلاَدَ زِنًى لأَنَّ الأَرْضَ قَدْ زَنَتْ زِنًى تَارِكَةً الرَّبَّ!»)**(هوشع ١: ٢).

*** انحراف اليهود وانعكاسه في تدوين الأسفار**

إذا كان هؤلاء الأنبياء العظام المعلّمون، وصوليّين هكذا وبلا غيرة وزناة وقتَلة ومشركين وشهوانيّين وكذَبة وغدّارين ونهّابين، فلا غرو أن سكت الناس طوال التاريخ على فساد الكهنة مهما كانت صفاتُهم، ولا عجب أنْ ألّه المسيحيّون عيسى لأنّه الوحيد الذي سُرِد له تاريخ بتسامح ومحبّة ووفاء وبلا خطيئة! مع أنّ كلّ الأنبياء المدنّسين زوراً هم بلا خطيئة أيضاً. ولا عجب أن انتشر الزنى والفواحش في بني إسرائيل حتّى امتدح سبحانه مريم لأنّها **(أحصنت**

---

[1] – يُعلّق "ويل ديورانت" على هذا بقوله (ولسنا ندرى كيف غفل أو تغافل رجالُ الدين عمّا في هذه الأغاني من عواطف شهوانية وأجازوا وضعها في الكتاب المقدس)! (ويل ديورانت، **قصّة الحضارة**، ج٣، ص ٣٨٨).

فرجها)، فوصل الزنى والدعارات إلى أقدس مكــان وهــو "**خيمــة الاجتماع**"، وهو كحرم البيت الحرام للمسلمين، وكالكعبة، حيث كانت رمزاً ومقرّاً لاجتماع النبيّ بملاك الربّ، و"**مسكن الربّ**" (المــلاك)، "**قدس الأقداس في البرّية**"، "**خيمة الله**" والمكان الذي يعتكــف أفــراد بني إسرائيل على بابه للتكفير عن الخطايــا والتطهّــر، ولأنّ بنــي إسرائيل قبيلة بدوية منذ يعقوب (ع) الآراميّ التائه الذي جاء وأهلُــه إلى مصر (القرية التجارية) من البدو، كما يقول القرآن، وظلّوا علــى بداوتهم حتّى مدّة لبثهم في المدائن كمصر زمــن يوســف[1] وموســى (ع)، حتّى زمن داود (ع) الذي أَمره الربّ ببناء مدينة تــوّاً، فيقــول التوراة (**اِذْهَبْ وَقُلْ لِعَبْدِي دَاوُدَ: هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: أَأَنْتَ تَبْنِي لِي بَيْتــاً لِسُكْنَايَ؟ لأَنِّي لَمْ أَسْكُنْ فِي بَيْتٍ مُنْذُ يَوْمَ أَصْعَدْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِــنْ مِصْرَ إِلَى هذَا الْيَوْمِ، بَلْ كُنْتُ أَسِيرُ فِي خَيْمَةٍ وَفِي مَــسْكَنٍ**)(صــامويل الثاني ٢: ٢٢)، لذلك كانت خيمة الاجتماع المقدّسة تُشيّد دائماً في البرّية، وغمامة نور الربّ تعلوها كآية أيّام الاختصاص.

---

[1] – حين جاءوا من البدو وأسكنهم يوسف قرية مصر، أوصــاهم أخــوهم يوســف أن يقولــوا لفرعونها (عَبِيدُكَ أَهْلُ مَوَاشٍ مُنْذُ صِبَانَا إلى الآن نَحْنُ وآباؤنا جَمِيعا. لِكَيْ تَــسْكُنُوا فِــي أَرْضِ جَاسَانَ. لأَنَّ كُلَّ رَاعِي غَنَمٍ رِجْسٌ لِلْمِصْرِيِّينَ.)(التكوين ٤٦: ٣٤).

الصورة رقم (١٦): خيمة الاجتماع كما صوّروها وحسّنوها جداً أكثر من اللازم

فنقرأ في أخبارهم كيف آل وضعُهم بحيث صار الكهنةُ من أبناء الكاهن الأعظم يزنون بالنساء (التائبات!) هناك في بيت الربّ وقدس الأقداس في فناء باب الخيمة الداخليّ! نقرأ عن "عالي" رئيس الكهنة وقاضي بني إسرائيل الذي استبدله الربّ بصموئيل النبيّ **(وَشَاخَ عَالِي جِدّاً. وَسَمِعَ بِكُلِّ مَا عَمِلَهُ بَنُوهُ بِجَمِيعِ إِسْرَائِيلَ وَبِأَنَّهُمْ كَانُوا يُضَاجِعُونَ النِّسَاءَ الْمُجْتَمِعَاتِ فِي بَابِ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ)**(صاموئيل الأول ٧: ٥-٦).

وقد نسبوا إلى هارون قبلاً صناعة العجل (الثور) في البرّية حين غاب موسى لملاقاة الربّ على الجبل، والعجل رمز عبادة بعل، شريعة الخصب الإباحيّة الماجنة، فأخذ هارون ذهبَهم فصنع العجل ثمّ دعاهم للذّبح ثمّ بالتعييد والاحتفال **(فَأَخَذَ ذَلِكَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَصَوَّرَهُ بِالإِزْمِيلِ وَصَنَعَهُ عِجْلاً مَسْبُوكاً. فَقَالُوا: «هَذِهِ آلِهَتُكَ يَا إِسْرَائِيلُ الَّتِي**

أصْعَدَتْكَ مِنْ أرْضِ مِصْرَ!» .. فَبَكَّرُوا فِي الْغَدِ وَأصْعَدُوا مُحْرَقَاتٍ وَقَدَّمُوا ذَبَائِحَ سَلامَةٍ. وَجَلَسَ الشَّعْبُ لِلأكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ .. فَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ لأنَّهُمْ صَنَعُوا الْعِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ هَارُونُ)(التكوين ٣٢: ٤، ٦، ٣٥).

فلا عجب أن لا يأتيهم عيسى (ع) إلاّ بالأخلاق، وبالاستهانة بالطقوس، لأنّهم نزفوا من الدين أخلاق القلب، وصيّروه مجرّد طقوس ومراسيم شكليّة، وأنّ الذنوب وجرائم اغتصاب حقوق الآخرين والغدر والكذب والسرقة والخيانة كلّها تُكفّر، ليس بالندم والتوبة النصوح عن الفعل، وليس بمجازاة قانونيّة وتربويّة تقطع اليد عن السرقة وتلجم النفس عن الرذائل والبغي، بل بطقسٍ جماعي يُقدّم فيه تيسٌ حيّ للكاهن! وكأن لا أثر للأخلاق وللفطرة رأساً، ولا لمنطق ربّ حكيمٍ عدلٍ، ربّ عالمين، لا ربّ فئة عنصرية يعفو عن كلّ أخطائها وجرائمها، لأنّها بررّت هذه الجرائم بما دوّنت حصوله كذباً في الأنبياء، وبما زوّرته من نصوص بلسانهم (ع) عن الربّ **(وَيَضَعُ هَارُونُ يَدَيْهِ عَلَى رَأسِ التَّيْسِ الْحَيِّ وَيُقِرُّ عَلَيْهِ بِكُلِّ ذُنُوبِ بَنِي إسْرَائِيلَ وَكُلِّ سَيِّئَاتِهِمْ مَعَ كُلِّ خَطَايَاهُمْ وَيَجْعَلُهَا عَلَى رَأسِ التَّيْسِ وَيُرْسِلُهُ بِيَدِ مَنْ يُلاقِيهِ إلَى الْبَرِّيَّةِ، لِيَحْمِلَ التَّيْسُ عَلَيْهِ كُلَّ ذُنُوبِهِمْ إلَى أرْضٍ مُقْفِرَةٍ فَيُطْلِقُ التَّيْسَ فِي الْبَرِّيَّةِ)**(اللاويّين ١٦: ٢٠-٢٢).

الصورة رقم (١٧): تصوير لما دعاهم هارون (!) إليه من عبادة الثور (بعل) والانحلال بالعودة إلى شريعة العجل (الإباحة)

فبينما نجد أنّ الكتاب الخاتم، وضع الأخلاق أوّلاً، وأنّ المكذّب بالدّين هو الذي يدعّ اليتيم ولا يحضّ على طعام المسكين، وثانياً قد جلّى الصورة المشرقة العُليا بأنصعها لأنبياء الله المعصومين (ع) وأبان طهارتهم في كلّ تلك المواقف المزعوم افتراءً عكسها، إلاّ أنّنا نُدهش لجرأة تلويث التوراة بهذه الافتراءات، ونُدهش أكثر للنفوس المريضة التي كانت تقف وراء هذا الدسّ والتلويث بلا مُحاسب ولا رقيب، في محاولة عكسية لبثّ برمجة دنيئة لتسويغ المنكر واسترخاصه، فإذا انتشر وساد أنّ الأنبياء الكرام يقترفون هذه المساوئ والقبائح والفظائع، فإنّه يخفّ على الناس فعلها ويسهل شيوعها وتنقص المناعة للاشمئزاز منها ورفضها، فتنخسف الفطْرة وتنتكس، هذا ما أرادته حادثة الإفك التي رُمي بها النبيّ (ص)، وكلّ القصص المخترعة على نبيّ الأمّة وأهل بيته وأصحابه التي تسود

كتبنا من قضايا جنسيّة ومتع رخيصة وزيجـات عبثيّـة وسـراري ومحظيّات، أنّى كان سندُها ورجالُهـا ورواتُهـا وتبريراتُهـا، فهـي مدخولةٌ، وتنتظم في قافلة تلك المفتريات الإسرائيليّة على أنبيـاء الله والرجال الطاهرين، فلا غرو أن نرى حتّى هذا اليـوم، هنـاك مـن يتزعّم بالدّين ويرتكب من أصناف هذه الآثام في بيوت الله سواءً فـي مواسم الحجّ وفي المساجد والكنائس و"خيمات الاجتماع"، مـن تمتّـعٍ بالنساء وتولّع بالجنس وشذوذ تحـت ذرائـع شـرعيّة واسـتحبابيّة ورساليّة ودجليّة! أُسِّس لها بتلك القصص والمرويّات الزائفـة، كمـا أسّس اليهودُ لكهّانهم تسويغها بفظيع ما نسبوه لأنبيائهم، قال نبـي الله (ص) **(ليأتين على أمّتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل حتى إن كان منهم من أتى أُمّه علانيةً لكان في أمّتـي مـن يـصنع ذلك)**[1].

وأخيراً لا عجب، أن نرى أمّة الغرب، التـي تعتقـد بـالتوراة كتاباً مقدّساً كلّه، يعجّ بمجون الأنبياء وتعاطيهم الخمور حتّى الـسكر والثمالة واستخدامهم الغشّ والكذب والقتل للوصول لمآربهم، ويُغنّون ويرقصون ويزنون حتّى بالمحارم، ويفتكون بالخـصوم والمنافـسين على الدنيا، ويتغنّون بدغدغة الأثـداء والعـورات الجنـسيّة وكثـرة السراري والجواري والخمرة في أناشيدهم[2]، فلا عجـب أن يتفـسّخ

---

[1] – الترمذي، **سنن الترمذي**، ج٤، ص١٣٥؛ المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج١١، ص١١٥.

[2] – انظر التوراة: سفْر (نشيد الإنشاد) المنسوب لسليمان مثل **(هُنَّ سِتُّونَ مَلِكَةً وَثَمَانُونَ سُـرِّيَّةً وَعَذَارَى بِلاَ عَدَدٍ. وَاحِدَةٌ هِيَ حَمَامَتِي كَامِلَتِي)**(٦: ٨-٩)، و **(دَوَائِرُ فَخْذَيْكِ مِثْلُ الْحَلِيِّ .. سُرَّتُكِ**

أفراد هذا المجتمع المتربّي على هذه النصوص، وتنشأ بلا مانعٍ فيه الرذيلة والاستهانة بالحياء، ذلك لأنّهم لم تُستحضر لهم نماذج طاهرة على الخير، عفيفة عن النقائص والخبث، سليمة القلب وسويّة السلوك! فقد قال المسيح (ع) (**هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصنَعُ أَثْمَاراً جَيِّدَةً وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصنَعُ أَثْمَاراً رَدِيَّةً**)(متّى ٧: ١٧)، وأخبر القرآن بمثله (**وَالَّذِي خَبُثَ لا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِداً**)(الأعراف:٥٨)!!

ومع فسق (عشيرة إسرائيل) كما تحكيه التوراة نفسها واشتهار الزنا والوثنيّة فيهم، هذا بعد إنجائهم مباشرة من فرعون بالمعجزات ووجود موسى (ع) بينهم، كثرت عصياناتهم لله وقرّحوا قلب موسى (ع)، ولك أن تُراجع بعض سطور سفر العدد، مثل: (**وَأَقَامَ إِسْرَائِيلُ فِي شِطِّيمَ وَابْتَدَأَ الشَّعْبُ يَزْنُونَ مَعَ بَنَاتِ مُوآبَ. فَدَعَوْنَ الشَّعْبَ إِلَى ذَبَائِحِ آلِهَتِهِنَّ فَأَكَلَ الشَّعْبُ وَسَجَدُوا لِآلِهَتِهِنَّ. وَتَعَلَّقَ إِسْرَائِيلُ بِبَعْلِ فَغُورَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ**)(العدد ٢٥: ١-٣)، مع هذا فإنّ التخطيط لـ "مركزة" اليهود كأبناء لله وقطب الوجود، هو الذي حدا بالكهنة بالتلفيق وأن تؤلّف مثلاً حكاية عرّاف (كاهن) المديانيّين (بلعام بن باعورا) الذي كلّما أراد أن يدعو عليهم حوّل الربّ لسانه ليُباركهم وينفخ في قدراتهم وقداستهم وشجاعتهم، لأنّه (**مُبَارِكُكَ مُبَارَكٌ وَلاعِنُكَ**

كَأْسٌ مُدَوَّرَةٌ لاَ يُعْوِزُهَا شَرَابٌ .. ثَدْيَاكِ كَخِشْفَتَيْنِ تَوْأَمَيْ ظَبْيَةٍ .. مَا أَجْمَلَكِ وَمَا أَحْلاَكِ أَيَّتُهَا الْحَبِيبَةُ بِاللَّذَّاتِ .. قَامَتُكِ هذِهِ شَبِيهَةٌ بِالنَّخْلَةِ وَثَدْيَاكِ بِالْعَنَاقِيدِ .. وَحَنَكُكِ كَأَجْوَدِ الْخَمْرِ .. لَنَا أُخْتٌ صَغِيرَةٌ لَيْسَ لَهَا ثَدْيَانِ .. فَمَاذَا نَصْنَعُ لأُخْتِنَا فِي يَوْمٍ تُخْطَبُ؟ .. أَنَا سُورٌ وَثَدْيَايَ كَبُرْجَيْنِ)(٧، ٨)!!

مَلعُونٌ)(العدد ٢٤: ٩)، وهذا ما قاله حاخامات صهيونيّة باتت تُهلوس اليوم في إسرائيل أنّ اليهود هم (عين الله) ولا نجاة لأحد يخذلهم وأنّ (اللّعن على أعدائهم أجمعين). فالربّ (يهْوه) دائما مُسخّر لتدمير أعدائهم، كما سخّروا سلطان الرومان لقتل عدوّهم المسيح (ع) والتنكيل والبطش به، وكما تُسخّر اليوم أمريكا وغيرها لإخماد أصوات مَن يُحاسب صهاينة اليوم أو يتعرّض لبشائعهم وأكاذيبهم.

بل إنّ المؤمن بكلّ ما سُطِّر بالتوراة ككتاب مقدَّس من يهود بسطاء، سيُبرمَجون لا محالةَ على التناقض الذهني، وعلى نفس تقبل بصدور المنكر والزنا والقتل والانتهازية والتلوّن، ومع هذا فبركتهم لن تزول والله دائما معه يلعن لاعنيه، لأنّ أسلافه فعلوا ذلك، بل أنبياؤه أيضاً كما يتلوه نصّاً مقدَّساً!

ثالثاً- أنواع الأشجار البشريّة في التوراة

حطّت رحلتنا إلى الموقع الذي ستبدأ منه أطول رحلة لنصّ تاريخي عن (آدم) ومعنى آدم وسلالة آدم، وآن الأوان أن تتوقّف رحلةُ هذا النصّ لمساءلته: كيف خرج؟ ولماذا خرج؟

وبحسب السيرورة البشريّة، التي تبيّن أنّ محورها وبيضة قُبّانها "آدم"، فيلزمنا أن نقسّمها تاريخياً إلى ما قبل آدم وما بعد آدم:

١- بداية بشرية نبتوا من الطين (همجاً).

٢- نسل بشري نتج على أعقابهم من لقاح الذكور والإناث (همجا).

٣- نوع بشري أُعيد تخليقه (هُندس جينيّا) في الجنّة ونفخ الروح فيه فصار إنساناً (آدم وحوّاء).

٤- نوع بشري (إنساني) نسل من زواج آدم بأحد إناث الهمج (معصية آدم).

٥- نوع بشري (إنساني) نسل من زواج آدم بحوّاء وزواج أبنائهما بإناث مخلّقات إنسيّاً ومنه جاءت شجرات الرسل يقيناً.

الذي يهمّنا لمقارنته بالتوراة، هي الأقسام ١، ٣، ٥ وأوْهم خلطاً بين ثلاث أوادم تجاوزاً (آدم كأب للبشر، آدم أبي الناس، آدم أبي الرسل)!

وقلنا ليس هناك حقيقة لـ (آدم) أباً للبشر، بل نبتت الأفواج البشريّة الأولى من قبور الطين[1]، تماماً كسيناريو البعث، بيّنّا هذا في بحث (الخلق الأوّل).

فالتوارة قد خلطت بين هذه البدايات، والمسلمون ساروا في ركبهم، فالبداية البشريّة قبل ملايين السنين، والبداية الإنسانيّة قبل قُرابة خمسين ألف سنة، أمّا البداية الرسوليّة فقبل أكثر من ٨ آلاف سنة.

يقول بعضُ الباحثين العرب: (الأسفار التي يُطلق عليها أساساً

[1] - **(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً)**(نوح:١٧)، وفي أسطورة الخلق الأكديّة **(فحفر - أي الربّ- شقًّا في الأرض، ووضع بدايات البشرية في الشقّ، وعندها بدأ البشر يظهر كالحشيش في الأرض)**: عبد الوهاب حميد رشيد، **حضارة وادي الرافدين**، ص١٦٠.

اسم "التوراة"، لم تُكتب أصلاً بقلم واحد .. وما هذه الأسفار إلاّ مجموعات من الأقاصيص الصادرة أصلاً عن تقاليد مختلفة ربّما كان بعضها مكتوباً، وقد تمّ جمعها وتنسيقها في وقت متأخّر نسبياً، وأُضيف إليها ما أُضيف، فصارتْ تُشكِّل جزءاً لا يتجزّأ من تصوّر بني إسرائيل لبداياتهم التاريخيّة. وربّما كان من بينها في الأصل ما لا علاقة له ببني إسرائيل. والواقع هذا ليس من اكتشافي، فهو ما يقرّه في الوقت الحاضر معظم المختصّين في النقد النصّي للتوراة، مع بعض التحفّظات بشأن التفاصيل)[1].

(ومهما كانت حقيقة الأمر بالنسبة إلى الطريقة التي تمّ فيها جمع هذه القصّة، فممّا لا شكّ فيه أنّها تتكوّن على الأقل من ثلاثة عناصر كانت تُشكِّل في الأصل ثلاث قصص مستقلّة:

أوّلاً: قصّة "الإنسان" (بالعبرية هـ–ءدم، أي "الآدم" بالتعريف) الذي خلقه الربّ يَهْوه، وهو الإنسان الأوّل، وبالتّالي جدّ جميع البشر.

ثانياً: قصّة "الإنسان" (هـ–ءدم) الذي أنجب قايين (قين) وهابيل (هبل). والقصّة هذه في الواقع هي قصّة هذين الأخوين الاثنين، إذ ليس لوالدهما "الإنسان" أيّ دور فيها.

ثالثاً: قصّة الرجل المدعوّ آدم (ءدم، بدون تعريف) الذي أنجب شيث (شت)، فصارت له منه الذرّية التي تعتمدها التوراة كأساس لأنسابها، حسب التقليد "الكهنوتيّ")[2].

---

[1] – كمال الصليبي، **خفايا التوراة**، ط٥، ص١٣.

[2] – كمال الصليبي، **خفايا التوراة**، ط٥، ص٢٣.

فاختصاراً، إنّ "كمال الصليبي" يُفرّق حسب شواهد تحليله للنصّ التوراتي، بين آدم الإنسان الأوّل، وآدم أبي قابيل وهابيل، وآدم الرسول أبي شيث (النبي)، لكن طبعاً لصالح تحليل آخر مغاير تماماً لما نحن بصدده. بيْد أنّه لم يتوغّل لما قبل آدم الأوّل، ولم يُميّزها كحقب، بل كقبائل تاريخيّة بدأت منذ آدم الإنسان أبي الناس والبشر على السواء.

رابعاً- الشجرات الثلاث

سبق أن بيّنّا في بحث "الخلق الأوّل" أنّ التوراة كنصّ (لو صحّ) أومأ ولو بإرباكٍ إلى وجود ثلاث أشجار هي:

أ- شجرة البشر

(وَقَالَ اللهُ: «لِتُخْرِجِ الأَرْضُ ذَوَاتِ أَنْفُسٍ حَيَّةٍ كَجِنْسِهَا: بَهَائِمَ وَدَبَّابَاتٍ وَوُحُوشَ أَرْضٍ كَأَجْنَاسِهَا». وَكَانَ كَذلِكَ .. وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ». فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ)(التكوين ١: ٢٤-٢٧).

فلو أحسنّا الظنّ بالنصّ، لرأينا:

١- أنّ الكائنات الحيوانية فعلاً قد خرجت من الأرض كالنبات.

٢- أنّ كلّ كائن كان متميّزاً بشفرته الجينيّة، بجنسه، لا أنّه ترقّى من فصيلة أدون منه.

٣- أنّ **(ذكراً وأنثى خلقهم)** بالجمع، تُشير إلى الجيل البشريّ الأوّل الذي خرج كما بقيّة الكائنات الحيوانيّة، بجنسه الخاصّ وشفرته، ومن الأرض.

٤- أنّهم أخطأوا بجعل هذه البشر هي الإنسان المخلوق على صورة الربّ، مع أنّها ذوات أنفس لا ذات روح ربّاني.

القرآن كما سبق وبيّنّا يُؤيّد هذا الطرح، بخروجنا البشري الأوّل من أجداث الطين كالنبات **(وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً)**(نوح:١٧)، **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)**(الروم:٢٠)، وبخروجنا جماعات رجالاً ونساءً بالغين من الخلايا (الأنفس) الأولى المنقسمة في مستنقعات الطين **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)**(النساء:١)، وأنّ الشفرة الجينيّة لكلّ دابّة (مخلوق أرضي مادّي) موجودة متميّزة منذ الغمر المائيّ الأوّل قبل عدّة مليارات من السنين **(وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ)**(النور:٤٥)، **(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)**(الأنبياء:٣٠)، فهذا حين تمّ فصل البحر الأوّل وعمل الغلاف الجوّي (السماء) من بخاره ودخانه، وعمل اليابسة من زبده وأملاحه، كما حكت التوراة **(فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذَلِكَ. وَدَعَا اللهُ**

الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْما ثَانِيا. وَقَالَ اللهُ: «لِتَجْتَمِعِ الْمِيَاهُ تَحْتَ السَّمَاءِ الَى مَكَانٍ وَاحِدٍ وَلْتَظْهَرِ الْيَابِسَةُ». وَكَانَ كَذَلِكَ)(التكوين ١: ٧-٩)، وهذه "الجلَد" وهي الغمام التي تُغطّي السماء هي التي نُطقت (گلادْ) ثم أصبحت غرباً (كلاوْد Cloud). وكما حكته قبلها الأساطير العربيّة أيضاً، فلدى وادي النيل صُنِعت السماء من بحرٍ بخاريّ كقبّة سماويّة (نوت Nut)[1]، وأسفله الجوّ (شو Shu جو) والأرض المظلمة (گِبْ Geb) "جب" كما في الفصحى، صُنعتْ كلّها من أنفاس البحر القاذف، الهائج بأبخرته وبراكينه (تف-نوت Tefnut)[2].

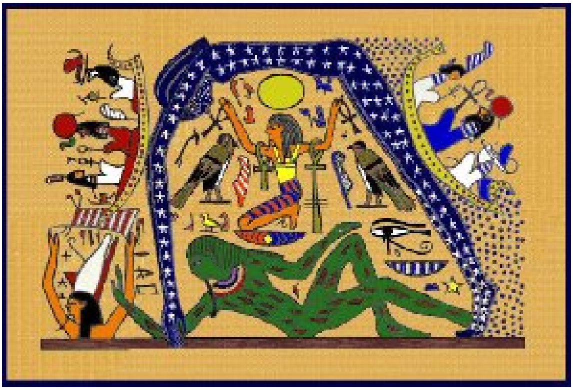

الصورة رقم (١٨): البحر السماوي (نوت)، رسموا عليه سفنًا ليُؤكّدوا أنّه بحر، بل وخصيب به شفرات الحياة (لاحظ مفاتيح الحياة في يد الأثيريّين الممتطين بحر السماء)، هذا البحر الذي هطل وشكّل الغمر الأوّل فأحيا الأرض (جب)

---

[1] - ما زال في العربيّة يُسمّى البحر "نوت" والبحّار "نوتيّ"، وهذه الكلمة وجدت طريقها إلى الغرب، فسُمِّي البحري نوتيّ **Nautical**.

[2] - تف: أي بصق في العربية وقذف، نوت: أي بحر، والبحّار يُدعى نوتيّ. تف-نوت = البحر القاذف بأبخرته ودخانه للطبقات العُلى.

ولدى أساطير سومر وبابل مثل (حينما في البدء – البابليّة /إينُما إيليش Enuma Elish)، وكيف أنّ مردوخ[1] قبل خلْق البشر البدائي "لولّو" (= لَوّلْ بالعاميّة أي البشر الأوّل) قام بتمهيد الكوكب للحياة فشقّ البحر الهائج ببراكينه التي رُمِز لها بالتنانين، وشقّها نصفين كالصدفة؛ نصفاً صنع منه السماء والنصف الآخر اليابسة والبحار[2]، وهذا ما ورد في تراثنا الإسلاميّ عن مولانا عليّ (ع) حين سُئل (**فممّ خلقت السموات؟ قال: من بخار الماء، قيل: فممّ خلقت الأرض؟ قال: من زبد الماء**)[3] وأيضاً ورد عنه في نهج البلاغة عن تلك الحقبة السحيقة التي لا يعلمها إلاّ ربُّ العزّة سبحانه ويُحاول العلمُ اليوم اكتشافها (**فأمَرها بتصفيق الماء الزخّار، وإثارة موج البحار، فمخضته مخضَ السقاء وعصفتْ به عصْفَها بالفضاء، تردّ أوّله إلى آخره، وساجيَه إلى مائره، حتى عبّ عبابُه ورمى بالزبد ركامه، فرفعه في هواءٍ منفتق، وجوّ منفهق، فسوّى منه سبعَ سموات**)[4] فالله أمر

---

[1] – بعض المؤرّخين يفترض أنّ (مردوخ Merdock) ربّما تعني (سيّد الضحى God of Light) باعتبار (مار) سيّد، و(ذُخا) هي (ضُحى) لكن باللفظ السرياني، فهي (مار–ذُخا)، وبدورنا نظنّ أنّها من الفعل مرّغ/مردغ، فهو الذي مردغ الطبيعة الهائجة، والبحار، وسخّرها، ووضع الخزامة في منخريها بحسب الأسطورة، أي ذلّلها وهيمن على نظامها (استوى على عرشها) بلغة القرآن.

[2] – وديع بشور، **الميثولوجيا السورية أساطير آرام**، ص٢٠٧. وأيضاً: رينيه لابات، **سلسلة الأساطير السوريّة**، ص٦٣، ومنها: **(جعل من نصف تيامة سقفاً وثبّت الأرض)** حيث تيامة هو اليمّ/البحر الأوّل، الغمر البدئي.

[3] – الحويزي، **تفسير نور الثقلين**، ج١، ص٤٨.

[4] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمد عبده، خطبة١، ج١، ص١٨.

رياحاً عاتية بحمل البخار والدخان لتسوية طبقات الغــلاف الجــوّي السبْع التي تمتاز كلّ واحدة بخاصيّة دون الأخرى.

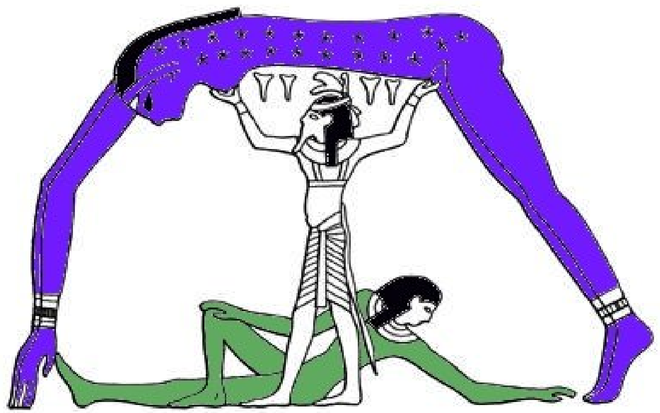

الصورة رقم (١٩): بحر الغلاف السماوي (نوت) الذي يسمح بتلألؤ النجوم، محمول بالجو (شو) ويُذكّرنا بجبل (ما-شو) الذي زاره جلجامش ذي القمّتيْن الذي بدخانه وبخاره كان الجوّ، وأسفله قبّة الأرض (گب) الجبّ. Geb (earth); Shu (air; holding up Nut); Nut (sky)

ب- شجرة الإنسان

(وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَابا مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَــسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسا حَيَّةً. وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلَهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَــرْقا وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ.)(التكوين ٢: ٧-٨).

فها هنا خلق الإنسان الأوّل وحْده، ثمّ سيخلق حوّاء في قــولهم **(وَقَالَ الرَّبُّ الإِلَهُ: لَيْسَ جَيِّدا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ فَاصْنَعَ لَــهُ مُعِينــا نَظِيرَهُ)**(التكوين ٢: ١٨). وكما أوضحْنا سيناريو خلــق البــشر الأوائــل (الهمج) في بحث (الخلق الأوّل) فقد أسهبنا في بيان ســيناريو خلــق

الإنسان الأوّل (آدم) في بحث (وعصى آدم)، وأزلنا اللبس الحاصل من خطأ كلمات نصّ التوراة بجبْل آدم من تراب، وبنفخ النفس في أنف آدم، وقُلنا أنّ آدم كان كائناً بشرياً سابقاً بلا اسم ولا هويّة ولا ذكْر ككلّ الهمج البشريّ، أُخِذ منها وغُسِّل في حوض التطهير في الجنّة، ثمّ وُضِع في حاضنة طين الجنّة، وسواءً خُدِّر أو أُميت، لا يهمّ، المهمّ قد أجرت الملائكةُ الصافّات عليه عمليّات التخليق بإذن ربّها فعُدّل وسُوّي ونُفختْ فيه روح الربّ لا روح الحياة، فسُمّي الآن آدم أي صورة من الربّ ومثيلٌ مصغَّرٌ له لوجود سرّ الرّوح، التي بها صار كائناً (**إنساناً ذا أذهان يجليها، وفِكَرٍ يتصرف بها**)[1] كما يقول عليّ (ع) لا أنّه للتوّ صار كائناً حيّاً، وإن كان قد أُحيي بعدها بولادته الإنسانيّة الجديدة.

وقد أكّدت التوراة هذه الشجرة الثانية بقولها أيضاً (**هَذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرا وَأنْثَى خَلَقَهُ وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ**)(التكوين ٥: ١-٢)، وشاهدنا هو قولهم (**ذكراً وأنثى خلقه**) لأنّ الإنسان الأوّل فعلاً هما فقط زوجان خُلِقا في الجنّة (آدم وحوّاء)، كما أخبر القرآن أيضاً (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ**)(البقرة:٣٥)، أمّا البشر الأوائل فكانوا أفواجاً كما ذكرنا في الشجرة السابقة بقولهم (**ذَكَرًا وَأنْثَى خَلَقَهُمْ**)، وبقول القرآن (**بشرٌ تنتشرون**) و(**رجالاً كثيراً ونساءً**).

---

[1] - الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمد عبده، ج١، ص٢٠، ٢١.

ج- شجرة الرسل

الخلط الذي ينبغي أن نفطن له؛ أنّ النصّ السابق الأخير وضعه كتّاب التوراة ليشفعوا به ذكْر مواليد آدم، وأوّلهم شيث، فأتبعوا النصّ هكذا (**هَذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ. ذَكَرا وَأُنْثَى خَلَقَهُ وَبَارَكَهُ وَدَعَا اسْمَهُ آدَمَ يَوْمَ خُلِقَ، وَعَاشَ آدَمُ مِئَةً وَثَلاثِينَ سَنَةً وَوَلَدَ وَلَدا عَلَى شَبَهِهِ كَصُورَتِهِ وَدَعَا اسْمَهُ شِيثا** .. (ثمّ) .. **أنوش** .. (ثمّ) .. **قينان** .. (ثمّ) .. **مَهْلَلْئِيلُ** (ثمّ) .. **يَارِدُ** .. (ثمّ) .. **اخْنُوخُ** .. (ثمّ) .. **مَتُوشَالَحَ** .. (ثمّ) .. **لامَكُ** .. (ثمّ) .. **نُوحٌ** .. الخ)(التكوين ٥)، وراحوا يُسلسلون النبيّين من سلالة آدم.

طبْعاً هذا يستحيل أن يكون آدم العاقل الذي تمّ تخليقه في الجنّة قبل قرابة ٥٠ ألف سنة وهو أبو الناس جميعاً، بل هذا أبو الرسل الذي يرجع حسب تخميناتهم إلى أكثر من ٤ آلاف سنة قبل الميلاد، ونُرجعه نحن إلى فوق ٦ آلاف سنة قبل الميلاد، حسب أدلّة الانتشار الحضاري المنثورة في البحث.

نصّ آدم الرسول، جاء مرّةً أخرى ليحكي زمن قابيل وهابيل وملامحه، وهو زمن متأخِّر (حديث)، ومحالٌ علميّاً وآثارياً أن يرجع إلى عصور قبل عشرات آلاف السنين، إذْ فيه أدوات النحاس والحديد والرعي والزراعة وبناء المدن ومجتمعات النّاس، وهذا تبيّن في حديثنا عن (قابيل وهابيل وبوادر الهمجيّة)، زمن يقع ضمن الآلاف

الثمانية الأخيرة من عمر الإنسانيّة، فيقول النصّ: **(وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأتَهُ أيْضا فَوَلَدَتِ ابْنًا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثا قَائِلَةً: «لأنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلا آخَرَ عِوَضا عَنْ هَابِيلَ». لأنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ)**(التكوين ٤: ٢٥).

ويُلاحظ آنفاً عبارة تعليق حواء **(لأنّ قايين كان قد قتله)** هذه جملة تعليليّة شارحة ولا يُمكن منطقياً أن تكون من تحدّث حوّاء مع نفسها، إلاّ أن تكون من القَصّاص نفسه، وهي كذلك فعلاً، لذلك قاموا في الترجمة العربيّة فقط، لا العبرية الأصل ولا الإنجليزيّة، بحصر كلام حوّاء بين مزدوجتيْن وينتهي قبل هذه العبارة، أمّا النصّ العبري فيُقرأ هكذا **(كي شت- لي ألوهيم زرع آحر - تحت هبل كي هرگو قين)**، وشرحه عن علّة تسمية "شيت": (لأنّه (كي) "شاءت" لي الآلهة زرعاً (نسلاً) آخر، تحت (دون) هابيل، لأنّ قين (قابيل) أهرقه)[1].

لقد أخبرتنا المرويات وأحاديث النبيّ (ص) وآله وأصحابه أنّ الرسل ٣١٣، وأنّ النبيّين ١٢٤ ألف نبيّ، والقرآن الكريم لم يسرد لنا سوى دون العشرين رسولاً، فأين هم الباقون؟

لقد انطلقت ثلّة الرسل تلك وجابت ديار الأرض شرقاً وغرباً لأنسنة الناس وتعليمها الدين واللغة والحضارة، وكما كان آدم الرسول

---

[1] – هذه المسمّاة باللغة العبرية، عربيّة عاميّة قديمة، كُتبت بدون تصويت (بدون حركات ومدّ)، فلاحظ النصّ: (كيْ) هي كيْ أي لأجل وما زالت في الفارسية نفسها، (شَتْ) أي شاءت، ونقولها بالعاميّة هكذا أيضاً كما نقول جَتْ بدلاً من جاءت، (لي) هي لي، (ألوهيم) هي الآلهة، (زرع) هي زرع، (آحر) هي آخر فالحاء خاء، (تحت) هي تحت أي دون، (هَبِل) هو هابيل، (هرْگو) هي هرقه أي سفك دمه، (قين) هو قين وهو نفسه قابيل.

أوّل الرسل، وسبقه أنبياء كثيرون، فإنّ شيثاً هو رسول آخر، وهو ابن آدم المباشر أو غير المباشر، وتزخر بقاعنا آثاراً لبلدات وقرى وقبور بالانتساب إليه في لبنان وفي العراق. وترجع علوم بعض الفرق الدينيّة المؤمنة إلى صحف النبي شيث (ع)، وقد ترنّم المندائيّون في صحفهم بشيث وأنوش فقالوا في الترتيلة ٢١٢ عن أرض الأبرار: (**بسم الحي العظيم، ممجَّد النور السامي، هناك كرمةٌ لشيت، وأخرى لأنوش، لشيت كرمة هناك، بك يا أرض الأوفياء، محمّلة بالأجر، محمّلة بالثواب، محملة بالعرفان**)[1].

أمّا المفكّر (كمال الصليبي) الذي يتّفق معنا أو نتّفق معه في الفصل بين الآدمين الواردين في التوراة آدم الإنسان العاقل المخلوق في الجنّة، وآدم أبي شيث والرسل من بعده، فله رأيٌ آخر في توجيه المسألة فيقول:

(ينتقل سفر (التكوين ٤: ٢٥-٢٦) مباشرة إلى رواية أسطورة "آدم" (ءدم) وذرّيته، وأوّلهم "شيث" (شت)، ثمّ حفيده "أنوش" (ءنوش). وقد افترض الأوائل الذين قاموا بجمع قصص سفر التكوين أنّ "آدم" المذكور هو نفسه الإنسان الأوّل (هـ-ءدم، بالتعريف) الذي خلقه الربّ (يهوه) في البداية وأسكنه جنّة عدن، وذلك دون أن يُلاحظوا أنّ اسم "آدم" في الأسطورة اللاحقة لا يحمل أداة التعريف. وقد عمدوا إلى الربط بين خرافة الإنسان الأوّل وأسطورة آدم في الجملة الأولى

[1] - **http://www.mandaeanunion.org/Views/AR_Views_126.htm**

من الأسطورة بإضافة لفظة واحدة إلى هذه الأسطورة، وهي لفظة (عود)، أي "أيضاً". والأرجح أنّ الجملة كانت تقول في الأصل: "وعرف (أي عاشر) آدم امرأته، فولدتْ ابناً ودعت اسمه شيتا". ثمّ أُضيفت لها لفظة (عود)، فصارت تقول: "**وعرف آدم امرأته أيضاً، فولدتْ ابناً ودعت اسمه شيتا**"(التكوين٥: ٢٥).

ويبدو أنّ هناك من أدخل تعديلاً إضافياً على هذه الجملة لتثبيت ربطها بقصّة الإنسان الأوّل، فجعل امرأة آدم تشرح سبب تسمية ابنها شيتاً على الوجه التالي: "**ودعت اسمه شيتا، قائلة لأنّ الله قد وضع لي نسلاً آخر عوضاً عن هابيل، لأنّ قايين كان قد قتله**". وبهذه الإضافة البسيطة في الظاهر، تمّ تعريف امرأة آدم في الأسطورة على أنّها حوّاء، زوجة الإنسان الأوّل، مع العلم بأنّ الأسطورة التي نحن بصددها هنا تذكر امرأة آدم دون أن تُطلق عليها أيّ اسم!)[١].

وكما سنرى لاحقاً أنّ العلم الآثاري والجينيّ توصّل فعلاً أنّهم آدمان، فكمال الصليبي توصّل لهذا تحليليّاً، لكنْ من وجهة نظرٍ أخرى ولصالح فرضيّة أخرى (لا نُوافقه عليها)، بل أنّ مدوّن النصّ الأوّل غير الثاني الذي أجرى تعديلات عليه (كهنوتاً) أو (تحقيقاً)[٢].

ويُشابهه المفكّر (فراس السوّاح)، حيث يقول (على أنّ القراءة المتأنّية، لنصّ التكوين التوراتي، تظهر لنا تناقضا واضحا في أحداثه،

---

[1] – كمال الصليبي، **خفايا التوراة**، ص٤٢–٤٣.

[2] – كمال الصليبي، **خفايا التوراة**، ص١٢.

ففي البدء خلق الربّ السماوات والأرض، ثمّ نجده يخلقهما مرّةً ثانية بفصل المياه عن بعضها، ومرّةً نجده يخلق البشر دفعة واحدة "ذكراً وأنثى خلقهم وباركهم الربّ وقال لهم أثمروا وأكثروا واملأوا الأرض"، وفي المرّة الأخرى يخلق الربّ الإنسان بدءاً من زوجيْن أولّيين مقتفياً بذلك أثر الأساطير البابليّة والسومريّة. وفي الواقع فإنّ هذا النصّ، ونصوصاً أخرى كثيرة في التوراة، قد كُتبت بعد التوفيق بين روايتيْن توراتيّتيْن، دعا علماء التوراة الرواية الأولى بالرواية اليهويّة، والثانية بالرواية الألوهيميّة)[1].

خامساً- شجرة أبناء آدم التوراتيّة

السؤال: كيف عرف الكهنةُ شجرة أبناء آدم ليكتبوها ؟

الاحتمالات: كتبوه إمّا سماعًا من وحي مباشرة، أو لفّقوه وزوّروه، أو كان التقاطاً من قبائل العرب المحيطة بهم، أو اجتهدوا فيه بعد سماع شذرات منه من تراث الأنبياء والمعلّمين، أو خليط من جميع ذلك، لا سيّما وأنّ القرآن أثبت أنّ اليهود عُلّموا أشياء **(وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ)**(الأنعام:٩١).

ولا يهمّنا هنا سوى نفي الاحتمال الأوّل والثاني، وعدم استبعادنا أيّا من الاحتمالات الأخيرة، للآتي:

١- إنّ تدوين شجرة الأنساب في التوراة، لا تستهلّ التوراة بذكر أنّها

---

[1] - فراس السوّاح، **مغامرة العقل الأولى**، ص١٤٣.

أُوحيَتْ لموسى (ع) من قبل الربّ، فهي تبدأ هكذا كما وردت في سفْر التكوين: (**هَذَا كِتَابُ مَوَالِيدِ آدَمَ يَوْمَ خَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ. عَلَى شَبَهِ اللهِ عَمِلَهُ**) ثمّ يتوالى سرْد القاصّ بجمل من مثل (**وَحَدَثَ لَمَّا ابْتَدَأَ النَّاسُ يَكْثُرُونَ عَلَى الأَرْضِ وَوُلِدَ لَهُمْ بَنَاتٌ**) و(**فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ**) و(**وَهَذِهِ مَوَالِيدُ بَنِي نُوحٍ: سَامٌ وَحَامٌ وَيَافَثُ. وَوُلِدَ لَهُمْ بَنُونَ بَعْدَ الطُّوفَانِ.**) و(**هَذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ.**) و(**وَحَدَثَ جُوعٌ فِي الأَرْضِ فَانْحَدَرَ أَبْرَامُ إِلَى مِصْرَ لِيَتَغَرَّبَ هُنَاكَ لأَنَّ الْجُوعَ فِي الأَرْضِ كَانَ شَدِيدا.**) و(**وَلُوطٌ السَّائِرُ مَعَ أَبْرَامَ كَانَ لَهُ أَيْضا غَنَمٌ وَبَقَرٌ وَخِيَامٌ.**) الخ. فليس هو كلام الربّ بدليل أنّهم يُثبتون في السياق نصّ كلام الربّ حين يجيء مع آدم أو مع نوح أو مع إبراهيم، بين مزدوجتيْن.

فكما رأينا أنّ سفر الخليقة، والأنساب، لم يبدأ منسوباً للربّ كما افترضه الاستهلال الأول في سفر اللاويّين (**وَدَعَا الرَّبُّ مُوسَى وَكَلَّمَهُ مِنْ خَيْمَةِ الاجْتِمَاعِ قَائِلا ..**)، ليسوق بعدَه السفْر كلّه بتفاصيل شريعة الربّ عليهم، ولا كما في سفر العدد (**وَقَال الرَّبُّ لِمُوسَى فِي بَرِّيَّةِ سِينَاءَ فِي خَيْمَةِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَوَّلِ الشَّهْرِ الثَّانِي فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ لِخُرُوجِهِمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ: «<u>أَحْصُوا كُلَّ جَمَاعَةِ بَنِي إِسْرَائِيل بِعَشَائِرِهِمْ وَبُيُوتِ آبَائِهِمْ بِعَدَدِ الأَسْمَاءِ كُلَّ ذَكَرٍ بِرَأْسِهِ</u>** .. –حتّى ينتهي لقوله– **<u>لِنَفْتَالِي أَخِيرَعُ بْنُ عِينَنَ</u>» هَؤُلاءِ هُمْ مَشَاهِيرُ الجَمَاعَةِ رُؤَسَاءُ أَسْبَاطِ آبَائِهِمْ. رُؤُوسُ أُلُوفِ**

إِسْرَائِيل. فَأَخَذَ مُوسَى وَهَارُونُ هَؤُلاءِ الرِّجَال الذِينَ تَعَيَّنُوا بِأَسْمَائِهِمْ ...) فالذي يُفترَض أنْ يكون كلام الربّ لموسى (ع) حسب قولهم هو الكلام المتوسّط بين "**أحصوا**" إلى "**بنُ عينَن**" المستوفي للأمر بتعداد وتولية أسماء أسباط بني إسرائيل، وهم أكّدوا هذا فجعلوه بين مزدوجتيْن، وميّزوه كلاماً للربّ، أمّا بداية السفْر "**وقال الربُّ لموسى**" فليست عقلاً من كلام الربّ ولا من كلام موسى، والنهاية مثلها (**هَؤُلاءِ هُمْ مَشَاهِيرُ الجَمَاعَةِ رُؤَسَاءُ أَسْبَاطِ آبَائِهِمْ. رُؤُوسُ أُلُوفِ إِسْرَائِيل. فَأَخَذَ مُوسَى وَهَارُونُ هَؤُلاءِ الرِّجَال الذِينَ تَعَيَّنُوا بِأَسْمَائِهِمْ ...**) وعشرات الصفحات وراءها، فكلّ ذلك بأدنى بداهة هي تعقيب القاصّ نفسِه سواءً صدَق أو كذَب أو توهَّم أو خلَط، روايةُ راوٍ واحد مجهول وحسب ذاكرته وحاجته ومن تأليفه، أي أنّها بمعيار علم الرواية ساقطة وأضعف من ضعيفة، وبمنظور علم التاريخ مجرّد وثيقة تراثيّة، تحتمل الصدق والكذب.

هذه البادئة لسفْر التكوين نفسها تتكرّر في التوراة كلّها ففي سفر الخروج مثلاً (**وَهَذِهِ أَسْمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ جَاءُوا إِلَى مِصْرَ. مَعَ يَعْقُوبَ جَاءَ كُلُّ إِنْسَانٍ وَبَيْتُهُ**) أي مجرّد وثيقة تاريخية اجتهادية، رواية من شخص قاصّ لا نعرف مَن هو، قد يكون اختلط فيها حقيقة تاريخية بالخرافة، بالتزوير، بالحكاية، بالمبالغة، بأغراض أخرى حسنة أو سيّئة.

بينما في سفْر التثنية يبدأ (**هَذَا هُوَ الكَلامُ الذِي كَلمَ بِهِ مُوسَى جَمِيعَ إِسْرَائِيل فِي عَبْرِ الأُرْدُنِّ فِي البَرِّيَّةِ**) ثمّ يأتي تعقيب القاصّ نفسه ثمّ ينصّ على كلام موسى (ع) بين مزدوجتيْن هكذا («**الرَّبُّ إِلهُنَا كَلمَنَا فِي حُورِيبَ قَائِلاً: كَفَاكُمْ قُعُودٌ فِي هَذَا الجَبَلِ!** .. ») حتّى يصل إلى ختام التثنية، بعرْض كلام موسى الشخصيّ مرّة، وعن ربّه مرّةً أخرى في تلويمهم وتعنيفهم وذكر مثالبهم وتمرّدهم وعصيانهم واستنهاضهم وتذكيره شريعة الرب وفروضه عليهم ووصاياه لهم.

٢- لو كانت هذه الشجرة وحياً، لما تعارضت مع نفسها، فإنّهم يُثبتون في سفر التكوين سرديْن لأبناء آدم الأوّل وفيه قابيل وهابيل وهما أبناء آدم وحقبته بعد طرد آدم من الجنّة، والثاني كتاب مواليد آدم ويبدأ بشيث فقط من دون ذكر لقابيل وهابيل، والكاتب أو الجامع ربّما حاول التوفيق بين الروايتين فأضاف جملة بعد الرواية الأولى (**وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضا فَوَلَدَتِ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثا قَائِلَةً: «لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلا آخَرَ عِوَضا عَنْ هَابِيلَ». لأَنَّ قَايِينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ.**) ويقول "كمال الصليبي" أنّ "**أيضاً**" مضافة من الكاتب، للتمويه بين آدمين. على أنّا بإمكاننا اعتبار "**أيضاً**" لا تفريعاً على ولادة قابيل وهابيل بل حسب السياق ولادة مساوقة ومعاصرة (**وَصِلَّةُ أَيْضا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايِينَ**)، حيث كما يقولون أنّ قايين، أنجب حنوك (**وَعَرَفَ قَايِينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ**) ثمّ أنجب "حنوك" (**وَوُلِدَ لِحَنُوكَ**

عِيرَادُ. وَعِيرَادُ وَلَدَ مَحُويَائِيلَ. وَمَحُويَائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَائِيلَ. وَمَتُوشَائِيلُ وَلَدَ لاَمَكَ) انظر كيف جاءت بعد قايين خمسة أجيال أي بين ١٠٠ إلى ٢٠٠ سنة، ثمّ أنّ لامك اتّخذ زوجتيْن، فولد منهما **(فَوَلَدَتْ عَادَةُ يَابَالَ الَّذِي كَانَ أبا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَاةِ الْمَوَاشِي. وَاسْمُ أَخِيهِ يُوبَالُ الَّذِي كَانَ أبا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ)**[١] وبعد هذا جاءت حكاية أنّ آدم رزق بولدٍ أيضاً. فأيّ آدم هذا الذي يُرزق بولد بعد ستّة أجيال من أولاد قايين إن كانت جُمل السرد بتعقيبٍ تاريخيّ[٢]؟! بل كيف كان الحفيد السادس وهو "يابال" أبا لرعاة

---

[1] – "توبال": ذو بعل أي المنتسب والمنتمي لبعل، كما ليست "يابال" و"يوبال" و "يوبيل" إلاّ تصويتات بمعنى "أبعْل" المنتسب لبعل حيث (يسرائيل تعني إسرائيل) وتسقط عين (بعل) في السريانيّة لتُصبح (بال/بيل)، ومثلها "آبُول" و "أبولّو" بالواو السريانية الأخيرة التي هي كالضمّة (والبعض يقول: أنّ أبولّو تعني "وجه الله" حيث "أب" تحوير "أف" التي هي "أنف" بمعنى "وجْه"، و"إيلو" هو الله)، ثمّ اشتقّت منها الأسماء في العالَم مثل (Bill-Paul-Paulo-Val)، وبعْل هي قوّة ربّانية ترمز لـ "خلاّق ومُخصّب ومديم الخضرة والنسل"، وبدلالة الباء الأولى التي هي الواسطة، والآلة (ب + عل)، وأنّ "علْ" هي العلّة، وهي "إلْ" نفسها العلّة الأولى (الله)، فبإضافة الباء (Ba) كما في السومرية يحوّلها إلى اسم آلة، وواسطة كما في الفصحى، فهي واسطة العلّة، وسائط علّ/إل/إيل، أسباب الله في الخلق والإخصاب، قوانين الخلق حسب المفهوم العلمي، و"الأسباب" حسب المفهوم الديني، لذلك كان التعلّق بها دون الله مسبّب الأسباب شركاً. فالنتيجة أنّ "بعْل" هي القدرة الربّانية المتجلّية في شئون تلاقح الموجودات لعمليّة الخلق، قبل أنْ تنحرف لتكون شركاً وعبادة محضة لمظاهر الطبيعة ثمّ توثيناً لأصنام سمّوها بالأسماء ذاتها كما حكاه القرآن (**أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ**)(الصافات:١٢٥)، لاحظ اقتران البعل بمبدأ الخلاّقية لنفهم سبب نسبة المواليد والعقم في النساء قديماً لهذا الاسم .. هذا إن لم نقل أنّ في الاسم دلالة على أنّ الولد يكون شرعيّاً من بعولة المرأة لا من أيّ فحل ذكريّ آخر في عصر انتكست فيه شريعة إيل وسادت فيه شريعة عشتار الإباحيّة، فربّما الانتساب الاسميّ لبعل هو دليل شرف وانتساب أبويّ صحيح وسلامة ذرّية!

[2] – لقد نبّهنا في مقام آخر من الكتاب أنّ آدم المصطفى (ع) الذي شابه عمرُه عمر نوح (ع)

المواشي ونحن نعلم أنّ هابيل كان راعياً للمواشي؟! لقولهم سلفاً **(وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيا لِلْغَنَمِ وكَانَ قَايينُ عَامِلا فِي الأرض)** هذا يُبيّن الخلط الذي وقعوا فيه، بحيث لا يدري القاصّ ما قاله سلفاً بل همّه الحكاية والقصّ، وحقا لو كان من عند الله لما وجدوا فيه اختلافاً كثيرا.

ولو أعدنا تنسيق هذه الأسماء (أي الألقاب المشهور بها أصحابها)، وأدركنا أنْ أسماء الانتساب لله جاءت بعد أنوش (حسب التوراة)، لكان الذي عاصر أبناء أنوش هم أحفاد قايين (أبناء حنوك)، مثل محويائيل (محيّا-إيل أي وجه الربّ وسمة الربّ وطلعته)، ومتوشائيل (متى شاء إيل، الخاضع لمشيئة الربّ)، بخلاف حنوك (المُحنَّك)، ولامَك (المكّي، الشبيه).

٣- المروي الإسلامي يقدّر لآدم (الأوّل) حين أنجب ابنه الأوّل عمراً لا يقلّ عن ٣٠٠ سنة، بخلاف التوراة التي تجعل عمره حين إنجاب الابن الثالث ١٣٠ سنة، أمّا القرآن فلا يُقرّ هذه الشجرة في آيات كثيرة سنتعرّض لها حين فرّق بين آدميْن، ونحن على يقين أنّ المقصود فيها هو آدم الرسول فقط ولا فائدة من التوغّل بعيداً لآدم الأوّل قبل عشرات الآلاف من السنين.

٤- لو كانت وحياً لجاءت لنبيّ الإسلام (ص) رمزاً في الكتاب التبيان لكلّ شيء، أو شرحاً في الحديث النبويّ الصحيح وحديث أهل

الألفي، يحتمل فيه هذا، وله في كلّ قرية أجيال من أبنائه.

بيته، فالرسول (ص) قد أوتي علم الأوّلين والآخرين ولمْ يُحجب عن الغيب وأهون شيءٍ لديه علمُ شجرة النبيّين التي هو خاتمها وشجرة الإنسانيّة التي هو سيّدها، وقد قصّ الله عليه أنباء مَن قد سبق، ومع الحشد الهائل للروايات عن آدم ونوح وإبراهيم ويعقوب وموسى (ع) كمعالم في هذه الشجرة المباركة التي سمعها المسلمون من رسول الله (ص) وأصحابه وأهل بيته، فلا تجد رواية واحدة أبداً منسوبة لرسول الله (ص) يُقرّ أو يبيّن شجرة الأنبياء والأنساب منذ آدم، ولم يُؤثر عنه تأييد أهل الكتاب فيها، ولم يُؤثر عنه السماح للمسلمين بأخذها، بل أُثر عنه ما يُوحي بالعكس، وأُثر عنه الوقوف في نسبه إلى عدنان، ونحن نعلم أنّ ما بعد عدنان موجود لدى التوراة فلماذا لا نكمله؟ إلاّ إذا كان ليس دقيقاً وملفّقاً كثيرُه لاسيّما عن الأنبياء وعن إسماعيل فكيف بمن دونهم! لذا لا تجد أحداً من رُواة المسلمين لديه هذا العلم إلاّ بأن يأخذ ما قالته التوراة ويكرّره، بتصديره بعبارة "أُثِر عن أهل الكتاب" و(**إنّ النسّابين أخذوه من الكتب "العبرانيّة!"**)[1]، فممّا روي (**عن بن عباس أنّ النبي (ص) كان إذا انتسب لم يجاوز في نسبه معد بن عدنان بن أدد ثم يمسك ويقول كذب النسابون، قال الله عز وجل (وقرونا بين ذلك كثيرا) قال بن عباس لو شاء رسول الله (ص) أن يعلمه لعلمه**)[2]، (**فالذي صح عن رسول الله (ص) أنه**

---

[1] – ابن عنبة، **عمدة الطالب**، ص٢٨.

[2] – المناوي، **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، ج٥، ص١٣٩؛ والمتّقي الهندي، **كنز**

انتسب إلى عدنان لم يتجاوزه، قالت عائشة (رض): ما وجدنا أحداً يعرف ما وراء عدنان ولا قحطان إلا تخرصاً أي كذبا)[١]، (كان ابن مسعود إذا قرأ قوله تعالى: (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ)(إبراهيم:٩) قال: كذب النسابون، يعني الذين يدعون علم الأنساب، ونفى اللّه تعالى علمها عن العباد)[٢]، (لم يتجاوز عدنان في نسبه، لقوله (ص): إذا بلغ نسبي عدنان فأمسكوا، وقوله (ص): كذب النسّابون)[٣]، (قال رجلٌ لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه أنا أنسب الناس! قال: إنّك لا تنسب الناس، قال: بلى! فقال له عليّ رضي الله عنه: أرأيت قوله تعالى (وعادا وثمود وأصحاب الرسّ وقرونا بين ذلك كثيرا)! قال: أنا أنسب ذلك الكثير! قال: أرأيت قوله (ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم إلا الله)! فسكت)[٤]، (من هاهنا كذب النسابون لأنها أحقاب متطاولة ومعالم دارسة لا تثلج الصدور باليقين في شيء منها)[٥].

٥- إنّ السومريّين لهم في مدوّناتهم ثبْت ملوك ما قبل الطوفان،

العمّال، ج٧، ص١٤٩.

[1] – ابن سيد الناس، **عيون الأثر**، ج١، ص٣٣.

[2] – المناوي، **فيض القدير في شرح الجامع الصغير**، ج٤، ص٧١٨ شبيهاً له؛ وابن كثير، **البداية والنهاية**، ج٢، ص٢٤٦.

[3] – جلال الدين السيوطي، **الجامع الصغير**، ج٢، ص٣٢١؛ والطبرسي، **تاج المواليد** (المجموعة)، ص٤؛ وابن عنبة، **عمدة الطالب**، ص٢٨.

[4] – جلال الدين السيوطي، **الدرّ المنثور**، ج٤، ص٧٢.

[5] – ابن خلدون، **تاريخ ابن خلدون**، ج٢، ص٤.

لائحة غير التي سجّلها أهل التوراة حتّى نوح (ع)، ولدى أهل فارس لائحة أخرى، ولكنّها تتكلّم عن الملوك لا عن الشعوب، ومن منظورها أيضاً، وهي شعوب سبقت وجود بني إسرائيل البدويّين، بل سبقت نوحاً بكثير، وإن كان أحفاد نوح (فارس) و(إيران) قد انطلقوا كمصلحين وتسمّت البقاع باسميْهما. وعرب وادي النيل لديهم بما يرجع إلى إدريس وأوزير (أوزيريس)، بل والإغريق لديهم تصوّر آخر أيضاً في أساطيرهم، كلّ تلك شعوب حضارية بعضُها عرف التدوين والعلوم والحضارة التي لم تعرفها القبيلة التوراتيّة الرعويّة سكنة الخيام قبل عدّة آلاف من السنين.

فالنتيجة:

لدينا عدّة لوائح وافتراضات لشجرة خليقة الناس، التي بها سُمِّي سفر التكوين التوراتي الأوّل بسفر الخليقة!

شجرة التوراة لم تأت من الربّ ولا من موسى (ع) مباشرة، بشهادة التوراة والقرآن وأهليْهما.

غاية السرد التوراتي هو الوصول إلى نوح (ع)، وفرز سام وإعطائه الوعد الرباني بالأرض المقدّسة، ثمّ جعل إبراهيم (ع) من هذا العرق وإعطائه الوعد الرباني، ثم سَلسلة يعقوب (ع) والأسباط وصولاً لعرق بني إسرائيل، أي هي ليست شجرة الخليقة بحياد بمقدار ما هي كتابة تاريخ لبني إسرائيل كأصول، وملء الفراغ إلى

آدم بأفضل وأشهر ما يُوجَد مِن آباء وأنبياء، للإبقاء على نقاء العرْق، وخلوص الاصطفاء.

الكهنة المدوّنون كان لديهم شيئاً من وحي الأنبياء عن شجرة آدم الرسول (ع) النقيّة فعلاً، التي أريد لهم أن يرعوها كون بني إسرائيل (ونعني أبناء يعقوب حصراً) هم منها، وحفظوا هذا الانتساب الإجمالي شفاهاً، لقدسية إبقاء سلالة الصفوة، لكنّ الترتيب واللّصق هو محض اجتهاد منهم كما وُضِع "إدريس" (وهو أخنوخ) في آباء إبراهيم (ع)! وهو من أحفاد آدم الرسول فعلاً لكنّه ليس من عمود آباء إبراهيم (ع)[1]، وقد سقط في عمليّة ترتيب الآباء العشرات من الأجيال والآباء غير المعروفين لديهم، ما أدّى لاختصار المسافات الزمنية منذ آدم الرسول (ع) إليهم، أمّا جعل هذا الآدم هو آدم الأوّل البعيد وأنّها شجرة الناس جميعاً، فهذا لا يقبله لا عقل ولا علم ولا منطق.

سادساً - اختلال تكهّنات الكهنة

نُورد بعض الطعون في تكهّنات الكهنة المدوّنين للسلالة الإنسانيّة حتّى تلك القريبة التي تخصّهم، الآتي:

---

1 - أورد أهلُ السيرة بأنّ النبي (ص) كلما لقي نبيا من الأنبياء الذين لقيهم ليلة الإسراء، قال: مرحباً بالنبي الصالح والأخ الصالح. وقال له آدم: مرحباً بالنبي الصالح والابن الصالح، وكذلك قال له إبراهيم (ع). وقال له إدريس: والأخ الصالح، فلو كان في عمود نسبه، لقال له كما قال له أبوه إبراهيم، وأبوه آدم، ولخاطبه بالبنوة، ولم يخاطبه بالأخوة)، (الحديث في: ابن حبّان، **صحيح ابن حبّان**، ج٢، ٢٣٧؛ وابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج٣، ٤٨٥).

١- ففي نسب إبراهيم وهو جدّ يعقوب (إسرائيل) الذي ينتسبون إليه، في سفر الأخبار في ذكر سلالة نوح: (**سَامُ، أَرْفَكْشَادُ، شَالَحُ، عَابِرُ، فَالَجُ، رَعُو، سَرُوجُ، نَاحُورُ، تَارَحُ، أَبْرَامُ (وَهُوَ إِبْرَاهِيمُ)**)(الأخبار١: ٢٤-٢٧). وفي سفر (التكوين١٠: ٢١-٢٥) أيضا يقول الأمر نفسه.

الغريب أنّهم يقولون عن يعقوب أنه آرامي، يكرّرونها شعائرياً وتعبّدياً، فهي حقيقة لديهم ينبغي أن تكون أوثق من روايات الأخبار السابقة، ففي التثنية: (**ثُمَّ تَقُولُ أَمَامَ الرَّبِّ إِلهِكَ: أَرَامِيّاً تَائِهاً كَانَ أَبِي فَانْحَدَرَ إِلى مِصْرَ وَتَغَرَّبَ هُنَاكَ فِي نَفَرٍ قَلِيلٍ فَصَارَ هُنَاكَ أُمَّةً كَبِيرَةً وَعَظِيمَةً وكَثِيرَةً**)(التثنية ٢٦: ٥)، ويعقوب هو ابن إسحاق ابن إبراهيم أي أنّ إبراهيم آرامي أيضاً، بينما هم يُصرّون من جهةٍ أخرى أنّ إبراهيم أرفكشاديّ كما رأينا أعلاه! بل وحسبما دوّنوا أنّ ساماً أكبر أبناء نوح لديه خمسة أبناء: (**بَنُو سَامَ: عِيلامُ وَأَشُّورُ وَأَرْفَكْشَادُ وَلُودُ وَآرَامُ**)(التكوين ١٠: ٢٢)، أرفكشاد وآرام أخوان، فكيف يكون إبراهيم آرامي مرة وأرفكشادي مرة أخرى، هذا ربّما يعني أنّهم يُخمّنون ويجتهدون!

على أنّنا نستطيع إحسان الظنّ بزعمهم أنّ يعقوب آراميّ مِن جهة الأمّ (**وكان إسحقُ ابن أربعين سنة لما اتّخذَ لنفسه زوجةً "رفقة بنت بتوئيل" الآرامي أخت لابان الآرامي من فدّان آرام**)(التكوين ٢٥: ٢٠)! مع أنّ هذا أمرٌ غريب عليهم ومستبعَدٌ جدّاً،

فهم لا يطرون أبداً الانتساب عشائرياً للأمّ! هكذا هي قبائل العرب، فهذا مخالف لعقيدة حفظ الأنساب الشرعيّة، إذ الكلّ منسوب لأمّه قطعاً، ولكن هل الجميع ينتسب لأبيه المُدّعى؟ هذا ما العربُ المؤمنون بشرعة النسل الشرعي يثبتونه طوال التاريخ[1]، بخلاف المجتمعات الإباحيّة والأموميّة العشتاريّة، التي لا يعرف المرء إلاّ انتسابه إلى أمّه!

لوقا من جهةٍ أخرى، سرد الشجرة في إنجيله بالترتيب نفسه، مع ذكر نسب المسيح (ع) حتى أنهاه إلى (**يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ تَارَحَ بْنِ نَاحُورَ بْنِ سَرُوجَ بْنِ رَعُو بْنِ فَالَجَ بْنِ عَابِرَ بْنِ شَالَحَ، بْنِ قِينَانَ بْنِ أَرْفَكْشَادَ بْنِ سَامِ بْنِ نُوحِ بْنِ لاَمَكَ، بْنِ مَتُوشَالَحَ بْنِ أَخْنُوخَ بْنِ يَارِدَ بْنِ مَهْلَلْئِيلَ بْنِ قِينَانَ، بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ ابْنِ اللهِ**)(لوقا ٣: ٣٤-٣٨)، طبعاً لوقا يعتمد على رواية شجرة التوراة نفسها، لا أنّه يضيف رواية أخرى مِن مصدر آخر، بدليل أنّه لا ينقلها عن المسيح، وأنّ غيره أو مَن سبقه من مدوّني الإنجيل "متّى ويوحنّا ومرقس" لم

[1] – بل هذا كان معنى الديموكراسي (Demo-cracy) حين ظهور اسمها لدى الفينيقيّين العرب، لا أنّه حكم الشعب، بل (دمو–كراس) دمو هو الآدمي، وكراس هو الكتابة والتسجيل ومنه جاءت الكرّاسة، أي تسجيل الآدميّين لآبائهم الشرعيين، ليكون لهم حقّ المواطنة الشرعية والتصويت، دون أبناء الحرام أو الإباحية أو الهمج، وبهذا يكون القرار للأبناء الشرعيين، وصار بعدها كأنّه الحكم للشعب، إنّما هو قرار البلد لأبنائه الحلال المسجّلين، وهذا ظلّ ساريا حتّى في الفقه حيث منعوا أن يكون القرار الشرعيّ لابن الزنا في إمامة الدين والقضاء وما شابه، لا سلباً لحقّه بل حفظاً للسلوك السويّ وتشدّداً لحراسة السبيل الإنساني في الزواج والإنجاب الطاهر.

يُوردا هذا النسب في أناجيلهم.

٢- **(وعند دراسة أعمار الآباء في الإصحاح الخامس من سفر التكوين حسب العبرانية يفهم منه أنّ طوفان نوح حصل بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم، فيما تجعله اليونانية سنة ٢٢٦٢، والسامرية ١٣٠٧. فكيف يجمع بين النصوص الثلاثة؟ ثم حسب النصّ العبراني فإنّ ميلاد المسيح سنة ٤٠٠٤ من خلق آدم، وهو في اليونانية سنة ٥٨٧٢، وفي السامرية ٤٧٠٠. وقد جرى في هذه المواضع المتعلقة بأعمار الآباء الأوائل التوفيق بين النصّ اليوناني والعبراني في الطبعات الحديثة من التوراة اليونانية. ومثله الخلاف في مقدار الزمن بين الطوفان وولادة إبراهيم، فإنّه في العبرانية ٢٩٢ سنة، وهو في اليونانية ١٠٧٢ سنة، وفي السامرية ٩٣٢ سنة....)**[1]، إذن هو اختلاف بآلاف السنين، والذي رجّحناه أنّ عصر آدم الرسول (لا الإنسان كما يظنّون) هو بستّة آلاف سنة قبل الميلاد حسب اليونانية، لا أربعة آلاف حسب (العبرانية!)، لأنّ العلوم الحضارية والعمرانية انفجرت بعد تلك الإحداثية (الألفية السابعة ق.م) شرقاً وغرباً.

٣- الروايات القصصية لدينا، حذا بعضُها حذو التوراة في الترتيب والأعمار، وأنّ كلّ الذي قبله وصّى للذي بعده، ما يلزم أنْ يكون

---

[1] - **http://truthway.com/ISOT/ISOT005.htm**.

آدم بالحساب الرياضي يعيش في عصر حفيده السابع؛ أبي نــوح (لامك) لمدّة ٥٦ سنة، ولا ندري كيف جمع آدم أولاده وأوصـى إلى شيث، وقد بقي على ولادة نوح ١٢٦ سنة، فهذا خُلاصة مـا قالته التوراة وكرّره القصّاصون:

(آدم) عاش إلى أيّام لامك، ومات قبل ولادة نوح ١٢٦ سنة.

(شيث) مات قبل ولادة نوح بـــ ١٤ سنة.

(أنوش) مات بعد ولادة نوح بـــ ٨٤ سنة.

(قينان) مات بعد ولادة نوح بـــ ١٧٩ سنة.

(مهلائيل) مات بعد ولادة نوح بـــ ٢٣٤ سنة.

(يرد) مات بعد ولادة نوح بـــ ٣٦٦ سنة.

إخنوخ مات قبل ولادة نوح بـــ ٦٩ سنة.

(متوشلح) مات بعد ولادة نوح بـــ ٦٠٠ سنة.

(لامك) مات بعد ولادة نوح بـــ ٥٩٥ سنة.

فالسؤال كيف وصّى (يرد) إلى (أخنوخ) ولده وقد مـات قبلـه؟ فأخنوخ مات قبل ولادة نوح بـــ ٦٩ سنة، ويرد مات بعـد ولادة نوح بـــ ٣٦٦ سنة! أيْ أنّ يرد عاش بعد وفـاة إخنـوخ ٤٣٥ سنة!

والسؤال الثاني: متى وصّى جدُّ نوح (متوشلح) ابنه لامـك (أب نوح)، والجدّ ما مات إلاّ سنة الفيضان بحسب التوراة ومرويّـات مزعومة (أي ٦٠٠ سنة من عمر نـوح)، والأب مـات قبـل الفيضان بـــ ٥ سنوات (أي ٥٩٥ سنة من عمر نوح)؟!

خاتمة الفصل

طالما حدّثَنا النُقّادُ والمؤرِّخون العرب وعلماءُ الغرب الجادّون والمحقِّقون، عن كشفهم لركامٍ من التهافت في "الكتاب المقدّس" بشقّه المسمّى "العهد القديم" لولا القدسيّة المنحولة مجّاناً لجميعه التي تستدعي وأداً وإخراساً لألسنة النُقّاد بل وملاحقة لهم وتكميمهم، ولقد رأينا في عجالتنا السابقة ومن عيّنات صغيرة، كما رأى الباحثون قبلنا، كيف أنّ اجتهادات الكهنة التي تمّ جمعها بمسمّى (التوراة)، قد حوى إلى جانب ما تضمّنه من نصوص السماء وشرائع الأنبياء، كثيراً من القدح الباطل في ساحة الأنبياء أنفسهم، وكثيراً من التناقض العلميّ والرياضي والتاريخيّ، وكثيراً من الاجتهادات المتكهّنة البعيدة عن الحقيقة، وكثيراً من البطولات (الشمشونيّة) الزائفة والأرقام الخياليّة الملفّقة، فمضامينُ هذه المدوّنة قد حوت الحقّ والباطل والسمين والغثّ والمعروف والمنكر، الأمر الذي جعل كتابًا كالتوراة الملفّقة تغذّي الاتّجاهين في آن واحد؛ نعني اتّجاه المعصية الآدميّة ومخالفة الفطرة وهتك الأسرة بالإباحيّة المُشرعنة فيها، والآخر اتّجاه التصحيح الآدميّ وسموّه الأخلاقي بالفضائل وقيَم الأسرة، أي أنّ التوراة دعى لمعصية آدم في وجه، ودعى لتوبته ورساليّته في آخر، فإذا كان في أقدس الأمور وأثبتها دينياً وأبسطها فطرة، وهي الفضائل والقيَم والاعتقاد بنزاهة رسل السماء، قد حوى التوراةُ النقيضيْن، وخلط المقدّس بالمدنّس، فإنّه في مجالاتٍ أخرى، كأحداث التاريخ ومسائل العلوم، سيغذو بالضرورة أقلّ مصداقيّة، لأنّ العقليّة البدائيّة

الملوّثة والعشائريّة الضيّقة، الكامنة وراء تلك الفجاجة في التدوين، هي نفسها، وستقع في الأخطاء العقليّة كما وقعت في خطيئاتها السابقة!

ولأنّ المآرب الخفيّة هي نفسها أيضاً، فلن تتيسّر لها نزاهةٌ أمينة، ولا مراجعة جادّة، ولا رصانةٌ بحثيّة، ليكون نقلُها أو حكمُها أو اجتهادُها في مسألة عويصة دينيّاً وعلميّاً، كمسألة الخلق الآدميّ والشجرة الآدميّة وتسلسل الشعوب، بكلّ ملحقات هذا الموضوع وتشعّباته وإفرازاته، لن يكون لها الوثاقة للقبول والاعتماد فضلاً عن التسليم الأبله الذي ساد عشرات القرون، ليُعرقل البحث العلميّ والاجتهاد الموضوعيّ الحرّ لفهم المسيرة الإنسانيّة في مسار خارج العقليّة التي قولبتها التوراة وأطّرتْ مجال حراكِها وضيّقتْ خناقَها.

هذا الاستبداد العقائدي والهيمنة اللامنطقيّة للتوراة ولتفاسير (الكتاب المقدّس) في مسائل ينبغي أن يتعاضد الوحيُ والعلمُ ومنطقُ العقلِ فيها، شابهه من جانب آخر، بل وبتأثير صدى وظلال الدوائر الآنفة نفسها، ما تقوم – وقامت– به تفاسيرُ القرآن على مرّ العصور السابقة في المسألة نفسها، حيث استبدّت بالعقل العلمي هي الأخرى لتدمغه بالتصوّر التوراتي الآنف نفسه، وهذا ما سيأخذنا تلقائيّاً لمجابهة أخرى، لكن من النوع نفسِه.

الفصل الثاني

صدام التفاسير مع القرآن والعلم

(إنّ هذا الظلام الذي يخيّم على حياة المسلمين إنّما من عدم مراعاتهم لقوانين القرآن الكريم). المؤرخ الايطالي برنس جيواني بوركيز.

غنيٌّ عن القول أنّ معظم التفاسير التي تناولت مسألة آدم في أحواله، ولم تُفرِّق بين آدمين (أو بين حقبتيْن لآدم)، وقعتْ في صدام عنيف مع الحقيقة العلميّة التي مردُّها أنْ تُكتشف ليُجعَل السوء واللائمة ظُلماً على كتاب الله بدلاً من تفاسير الرجال وآرائهم، فأوقعتْ العقل في تناقض صريح مع اعتقاده ومنطقه، وإنّ من أهمّ أسباب هذا التفارق عن الحقّ:

أوّلاً: عدم الاعتناء بنظام القرآن نفسه، عدم الجدّ في كشف الفارق بين آياتِه وألفاظها وتراكيبها، وبدلاً من أن تكون التفاسير بياناً للآية ظلّت مجرّد حواشٍ وتعقيبات على الآية الشريفة التي لم تُمَسّ لتظلّ بكراً لمْ تُفضّ، تفاسير لا تكشف سبب وجود هذا اللفظ القرآنيّ دون غيره وعلّة هذه الصياغة والسياق والسبْك دون سواه، وهذا هو معنى التفسير في الحقيقة، لأنّ التفسير تعليل لورود الآية بألفاظها بهذه الكيفيّة لا غير.

ثانيا: اعتماد المفسِّر مرويّات مدخولة على الدين وعلى أهلِه بدون محاكمة لها، أو التعجّل بالحكم والقول بلا علم.

ثالثا: وهْم القداسة الآسِر التي يُسبغها المسلمون أو اليهود والمسيحيّون على مرويّ وعلى راوٍ وعلى كتاب أو مدوّنةِ نصوص، وأيضاً إسباغُها على آدم الأوّل بظنّ أنّه رسول معصوم!

رابعاً: سيادةُ غرورٍ أو اكتفاء عقليّ دينيّ يزوي الاعتراف بمصادر أو نُظُم أخرى للمعرفة؛ حاسِمة أو مُصوِّبة أو مُخطِّئة، تتيح التحقّق من هذه المقولات الدينيّة (الرجاليّة لا عن وحي) كعلوم البحوث الآثاريّة والجينيّة والتاريخيّة والألسنيّة والإثنيّة وغيرها.

سنتعرّض في تجوالنا بهذا الفصل، إلى فصلٍ آخر من أسباب تكريس المقولة التوراتية بشأن "آدم" في عقل المسلمين واعتقادهم، لنُناقش حقيقة هذا التسليم وأدواته ودلائله، الذي بتصييره (آدم الأوّل) رسولاً معصوماً فتح جدلاً لم تنته فصولُه في معصية أو لامعصية الأنبياء، وأربك تواريخ الشجرة الآدميّة ومسلسل تواجدها الزمنيّ والجغرافيّ على الأرض، والذي حين جاءت حصائد كشوفات الآثار الآركيولوجيّة والجينيّة الدالّة على سبْق الوجود الآدميّ (أي الإنساني) بعشرات الآلاف من السنين قبل آدم التوراتيّ (الرسول) المنظَّرِ له على أنّه أبو الناس جميعاً! والمُبطلة بمعطيات شواهدها الصارمة لهذا التصوّر التوراتيّ الذي سار بعربة "إسلاميّة" هذه المرّة، الأمر الذي حدا بعلماء الطبيعة والآثار والتاريخ إلى تجاوز "التوراة" في الغرب

بعد دحض مقولته، وإلى افتراض وجود (آدم) آخر ظهر إلى الوجود قبل قُرابة خمسين ألف سنة سمّوه (آدم العلميّ)، كـلّ ذلـك أحـدث تناقضاً بين (حقائق العلم) وبين ما رُكِّز ظلماً أنّه (مقالة الدين!) لديْنا، ليُقيم جدلاً آخر لا داعيَ له عن صـراع (الـدينيّ) بـ(العلمـيّ)، وإمكانيّة تأويل النصّ (الوحي)، أو القول بتاريخيّتـه وفـق أرضـيّة العقليّة القديمة، بل وكونه مجرّد كسبٍ بشريّ قابل للتجاوز!

سنعود للنصّ القرآنيّ الشريف لنُحقِّق فيما ادُّعـي أنّـه "مقالـة الدين" بشأن آدم وشجرة الإنسانيّة المنبثقة عنه، ونستطلع ونحلّـل – وفق منطق القرآن ونظامه– الآيات الوارد فيها ذكْـرُ (آدم) لنكـشف أنّهما آدمان فعلاً، ظهرا في حقبتيْن من الزمن، بل وسنكتـشف سـرّ تأخّر بعثة الرسل الذين استهلّهم (آدمُ الرسول)، ودورَهم فـي البنـاء الحضاري والتعليم العالمي لبني آدم الذين كانوا موجودين قبل بعثات الرسل أي قبل بزوغ "آدم الرسول"، وستتفسّر تلقائيـاً آيـاتٌ كثيـرةٌ طواعيةً بعد تعتعة السنين، وسيستبين معهـا فهـمُ روايـات كثيـرة وستنفكّ معاضلها، لنخرج باقتراحٍ آخر أليق وأنسب للشجرة الآدميّة، منذ خرجت إلى الوجود قبل قرابة خمسين ألف سنة، حتّى مرورهـا بحقبة الرسل والانفجار الحضاري قبل حوالي عشرة آلاف سنة.

أوّلاً– وهم القداسة ومعضلة العصمة والمعصية

وهْمُ القداسة، هذا الماردُ العتيد، جنح وجمح كثيـراً بـالبعض، حتّى ظنّ بأنّ آدم لم يعْصِ، وقام يُسوّغ له المسوّغات ليُبرّئه، والقرآن

يهتف "عصى" "غوى" "تاب". أو يزعم "أنّ النّهي كان أمراً إرشـاديّاً" فقط، وقد رأينا قرآنيّاً فداحة الأمر، وأنّ الأمْرُ أمْر، والممنوع ممنوع، ثمّ ذهب بهم الخيال إلى أنّ هذا مكتوبٌ على آدم، حتّى شطح البعضُ فقال إعلاءً لشأن آدم "لو أنّ آدم لم يأكل مِن الشجرة لطرده الله شـرّ طردة من الجنّة، لائماً له على عدم تصديقه مَنْ يُقسم باسـمه"! ولا ندري كيف فاتتهم الوصيّةُ الربّانية بتحذير آدم عدم تصديق الـشيطان ولو حلف بالأسماء الحسنى كلّها (**إِنَّ هَذَا عَـدُوٌّ لَـكَ وَلِزَوْجِـكَ فَـلا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ...؟!**)(طـه:١١٧)، ثُمّ يلومه قائلاً: (**أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِـينٌ**)(الأعـراف:٢٢)، لكنْ إذا كانت الآراء تأتي مِنْ خارج القرآن، مِن المـزاج، والعقيـدة، والخيال، والقداسة، فهذا شأنها، وليتهم إذْ لمْ يأتوا بها مِنْ القرآن قـد عرضوها على القرآن على الأقلّ، قبل أنْ يبوحوا بها.

وإنّ من بعض العرْض على القرآن، اكتشافنا منه أنّ الإنـسان الأوّل (آدم) هو غير معصوم، فالشيطان أقسم: (**قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْـوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِـينَ* إِلاَّ عِبَـادَكَ مِـنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ* قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ* إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنْ اتَّبَعَكَ مِنْ الْغَاوِينَ**)(الحجر:٣٩-٤٢)، فالله سبحانه يُخبِـر، والشيطان أيضاً: أنّ عباد الله المخلصين، ليس لإبليس سلطان عليهم، إلاّ الغاوين، وهل تسلّط على آدم وأخرجه سـوى إبلـيس، والله أكّـد أيضاً أنّ آدم قد "**غوى**"، والعباد المخلَصون أرقاهم الأنبياء كما أخبـر تعالى في يوسف النبي (**إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ**)(يوسـف:٢٤)، وفـي

موسى النبيّ (.. **مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصاً وَكَانَ رَسُولاً نَبِيّاً**)(مريم:٥١)، وفي سورة الصافات جعل الأنبياء وأتباعهم الناجين من الهلاك (**عباد الله المخلَصين**)، وهم لا يغوون فقد قال تعالى عن مثل أولئك المعصومين (**مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى**)(النجم:٢).

وأخيراً مِنْ تلك الخيالات مَنْ يقول: أنّ خروج آدم "إلى الأرض" لابدّ منه، بدليل (**جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً**)(البقرة:٣٠) و(**لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ**)(الحجر:٣٩)، وما الشجرة المحرّمة والأكْل منها إلاّ قنطرةٌ وتسبيبٌ ربّانيّ لهذا الإخراج الذي لابدّ منه لممارسة الخلافة! أي من أجل أن يُمارس آدم الخلافة (الملك الأبدي) لابدّ من أن يقرب الشجرة ويعصي ربّه! وهذا للأسف مِنْ الآراء الرائجة والمشهورة، مع أنّ هذا الرأي – للأسف – هو رأي إبليس تماماً بل أسوأ، حين قال لآدم (**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**)(طه:١٢٠)، والتي معناها حرفيّاً كما بيّنّا في بحث (وعصى آدم)، نفسَ الرأي أعلاه؛ (أنّ ذرّيتك يا آدم التي ستخلف الأرض هي شجرة الخلد التي لك، ولن تستطيع ممارسة الخلافة بها حتّى تخرج من الجنّة لتصنع هذه الذرّية (شجرة تخليدك)، ذرّية الخلافة الإنسانيّة)، حتّى ولو أتت بتحريشه على معاشرة الشجرة (السلالة) الهمجيّة البشريّة المحرّمة، سوى أنّ الرأي الرائج هوّن من الأمر الربّاني بعدم قرب الشجرة بجعله إرشادياً أمّا إبليس فقد احترم آدم أكثر إذ لو علم آدم أنّ النهي الربّاني إرشاديّ لما تجاوزه أيضاً، فذلّل إبليس هذا التحريض بقوله لهما أنّ أمر الربّ بتحريم مقاربة

الشجرة موجودٌ فعلاً، لكنْ وُجوبه ليس إلاّ على الملائكة وعلى الخالدين في الجنّة لا عليكما، وأنتما بطبيعة الحال لستما بملَكيْن كما أنّكما غير ممنوعين من الخروج من الجنّة، فلستما منهييْن عنها: **(وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)**(الأعراف: ٢٠)!

فخلاصة رأي إبليس أنّ الله ما نهاه عن الشجرة فعليه أن يهبط ليُعاشرها ويُمارس خلافته الأرضيّة، وخلاصة رأيهم، أنّ الله نهاه (إرشاداً) لكنّه أراده أن يعصي ليهبط الأرض ويُمارس خلافته! أيْ أنّ عمليّة النهي والطرد والعقوبة والإبعاد والتوبة، كلّها تمثيليّة على آدم المسكين الذي غصّ بدموعه أدهراً، حتّى صار في التاريخ مِنْ أشهر البكّائين، وأنّ القرآن الكريم يخدعنا إذ يقول "**عصى**"، "**غوى**"، "**تاب عليه وهدى**"، فكلّها لا معنى لها كما لا معنى للمئات من المرويات التي تعجّ بذكر ألفاظ المعصية وحيثيّاتها ونتائجها وآثارها! فقط لتبقى القداسة المخترعة لآدم الأوّل، لأنّهم ظنّوه نفسه آدم الرسول المعصوم، ففسد المنطق وسادت الفوضى.

مع أنّ المطّلع في كتب الروايات لدى طوائف المسلمين سواءً المرويّة عن أهل البيت (ع) أو الصحابة والتابعين (رض)، ليهوله الكمّ الهائل المُجمع بشتّى ألفاظه في تعداد معصية آدم وذنبه وتأكيدهما، يومئ بعضها أنّه هو "الإنسان" الأوّل الذي حمل الأمانة فكان ظلوماً جهولاً، وأنّ الله أبعده عن جواره وطرده من جنّته لذنبه

وجرأته وناداه منادٍ من العرش "**يا آدم اخرج مِـنْ جـواري فإنـه لا يجاورني أحد عصاني**"[1]، ومرويّات تقول أنّ الله جمعه بموسى (ع) في عالم المكاشفة فاحتجّ عليه موسى "لمَ عصيت ربّك؟" وأنّ الناس تتوسّل به يوم القيامة فيفرّ عنهم لأنّه الذي أخرجهم من الجنّة، وأنّ جبريل نزل عليه بعد طرده من الجنّة يلومه له "**لمَ عـصيتَ ربّـك؟**"، ورواية تقول "**لولا أنّ آدم أذنب ما أذنب مؤمن أبدا**"، وغيرها الكثير!

ثانيا- الإذعان للنتائج العلميّة الآثاريّة

حين يقول سبحانه (**قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْـفَ بَـدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّـشْأَةَ الْـآخِرَةَ إِنَّ اللَّـهَ عَلَـى كُـلِّ شَـيْءٍ قَدِيرٌ**)(العنكبوت:٢٠)، فيعني أنّ بالسير في الأرض والنظر بإمكاننا معرفة كيف بدأ الخلق، وقد قلنا سلفا مرّات ونعيده، ليس الخلق هنا، هو خلق الكون (المجرّات)، ولا الكوكب الأرضي، بل هو البشر الذي خُلق (أُنشئ) في الأرض، ليس هو النبات ولا الحيوان وإن كانا أُنشئا في الأرض أيضاً مثله وبنفس الطريقة لذلك لم يقل تعالى "البشر" بل سمّاه (**الخلق**)، وهو كائنات اليابسة الحيّة أُنبتت جميعاً كالبشر من الأرض نباتا (**وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتاً**)(نوح:١٧)، وليس الإنسان العاقل الذي جاء بعد ملايين السنين، فالإنسان العاقل (آدم) خُلِق في طين الجنّة من خامة مخلوق بشريّ سابق، ولا يُمكن لأحد المدعوّين بالسير في الأرض أن يدخل الجنّة المخفيّة ليرى كيف خُلق أوّل

---

[1] - المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١١، ص١٧١.

إنسان، فالظرف المُسارُ فيه، هو موضع خلق الكائن البشري (أفــراد الخلْق البشري الأوّل) المراد النظر كيف خُلقوا (بيولوجيّاً) كأجنــاس الكائنات الأخرى (**الخلْق**)، لأنّ مثل هذه التخليقة (أو النشأة الأولــى) ستتكرّر مرّةً ثانية تماماً على بيولوجيا البشر الإنسان فقط، وهي قيامة البعث (**النشأة الآخرة**)، فالقرآن لمْ يُطلق عليها هنا (نــشأة أخــرى) لتكون مغايرة عن الأولى، هنا دوْرُ حكمــةُ النظــام القرآنــي ودقّــةُ المفردة العربيّة، هي (**نشأة <u>آخرة</u>**) لا "أخرى"، فــي مقابــل واحــدة (أولى) تمّتْ بالكيفيّة نفسها، في طين الأرض وخــرج البــشر مــن أجداثها (شقوقها)، كما قالته أساطير سومر وبابل أيضاً.

فكما لا يُمكننا مجافاة الحقيقة العلمية عن صفوف البشر الأوائل الذين أُنشئوا في الأرض من حاضنات طينيّة (بشريّة) منــذ ملايــين السنين، لنُسارع (بفرضيّات غير علميّة) بجعلهم قــروداً كمــا عليــه نظريّة النشوء والارتقاء الداروينيّة، أو تلافيهم (دينيا) وكــأنّهم غيــر موجودين بالمرّة ولا مكتشفةً آثارُهم، مع أنّهم هم المقــصودون فــي الآية القرآنية بطلب استكشافهم وكيف خُلِقوا، ليكون هذا الكشف إحدى دلائل البعث وطلاقة القدرة الربّانيّة على خلقنا من تراب مباشرة. ولا يُمكننا مجافاة العلم كذلك، بزعم استهلال الوجود البشري بآدم وحوّاء، هذا خطأٌ وإزراءٌ بنصوص الدّين والعلم معاً، آدم ليس أبا البشر، بــل أبُ الإنسانيّة اللاحقة، أبُ الناس، ولمْ يظهرْ الناس (البــشر الــواعي) للوجود كذريّة لآدم إلاّ قُرابة خمسين ألف عام، عن طريــق التناســل

وليس من الأرض أو التراب **(كالحشيش/نباتاً)** كما قالتــه الأســاطير والقرآن الكريم.

فكما لا يسعنا مجافاة العلم في خلط هاتيك الحقبتــيْن (البــشريّة والإنسانيّة)، لا يسعنا بالمقدار نفسِه، دمج (الإنسانيّة بالرسوليّة) بجعل حقبة (آدم الإنسان) التي ترجع إلى قريبٍ من خمسين ألــف ســنة[1]، والتي لمْ تكشف لنا العلوم الآثاريّة أيّ تطوّر حضاري أو مدنيّ إبّانها أو حتّى بعدها ولو بآلاف السنين، نجعلها هي نفسها حقبةَ آدم الرسول (ع) التي تقبع في العشرة آلاف سنة الآخيرة الماضية، الحقبــة التــي بدأت فيها تتبلور الحضارة بما تشمله من وصــايا الــدّين وتعاليمــه ومعالم الزراعة والمساحة والفلَك والطبّ والصناعة وانفجار العلــوم المتنوّعة وانتشار تجمّعات القرى وفنون الرعــي والتــدجين وتــرك المغارات والكهوف وعيش الالتقاط، ثمّ ظهور النقش والكتابة بعد عدّة

---

[1] – يقول بروفيسور الجينات كايالّي سفورزا (إنّ خمسين ألف سنة تُعدّ قليلة لحــصول تطــوّر جيني في الإنسان، ولهذا يُعزى قلّة اختلاف الناس جينيّاً .. وهناك أحافير لأشباه الإنــسان مــن البشر البدائي قبل ستين ألف سنة وبعضها قد يعود لثلاثة ملايين سنة، وكلّها مغايرة جدّاً لأحافير الإنسان العصري.

Fifty thousand years or so is a short time in evolutionary terms, and this may help to explain why, genetically speaking, human races show relatively small differences. Future discoveries may of course alter these conclusions. It should also be noted that there are fossils of manlike primates that are a great deal more than 60,000 years old. Indeed, some of these fossils may be three million years old. All of them, however, are quite distinct from the fossils of modern man.

Cavalli-Sforza, Luigi L. [Professor of Genetics Emeritus, Stanford University School of Medicine, USA], "The Genetics of Human Populations", Scientific American, Vol. 231, pp.81-89, September 1974, p.89.

ألفٍ من السنين لتُدوِّن الآثار والتعاليم والعلوم وتُؤسطر بعضها، حقبة آدم الرسول (ع)، هذا الدّمج القاسي (بين حقبة آدم الإنسان والآخــر الرسول)، هو كإصرار أحدِنا اليوم أنّ زمن السفر بالبغــال والحميــر هو نفسُه زمن السفر بالطائرات والقطارات، هــذا اســتخفافٌ بعلــم التاريخ ومسيرة التطوّر البشريّ لا أقلّ في مدنيّته وأدواتــه، وطــيٌّ واختزالٌ غير محسوب لحقب الأزمــان وعلومهــا المــسمّى حاليــاً (كرونولوجي)[1]، علاوةً أنّه في أساسِه ترْكٌ لعروة قراءة القرآن كمــا هو، لنسمح لأنفسنا بالقول بعْدها صدْقاً لا اعتباطاً "صدَق اللهُ العظــيم" فنصْدُق في قوْلِنا ويَصْدُق قولُه تعالى، لا كمــا فُهِــم مــن مفــسّري التوراة، ولمْ يصدُقْ شيءٌ!

ولقد تمّ تمثيل هذه المقاطع الزمنيّة ببناء هــرَمٍ رقمــيّ سُــمّي بــ(هرم النشوءات)، يُشرَح به ما توصّل له العلــم مــن حقــائق أو استنتاجات بشأن بدايات الخلائق الحيّة التي هيّأ كوكبُنا لوجودها قبــل

---

[1] – (كرونولوجي Chronology): هو علم السنين، علم تقسيم حقب الأزمنة، وبناءً على رأينــا أنّ اللغة العربيّة القديمة هي أمّ اللهجات التي ذهبت شرقاً وغرباً، واختلط بعضها مع أصــوات بدائيّة ومحاكيات (محاولات إنسانيّة) لصنع لغة تفاهم، قام بها الإنسان العاقل الهمجيّ الذي سمّي (بربري Barbarian) لذلك، فإنّ اختلاط اللهجات المهاجرة العربية مع تلك الأصوات ولّد ألسنة كثيرة بعضها باد وآخر صمد وتطوّر ليُصبح لغات تبتعد بتحوّراتها كثيراً عن أبناء عمومتها من اللهجات العربيّة القديمة التي باد كثير منها هــي الأخــرى (كالكنعانيّــة!)، ويتوقّــف بعــضُها (كالسريانيّة)، ويتطوّر آخر ليدوم ويبقى (كالفصحى/العرباء النقيّة) واللهجــات الــشعبيّة، فــ (كرونو–لوجي) هو (قرونو – لهجة/لغة) أي لغو القرون، لغة أحقاب القرون، تحدُّث الزمان عن أخباره. ومن هذا الجذر أيضاً (قرون) جاءت (Chronicle) وتعني تاريخ، و(Chronicler) هو المؤرّخ للأحداث التاريخيّة وفقاً لتسلسلها الزمنيّ.

قرابة ٤ مليارات سنة ونصف، وكأنّه شاع لديهم أنّ مِن شبه المسلَّم أو المقبول تحديد حقبة البشر قبل قرابة ثلاثة ملايين سنة، وأنّ حقبة الإنسان العاقل (نحن) ظهرت قبل قرابة ٥٠ ألف سنة، وحقبة بزوغ الحضارة بعلومها من قبل هذا الإنسان بدأت قرابة ١٠ آلاف سنة.

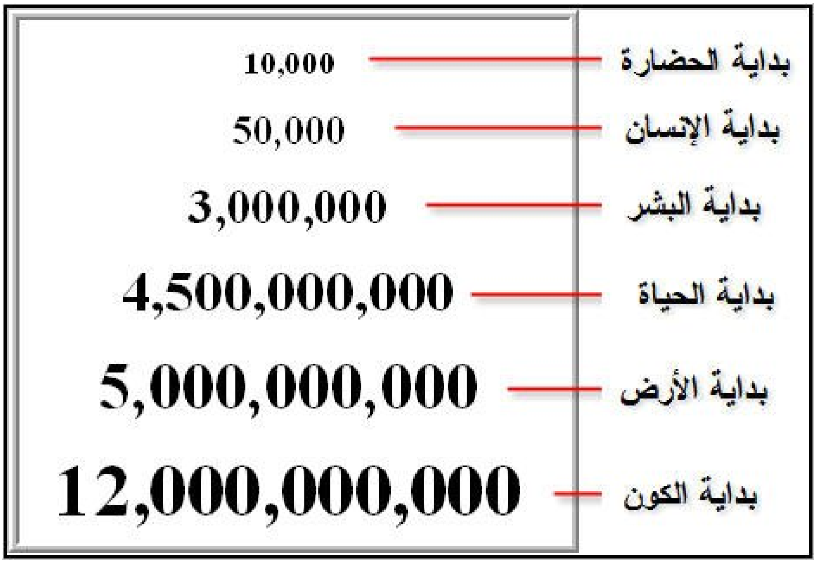

الشكل رقم (١): Pyramid of Creations

ومن المشرّف وعيُ بعض المفسّرين المسلمين لهذا الخطأ المتوارث وإعلانه التشكيك في هذه المسلّمة، بعد قيام العلم بإثبات وهنها، وأحدُهم المُفكِّر التونسيّ الشيخ الطاهر بن عاشور (ره)، ليُدلِّل هذا العالِمُ الدينيّ مرّةً ثانية بأنّ هذا الخطأ الملتبس ليس مسلَّمة دينيّة، بقوله: **(قد جاء في سفر التكوين من كتاب العهد عند اليهود ما يقتضي: أنّ آدم وُجد على الأرض في وقت يوافق سنة ٣٩٤٢ قبل**

ميلاد عيسى، وأنه عاش ٩٣٠ سنة، فتكون وفاته في سنة ٣٠١٢ قبل ميلاد عيسى، هذا ما تقبّله المؤرّخون المتبعون لضبط السنين، والمظنون عند المحققين الناظرين في شواهد حضارة البشرية أنّ هذا الضبط لا يعتمد، وأنّ وجود آدم متقادمٌ في أزمنة مترامية البعد هي أكثر بكثير مما حدّده سفر التكوين)[١]!

ثالثا- بين آدم العلميّ (الإنسان) وآدم التوراتي (الرسول)

في مشروع إنثروبولوجي حول العالَم سُمِّي (مشروع البيانية الجينيّة Genographic Project)[٢] بتتبّع تحليلي للجينات، لرصد اطّراد الطفرات النادرة (كبصمة) في كروموزوم جنس الذكورة (واي Y)، وفي محاولات مستميتة لمعرفة أصل الإنسان وحسم المعارك العلميّة وافتراضاتها وأيضاً المزاعم الدينيّة وتفسيراتها للوجود البشريّ، اكتشف عالِمٌ تحدّر أشجار العالَم ورجوعها لرجل واحد فعلاً، هو الذي ابتدأتْ منه ملكات الإبداع واللغة المعقّدة، أطلقوا عليه اسم (آدم العلميّ Scientific Adam) في قبال (آدم التوراتي Bible's Adam) غير المُقنِع! وبناءً على تقريبات زمنيّة مقنعة علمياً تسمح بحدوث هذه الطفرات المكتشفة، فقد أرجعوا حقبة (آدم العلمي) هذا إلى احتماليّة بلوغها (٥٠ إلى٦٠ ألف) سنة، وهو قريب ممّا ندّعي أنّ القرآن بيّنه (أقلّ من ٥٠ ألف سنة ببضعة آلاف)، فآدم

---

[1] – الطاهر بن عاشور، **تفسير التنوير والتحرير**، ج٣، ص٧٤٧.

[2] – **http://blogs.nationalgeographic.com/channel/blog/2005/06/explorer_adam.html**

البيولوجي أو العلميّ (حسب تسميتهم) هو آدم الإنسان (بحسبنا)، أمّا آدم التوراتي فهو تحريف لآدم الرسول حين دُمِج في الذّاكرة مع آدم الإنسان الأوّل البعيد (العلميّ)، دُمِجا في حقبة تاريخية واحدة قريبة نسبياً لا يعترف بها العلمُ الجينيّ ولا الآثاريّ كنقطة صفر على وجود الإنسان، وإن كانت صالحة كإحداثيّة زمنيّة تُقرِّر انفجار علوم المدنيّة ورسالة الحضارة وانتشارها شرقاً وغرباً.

لم يدرِ أولئك العلماء المثابرون الباحثون عن الحقيقة، أنّهم يُنفّذون وصية القرآن بهذا التتبّع الجيني والسلالي والإثنيّ في عوالم البشر في قوله تعالى **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ)**(العنكبوت:٢٠) أيْ الخلْق البشري، ثمّ الإنسانيّ، وربما لم يدروا أو لم يقولوا أنهم بذلك، قد وجّهوا لكمة قويّة وحطّموا كذبةً وخرافة أخرى أبشع أنّ البشر تحدّروا من نوح بعد الطوفان العالميّ المزعوم!!

أمّا الذي لم يلتفت له أولئك العلماء الحقيقيّون، فهو فرضيّتهم أنّ آدم العلميّ كان يقبع في شرق أفريقيا، وهذا لأنّهم لم يربطوا أنّ البحر الأحمر كان وادياً في حقبة ما قبل أن يكون بحراً، وأنّ شرق أفريقيا وغرب الجزيرة العربية متّصلتان يوماً ما.

وربّما قصورهم الآخر، مع أنّهم أقرّوا باندثار الجنس البشري السابق على آدم والمزامن له، ووجدوا الدلائل المشيرة لذلك، ورأوا الطفرة في عقل آدم ولغة آدم وإبداع آدم، فحيّرتهم هذه الطفرة دون

أنداده، ثمّ حيّرتهم أكثر كيف من آدم وحده صارت الناس هـذه كلّها من دون من معه من أنداد ومرافقين! فأخطأوا تفسير ما بين أيـديهم، حين افترضوا تخمينا بأنّ النساء أيّامها ربّما رأوا هذه المواهـب فـي آدم فتعلّقن به جميعاً ليكون فحلها ولتحظى بذرّية ممتازة، فكان أبنـاء الجيل الثاني كلّهم منه (أبناء لآدم وحده)، يحملون جيناتـه ومواهبـه حتّى سادوا وانقرضت بقيّة الأشجار والسلالات! طبْعاً هذا افتـراض وخيال.

فلم يُفسّروا القفزة الدماغية والعلمية والإبداعية بتدخّل ربـوبي علويّ هندستْ رجلاً بشرياً جينياً وأمدّته بالنفخة الروحيـة وصـيّرته (آدم)، كما بيّنّاه في بحث "الخلق الأوّل"، بل مجـرّد طفـرة غريبـة مبهمة طرأتْ على "آدم" لا يُمكن تفسيرها (هكذا قالوا)!

رابعاً- الآيات الفارزة بين آدمين ومناقشتها

لدينا ٢٥ ورودا لاسم (آدم) في كتاب الله، ٢١ منها المقـصود منه آدم الأوّل، كلّ آيات الخلق الأول وإسجاد الملائكـة واسـتنكاف إبليس وسكن الجنّة والخروج منها والمعصية الأولى فالمقصود منهـا آدم أبو الناس، بحيث صار الناس جميعاً مهمـا ابتعـدوا (بنـي آدم) والواحد منهم (ابن آدم) والاثنان (ابنيْ آدم)، وهناك آيتان تنطبق على الآدمين، كقوله تعالى **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ[1])**(المائـدة:٢٧)، وربّمـا

---

[1] - هذه الآية بالذّات، سنجد أنّها جمعت بين الآدميّة الإنسانيّة، والآدم الرسول، فقابيل وهابيل هما آدميّان (ابنا آدم) لا همجاً بشريّين، وهما أيضاً أبناء (آدم الرسول) في قرية من القرى التي كانت

أيضاً قوله (**إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ**)(آل عمران:٥٩)، وسيأتي شرح هذه الفرضيّة لاحقاً، وبقيتْ آيتان (آدم) فيهما ليس آدم الأوّل، بل آدم الرسول المصطفى، وهما:

١- (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**)(آل عمران:٣٣).

٢- (**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ ...**)(مريم:٥٨).

سنَعرض هنا وجِهات المفسّرين فيها وكيف "فسّروا" هاتين الآيتيْن أو "عالجوهما"، مع تحفّظنا على مصطلح "عالج" كأداة أو كمشارِط يتمّ التعامل بها مع آيات كتاب الله المُبين! وسنرى القصور في أجوبتهم بل والتناقض، جرّاء عدم الاعتناء بالسياق والضبابيّة في تحديد المفاهيم والدلالات؛ كدلالة "**ذرّية**" "**عالمين**" "**اصطفى على**" "**بعضها من بعض**"، ما أنتج تركيبةً وسياقاً تفسيريّاً للآية لا يتوافق مع تضامّ عباراتها عربيّاً، بل يُوقِع تشاكساً دلاليّاً مع أجزائها، فضلاً عن جعلها مُتضاربةً مع آيات أخرى، فضلاً عن إبرازها كمتناقضةٍ مع الحقيقة الموضوعيّة (التاريخيّة والعلميّة).

سنتعرّف في الآية الأولى (**إنّ اللهَ اصطفى آدمَ**) على معنى اصطفاء (آدم) على (العالمين) وإن كان هذا آدم الأوّل أم الثاني، ثمّ نتعرّف في الآية الثانية (**الذين أنعم الله عليهم مِن النبيّين من ذرّية آدم**)،

حوالي مكّة، وُجدت قبل أكثر من ٨٠٠٠ سنة.

معنى كون "النبيّين" من ذرّية آدم لا من ذرّية غيره، وإن كان من المنطق القول أنّ هذا هو آدم أوّل إنسان من جنسِه، لِنُدرك علّة جعْل آدم هذا بإزاء رسلٍ كنوح وآل إبراهيم وآل عمران كمنابع لأصول الذراري، وسنتعرّف في آية ثالثة **(كان الناسُ أمّةً واحدةً فبعث اللهُ النبيّين)** على أسبقيّة وجود "الناس" (أي العالمين) على حُقَب انبعاث الرسل.

أ- (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ)

سنُحاول ترسّم خارطة الاعتناء الربّاني بنا عبر بيوت أذن الله لها أن تُرفع لتبثّ لنا ذكره وذكر إنسانيّتنا، بتفكيك هذه الآية الشريفة العظيمة المضامين، وفق منهج القرآن نفسِه وبيانيّة لسانه، ليتميّز ببيانه العجيب عمّا خلطه المفسّرون بها فتعمّتْ علينا، وسنرى بجلاء معنى هذا الاصطفاء التاريخيّ (لآدم على العالمين)، بل ومعنى اصطفاء ثلاث كيانات تاريخيّة تباعاً بعده، بدأ أوّلها بشخص آدم مروراً بشخص نوح مروراً بآل إبراهيم وانتهاءً بآل عمران، ومن ثمّ سنُحاول أن نكشف للقارئ لماذا هذا الاصطفاء، وفي أيّ سياق وقع، وإن كان ثمّة يُوجَد اصطفاء خامسٍ أم أنّ مسلسل اصطفاء الله لبيوتات صالحة على العالمين قد توقّف؟ إذن فلنا أن نتساءل: مِن أيّ بيت بزغت لنا شمسُ الرسالةِ الفطريّة الخاتمة؟

١- تفسيرٌ يضرّ ولا ينفع

هذه الآية كانت معضلة لدى المفسّرين القدامى والمحدثين(ره)،

فالقدماء يقولون تعقيباً على:

الآية: **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)**(آل عمران:٣٣-٣٤).

يُعقّبون، وعلامات التعجّب من وضْعِنا: ("**آلَ إبراهيم**" إسماعيل وإسحاق وأولادهما. "**وآلَ عمران**" موسى وهارون ابنا عمران بن يصهر (!) وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين ألف وثمانمائة سنة (!) و "**ذريةً**" بدل من آل إبراهيم وآل عمران (!!) "**بعضُها من بعضٍ**" يعني أنّ الآلين (!!!) ذريةٌ واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض)[1].

أو تعقيبهم الآخر: (يقال: اختار آدم بخمسة أشياء: أوّلها أنّه خلقه بيده في أحسن صورة بقدرته، والثاني أنّه علّمه الأسماء كلّها، والثالث أمَر الملائكة بأنْ يسجدوا له، والرابع أسكنه الجنّة، والخامس جعله أبا البشر. واختار نوحًا بخمسة أشياء: أوّلها أنّه جعله أبا البشر، لأنّ الناس كلّهم غرقوا وصار ذريته هم الباقين .. وجعله أوّل رسولٍ بعثه إلى أهل الأرض)[2].

طبعاً لا علاقة بالآية مع ما عقّبه المفسّرون على الآية! وما سُطِّر أعلاه مع أنّه مجرّد أربعة أسطر، لكنّه مشبع بالأخطاء المعرفيّة

---

[1] – الزمخشري، **الكشّاف**، ج١، ص٢٤١؛ البيضاوي، **تفسير البيضاوي**، ج١، ص١٠٣.

[2] – القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٤، ص٦٣؛ وابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج١، ص٣٦٦، وغيرهما.

والتاريخيّة والعلميّة من كلّ جانب، فآدم الأوّل لم يتمّ "اختيـاره" بـل تخليقه كأوّل فرد من جنس الإنسان، فضلاً أن يكون تمّ اختياره علـى أناس من ذرّيته لم يأتوا بعد! ومفردة (العـالمين) لا تعنـي (أفـراد الناس) بل تعني مجتمعات مختلفة متنوّعة من الناس أي (مجموعـات إنسانيّة)، فلا يُمكن اصطفاؤه على مجموعات إنسيّة (عالمين) وهي لم تتشكّل بعد!

ثمّ أنّ التعبير القرآني كان أنّ آدم خُلِق من طين الجنّة (بيـديْ) الربّ (يدين اثنتيْن/قوّتيْن) لا بيـدٍ واحـدة، وإسـكانه الجنّـة لـيس خصيصة، ليُقال أنّه اختاره على الناس بها، وقد كانـت حـوّاء معـه لقول القرآن "**اسكُنْ أنت وزوجك الجنّة**" لكنْ دائماً تُستثنى وتُتجاهَـل! بل حتى إبليس دخل الجنّة! وكلّ مؤمن صالح يموت يدخل الآن الجنّة التي كان فيها آدم، أمّا سجود الملائكة لآدم فهي لكلّ آدميّ، وهم مـا زالوا ساجدين للآن، وإبليس ما زال آبياً عن السجود للآن! أمّا أنّ آدم أبًا للبشر، فليس بصحيح، بل هو أبو البشر العاقل فقط (النـاس)، وإلاّ فالبشر الهمج موجودون قبله بمئات الآلاف من السنين، كشفاً آثاريـاً وإثباتاً قرآنياً.

ثمّ أنّ نوحاً قد صار أباً للبشر هو كذبةٌ سرتْ من فهمٍ خـاطئ لنصّ التوراة وإسقاطٍ مقصود مُخطَّطٍ له، كذبةٌ يهوديّة انطلـتْ علينـا ودُسّتْ في مصادرنا ومراجعنا ومرويّاتنا، فتابعها مفسّرونا، وسـمّوا

نوحاً آدم الثاني![1] ولا بأس بالتسميّة فكلّ مؤسّس قومٍ عُدّ كـآدم الأوّل لكنّهم أخطأوا تعليلها إذ جعلوا كلّ البشر من نوح، كما أخطأت تلك الأقوام إذ جعلت مؤسّسها أصل العالمين لا فقط أصلهم الإثني أو فقط الروحيّ: (عن الزهري: أنّ العرب وفارس والروم وأهل الشام وأهل اليمن من ولد سام بن نوح. والسند والهند والزنج والحبشة والزط والنوبة، وكلّ جلد أسود من ولد حام بن نوح. والترك وبربر ووراء الصين ويأجوج ومأجوج والصقالبة كلهم من ولد يافث بن نوح. والخلق كلّهم ذرّية نوح)!!![2]

مع أنّ الناس في عصر نوح (ع) لم يغرقوا جميعاً بشهادة الجيولوجيا والتاريخ والمنطق والقرآن وأقلُّها في قولِه **(وأممٌ سنُمتّعهم)**[3] وقوله **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ)**(الحديد:٢٦)، فلو كان كلّ الناس من نوح فما وجه اختصاص ذرّية نوح بالنبوّة والكتاب والناس بعده كما يُزعم كلّها منه!! إنّه يُشابه لو قرأنا (أنّ الله جعل النبوّة والكتاب في ذرّية آدم) لما كان له معنى، إلاّ إذا قيل لنا أنّ آدم هذا شخصٌ آخر غير آدم أبي الناس جميعاً[4]، كما أنّ نوحاً لم يكن أوّل رسول بُعث للنّاس لقوله

---

[1] – (وكذلك نوح فإنه آدم الثاني)، الشوكاني، **فتح القدير**، ج٢، ص٣١.

[2] – القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧. ص٢٣٣.

[3] – **(قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)**(هود:٤٨)، وهذه الأمم الممتّعة هي في زمانه، وبجواره (ع) أيضاً في شبه الجزيرة العربية، فما بالَك بمن في القارّات الباقية، بل أنّ أهل فارس لم يسمعوا بالطوفان يومها!!

[4] – وهذا بالضبط ما عنته الآية التي تتكلّم عن آدم ثانٍ جُعلتْ الأنبياء من ذرّيته **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى**

تعالى (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**)(الشعراء:١٠٥)، وأخيراً فإنّ نوحاً لم يُبعث إلى جميع أهل الأرض، بل إلى قومه خاصّة بفصيح لسان القرآن (**أَرْسَلْنَا نوحاً إِلَى قَوْمِهِ**)[1]، في كلّ موضع ذُكِر فيه نوحٌ، وبشهادة الحديث الصحيح![2]

فكما رأينا من نموذج، لعدم تفريقهم بين آدمين، اعتبر المفسرون أنّ آدم الذي اصطُفي في الآية هو آدم الأوّل الذي عصى ثمّ تاب، أيْ هو نفسُه آدم المصطفى الرسول المعصوم (ع) وفي نفس الزمن، لذلك وقعوا في تناقضات لا فرار منها، تاريخيّة، وقرآنيّة، ولغويّة، ومنطقيّة، لا يُمكن الخروج منها إلاّ بتشكيل قواعد لغويّة وتفسيريّة أخرى تتيح الجمع بين المتناقضات وتمرير الأخطاء وتبريرها، وتجعل ذلك بلاغةً وفنّاً، من باب وضع الشيء موضع آخر، وضع الجزء موضع الكلّ، الخاصّ مكان العامّ، العامّ مكان الخاصّ، إلى آخره من فبركات ميّع كثيرٌ منها الإحكام القرآني فيتشرّع الخطأ ويبقى ويتجذّر، بل ربّما يُصبح الصحيح عندها منكراً والتواءً أو (تأويلاً) حسب قولهم! انظر هذا المثال للتوضيح:

((**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**)(البقرة:٣٦)، و(**قَالَ اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ**)(الأعراف:٢٤)، من غير فرق بين

آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(آل عمران:٣٣).

[1] – **الأعراف:** ٥٩؛ **هود:** ٢٥؛ **المؤمنون:** ٢٣؛ **العنكبوت:** ١٤؛ **نوح:** ١.

[2] – راجع للمزيد بحث: **طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

الآيتين إلاّ في كلمتي "**وقلنا**" و"**قال**"، وقال تعالى في سورة طه ١٢٣: **(قالَ اهْبِطا منْها جميعًا)**، وحيث لم تكن القصّة إلاّ واحدة والمخاطبة إلاّ واحدة، فاختلاف ألفاظ الحكاية في الجمع والتثنية -حسب الموردين- ليس إلاّ من التفنّن في التعبير في ألفاظها دون واقعها!! وقد مرّ جواز مخاطبة الواحد بالتثنية والجمع عند اقتضاء البلاغة!! من غير حاجة إلى التأويل!!)[1].

فمعظم المفسّرين بهذه الطريقة لم يهتمّوا بالتفريق بين ألفاظ القرآن، كما أنّهم لا يُمكنهم إقناعنا بشرح أمرين:

١- كيف اصطفى سبحانه **(آدمَ)** على العالمين؟ ولم يظهر إنسانٌ بعد، فضلاً عن تشكلاّت اجتماعيّة إنسانيّة (عالمين)!!

٢- لماذا استثنوا **(آدمَ)** من لفظة **(ذُرِّيَّةً)** التي في الآية، والكلّ يُقرّ بأنّ الذرّية هي وحسب مرويٍّ **(لا يكون الذرّية من القوم إلاّ نسلهم من أصلابهم)**[2]؟!

جوابهم على الأوّل كما رأينا: أنّ الله اختاره بكْر خليقته وأُسكن جنّته قبل سائر الناس جميعاً! وهذا هو اصطفاؤه عليهم! يعني حسب

---

[1] - السيد مصطفى الخميني، **تفسير القرآن الكريم**، ج٥، ص٤٨٨.

والتفريق بين هذه الضمائر، لتتكشّف علاقة المدبّرين من الملائك مع الربّ، وأنّ القول بصيغة المفرد هو قولٌ جاء من ربّ العزّة، قسّمه المدبّرون إلى زمانين أرضيّين على مساحة تنفيذ الأمر، بين **(وعصى آدم)** وهي **(وقلنا اهبطوا)** التي نادى المدبّرون بها آدم ضمن من نودي، وإيّان **(فتلقّى آدم)** وهي **(قلنا اهبطوا منها جميعاً)** وقد نادى المدبّرون بها حوّاء ضمن من نودي .. راجع بحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[2] - الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج١، ص٢٣٩.

هذا (التبرير) أنّ آدم اصطُفي حتّى على سيّد الخلائق محمّد والنبيّين الأكارم (ص)!! بل أنّ البعض فسّر الاصطفاء على **(العالمين)** بجميع العوالِم (الناس كلّها والملائكة والمخلوقات)!! وفاته قوله سبحانه لبني إسرائيل **(وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(البقرة:٤٧) وقوله لهم **(وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ)**(المائدة:٢٠)!! فما (العالَمون) إلاّ العوالم (المجتمعات المدنيّة[1]) الإنسانيّة في زمانهم فقط أو التجمّعات الأناسيّة المتاخمة لمناطقهم ففضّلوا عليها في مشتركٍ معيّن، كقابليّة الرسالة والابتعاث والريادة الثقافيّة، أو بالاختصاص بسكنى الأراضي المباركة، وما شابه، وفاتهم أيضاً قول قوم لوطٍ له **(قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ)**(الحجر:٧٠)!! وهذا يُبيّنه قوله تعالى **(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)**(الأنعام:٨٦) هي تلك الأقوام والشعوب في تلك الإحداثيّة الزمانيّة التي كانوا فيها، وإلاّ فيونس (ع) ليس أفضل ممّن أتى بعد زمنه كعيسى (ع) ولا من جاء من قبل زمنه كإبراهيم (ع)!!

أمّا جوابهم على الثاني: فلا شيء بالمرّة، لأنّهم اعتمدوا الدليل "العقلي!" (الوهميّ) لا اللفظي، فباعتبار أنّ آدم أوّلُ إنسان وأبو الجميع، فإنّ لفظ **(ذُرِّيَّةً)** التي في ذيل الآية، تنطبق على (نوح، وآل إبراهيم، وآل عمران) فقط، دون آدم[2]!! وهذا يُشابه تماماً حيرتهم

---

[1] – في اللهجات العربيّة القديمة؛ السريانية كالأكديّة، فإنّ كلمة (آلم = عالم = Alum) تعني مدينة تماماً. (عامر سليمان، **اللغة الأكديّة**، ص١٣٣).

[2] – (عن ابن عباس في قوله الله تعالى "**إنّ الله اصطفى آدم**" واختار من الناس لرسالته آدم

عندما جاءوا لقوله سبحانه (**إِنَّا خَلَقْنَا الإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً**)(الإنسان:٢)، فقالوا المقصود من (الإنسان) في هذا المورد ابن آدم لا آدم، لأنّ آدم (كما هو معلوم!) لم يُخلق من نطفة بل من طين!! وقد أجبنا أنّ الآية هذه هي نقيض ما قالوا، أنّها في آدم بالخصوص قبل أن تكون في بنيه، و(ما هو معلوم!) وشائع .. هو الخطأ بعينه[1].

إنّ تفكيك الآية المندكّة جملُها، وبسطُ اختصارها، كالشأن الرياضي، يُمكن أن يُسهّل علينا فهمها، ففي المسائل الحسابية الرمزية:

٢ (س – ص + ٣ (ك + ل)) تبدو معقّدة على الفهم، وتتبسّط إلى حدودها الأربعة: ٢س –٢ص + ٦ك +٦ل.

فالآية: (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ**)(آل عمران:٣٣-٣٤) تعني:

١- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ كذرّية على العالمين.--- (١= آدم كذرّية موجودة قبال ذراري العالمين غيره).

"**ونوحا وآل إبراهيم**" وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط "**وآل عمران على العالمين**" يعني اختارهم للنبوة والرسالة على عالمي ذلك الزمان فهم "**ذرية بعضها من بعض**" فكلّ هؤلاء من ذرية آدم ثم من ذرية نوح ثم من ذرية إبراهيم) انظر: ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج٧، ص ٧٧، وسنجد أنّ هذا الكلام صحيح بشرط عدم استثناء اصطفاء آدم كذرّية أيضاً على عالمي زمانه.

[1] – لفهم هذه الآية راجع بحث: **الخلق الأوّل – كما بدأكم تعودون**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

٢- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى نوحاً كذرّية على العالمين.--- (٢= نوح كذرّية موجودة قبال ذراري العالمين أي مجتمعات غيره).

٣- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آل إبراهيم كذرّية على العــالمين.--- (٣= آل إبراهيم كذرّية موجودة قبال ذراري مجتمعات غيره).

٤- إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آل عمران كذرّية على العــالمين.--- (٤= آل عمران كذرّية موجودة قبال ذراري مجتمعات غيره).

- أنّ الذراري الأربعة (٤،٣،٢،١) (**بعضها من بعــض**)؛ (٤) مــن (٣)، و(٣) من (٢)، و(٢) من (١)، أمّا (١) فليس مــن شــيء، وأمّا (٤) فليس منه شيء، أي (آل عمران من آل إبــراهيم)، (آل إبراهيم من نوح)، (نوح من آدم)، (آدم أوّل اصطفاء وقــع عليــه كذرّية)، (آل عمران آخر اصطفاء لم يعقبهم منهم ذرّية).
- أي أنّنا لدينا مجموعة مكوّنة مــن أربعــة حــدود (١-٢-٣-٤)، فعبارة (**بعضُها**) الأولى تعني بعضاً وهي ثلاثة من هــذه الحــدود الأربعة هي: (٢-٣-٤)، وعبارة (**بعض**) الثانية تعني بعضاً وهي ثلاثة من هذه الحدود الأربعة وهي (١-٢-٣).

أمّا لكي نحرز ما مساحة (**العالمين**) علينــا أنْ نحــدّد معنــى الاصطفاء ثمّ موضوع الاصطفاء (أو التفــضيل: مــع ملاحظــة أنّ القرآن وللدقّة سمّاه اصطفاءً وليس تفضيلاً)، ففيم كان الاصطفاء وما هو؟

٢- الاصطفاء على العالمين موضوعُه ومداه

قال المفسّرون:

(قيل فيه ثلاثة أقوال: (أحدها) أنّه اختار دينهم واصطفاه، وهذا قول الفرّاء، و(الثاني) قاله الزجّاج واختاره الجبائي؛ أنه اختيارهم للنبوة على عالمي زمانهم. (الثالث) قاله البلخي: بالتفضيل على غيرهم بما رتّبهم عليه من الأمور الجليلة، لما في ذلك من المصلحة. والاصطفاء هو الاختصاص بحالٍ خالصة من الأدناس).[١]

وقال اللغويّون:

(**الاصطفاء:** تناول صفو الشيء، كما أنّ الاختيار تناول خيره، والاجتباء تناول جبايته. واصطفاء الله بعض عباده قد يكون بإيجاده تعالى إيّاه صافيا عن الشوْب الموجود في غيره، وقد يكون باختياره وبحكمه، وإنْ لم يتعرّ ذلك من الأول... و(اصطفيت كذا على كذا) أيْ اخترت. (**أصطفى البنات على البنين؟**))[٢].

فالخلاصة، أنّ الاصطفاء هو أخذ صفو الشيء، و(الاصطفاء على) هو اختيار هذا الصفو دون الباقين وتفضيله عليهم.

---

1 – الطوسي، **التبيان**، ج٢، ص٤٤٠.

2 – الراغب الأصفهاني، **مفردات ألفاظ القرآن**، ص٤٨٨.

فعبارة (اصطفى فلاناً) ليس فيها نفيٌ لاصطفاء آخر غيره ممّن زامنه، أمّا عبارة (اصطفى فلانا على غيره) ففيها نفـــيٌ لاختيـــار أيٍّ من الآخرين، وهذا ما الآية أفضت به.

ففيم اصطفى سبحانه أولئك المذكورين في الآية على عـــالميّ زمانهم، ولأجل ماذا؟

إنّ السورة التي تكتنف هذه الآية هي (آل عمران) و"عمـــران" لفظة معاكسة للفساد والهدم، عمـــران الأرض بالتمـــدين وذكـــر الله، وعمران القلوب بـــالعلم والأخـــلاق، وعمـــران الفطـــرة بـــالترميم والإصلاح، هو شأن الأنبياء المصلحين جميعاً.

وإنّ (آل) تعني الذرّية المنتسبة، وهي محور السورة، (الذرّيـــة المبتعثة لعمران القلوب والأرض، أيْ لتعلـــيم الحـــضارة والتمـــدّن)، (الذرّية الطيّبة) التي حافظت على بذور النقاء، على الفطـــرة، علـــى السلامة من الشرور، على الوعي، وعلى الهدى وحبّ الخير، علـــى الكمال العقلي، في مقابل كلّ البرمجات البيئية والـــشرور والـــضغوط والفتن التي تستغفل العقل وتمسخ الفطرة كتعليمات سويّة نقيّة واضحة تدرك المعروف والمنكر والطيبات والخبائث.

فمنذ بدايتها تعلن السورة أنّ محمّداً (ص) ما أتى إلاّ بـــالفطرة والاستواء (**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْأِسْلامُ**)(آل عمران:١٩)، إنّ سورة آل عمران من أوّلها لآخرها، تُعلن عن تبـــدّل الاصـــطفاء لرســـالة الله وتحويلها من أهل الكتاب إلى محمّد (ص) وأمّتـــه الـــذين علـــيهم أنْ

يتحمّلوا أداء الرسالة ويصبروا عليها، فتُجابه يهود المدينة ومؤلّهة النصارى آنئذٍ وتُشنّع عليهم التحريف والانحراف ومجافاة المواثيق الربّانية المأخوذة قبلاً ناهيك عن تشوّه الفطرة والتوحيد لديهم، تُجابههم بإعلان أنّ الرسالة الخاتمة لم يسعها أنْ تنبت فيهم بسبب اختلال هذه الحقيقة؛ الانحراف عن مستلزمات الذرّية الطيّبة، التي منها يُنتخب الأسوياءُ أنبياءً، وهم قد انحرفوا عن هذه الفطرة وطيب المولِد والمنشأ وصحّة الاعتقاد الذي كان عليه إبراهيم، ويعقوب، ومريم، وعيسى، وزكريا ويحيى، الفطرة السليمة التي ظلّتْ تُتوراث عبر بقيّةٍ باقية من الحنفاء الراجعين لإبراهيم (ع)، فابتُعث منهم الخاتم محمّد (ص) كفلق الصبْح، ضمنَ مسيرة اصطفاء بدأت رسالياً بآدم فنوح فآل إبراهيم فآل عمران، ويصف سبحانه هذه المنارات الربّانية السامية التي ابتعثها بأنّها ذراري سلمت على مستوى الفطرة وصلحتْ وصفتْ من الشرور وامتلأت قلوبها بالسلام تجاه خالقها وتجاه العالمين من إخوتها من بني الإنسان[1]، وضرب لذلك مثالاً بنذر امرأة عمران وطلبها مثل هذه الذرّية التي هيّأت لبزوغ عيسى (**وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**)(آل عمران:٣٦)، وبدعاء زكريّا الذي هيّأ ليحيى (يوحنّا المعمدان) وينتظم في المسلك نفسه (**قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً**)(آل عمران:٣٨).

وقد أعلن سبحانه بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ (**الاصطفاء على**)

---

[1] – نموذج ذلك إبراهيم (ع) الأوّاه الحليم، أفصح القرآن وجود هذا السلام في قلبه السليم منه إلى الخالق وإلى العالمين (**إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ**)(البقرة:١٣١).

هو بانتقاء الذرّية السليمة من شرك الهمجيّة (الهمجيّة الجينيّة أو الاكتسابيّة تربوياً ومنشأً) وتفضيلها على الآخرين محلاًّ للرسالة، ذرّية "سلامة الفطرة" التي منها ينبعث الأنبياء هداةً لبني الإنسان في العالمين ممّن يليهم، فقال بعدها (**وَإِذْ قَالَتْ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ**)(آل عمران:٤٢)، فاصطفاؤها الثاني على نساء عالمي زمانها هو حصراً لحمل بذرة عيسى (ع)، أمّا الاصطفاء الأوّل فحين تقبّلها سبحانه من أمّها امرأة عمران وهي جنين، على مستوى الذرّية، ونقيتْ (طهّرها الله) من شرك الشيطان (الهمجيّة)، ما أورثها قوّةً لأنْ تُحصنْ نفسها بعدئذٍ وتصمد وتُخالف برمجة المسخ واللّوثات التي في زمانها فحظيتْ بحفيف الملائكة وسماع خطابهم، ثمّ أخيراً تمّ اصطفاؤها مرّةً ثانية دون نساء زمنها لولادة رسول الرحمة إلى الناس عيسى (ع)، فهناك (اصطفاء) لمريم كمولِد ومنشأ وكفالة وتربية، وهناك (اصطفاء على) النساء كمحضن لولادة الذرّية الطاهرة "عيسى".

فالذرّية الطيّبة هي النسل الصالح لتحمّل رسالة الرّوح وقابليّة ابتعاثها نبيّاً، فتحكي السورة في ابن زكريّا (**مِنْ الصَّالِحِينَ**)(آل عمران:٣٩)، وفي ابن مريم (**وَمِنْ الصَّالِحِينَ**)(آل عمران:٤٦)، عليهم السلام.

فالسورة، بمنظورٍ آخر، تُقرّ أنّ الاختصاص بالرسالة يثبت ولا بدّ في أحد بيوتات الصالحين، أي أنّ أصفياء الفطرة هم الأولى

بالرسالة، لذلك خاطبت السورة أهل الكتاب السابقين **(إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَـذَا النَّبِـيُّ وَالَّـذِينَ آمَنُـوا وَاللَّـهُ وَلِـيُّ الْمُؤْمِنِينَ)**(آل عمران:٦٨)، وأنّ إبراهيم (ع) ما انحرف عن فطرته فـلا كان يهوديا ولا نصرانيا يؤلّه بشراً مثلـه بـل كـان حنيفـاً مـسلماً (موحّداً)، فعاب عليهم هذا الانحراف **(مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَـهُ اللَّـهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَـاداً لِـي مِـنْ دُونِ اللَّه)**(آل عمـران:٧٩)، وهو إذ سرد سلسلة البيوتات والأفراد الأنقياء التي فيها حلّ الاختصاص فهو يُخاطب أهل الكتاب كذراري، بأنّ الله فعلاً (كتاريخ) قد اصطفى لرسالته (آدم) الرسول كذرّية أولى، تأتي منـه ذرّية النبيّين بعده، رسلاً إلى أقطار العالَم كلّه، منهم من سـمعنا بـه ومنهم من لم نسمع، ثمّ أُعيدت عمليّة التنخيل فاصطفى (نوحاً) كذرّية زمانه لتأتي منه دون الآخرين الأنبياء بعده إلى العالَم أيضاً، ثمّ توالى الاصطفاء في (آل إبراهيم) كسلسلة ذرّية –وليس (إبراهيم)– لتـأتي منهم الأنبياء إلى آخر الزمان[1]، والذين ظلّ كثيرٌ مـنهم فـي حـدود

---

[1] – لهذا انتقلت الآية من تسمية المفرد **(آدم)**، **(ونوحا)**، فبدلاً من أن تقول (وإبراهيم) قالت **(وآل إبراهيم)** لأنّ الآل ما زالت موجودة مع فناء إبراهيم (ع)، فالاصطفاء من ذرّيـة (آدم) انتهـى بذرّية (نوح) والاصطفاء من (ذرّية نوح) انتهى بـ (آل إبراهيم)، وذرّية (إبراهيم) قد يُنهيها بيت رابع أخصّ منها مصطفى، لكنّ ذرّية (آل إبراهيم) لا يُنهيها شيء لأنّها ممتدّة لا فرديّة، فحتّـى (آل عمران) هي من ذرّية (آل إبراهيم)، و(محمّد) هو من ذرّية آل إبـراهيم، أي مـن ذرّيـة إسماعيل، وبهذا نُدرك، أنّ ما بعد الطوفان والقضاء على الهمجيّة الإنسانيّة في المنطقة المباركة، لم يكن إلاّ ذرّية واحدة صالحة للرسالة (ذرّية نوح)، كما قال تعالى فيه **(وَجَعَلْنَـا ذُرِّيَّتَـهُ هُـمُ الْبَاقِينَ)**(الصافات:٧٧)، ثمّ بعد ١٥ قرناً (ذرّية آل إبراهيم) والثانية هي التي تعمل للآن، جـاء منها ذرّية يعقوب (إسرائيل) وآل عمران ومحمد (ص)، قال تعالى: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ**

الجزيرة العربيّة وما حولها، وأخيراً وصل الاصطفاء السابق لأهل الكتب السابقة، لآخر بيت وهو بيت آل عمران (كفرعٍ من آل إبراهيم وقد انقطع هذا الفرع) الذي ختم بآخر رسول وهو عيسى (ع)، هذا كان الاصطفاء فيما مضى (كتاريخ)، لذلك كان فعل الاصطفاء في الآية بصيغة الماضي (**اصْطفى**).

بيْد أنّ عملية الاصطفاء ما زالت سارية لقوله سبحانه بصيغة الحاضر المستمرّ "**يصطفي**" في موضع آخر (كقانون) لا (كتاريخ): (**اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**)(الحج:٧٥)، هذه الآية خُتمت بـ (**سَمِيعٌ بَصِيرٌ**) لأنّها تناسب شهود الحاضر الرسالي، أمّا التي أخبرت عن اصطفاء الماضين (آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران) فجاء الفعل (**اصْطفى**) بالماضي، وخُتمت بـ (**سَمِيعٌ عَلِيمٌ**) لأنّها انطوتْ. فأين يقع هذا الاصطفاء ويتواصل إذا فسدتْ شجرة بني إسرائيل (فرع من آل إبراهيم)،

وَجَعَلْنَا فِي <u>ذُرِّيَّتِهِمَا</u> النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)(الحديد:٢٦)، وإنّ تعريف (**النبوّة والكتاب**) وتقديم شبه جملة (**في ذرّيتهما**) تفيد اختصاص ذرّية نوح ثمّ ذرّية إبراهيم دون سائر الذراري، بخلاف ما لو قيل (وجعلنا النبوة والكتاب في ذرّيتهما) أو (وجعلنا نبوّة وكتاباً في ذرّيتهما)!

فالنتيجة: لو أخبر سبحانه أنّه اصطفى (آل يعقوب) أيضاً، ولم ينبتر ذرّية هذا النسل (الآل) الآيل ليعقوب، لوجب أن لا تنقطع منه الأنبياء والرسل حتّى آخر نبيّ، لكنّ سبحانه لمْ يقل ذلك، وصدق اللهُ العظيم، بل قال (**آل إبراهيم**) كذرّية، وهذه سلالة ما زالت موجودة، والرسالة لم تنقطع منها، وقال (**آل عمران**) وهذا نسل لم تنقطع منه الرسالة إلاّ لأنّه انقطع وجوداً كذرّية، فيحيى وعيسى لم يُنجبا ذرّية، كما شرحنا آنفاً في أنّ (آل عمران) هو البعض الذي لم يتولّد منه بعض، بخلاف (**آل إبراهيم**) كذرّية، فهي مولّدة بعضاً، ومتولّدة من بعض.

وانقطعت شجرة آل عمران (فرع من آل إبراهيم أيضاً)؟

٣- البيت المصطفى الخامس (آل إبراهيم)

إنّ خطاب السورة لأهل الكتاب، يصدمهم بالحقيقة المرّة أنّ التاريخ الماضي فعلاً قد تمخّض عن أربعة منابع صلحتْ للاصطفاء للنبوّات، وآخر (بيت من المسلمين أي الموحّدين السالمين المُسالمين) وُجِد لائقاً للرسالة هو أحد فروع (آل إبراهيم) من ابنه إسحاق وهو (آل يعقوب)، وكان آخر من بُعث منه يحيى[1] وعيسى (بيت آل عمران)، ولم يظهر فيكم بيتٌ آخر يصلح للاصطفاء بعده، بل لعلّ شجرة (آل يعقوب/بني إسرائيل) تلك قد فسدتْ برمّتها بالمرّة، فتحوّل الاختيار الربّاني ضمن شجرة (آل إبراهيم) إلى فرع ابنه الآخر إسماعيل بدلاً من فرع إسحاق، إلى هذا البيت (العربيّ القرشيّ الهاشميّ[2])، وهو آل إبراهيم فعلاً بل هو أولى النّاس بإبراهيم من أولئك، لذلك وبّخ سبحانه به يهود المدينة الأشرار في سورة النساء،

---

[1] – لذلك نلاحظ زكريّا يقول عن ابنه (**يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيّاً**)(مريم:٦).

[2] – كما أنّ عمران التاريخيّ هو جدّ عيسى، وجدّ يحيى، من طرف ابنتيْه المؤمنتيْن (مريم Mary وأليزابت Elizabeth)، فعيسى ويحيى هما آل عمران المصطفوْن للنبوّة، فحتّى لو قلنا أنّ (أبا طالب) الذي لم يمت مشركاً كما يُدّعى، يُسمّى أو يُرمز له (عمران) كما تقول فرقة الإسماعيليّين أو أنّ (هاشم) كان اسمُه الحقيقي هو (عمران)، (بشأن تسمية هاشم أو أبي طالب "عمران" راجع: جعفر السبحاني، **بحوث في الملل والنحل**، ج٨، ص٢٤٥)، فإنّ المصطفى كرسول إنّما هو صفوة آل هاشم وسيّدهم نبيّ الله (ص) الذين هو حفيد جدّه الأعلى "هاشم" وربيب عمّه أبي طالب وفي كنفه بعد وفاة جدّة عبد المطلّب.

وبّخ تزكيتهم لأنفسهم مع عبادتهم الجبت والطاغوت وشركهم وكثرة الافتراء على الله سبحانه ووقوفهم مع الظلمة والكافرين، فذكّرهم بأسلافهم أصحاب السبت الذين لُعِنوا ومُسخوا، وأكّد لهم أنّه لم يعد لهم نصيب من ملك النبوّة والرسالة، وأنّ محمّدا (ص) هو آل إبراهيم الحالي ذا الاستحقاق الربّاني الجديد، فقال (**أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ الْمُلْكِ فَإِذاً لا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيراً* أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمْ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً**)(النساء:٥٣-٥٤)[1]! أكّد بتسمية نبيّه (ص) أنه (**آل إبراهيم**) الآن، وهو الوارث الحالي لذلك الاصطفاء الممتدّ.

لذلك يقول عليّ (ع) في اصطفاء النبيّ الخاتم في حديثه عن شجرة الأنبياء (**فاستودعهم في أفضل مستودع، وأقرّهم في خير مستقر، تناسختهم كرائمُ الأصلاب، إلى مطهّرات الأرحام، كلّما مضى منهم سلفٌ قام منهم بدين الله خلف، حتى أفضت كرامة الله سبحانه إلى محمّد صلى الله عليه وآله، فأخرجه من أفضل المعادن منبتا، وأعزّ الأرومات مغرسا، من الشجرة التي صدع منها أنبياءه، وانتخب منها أمناءه، عترتُه خير العتر، وأسرتُه خير الأسر، وشجرتُه خير الشجر**)[2].

---

[1] – كانت كلمات عيسى (ع) رصاصة الرحمة (أو النقمة) على تبدّل ناموس الاصطفاء من أمّة بني إسرائيل إلى أمّة بني إسماعيل (**لذلك أقول لكم إن ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمّةٍ تعمل أثماره**)(متّى ٢١: ٤٣).

[2] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، خطبة ٩٤، ج١، ص١٨٦.

فهذا البيت الخامس تاريخيّاً (آل إبراهيم الأخير) قد حاز بنجاحٍ على اشتراطات الاصطفاء، لذلك نجد سورة آل عمران واضحة تُعلن هذا الأمر على طول آيات آل عمران منذ بدايتها ويُحاججهم بمقتضيات التبديل، وعدم رضاهم، **(فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِي لِلَّهِ وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ)**(آل عمران: ٢٠)، **(فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ)**(آل عمران: ٦١)، أخبرهم –حسب سرد السورة– بأنّ الانتساب الفعليّ لإبراهيم، لينطبق عليه قانون الاصطفاء من ذرّية آل إبراهيم، حصل فعلاً لكن ليس من فروعهم المعهودة، بل هو من هذا المكّيّ، وآية عدم لياقتهم ما سرده من معايبهم؛ فمنهم الذين اتّخذ الملائكة والنبيّين أرباباً ومعبودين، ومنهم الذين نقضوا العهود، وحرّفوا الكتب، وداسوا قيَم الوفاء بالأمانات، ومنهم الذين يقتلون النبيّين والذين يأمرون بالقسط من حنفاء النّاس، وأكّد لهم عدم التعويل على أنّهم من شجرة آل إبراهيم، يهوداً كانوا أو نصارى **(مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً)**(آل عمران: ٦٧)، وأخبر أنّ الاختصاص بالرسالة ونزعها ليس لهم **(قُلْ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ)**(آل عمران: ٢٦)، **(إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)**(آل عمران: ٧٣)،**(يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ)**(آل عمران: ٧٢)، وحين انتهى من سياق التفصيل في قضيّة اصطفاء عيسى (كذرّية لآل عمران) وكفر اليهود به ثمّ انحراف النصارى آنئذٍ فيه، أخبر بلا فصل عن إطلال هذا البيت الحديث من (آل إبراهيم) المصطفى توّاً، فتحدّاهم بآية المباهلة مباشرة **(فَمَنْ**

حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ)(آل عمران:٦١)، هو اختبار الطهارة على مستوى البيت، أو الآل، والذرّية، أو رمزاً (آل عمران) الجُدد، أو حقيقة آل إبراهيم الأوْلى به وبرسالة الله، أيْ بروز بيت خامس آلَ إليه ميراثُ الاصطفاء للنبوّة والرسالة (الحكمة والكتاب)، الذرّية المصطفاة لصلة السماء **(إنّ الله وملائكته يُصلّون)**(الأحزاب: ٥٦)، فهو اختبار عمليّ للأهليّة؛ أهي (محمّد) أم المدّعون انتساباً لإبراهيم (ع) عبر موسى (ع) أو عيسى (ع)، ووراثةً للكتب السابقة؟ آية المباهلة تحسم الجواب[١]. لذلك وجدنا، كما سنرى، أنّ بعض القرّاء، كابن مسعود، وبعض الرواة والمفسّرين، من يُضيفون (للشرح والبيان) عبارة (وآل محمّد) بعد عبارة (وآل عمران) هكذا: **(إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين)**، لدقّة فهمهم بسياق السورة وموضوعها، لأنّهم يعلمون (مفهوماً) لا (منطوقاً)؛ أنّ البيت الخامس المصطفى (محمّد وآله) المُباهَل بهم، هو المتنازع فيه مع أهل الكتاب، وجاءت السورة لتثبته بموضوعها ومحاججتها معهم[٢].

[1] – صفاء الذرّية وإشراقة الروح وضمان اتّصالها بالسماء شهد به نصارى نجران ولمحوه في البيت المحمّدي (ص) وذرّيته، فخافوا المباهلة قائلين لبعضهم **(إنّه للاستئصال منكم إن فعلتم)!**

[2] – ومن المُلفت أنّ البيت الرابع والبيت الخامس المتحدّرين من آل إبراهيم (ع)؛ وهما بيت عمران (آل عمران) وبيت محمّد (آل محمد)، كلاهما تنتسب الذرّية المصفّاة (عيسى، يحيى + الحسن والحسين) من جهة البنت، مريم وأختها أمّ يحيى في الحالة الأولى، وفاطمة الزهراء في الحالة الثانية.

بهذا عرفنا أنّ موضوع (الاصطفاء على) هو في نقاء الذرّية من الشيطان، الفطرة، سلامة الرّوح، لتناسب حمْل رسالة الأنسنة العليا الربّانية/التربويّة.

والنتيجة، أنّ آل عمران وهما مريم ثمّ عيسى (ع) ويحيى (ع) حسب سياق التنزيل الواضح[1]، هم ذرّية من آل إبراهيم (ع)، وآل

---

[1] – في **البداية والنهاية**، لابن كثير، ج٧، ص٣٦٩، يقول: (وزعمت الروافض أنّ اسم أبي طالب عمران وأنّه المراد من قوله تعالى **(إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين)** وقد أخطأوا في ذلك خطأ كثيرا ولم يتأمّلوا القرآن قبل أنْ يقولوا هذا البهتان من القول في تفسيرهم له على غير مراد الله تعالى) فكلامُه صحيح بغضّ النظر عن عباراته، فالتفسير الظاهر والسياق القرآني يأبى أن يكون "عمران" هو أبا طالب، لكنّ آل محمّد (آل أبي طالب) وهم عليٌّ وأبناؤه المعصومون فقط، هم ممّن صحّت فطرتهم ولم يُداخلهم شرْكٌ في همجية أو دين، وهم من البيوتات الشريفة التي طهّرها الله وأذهب عنها الرجس بإجماع أهل الإسلام، وقد بيّنّا أنّ السورة إنّما تُثبت بمفهومها بيتاً خامساً للاصطفاء الحاضر يُضاف للأربعة الاصطفاءات الماضية، عدا أنّ الآية قد يراها البعض تنطبق على آل محمّد من جهة البطن لا من ظاهر التفسير، إذ هم (ع) من آل إبراهيم أيضاً، فقد روى المفسّرون (آل إبراهيم إسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط، وأنّ محمدا (ص) من آل إبراهيم) (القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٤، ص٦٢). ورووا أيضاً: (عن شقيق قال: قرأت في مصحف عبد الله –ابن مسعود– (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين)) (الحاكم الحسكاني، **شواهد التنزيل**، ج١، ص١٥٢)، طبعاً عبارة (وآل محمّد) هي إضافة مفسّرة يُضيفها بعض القرّاء الصحابة في حقبة الإسلام الأولى في مصحفه كهامش شارحٍ لا أنّها من نصّ التنزيل الحكيم، وفي البخاري (عن ابن عباس قال: آل إبراهيم وآل عمران، المؤمنون من آل إبراهيم وآل عمران وآل ياسين وآل محمد). (القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٤، ص٦٢). وأورد محمد بن علي الطبري، **بشارة المصطفى**، ص٣٠٥: (سمعت جعفر بن محمد (ع) يقول: "كان يقرأ : (إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران وآل محمد على العالمين) قال: هكذا أنزل")، فالأمر نفسُه، عبارة (آل محمّد) هي عبارة شارحة لمعنى السورة كما بيّنّا بأنّ ثمّة بيتاً خامساً مصطفىً مثبتاً فهماً لا نصّاً، وغير بعيد أنّهم استعملوا تعبير (آل عمران) على مستوى

إبراهيم بدورهم ذرّيةٌ من نوح، ونوح (ع) ذرّية مــن آدم (ع)، وآدم (ع) (الرسول) ذرّية أيضاً انتُخب وحــده مــن بــين ذراري أخــرى لمجتمعات أناس زمانه (العالمين)، لتكون هذه الذراري محلاًّ للرسالة ومعدنا للعلم ومهبطاً للوحي ومختَلَفاً للملائكة وخلفاء الله في أرضــه وبعْثًا إلى عباده على مرّ الأزمنة الفائتة حتّى مجيء أمّة محمّد (ص) فاصطُفي محمّد (ص) بيتاً خامساً أذن الله له أنْ يُرفع لمــصاف تلــك البيوت ويُذكر فيها اسمُه، بيتاً كفرعٍ آخر من (آل إبراهيم) (والــبعض عدّه كتأويل ثانٍ لــ (آل عمران))، أو كبيت خامس فعــلاً جــاء بــه موضوعُ الآيات لا نصُّها، وبهذا يُقبل من التفاسير، والروايات مثــل الآتي:

البطن/التأويل للدلالة على (آل محمّد)، أيْ كأنّ مرادهم هكذا ((إنّ الله اصطفى آدم، ونوحا، وآل إبراهيم، وآل عمران (–أيْ– وآل محمد)، على العالمين)) فعبارة (وآل محمّد) هي تأويل زماني محتمل لعبارة (وآل عمران)، بدليل أنّ الرواة ينقلون أيضاً روايات عن ظهور المهدي (ع) عن الإمام الباقر (ع) (قد أسند ظهره إلى البيت الحرام مستجيرا به، فينادي: يا أيها الناس إنّا نستنصر الله، فمن أجابنا من الناس؟ فإنّا أهل بيت نبيكم محمّد، ونحن أولى الناس بالله وبمحمد (ص)، فمن حاجّني في آدم فأنا أولى الناس بآدم، ومن حاجني في نوح فأنا أولى الناس بنوح، ومن حــاجني في إبراهيم فأنا أولى الناس بإبراهيم، ومن حاجّني في محمد (ص) فأنا أولى الناس بمحمد (ص)، ومن حاجّني في النبيين فأنا أولى الناس بالنبيين، أليس الله يقول في محكم كتابه: "**إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم**"؟ فأنا بقية من آدم وذخيرة من نوح، ومصطفى من إبراهيم، وصفوة مــن محمــد صــلى الله علــيهم أجمعين. (محمد بن إبراهيم النعماني، **كتاب الغيبة**، ص٢٨١) فكأنّ الأثــر نــاظر إلــى أنّ (آل عمران) تأويلها في صفوة (آل محمّد)، فهو لم يذكر لا مريم ولا عيسى (ع)! لكن (**آل عمــران**) كسياق قرآني هما يحيى وعيسى (ع) آخر أنبياء بني إسرائيل، و(آل عمران) كباطن تأويليّ، إن قبلنا هذا التأويل، هم من (تعمر) بهم الرسالة، وتبقى (عامرة) حتّى الساعة؛ (**آل محمّد**) وأصحابه وحملةُ رسالته "ص" إلى الأمم).

(إنّ الله اختار من البيوتات أربعة، فقال: (**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**))[1].

وعن قتادة في قوله: (**إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين**) قال: ذكر الله أهل بيتين صالحين ورجلين صالحين ففضلهم على العالمين، فكان محمد من آل إبراهيم[2]، (وهذا كلام صحيح جدّاً).

وعن الحسن في قوله: (**إنّ الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم**)، قال: فضّلهم الله على العالمين بالنبوة على الناس كلّهم، كانوا هم الأنبياء الأتقياء المطيعين[3].

وما قدّمناه أنّ القرآن أثبت (نصّاً) أربعة مصادر للذرّية اللائقة بالرسالة مضتْ، وأثبت (مفهوماً) بيتاً خامساً هو الذي نزلت فيه آخر رسالة ورفضه أهل الكتاب أيّامَها، وساق مباهلتهم بهذا البيت.

هذا البيت المحمّدي الخامس (المنحدر من إسماعيل آل إبراهيم) والذي أُورث الرسالة صار حجر الزاوية في البناء الربّاني للمشروع الإنساني العالميّ، وقد جاء في الإنجيل عنه ببشارة عيسى (ع) وهو آخر رسل البيت المصطفى الرابع (**قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ. مِنْ**

---

[1] – ابن بابويه القمّي، **الخصال**، ص٢٢٥، رواه عن الإمام موسى بن جعفر (ع).

[2] – ابن جرير الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص٣١٧.

[3] – ابن جرير الطبري، **جامع البيان**، ج٣، ص٣١٧.

قبلِ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا؟ لِذَلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللَّهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لِأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هَذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ)(إنجيل متّى ٢١: ٤٢-٤٤).

بل جاء عن عيسى (ع) أكثر من ذلك، فأعلن رسمياً عقم شجرة إسرائيل أن تُنجب نجيباً للرسالة بعد أن خبثتْ، وستتحوّل الرسالة لشجرة أخرى من أبناء إبراهيم تُعطي ثماراً (ذرّية) طيّبة:

(يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي؟ فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. ولاَ تَبْتَدِئُوا تَقُولُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ: لَنَا إِبْرَاهِيمُ أَباً. لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ إِنَّ اللهَ قَادِرٌ أَنْ يُقِيمَ مِنْ هَذِهِ الْحِجَارَةِ أَوْلاداً لِإِبْرَاهِيمَ. وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَراً جَيِّداً تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ)(لوقا ٣: ٧-٩).

وأعلن رسمياً خراب ذلك البيت، لا لأنّه فقط عقم أن يُنتج من يصلح لنبوّة، بل لأنّهم أصبحوا أكثر خساسةً، صاروا قتلةً للصالحين وللأنبياء، فقال لليهود ناقلاً لهم خطابَ الربّ:

(أَيُّهَا الْحَيَّاتُ أَوْلاَدَ الأَفَاعِي كَيْفَ تَهْرُبُونَ مِنْ دَيْنُونَةِ جَهَنَّمَ؟ لِذَلِكَ هَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ أَنْبِيَاءَ وَحُكَمَاءَ وَكَتَبَةً فَمِنْهُمْ تَقْتُلُونَ وَتَصْلِبُونَ وَمِنْهُمْ تَجْلِدُونَ فِي مَجَامِعِكُمْ وَتَطْرُدُونَ مِنْ مَدِينَةٍ إِلَى مَدِينَةٍ، لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ هَذَا كُلَّهُ يَأْتِي عَلَى هَذَا الْجِيلِ! يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا،

كَمْ مرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا. هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَاباً!)(متّى٣٣:٢٣-٣٨).

وقد سبَق أشعياء (ع) عيسى (ع) بهذه الحقيقة حين قال لبني إسرائيل: **(أمّا أنتم فتقدموا إلى هنا يا بني السامرة، نسل الفاسق والزانية...)**(أشعيا ٣:٥٧).

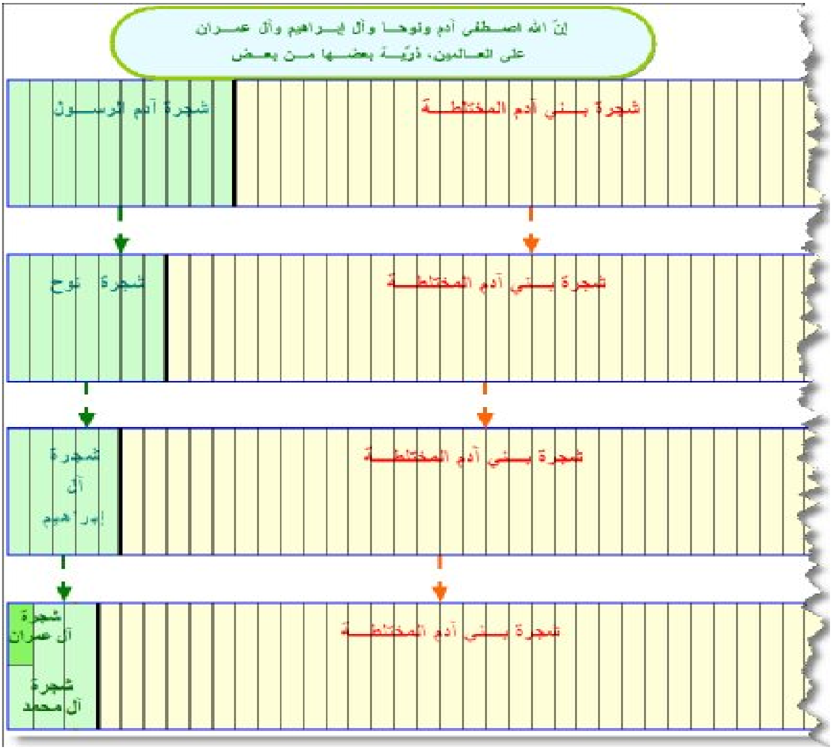

الشكل رقم (٢): شجرة الاصطفاء وهي تضيق مع الزمن

لقد كان للسياسة والمذاهب (الكلاميّة) دخل قويّ في توجيه التفسير، وهذا فات أوانه اليوم أو ينبغي.

ولقد قال بعضُهم، حين واجه إشكال هذه الآية (**ذرّية بعضُها من بعض**)، وتعسّر انطباقها على آدم! أنّ (ذرية) تعني الآباء والأبناء (فحلّوا بهذا الإشكال المشهور في آية (**وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ**)(يّس:٤١)، وقد أجبنا عن معنى الآية في كتاب "وعصى آدم") وقلنا أنّ الذرية هي بذور الذرء، الأصول الجينيّة (النُطف)، فحُملت أصول الناس المتواجدين حواليْ مكة المتاخمين للنبي (ص) والمُخاطبين بالآية حينها، في سفينة نوح قديماً حين الطوفان الذي كانت بقاعه مكّة لا غيرها، بدليل هذه الآية وغيرها.

فرأيهم أنّ الذرّية تشمل الآباء، سيق للهرب من أنّ آدم (ذرّية) أي أنّه نسل مذروء من أحد آخر، بدأ الاختصاص به كذرّية أصل لمن بعده، لا أنّه مقطوع فلا أحد قبله، لأنّهم لم يدروا أنّ هذا آدم الرسول لا آدم الأوّل، بل حتّى آدم الأوّل هو ذرّية على المستوى البيولوجي (البشري) قبل التحسين والتعديل، لا على المستوى الروحي (الإنساني)، أوضحنا هذا في بحث (الخلق الأول) وشاهدُنا (**وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ**)(الأنعام:١٣٣) وهذا استبدال خلق كامل مكان خلق، لا أناس مكان أناس، والقوم الآخرون هم البشر الهمج. (وقد أشرنا ما لأثر عبارات مثل (**ما يشاء**) وليست (من يشاء)، و(**مِن بعدكم**) وليست (بعدَكم) والكلام فردي موجّه للنبي (ص) (**وربّك**) ثمّ يجمع (**يُذهبكم**) ما يدلّ على أنّ الخطاب للجنس كلّه بكلّ أفراده).

فهم أرادوا أن يهربوا من تعلّق كلمة (ذرّية) بـ (آدم)، كونه الأب الأوّل، فكيف يهربون من (اصطفائه كذرّية)، أي اصطفاءه كأصل جيني؟! لابدّ إذاً من وجود أصول جينيّة أخرى غيره ليُصطفى هو عليها، أي لابدّ من وجود (**العـالمين**) في زمانه ليتمّ اختياره هو صفواً دون الآخرين للنبوة والرسالة وليكون أصل سلسلة حفظ الذرية، لتكون عبارة (**ذرّية بعضها من بعض**) صحيحة وسائرة!

ب- (النَّبِيِّونَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ)

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً)(مريم:٥٨).

السؤال:

إذا كان آدم المذكور هنا هو آدم الأوّل، أبا الناس جميعاً، فما وجه جعل النبيّين المذكورين في السورة منه، فالناس كلّها منه؟ ونحن نعلم أنّه لا عبارةَ لغوٍ في القرآن، تصورّ لو قلت (أولئك هم من النبيّين من ذرّية آدم ممّن يتكلّم بالفم) لحككت رأسَك، متيقّناً لا شاكّاً بأنّ ثمّة أنبياء آخرين لا يتكلّمون بالفم، ربّما معاقون وخُرس، وكلامهم بلغة اليد والإشارات الرمزيّة! ولو صحَّحتُ لك قائلاً: تصوّرك خاطئ يا عزيزي، فالأنبياء والناس كلّهم يتكلّمون بفمهم!! لرددتَ عليّ: إذن، في عبارتك لغوٌ يا حاذق، فما دامت الناس كلّها

والأنبياء يتكلّمون بالفم، فاحذف عبارة (ممّن يتكلّم بالفم) من نصّك، لأنّه لا طائل وراءها سوى إفساد الفهم والتلبيس!

تصوّرْ الآن، مرّةً أخرى، لو قلنا (إبراهيم وموسى وعيسى هم الأنبياء من ذرّية "سالم") فمهما قمتَ أو قعدتَ، فإنّ العبارة تُعلن أنّ ثمّة ذرّية غير ذرّية "سالم" قد يكون منهم أنبياء أيضاً!

الآن ضعْ كلمة (آدم) مكان كلمة (سالم) أعلاه، سينفجر في وجهِك الإشكالُ الذي نقصده!

طبعاً المفسّرون حاولوا جاهدين، ويُشكر لهم جهدهم لأنّهم يرومون كشف معاضل القرآن ومبهماته، لكنّهم لم ينجحوا بكشف هذه المعضلة ولن يفعلوا، لأنّ مسلّمة أنّ (آدم) المذكور هذا هو أبو الناس (بل والبشر) ستخذل أيّ منطق وذكاء، وبالتّالي ستُفشِل كلّ الاستقامات والالتواءات (التأويلات!) التي حاولوها[1].

فما معنى الآية إذن؟

---

[1] – لعلّ ألمع المحاولات، تلك التي تقول: أنّ (إدريس) وهو أحد الأنبياء المذكورين في سورة مريم المُنعم عليهم، باعتبار أنّه كان قبل نوح وإبراهيم (ع)، فلم يكن له نسبة قريبة سوى أن يُجعل (من ذرّية آدم)!! طبعاً كردّ عاجل؛ بإمكاننا الافتراض بدلاً من هذا التعبير القرآني المشبّه علينا، أن نقترح تعبيراً قرآنيا أنسب لتفسيرهم (أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيّين من قبل نوح، وممن حملنا معه، ومن ذرّية إبراهيم وإسرائيل ..الخ) فهذا أليق بتخريجهم وأوضح منطقاً وأكثر اختصاراً، فالنّاس كلّها تنتسب لآدم الأوّل الذي يعنونه، بل ولا سيّما إذا علمنا أنّ بين آدم الإنسان الأوّل العاقل الذي ظهر قبل قرابة ٥٠ ألف سنة وافترضوا أنّ الآية تتكلّم عنه، وبين إدريس الذي يرجع إلى ما قبل ٦ آلاف سنة، عدّة عشرات الآلاف من السنين، فأيّ انتساب قريب لذرّية بهذه المسافات الضوئيّة!!

معنى الآية سيكون واضحاً تماماً لو وضعنا كلمة (سالم) مكـــان كلمة (آدم) لنستطيع تجاهل سبقيّاتنا وموروثنا الخاطئ آناً ما!

(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ سالمِ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ سليمِ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ سلمان وسليمان)

فأسماء المذكورين من النبيّين الذين أنعم الله عليهم، هم جميعــاً من ذرّية سالم أوّلاً، وبعضهم من ذرّية من حُمل مــع ســليم ثانيــاً، وآخرون من ذرّية سلمان وسليمان ثالثاً.

معنى هذا أنّ "سالم" (آدم) ليس أبا الناس جميعاً، بل هو هنا أبو النبيّين المنعم عليهم المذكورين كعيّنة فقط في هذه السورة، وهذا هــو آدم الرسول (ع) الذي لا يبعد زمنه عن زمن إدريس بعشرات الآلاف من السنين!

والغريب أنّ المفسّرين، لم يلتفتوا إلى حلٍّ مثل هذا، ولم يطــرأ على بالهم أن يكون ثمّة آدمين مع كثرة الشواهد علــى هــذا، أوّلهــا المعضلة التاريخية، وثانيها معضلة المعــصية والعــصمة، وثالثهــا معضلة كيف يكون آدم رسولاً وهو أوّل مخلوق؟! حتّى أنّ بعضهم لم يجد منطقيّاً أن يكون آدم رسولاً وهو أوّل البشر[1]!

---

[1] – (قال القاضي عياض: وقد رأيت أبا الحسن بن بطال ذهب إلى أنّ آدم ليس برسول؛ ليــسلم من هذا الاعتراض. وحديث أبي ذر الطويل يدلّ على أن آدم وإدريس رســولان) (القرطبــي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج٧)، لاحظ الاختلاط بين آدمين؛ آدم الإنسان ليس برسول فعلاً مع أنّه له اتّصال بالملائكة، أمّا الثاني الذي صُفّ مع إدريس فهذا آدم (ع) السريانيّ الرسول المــصطفى

ومع هذا فإنّهم التفتوا إلى احتمال وجـود (إسـماعيلَيْن) فـي القرآن، (إسماعيل) ورد ذكره ١٢ مـرّةً فـي التنزيـل، فإسـماعيل الرسول ابن إبراهيم (ع) وهو جدّ نبيّنا (ص)، وهناك (إسماعيل) نبيّ من أنبياء بني إسرائيل، يقول بعضهم أنّ قوله تعـالى **(وَاذْكُـرْ فِـي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَبِيّـاً)**(مـريم:٥٤)، تعنيه، وهو إسماعيل ابن النبي حزقيل (حذق–إيل). وإنّنـا نعلـم أنّ (إسماعيل هو اسماعْ–إيل أيْ سمَاع الله، إجابته الدعوة) فقـد سـمع لإبراهيم (ع) دعاءه لطلب الذرّية الطيّبة فكان إسـماعيل إجابـة الله، فأيّ عائلة متديّنة في بيوت (بني إسرائيل) تسأل الله أن يهبهـا ولـداً كذرّية طيّبة فإنّ أنسب الأسماء له يكون "إجابة الله" (جابئيل/گابيـل)، أو "هبة الله" (هبئيل/هابيل)، أو سماع/شماع الله، وهي حسب النطـق: شموعيل، سموعيل، إسـماعيل، صـموئيل، إشـموئيل، سـموئيل، سموءل، شمعون، سمعان (سمعْ– آن) = إجابة السماء، فكلّها بالمعنى نفسه.

طبعاً، لسنا في وارد مناقشة أنّ إسماعيل هذا هو ابن إبـراهيم أو ابن حزقيل، إذْ شاهدُنا هو وجود تفكير نوعيّ يسمح بهذا الاتّجـاه لدى الرواة أو المفسّرين أو حتّى المرويّات الشريفة وكتب الملـل، أن يكون آدم في القرآن اثنين، وامرأة نوح اثنتين[١]، وإسماعيل في القرآن

فعلاً.

[1] – امرأة صالحة كانت معه في الفلك **(احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَـيْنِ وَأَهْلَـكَ)**(هـود:٤٠) وأثبتت ذلك أسطورة جلجامش قديماً، ثمّ التوراة **(اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَأَتُكَ وَبَنُوكَ وَنِـسَاءُ**

اثنيْن، وعمران اثنيْن[1]، وهارون في القرآن اثنين[2]، وفرعون فرعونيْن[3] وأكثر، ومريم ابنة عمران اثنتيْن[4]، ويوسف اثنيْن[5]!

فلماذا حين وصلتْ المسألة إلى آدم تعطّلت أداة القسمة لديْهم؟

بَنِيكَ مَعَكَ)(التكوين ٨: ١٦)، وامرأة أخرى أُهلكتْ قبلاً وكانت خائنة للرسالة ولزوجها (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ**)(التحريم: ١٠).

[1] – عمران أبو موسى وهارون، وعمران جدّ عيسى ويحيى، أبو (مريم ابنة عمران).

[2] – هارون أخو موسى، وهارون لدى بعض المفسّرين رجلٌ صالح في عصر مريم بعد هارون الأوّل بأكثر من ألف سنة في قول اليهود لها (**يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً**)(مريم:٢٨)، طبعاً هذا رأي بعض المفسّرين لا رأينا، وإلاّ فمريم أخت هارون هو كقول القرآن عن هود أنّه أخو عاد، أي من هذه القبيلة (عاد) وينتسب لها، فمريم (ع) ابنة كاهنٍ من نسل هارون النبيّ المعصوم عن الفواحش (ع)، وهذا ما قصدوه، وكان لديهم أنّ ابنة الكاهن إذا زنت تُحرق (**وَإِذَا تَدَنَّسَتِ ابْنَةُ كَاهِنٍ بِالزِّنَى فَقَدْ دَنَّسَتْ أَبَاهَا. بِالنَّارِ تُحْرَقُ**)(اللاويين ٢١: ٩).

[3] – ذكر البعض أنّ فرعون الذي كان يقتل الأبناء وانتشلت زوجته موسى (ع) وهو رضيع في النهر وربّياه وليداً، هو أب فرعون الذي جاهده موسى شاباً وفرّ منه، ثمّ عاد إليه بعد عشر سنين وهو فوق سنّ الأربعين رسولاً بالآيات والذي يمنّ عليه باستبقائه حيّاً مع استعباد بني إسرائيل بقوله له (**ألمْ نُربِّك فينا وليدا**)(الشعراء: ١٨)!! أمّا في التوراة فثمّة فرعون يوسف التي سمّته كتب التاريخ العربية والمرويّات (الريّان)، وفرعون موسى المسمّى (قابوس)، بل أنّ التوراة تجعل مع إبراهيم لمّا نزل في قرية (مصرا) فرعون، وليوسف (فرعون)، ولموسى (فرعون)، وسليمان يتزّوج ابنة (فرعون) رابع، لأنّ "فرعون" هو لقب ومهنة وليس اسماً، معناه الفارع أي العالي زعيم الفرسان. (راجع بحث: **نداء السّراة، اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية).

[4] – الأولى أخت موسى (ع) التي تابعته رضيعاً يتقاذف النهر بتابوته (**وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ**)(القصص:١١)، وفي التوراة عنها وهي فرحة لمّا غرق فرعون وجنوده في النهر (**فَأَخَذَتْ مَرْيَمُ النَّبِيَّةُ أُخْتُ هَارُونَ الدُّفَّ بِيَدِهَا وَخَرَجَتْ جَمِيعُ النِّسَاءِ وَرَاءَهَا بِدُفُوفٍ وَرَقْصٍ**)(الخروج ١٥: ٢٠)، ومريم الثانية بعدها بأكثر من ألف سنة مريم ابنة عمران أمّ عيسى (ع).

[5] – يوسف الصدّيق ابن يعقوب، ويوسف النجّار من نسل داود خطيب مريم العذراء أمّ عيسى.

فلم يُبصروا آدميْن، مع أنّ الحاجة لهذا أولى منطقيّاً وأرجح قرآنيّاً؟!

الحلّ: سورة مريم، كآل عمران، تتكلّم في الطهـــارة الباطنـــة، سلامة الفطرة والذرّية الصالحة للخلافة، وجعلت من عنوانها (مريم) دليلاً على إحصان الفرْج لسلامة الذرّية، فزكريّا يدعو بالذرّية الطيّبة (... **فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً* ... وَاجْعَلْــهُ رَبِّ رَضِــيّاً**)(مــريم: ٥، ٦)، فيُوهب الذرّية المطهّرة من الرجس، ومريم تُحصن نفــسها فتُوهــب الذرّية (**قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلاماً زَكِيّاً**)(مريم:١٩) وتُعلــن السورة أنّ من كان أبوه امرأ سوء (أيْ إباحي يزني)، أو أمّه بغيّة، لا يُمكن أن يُكوّن ذرّية تُسلّم لها أمانة الرسالة وينطق فيه الروح القدس، وتُبيّن أنّ كهنة التوراة رفضوا روح الله عيسى (ع) كما سيرفــضون محمّداً (ص) بعد زمن، وترينا انفصال إبراهيم عن أبيــه وإصــغائه لنداء الروح وخروجه عن البرمجة المجتمعيّة المنحرفة عن التوحيــد والإنسانية، وتذكر من الأصفياء والأنبياء: زكريا وابنه يحيى، مــريم وابنها عيسى، إبراهيم وابنه إسحاق وحفيده يعقوب وأحفــاده موســى وهارون، ثم ابنه البكر إسماعيل، وأخيراً إدريس، حسب الترتيب.

فهم حسب ترتيبهم في السورة:

فئة مرتبطة بذرّية آل عمران (زكريا، يحيى، مريم، عيسى).

فئة أولى مرتبطة بآل إبراهيم وذرّية الآل: إبراهيم (ذرّية المحمــولين مع نوح)، إسحاق، يعقوب، وآل يعقوب (ذرّية إســرائيل): موســى، هارون.

فئة ثانية مرتبطة بآل إبراهيم: إسماعيل.

فئة مرتبطة بذرّية آدم: إدريس.

فالأسماء بدأت من آخر فروع الأشجار، إلى أعلاها.

حتّى تختم بالآتي (**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً* فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيّاً**)(مريم: ٥٨، ٥٩).

فالموضوع هو هو، الذرّية الطيّبة يُصطفى منها، لكن ثمّة خلفٌ منتحل ضيّع أمانة الروح وهي الصلة (الصلاة) الحقيقية بالربّ التي بها يستحق الاصطفاء للرسالة أو لا يستحق فيُلبّيّ نداء الغرائز والشهوات بدلاً من نداء الروح (الصلاة) ويخرّ ساجداً للآيات الربّانيّة، فلا يُمكن أن يتلقّفهم الرحمن ليكونوا هداة بل يتلقّفهم الشيطان ليكونوا غواة (**يلقون غيّا**) مهما تديّنوا وترسّموا من طقوس. فإنّ علامات من يُصطفى أنّه يخرّ لآيات الرحمن متى صعقته، ككلّ الأنبياء، كما خرّ موسى صعقاً، أمّا الذي يسمع بالله وبآياته وآثارِه وروائح الحقّ تجول حوله فلا يُصغي ولا يُحرّك ساكناً في طلبها ولا يقلق لفقدانها أو فقدان اتّصاله بربّها بل ربّما وصلته فصمّ عنها وعمي، بل ربّما حاربها ككهنة اليهود في حربهم لعيسى (ع) ثمّ لمحمّد (ص)، فأيّ اصطفاء يكون في بيت مظلمٍ، خراب من الهدى، كهذا؟!

فالآيات الشريفة، في الوقت الذي تُثبت بيوتات الاصطفاء التاريخي للذراري النقيّة التي بقيت على الفطرة وحدث فيها الاصطفاء، فإنّها تُعلن انقطاعه عن أخلافهم الغُواة من اليهود الذين قطعوا (صلاتهم) مع الربّ حين قتلوا أنبياءه وزاغوا عن سبيله وظهر فيهم خبث المنبت والزنا والشرك والطقوس البالية المنحرفة، فظهر فيهم أنبياء كذبة، كما أخبر تعالى عنهم (**وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ**)(الأنعام:٩٣) ليصطنعوا بقاء اتّصالهم بالربّ افتراءً لتعويض النقص[1]، لذلك قال (**فخلف من بعدهم خلْف**)، وكلمة (خلْف) تُشير بصراحة إلى ذراريهم التي خبثتْ، وما زال إلى اليوم يُقال عمّن (ولد) أنّه (خلّف).

فملخّصاً معنى الآية هكذا:

(**أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ**

---

[1] – صرخ أرميا لهذا الانحراف في اليهود قائلاً على لسان الربّ (**هَا إِنَّكُمْ مُتَّكِلُونَ عَلَى كَلاَمِ الْكَذِبِ الَّذِي لاَ يَنْفَعُ. أَتَسْرِقُونَ وَتَقْتُلُونَ وَتَزْنُونَ وَتَحْلِفُونَ كَذِباً وَتُبَخِّرُونَ لِلْبَعْلِ وَتَسِيرُونَ وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ تَعْرِفُوهَا، ثُمَّ تَأْتُونَ وَتَقِفُونَ أَمَامِي فِي هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي دُعِيَ بِاسْمِي عَلَيْهِ وَتَقُولُونَ: قَدْ أُنْقِذْنَا. حَتَّى تَعْمَلُوا كُلَّ هَذِهِ الرَّجَاسَاتِ**)(أرميا ٧: ٨–١٠). وقال (**قَدْ رَجَعُوا إِلَى آثَامِ آبَائِهِمِ الأَوَّلِينَ الَّذِينَ أَبُوا أَنْ يَسْمَعُوا كَلاَمِي وَقَدْ ذَهَبُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى لِيَعْبُدُوهَا. قَدْ نَقَضَ بَيْتُ إِسْرَائِيلَ وَبَيْتُ يَهُوذَا عَهْدِي الَّذِي قَطَعْتُهُ مَعَ آبَائِهِمْ**)(أرميا ١١: ١٣) و(**لأَنَّهُ بِعَدَدِ مُدُنِكَ صَارَتْ آلِهَتُكَ يَا يَهُوذَا وَبِعَدَدِ شَوَارِعِ أُورُشَلِيمَ وَضَعْتُمْ مَذَابِحَ لِلْخِزْيِ مَذَابِحَ لِلتَّبْخِيرِ لِلْبَعْلِ. وَأَنْتَ فَلاَ تُصَلِّ لأَجْلِ هَذَا الشَّعْبِ وَلاَ تَرْفَعْ لأَجْلِهِمْ دُعَاءً وَلاَ صَلاَةً لأَنِّي لاَ أَسْمَعُ فِي وَقْتِ صُرَاخِهِمْ إِلَيَّ مِنْ قِبَلِ بَلِيَّتِهِمْ**)(أرميا ١١: ١٣–١٤)، فنرى بترهم الصلة والعهود مع الله تعالى، ونرى قطع الله الصلة بهم لمّا فسدوا عن الفطرة فلا يقبل منهم صلاة ولا دعاء ولا استغاثة، وهو تماماً معنى (ضيّعوا الصلاة ... فسوف يلقون غيّا).

نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْـرائيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً)(مريم:٥٨).

أولئك الأزكياء المذكورون في سورة مريم، وهم حسب الترتيب: زكريا، يحيى، مريم، عيسى، إبراهيم، إسحاق، يعقوب (إسرائيل)، موسى، هارون، إسماعيل، إدريس.

أولئك الذين أنعم اللهُ عليهم بما ذُكِر من اصطفاء وعناية ربّانية سواءً بحياطتهم بالملائكة أو بتحميلهم شرف الرسالة، وهم قسمان:

١- قسم أوّل: أُنعم عليهم من النبيّين (من ذريّة آدم ...الخ)

٢- قسم ثانٍ: أُنعم عليهم من الذين هدينا واجتبينا (مثل مريم)[1].

كلا القسمين المنعم عليهم، ميزتُه واحدة؛ أنّه إذا تُتلى عليهم آياتُ الرحمن لم يصمدوا إلاّ أن يخرّوا سجّداً وبكيّاً، لأنّهم روحانيّون وسليمو منبت وأصفياء فطرة ومُتّصلون بالمبدأ الذي هم منه فلم يُضيعوا الصلاة (الصلة الروحيّة) والإصغاء.

فالنبيّون المذكورون في السورة المُنعَم عليهم، هم كلّهم من ذرّية آدم الرسول لا من ذرّية غيره لأنّه اصطُفي لتُصبح ذرّية الأنبياء التي بعده منه خاصّة، ومثالهم الأوّل إدريس (ع)[2].

---

[1] - المُنعم عليهم بالهداية الربّانية الروحية ليسوا فقط الأنبياء لقوله تعالى (**وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقاً**)(النساء:٦٩)، فالصدّيقون كمرتبة بعد النبيّين، فئةٌ ثانية تحظى بهذه النعمة، ومريم (ع) كانت صدّيقة، قال تعالى عن عيسى بن مريم (ع) (**وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ**)(المائدة:٧٥).

[2] - ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١، ص١١٢، قال: (وقد زعم بعضهم أنّ إدريس لم يكن قبل

ثمّ تخصّص اصطفاء النبيّين الذي بدأ من ذرّيّة آدم الرسـول، مرّةً ثانية، تخصّص فيمن حُمل مع نوح (ومعهم نوح)، فخرج منهم إبراهيم (ع).

ثمّ تخصّص الاصطفاء الذي بدأ أوّلاً من ذرّيّة آدم الرسول ثـمّ ثانياً فيمن حمل مع نوح، تخصّص مرّةً ثالثة، في ذرّيّة إبـراهيم وإسرائيل، وهم الباقون إسحاق ويعقوب وموسى وهارون، وإسماعيل، وظلّ في ذرّيّة إبراهيم حتى آخر الدهر.

نوح بل في زمان بني إسرائيل)، وعلى هذا المنوال فإنّ بعض المفكّرين اقترح أنّ إدريس هو بعد نوح وليس قبل نوح لقوله تعالى (**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُوراً**)(النساء:١٦٣)، فكلّ الأنبياء جاءت بعد نوح! وبدليل ذكره سبحانه إدريس بعد إسماعيل في الموردين الوحيدين الذين ذُكر فيهما إدريس في القرآن (**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ**)(الأنبياء:٨٥)، و(**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً**)(مريم:٥٦) وذلك بعد قوله (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ** ...) في الآية٥٤!! (راجع: محمد شحرور، **الكتاب والقرآن**، ص ٧١٠).

وهذا غير صحيح، فالأنبياء سبقوا نوحاً، فليس نوح أوّل نبيّ، ولكن طريقة الوحي تبدّلت منذ نوح (ع)، ولم يذكر سبحانه إدريس حين سرد بعض النبيّين بعد نوح، في النساء ١٦٣، أما الأنبياء ٨٥ فالترتيب ليس تاريخيا لأنّ أيّوب وقبله داوود وسليمان ذُكرا قبل إسماعيل في آيات سورة الأنبياء وهما تاريخيا بعده!! وأمّا ترتيب الآية ٥٦ من سورة مريم عن إدريس بعد الآية ٥٤ عن إسماعيل فهو أيضاً ليس ترتيبا زمانيا، بدليل أنّ الآيات ٥١ –٥٣ قبل إسماعيل تكلّمت عن موسى (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى** ...) وموسى بعد إسماعيل لا قبله يقيناً، نعم لو قلنا أنّ الآيات انطلقت زمانيا بالعكس لاستقام الترتيب (موسى ٥١، إسماعيل ٥٤، إدريس ٥٦).

أما المصادر التاريخية من قصص وروايات فكلها تجمع على وضع إدريس بعد آدم وقبل نوح وإبراهيم، وأمّا الآثار والنقوش والصور والمعالم وأسماء المناطق فتُجمع على سبق تاريخ إدريس/تحوت/هرمز/أخنوخ بمختلف أسمائه في البلدان والحضارات، على الألف الثالثة قبل الميلاد الذي هو زمن طوفان نوح!

<table dir="rtl">
<tr><td colspan="5">زكريا – يحيى – مريم – عيسى
+ إبراهيم – إسحاق – يعقوب – موسى – هارون – إسماعيل
+ إدريس</td></tr>
<tr><td colspan="5">أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ</td></tr>
<tr><td colspan="4">مِنْ النَّبِيِّنَ</td><td rowspan="6">وَمِمَّنْ
هَدَيْنَا
وَاجْتَبَيْنَا
..
...
....
.....
......
....
....
مريم</td></tr>
<tr><td colspan="4">مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ</td></tr>
<tr><td>إدريس
...</td><td colspan="3">وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ</td></tr>
<tr><td></td><td>إبراهيم
...</td><td colspan="2">وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td>إسماعيل
ويعقوب (إسرائيل)
...</td><td>وَ(ذرّية) إِسْرَائِيلَ</td></tr>
<tr><td></td><td></td><td></td><td>موسى – هارون
زكريا – يحيى –
عيسى ...</td></tr>
<tr><td colspan="5">إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً</td></tr>
</table>

الشكل رقم (٣):

أُوْلَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ (مِنْ النَّبِيِّينَ (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ) وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً[1]

---

[1] – بناءً على هذا المخطّط الذي يكشف معنى الآية فإنّ إعراب أجزائها يختلف عن الدارج في التفسير، هكذا: **(أُوْلَئِكَ)** مبتدأ **(الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ)** عطف بيان/بدل **(مِنْ النَّبِيِّينَ)** وصف أو

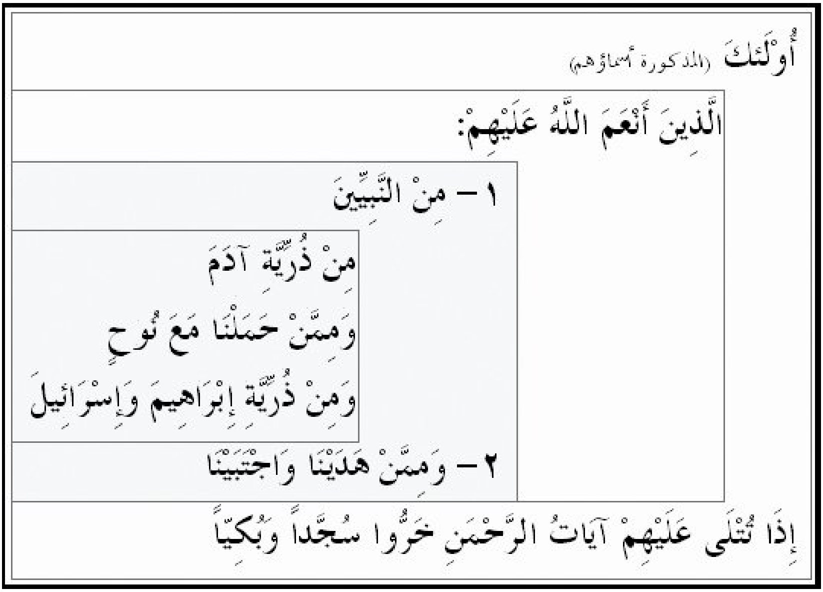

الشكل رقم (٤): مخطّط شرح الآية، وتوزيع النبيّين والمهديّين المنتجبين على الذرّيات)

وربّما لو سلّطنا الضوء على آيات أخرى، لـزاد موضوع الاصطفاء بياناً:

ففي سورة الأنعام، قال سبحانه عن إبراهيم (ع):

(وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ كُلاًّ هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ* وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ* وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلاًّ فَضَّلْنَا عَلَى

حال للمُنعَم "عليهم" **(مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ)** حال أو وصف "النبيّين" **(وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا)** عطف على عبارة "من النبيّين" **(إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّداً وَبُكِيّاً)** جملة خبر.

الْعَالَمِينَ* وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ* ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ* أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمْ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْماً لَيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ* أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمْ اقْتَدِهِ قُلْ لا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَى لِلْعَالَمِينَ* وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ)(الأنعام : ٨٤ – ٩١).

هذه الآيات التي اشتبك فيها أجلاّء المفسّرين وتجادلوا وتباينوا في ضمائرها، قد وضعت النقاط على الحروف، فهي تحكي قصّة الاصطفاء والاجتباء كاملة، وأنّ ثمّة سلسلة إنسانية متّصلة يجتبيها الله ليصنع منها نباريس هدايته في البشر، وباعتبار أنّ الخطاب هو لليهود الذين يرفضون صيرورة النبوّة والكتاب والحكم خارج حوزتهم، وقد جعلها الله في محمّد (ص) خلافاً لظنونهم وأهوائهم، فإنّ عقد القلادة لأهل الكتب الثلاثة هو إبراهيم (ع)، فبدأت به الآيات، الذي لكونه سليم الفطرة هُدي واصطُفي للحكم والنبوة والكتاب.

وانطلقت إرادة الانتخاب الرسالي الربّانيـــة، لتهـــب لإبـــراهيم إسحاق ويعقوب، هدت إسحاق لا بالوراثة[1] بل بعناية خاصّـــة أيـــضاً لكونه من سلسلة صفاء الفطرة، ثمّ اعتنت بيعقوب للأمر نفسه، علـــى خلاف ما أُلصِق به في التوراة من كذب وتدليس وخداع.

هذه السلسلة، سلسلة نقاء الفطرة من شرك الشيطان والهمجيـــة والإباحات، لم تبدأ بإبراهيم بل هُدي بها نوح (ع) من قبل، أي كانـــت في أجداد إبراهيم، وقد بينّا في (بحث الطوفان) كيف جرف طوفـــان نوح آثار الهمجيّة وممسوخي الفطرة، وكيف نقّى الربّ بذرة الذرّيـــة الإنسانيّة في أرض مهد الرسالات على يد نوح الذي سمّته أســـاطير بابل (أوتو–نفشتيم = حوطو نفشتيم) أي الذي قام بـــ (حياطة النفوس) وسمّته أيضاً (أترا–خاسس = عترة–خاشش) أي الذي خـــشّ/احـــتفظ بالعترة، أي بالذراري الطاهرة.

ليتواصل الاصطفاء، في ذراري أحفاده إبـــراهيم، ثُـــمّ ذرّيـــة يعقوب، كما واصلها الله من قبل في ذرّية نوح، فالأسماء المـــذكورة هي من هذه الذراري المنتخبة، والبيوتات المنتسبة لها على الفـــضيلة والصلاح، من آبائهم وإخوانهم وذرّياتهم.

فكانت تلك الأنبياء مهما تبدّلت ظروف معيشتهم محافظين على فطرتهم وعلى الإصغاء لنداء الرّوح لا يكفرون بـــالله أبـــداً لا حـــالَ

[1] – في حاشية الإنجيل، أعمال الرسل: **(الله لا يقبل الوجوه، بل في كل أمّة الذي يتقيه ويـــصنع البر مقبول عنده)**(أعمال١٠: ٣٤– ٣٥).

نعماء ولا من ضرّاء، فإنْ ابتُلوا بالأذى صبروا أو بالنعمة والملك شكروا، كالطائفة الأولى، طائفة (المحسنين)، التي "أحسنت" التعامل مع كلّ ظرف، وهم **(دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ)**، وهؤلاء أنبياء ملكوا في بني إسرائيل وسادوا.

والفريق الثاني، عانى من جهاده لتصحيح الانحراف الشنيع في بني إسرائيل حتّى قتلوه أو صلبوه، فكان ثائراً عليهم حين عصف الفساد بالعقائد والضمائر والسلوك، وهم طائفة الأنبياء (الصالحين) حين فسد الناس **(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ)**.

والفريق الثالث انطلق مُعلِّماً وتغرّب ليهدي آخرين من الشعوب المجاورة لمنطقته، فعانى غربة الأهل والوطن من جهة وغربة الفضيلة بين عوائد الجهل، وهي فئة (الفضل على العالَمين) ومنهم **(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً)**.

فموجزاً:

١- **(دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ)**(الأنعام:٨٤).

٢- **(وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ)**(الأنعام:٨٥).

٣- **(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)**(الأنعام:٨٦).

فهم ثلاث فئات ليس ترتيبها زمانيا: المحسنون، الصالحون، المفضلون على العالمين.

الفئة الأولى عوضها الله بالمجاهدة والصبر، مُلْكاً ورئاسةً.
الفئة الثانية أصابها التعذيب والقتل أو محاولة ذلك، فهم أحياء كلّهم بالرّفع أو الشهادة.
الفئة الثالثة أُبعدتْ من أوطانها، وكانت رسلاً في غير موطنها الأصل.

هذا الاختصاص لم يكن وراثيا، وإن كان في سلسلة نبويّة (نوحيّة ثمّ إبراهيميّة ثمّ يعقوبيّة)، إذْ ما فتئت تُكرّر الآيات (**كلاًّ/كلٌّ**) أي كلّ فرد على حدة، وقد رأينا أنّ المجتبى من إخوة يُوسف مع كون الجميع إخوة لأب واحد هو يوسف (ع) وحده دونهم.

هذا الهدى يهدي به سبحانه من استقام على الفطرة ونفى بذور الهمجيّة منه، وإلاّ لو أشرك وانحرف وتوحّش ولو تدثّر بجميع كتب السماء وانتسب إلى كلّ الأنبياء، لحبطت الصناعة معه، وهذا تعريضٌ واضح بأنّ تلك البيوتات لم تعد تُنتج عدا يهوداً مشركين في الفطرة ومنحرفين عن الصناعة انشغلوا بصناعة العدوان والظلم والربا والزنا والخمور، فإنْ يكفر بها هؤلاء (اليهود أو غيرُهم) فإنّ الله على مرّ التاريخ له أهل ولاية يصنعهم لأمره، قومٌ وكّلهم بهذه المهمّة السماويّة، ليسوا بها بكافرين، وهذا يُعيد لنا الكلام نفسَه، أنّ ثمّة اصطفاءً خامساً لمنْ لا يكفر بالرسالة أبداً، ويروم هداية العالمين فطرياً (**ولا يسألهم عليه أجراً**) كما قالته آية السياق، بل يتحرّك ذاتياً بوحي من الرّوح الأعلى الفيّاض الذي فيه، كالنبيّ (ص) أصلاً ثمّ آل

بيته وصفوة أصحابه.

هذا الاصطفاء، الهدى، الاجتباء، يختصّ بمن خرج لله وللحقّ راجعاً لفطرته، لذلك نرى في كلّ التاريخ، شباباً ورجالاً عاديّين حظوا بالتشرّف بهدايات ربّانية واختصاصات عجيبة، لا يحظى بها رجالٌ مشهورون بالدين والزيّ والوجاهة والعلم والكهانة والمشْيخة!

ج- أسبقيّة الوجود الإنساني على الانبعاث الرسالي

إنّ التفريق بين آدمين (الإنسان والرسول) في جوهره هو تفريق بين وجود النّاس (بني آدم) أنتجهم أبوهم آدم الأوّل قبل قرابة ٥٠ ألف سنة، وبين وجود الرسل دُعاة العلم والدين واللغة والحضارة والتمدّن، فالتراتب المنطقيّ يقول أنّ (الإمام) لا معنى لوجوده قبل وجود (مأمومين)، ولا معنى لوجود (رسل) إن لم يكن ثمّة (مُرسَل إليهم) قد اختلفوا وجهلوا واحتاجوا للإرشاد.

إنّ استقراء آيات الله بشأن حقبة بزوغ الوجود الإنساني، وحقبة إطلالة النبوّات أو الرسل، يُطلعنا على ضرورة أسبقيّة (الوجود الإنساني) على (الانبعاث الرسالي) ليُؤكِّد فرضيّة وجود الآدميْن، بل ويُطلعنا على خصائص معيّنة لكلّ من التواجدين التاريخيّيْن، يُسلِّم بها العقل لأنّها تُوافق منطقه ومنطق التطوّر التاريخي.

١- الأمّة الواحدة والرسل

قوله تعالى **(كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْياً بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)**(البقرة:٢١٣).

وقوله: **(وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)**(يونس:١٩).

إنّ منطق الآيتين يقول أنّ الناس كانوا موجودين، وكانوا أمّة واحدة، فاختلفوا إلى البقاع، واتّسعت حوائجهم، وطرأت عليهم قضايا احتاجوا فيها لمدد السماء، فبعث الله النبيّين (منهم) مبشّرين ومنذرين، وأنزل معهم الشرائع (الكتاب) لتعليم الحياة المدنيّة وتعاليم الأسرة والتضامن وفضّ النزاعات التي دبّت وصبغت الفطرة، ومع هذا فثمّة أناس كان العلم سبباً في نموّ كبرياء أنفسهم كإبليس.

فمنطق الآيات يُدلي بصراحة أنّ (الوجود الإنساني)، سبق (بعثة النبيّين)، وكانوا (**أمّةً واحدةً**) ليس لهم إلاّ هداية الفطرة ومقتضيات الغريزة في العيش (شريعة عشتار الطبيعيّة)، وفسّرتها روايات أنّهم كانوا لا مهتدين ولا ضالّين (لأنّ الأنبياء والرسل لم

تأتهم بعد، فهم بنو آدم الذين انتشروا في الأقطار لآلاف السنين، من حوّاء الأخرى الهمجيّة، وحكَمهم قانون الطبيعة الفطريّ)[1].

فإذا كان (آدم) سبق (الوجود الإنساني) لأنّ الناس جاءت منه، فلا يُمكن أن نقول أنّ (آدم) نبيّ معه كتاب، لأنّ هذه الفئة جاءت بعد (الوجود الإنساني) واختلافه. فماذا نفعل إذا علمنا أنّ ثمّة (آدم) هو نبيّ وله كتاب (صُحف) يحتفظ ببعض تعاليمها إلى الآن المندائيّون، وهو رسول مصطفى، وهو أبو الرسل من بعده، ماذا نفعل؟

الحلّ: أن نضع (آدم) الإنسان قبل (الوجود الإنساني) و(آدم) الرسول بعد (الوجود الإنساني).

٢- سمة الرسل وملامح زمانهم

١- (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)(إبراهيم:٤).

هذه تبيّن بالحصر الشامل، أنّ الله لم يرسل رسولاً قط، إلاّ بلسان قومه، أي سبق وجود القوم وجود رسولهم، وسبق وجود لسانهم لسانه، ما يعني أنّ مجتمعات الناس كانت موجودة قبل الرسل، فآدم أبو الناس قبل الناس، وآدم الرسول بعدهم.

---

[1] – وسُئل الإمام الصادق (ع): (أفضُلاّلا كانوا قبل النبيّين أم على هدى؟ قال: لم يكونوا على هدى، كانوا على فطرة الله التي فطرهم عليها، لا تبديل لخلق الله ، ولم يكونوا ليهتدوا حتى يهديهم الله). السيّد محمّد حسين الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج٢، ص١٤٢.

٢- **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الْأِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُوراً)**(الأنعام: ١١٢).

(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِياً وَنَصِيراً)(الفرقان:٣١).

(يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ)(يس: ٣٠).

وأشباه هذه الآيات كثير، وهي آيات مقفلة، أي أنّها لا تستثني بصيغتها رسولاً أو نبيّاً، فكلّ رسول ونبيّ كان له عدوّ من المجرمين الإنس والجنّ، ويُستهزأ به، وهذا يدلّ أنّ زمن أيّ رسول هو بعد زمن وجود الناس وبزوغ الفساد والانحراف فيهم.

٣- **(وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيراً)**(الفرقان:٢٠).

(وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ)(الأنعام:٤٨).

وهذه آيات أيضاً بصيغتها المقفلة، صيغة الحصر، صيغة (ما .. إلاّ ..)، تُبيّن أنّ المرسلين كانوا متأخّري الزمن بعد وجود إنسانيّ يتعامل مع بعضه بالسلع (الأسواق) ويتخالفون

ويسخّر بعضُهم بعضاً، فهناك وجودٌ موضوعي إنساني سابق يستحقّ التبشير أو الإنذار على ضوء إيمانه وعمله.

٤- **(يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْأِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا)**(الأنعام:١٣٠).

(يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ)(الأعراف:٣٥).

(وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ)(الزمر:٧١).

ميزة هذه الآيات الثلاث وأمثالها، أنّها تقول أنّ الرسل هم (من) صنف أو (من) سلالة المُرسَل إليهم، والآية الثانية بالخصوص، تتحدّث عن مرحلة ما قبل مجيء الرسل، حيث يعد الربّ بني آدم بعد هبوط والدهم (آدم) من الجنّة مع زوجته، أنّه سيَمنّ عليهم برسل (منهم) يأتونهم ليقصّوا عليهم آياته، ما يعني أنّ حقبة (الرسل، وآدم الرسول منهم) منّ بها اللهُ تعالى بعد حقبة وجود فئات (بني آدم) التي أبوها ومنشأها (آدم) الأوّل.

وهذا المعنى بالتمام هو ما أكّده الإمام عليّ (ع) في خطبته عن آدم، فبعد إهباطه إلى (دار تناسل الذرّية) قال: **(وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ،**

لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِــهِ، وَيَحْتَجُّــوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَــائِنَ الْعُقُــولِ، وَيُــرُوهُمْ آيَــاتِ الْمَقْدِرَةِ)[1].

فكما يلوح جليّاً أنّ الرســل والأنبياء، تمّ اصطفاؤهم **(مِنْ وَلَدَهِ)** أي من ولد آدم، بعد وجود خلائق الناس، بل بعد انحرافهم وجهلهم.

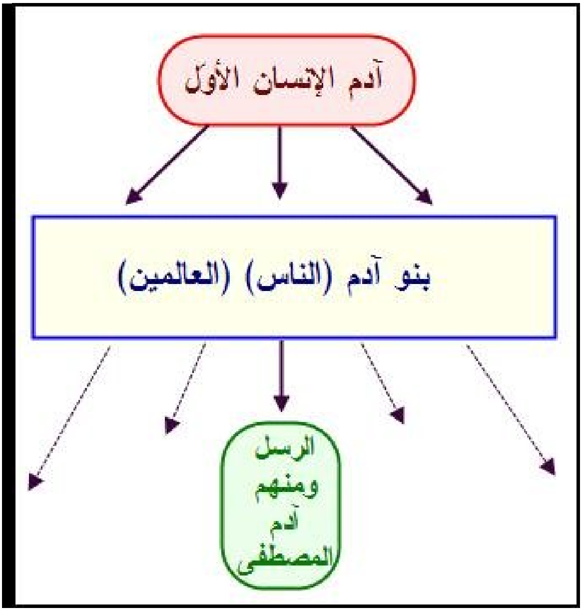

الشكل رقم (٥): تواجد الناس بين وجود آدمين

---

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، ج١، ص٢٣.

د- ملامح عامّة للشجرة الآدميّة

لقد رسمت لنا آياتُ القرآن الكريم في شأن آدم، خارطةَ تواجدنا الإنساني وملامح المنعطفات التي انتكسنا فيها، وعرّفتنا بالمراقي التي بها نسمو، ولقد استقصينا هذه الآيات في بحثيْنا السابقيْن وهنا، وأتممناها بما سبق للتوّ بيانه، لنصل إلى التالي:

بعد أن تسلّل آدم الإنسان العاقل إلى خارج الجنّة، دار أمنه ورغده، استحوذت عليه وسوسة إبليس، ووقع في شراك خطّته باحتناك ذرّيته الآدميّة الجديدة، التي نشأت آنذاك من "أنثى الهمج" (التي سمّتها الأساطير "ليليت" و"عشيرة آدم الأولى") وهو المعبّر عنه قرآنيا بـ"قرب الشجرة" المنهيّ عنها، أي معاشرة السلالة الهمجيّة، ليكون له نسلٌ يُخلّده (**شجرة الخلد**) في الأرض. كوّن آدم بمعصيته تلك نسلاً إنسانياً آدمياً لكنْ همجياً (مثل معظم الشرسين اليوم)، وراح ينتشر في البقاع كالنّار في الهشيم ليبيد سلالات البشر الهمج المحضة (غير الآدميّة العاقلة) لأنّه أعلى تقنيّة وأوفر عقلاً وإبداعاً وملائمة.

بعد أن أُهبطت حوّاء لآدم، متزامنةً مع التوبة، وإسداء آدم الكلمات الأبديّة، وأولى الكلمات باللبث في الأرض لاختبار الإنسانيّة وتصفيتها من بقايا الهمجيّة فرداً فرداً حتّى تنقضي المدّة الربّانيّة وهي ٥٠ ألف سنة (خمسين يوماً ربّانيا)، والكلمة الثانية وعد هداية الله لمن أراد الخير، وثالث الكلمات كلمة التوبة على آدم وعلى ذرّيته من

تاب منهم وأصلح نفسه، ورابع كلمة وعد الإدخال في الجنّة مرّةً أخرى لمن تحوّل فعلاً "آدميّاً إنساناً" لا انقلب "همجيّاً"[1].

ثمّ، من المحتمل البعيد بعد هذا أن أنجب آدم أبناء من حوّاء، ربّما أربعة ذكور، وأُحضرتْ لهم زوجات إنسيّات (أُنشئوا من البشر السابق) قد جرى عليهنّ أيضاً (التعديل الجيني والإنساني المطلوب)، ومن هذا التزاوج نتجت شجرة إنسانيّة ثانية خالية من العرق الهمجيّ، لكنّه احتمالٌ تُعارضه إشكالات كثيرة ولا داعي له، والمحتمل الأقرب أن يكون قد تأخّر ظهور شجرة الإنسانيّة الصفيّة هذه إلى عصر آدم الرسول فأبناء آدم الرسول هم الذين تزاوجوا مع الحوريّات الإنسيّات المخلّقات (لذلك نجد في الروايات أنهنّ أُنزلن من الجنّة) أي كحال آدم وحوّاء، وكحال آدم الرسول (كما في فرضية لاحقة ستأتي).

ومن المحتمل أيضاً أنّ الربّ قد تعهّد الشجرة الإنسانيّة القديمة نوعاً من التعهّد في زمن بين آدمين، أي لأكثر من ثلاثين ألف سنة، هو بملائكته مباشرة (متمثّلين كبشر أحياناً) لحاجات وجودهم وتعليمهم ضرورات البقاء، واليقين المفيد، أنّ كلا الشجرتين، الشجرة التي من "حوّاء!" الهمجيّة، والتي من حوّاء الإنسية، هما مكوّن (بني آدم).

---

[1] – الشرح الموسّع للكلمات سبق وبيّنّاه في بحث: **وعصى آدم- الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافية الاجتماعية.

مع الزمن تمّ تداخل هاتيْن الشجرتين واختلاطهما سلالياً، ويومًا فيوم لم يعد يُجدي التفريق بين شجرتي أبناء آدم، مع بقاء بضع أشجار حفظ الله نقاءها من الدخيلة الهمجية، تلك هي الأشجار التي انبثقت منها الرسل منذ آدم الرسول (ع)، الذي جاء كصاحب رسالة ومهمّة إنسانية ضخمة، من هذه الشجرة النقيّة أو كأساسٍ لها، ثمّ تعيّن اختيار النبيّين من ذرّية آدم الرسول هذا (وليس بالضرورة بشكلٍ مباشر، إذ ليس بالضرورة أن يكون "شيث" ابناً مباشراً عقب آدم، ولا أنّ شجرة الأنبياء النازلين هم من نسل "شيث" دون باقي إخوة شيث، وإخوة آباء شيث حتّى آدم الرسول الذي هو أبوه أي في عمود آبائه علوّاً)، لذلك قال تعالى (**اصطفى آدم**)[1] وليس (اصطفى آل آدم)، فالأنبياء بعد آدم يرجعون إلى آدم كنقطة نهاية لا إلى أحد أبنائه سواءً كان نبيّاً أم لا، فمحاولة "سَلسلَة" الأنبياء فقط إلى شيث أمرٌ غير صحيح وإلاّ لقال سبحانه (اصطفى شيثاً)، ولكن هذا يُبيّن لنا أنّ أنبياء كثيرين جاءوا من نسل آدم وليس عبر سلالة شيث، حتى ولو كان المشهورون من شيث، فالآلاف من النبيّين لم يقصصهم سبحانه علينا، ولهذه العلّة قال أيضاً (**ونوحاً**) فالأمر نفسه، فكلّ نبيّ جاء بعد نوح (ع) فهو يرجع إلى نوح بشكل من الأشكال لا إلى واحد من أبنائه بالخصوص كما لُفِّق أنّه (سام) مثلاً فقط وكأنّه خيرُ البريّة ومن انتسب إليه ولو تلفيقاً وزوراً فكأنّه صار ابناً لله وذاتاً لا تُمسّ ولا

---

[1] - (إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)(آل عمران:٣٣).

تُنتقد، وزادت الفرية العالميّة الغبيّة بتسمية عرق سامي وآخر لاسامي!!

أمّا إبراهيم (ع) فقال تعالى عن اصطفاء الشجرة منه: **(وآل إبراهيم)**، ما يعني أنّ اصطفاء النبيّين اللاحقين بعده وقع على أبنائه وأحفاده ابتداء (بإسماعيل، وإسحاق، ويعقوب، ومدين)، وكذلك الأمر بالنسبة لـ(عمران) فليس الاصطفاء له، بل لآله **(آل عمران)**، ونلاحظ في الآية أنّ الاصطفاء من "الله" لا من المدبّرين **(إنّ الله اصطفى)** بخلاف قول القرآن **(الذين اصطفينا من عبادنا)**، فمع قوله تعالى **(قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ)**(النمل:٥٩)، وقوله **(اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)**(الحج:٧٥)، ربّما يتوجّب علينا أن نقول أنّه اصطفاء إلهي (الألوهيّة) الذي له شأن بمستوى "الرّوح" (لا ربوبي)، لاختيار رسل من الناس، نظير اصطفاء رسله من بين مجاميع الملائكة لأنّ الخلافة إلهيّة لها علاقة بالإنسان الذي هو مثيل الربّ، فالشجرة التي حافظت كقابلية على نقاوتها من الهمجيّة النفسيّة، على فطرتها ووعيها، المحصّنة والمستعاذة من الشيطان طبيعيّا وربّانيّا، فطرة الله التي فطر الناس عليها، هي الأوْلى باحتضان الرسالة إلى الناس لتصفية إنسانيّتها.

ولعلّ هذا يُفسّر أحاديث ترد في التراث عن صناعة نبيّنا (ص) بـ **(الخلق من الطينة الطاهرة)** وأيضاً تنقّله في **(الأصلاب الطاهرة**

والأرحام المطّهرة)، ونلاحظ قوله تعالى لمريم (باعتبارها "آل عمران" حسب ظاهر الآية وحسب سياقها، مريم ابنة عمران) **(وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)**(آل عمران:٤٢)، فالاصطفاء الأوّل ذاتي لها، والتطهير عمليّة كونها من الشجرة الطاهرة، وكونها عابدة حقيقيّة أزالت ما يُمكن أن يشين إلى "إنسانيّتها" وليس أمراً ناشئا الآن، أمّا الاصطفاء الثاني فكونه على نساء العالمين لأنّها ستلد من ليس غيرها من النساء مؤهّلات ليلدنه، الإنسان الكامل، المليء رحمة وحبّا وعدلا، (عيسى بن مريم).

وهذا (الاصطفاء على –نساء– العالمين) لمريم دون الأخريات لولادة الذرّية الرساليّة المتمثّلة هنا في عيسى، هو نفسه الذي تمّ تقريره سابقاً من اصطفاءٍ تاريخيّ بالتوالي لآدم ثمّ لنوح ثمّ لآل إبراهيم ولآل عمران على العالمين، أي ليكونوا أوعية الذرّية الرساليّة، ذرّية الرسل والنبيّين، وبحسب أساطير بابل عن نوح (أترا–خاسس) ومن أحد تأويلاتها (عترة–خاشش) مخبّئ وحافظ العترة التي هي الذرّية.

ولهذا نشمّ في الروايات روائح هذا المعنى عن شجرة النبيّين بأنّها الشجرة الصفيّة التي يقيناً لم يخالطها (الهمج)، فصفيت من الجاهليّة الأولى القديمة، كما صُفّي آدم، وصُفّيت من دنس الشرك الإباحي، لذلك يُزار نبيّ الله بعبارات مثل:

(أوّل النبيّين ميثاقا وآخرهم مبعثا، الذي غمسته في بحر الفضيلة للمنزلة الجليلة، والدرجة الرفيعة، والمرتبة الخطيرة، وأودعته الأصلاب الطاهرة، ونقلته منها إلى الأرحام المطهرة، لطفا منك له وتحنّنا منك عليه، إذْ وكلت لصونه وحراسته وحفظه وحياطته من قدرتك، عينًا عاصمة حجبت بها عنه مدانس العهر، ومعائب السفاح، حتى رفعت به نواظر العباد، وأحييت به ميت البلاد، بأن كشفت عن نور ولادته ظلم الأستار، وألبست حرمك فيه حلل الأنوار)[١].

وسُلّم على حفيد رسول الله (ص) الحسين الشهيد بهذا الدعاء **(لم تُنجّسك الجاهليّة بأنجاسها ولمْ تُلبسك من مدلهمّات ثيابها)**[٢] وهذا ليس يعني أنّه لمْ يلحق على عصر جاهليّة ما قبل البعثة، فهذا غير مختصّ به وحده، فوق أنّه ليس باختصاص ولا تميّز، فالنبيّ (ص) وهو أشرف الخلق وخير البرايا قد عاش في ذلك الزمن نزيهاً، بل يعني أنّه من هذه الشجرة النبويّة التي لمْ تختلط على المستوى الجينيّ والفطري والروحي بما يُخرجها عن الاستواء، لذلك قيل "**مدلهمّات ثيابها**"، وهي تُعبَّر عنها أحياناً كما نقل عن رسول الله (ص) قوله **(نقلنا من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الزكيّة)**[٣] وقوله (ص): **(خرجت من نكاح ولم أخرج من سفاح من لدن آدم إلى أن**

---

[1] – ابن طاووس، **إقبال الأعمال**، ج٣، ص١٢٦. والمجلسي، **بحار الأنوار**، ج٩٧، ص١٨٥.

[2] – الطوسي، **مصباح المتهجد**، ص٧٨٩.

[3] – ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج٧، ص٦٣، ج١٤، ص٦٥.

ولدني أبي وأمي، لم يصبني من سفاح الجاهلية شئ)[1]، و**(ما افترق الناس فرقتين إلا جعلني الله في خيرهما، فأخرجت من بين أبوي فلم يصبني شئ من عهر الجاهلية، وخرجت من نكاح ولم أخــرج مــن سفاح، من لدن آدم حتى انتهيت إلى أبي وأمي فأنا خيــركم نــسبا وخيركم أبا)**[2]، وعن ابن عباس قال: قلت: يا رسول الله، أيــن كنــت وآدم في الجنة؟ قال (ص): **(كنت وآدم في الجنّة في صلبه، وهــبط بي إلى الأرض في صلبه، ورُكب بي السفينة في صلب أبــي نــوح، وقذف بي في النّار في صلب أبي إبراهيم، لم يلتق أبواي قط علــى سفاح، لم يزل الله ينقلني من الأصلاب الحسنة إلى الأرحام الطاهرة مصفًّى مهذّبا، لا تتشعّب شعبتان إلا كنت في خيرهما، قــد أخــذ الله بالنبوة ميثاقي وبالإسلام عهدي، ونشر في التوراة والإنجيل ذكري، وبيّن كلّ نبيّ صفتي، تــشرق الأرض بنــوري والغمــام لــوجهي، وعلّمني كتابه، ورقى بي في سمائه، وشقّ لي اسمًا مــن أســمائه، فذو العرش محمود وأنا محمّد، ووعــدني أن يحبــوني بــالحوض والكوثر، وأن يجعلني أوّل مشفَّع، ثم أخرجني من خير قرن لأمّتــي وهم الحمّادون، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)**[3].

---

1 – المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج١١، ص ٤٠٢.

2 – المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج١١، ص ٤٠١.

3 – المتقي الهندي، **كنز العمال**، ج١٢، ص ٤٢٧. وأيضاً ج١١، ص٤٢٨. وروي عن الصادق (ع) في: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٦، ص٣١٤.

من هذه الشجرة كان يتم دائما اصطفاء الأنبياء ليكونوا معلّمين زاكين لبني آدم، يدعونهم أن يتطهّروا من آثار الهمجيّة/الجاهليّة، ليُشرق فيهم الوعي وتعمل وظائف الروح ويعودوا إلى الجنّة، ويُبرمجوا ذواتهم مرّة أخرى بالإنسانيّة المحضة التي كان ينبغي أن نكون عليها، وهذا بمقدور الجميع، فكما تحوّل يوماً بشرٌ همجي بحت إلى إنسان قابل للكمال (آدم)، فنحن قادرون على التحوّل من (الإنسان الذي به نسبة من الهمج) إلى الإنسان-الإنسان، أي الإنسان الكامل (زكيّ النفس).

فالكل حسب الغالب هو هجينٌ بنسب معينة، وبإمكاننا أن نفهم الهجنة هذه بنظرة أكثر إيجابية، فاختلاط الشجرتين، هو للتطهير ورحمة للجميع، مثلما يتم إضافة الماء الصرف في الماء المضاف، فتقلّ نسبة الإضافة كلّما تداخل الصرْف مرّة أخرى، ولهذا يقول مولانا علي (ع) لمعاوية أنّ النبيّ (ص) وآله من شجرة طيّبة منّوا على الآخرين بالاختلاط بها والتزاوج معها[1].

هذا الإنسان الموجود حاليا الذي يدبّ على الأرض (إذا استثنينا من شاء الله) يُسمّى (الإنسان-الجسر) لأنّه في لحظة تحوّل بين الذي

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمد عبده، الكتاب٢٨، ج٣، ص٣٢، والفقرة هي: (لم يمنعنا قديم عزّنا، ولا عادي طولنا على قومك، أنْ خلطناكم بأنفسنا فنكحنا وأنكحنا، فعل الأكفاء ولستم هناك، وأنى يكون ذلك كذلك؟ ومنّا النبي ومنكم المكذِّب، ومنّا أسد الله ومنكم أسد الأحلاف، ومنا سيّد شباب أهل الجنة ومنكم صبية النار، ومنّا خير نساء العالمين ومنكم حمّالة الحطب في كثير ممّا لنا وعليكم).

قبله وهو (الإنسان–الحيوان) الذي أتى من آدم والهمج، وبين الذي نريد أن نكونه وسيأتي بعد وهو (الإنسان– الإنسان).

إنّ المتتبّع لحكمة القدماء ومواعظهم واهتمامهم بالصحّة النفسيّة والروح وقضايا السلوكيّات المحمودة والخصال الأثيرة، مثلاً حكمة المصريّين، حكمة الصينيّين، حكمة أحيقار لدى البابليّين[1]، لتُظهر بكلّ وضوح أنّ النفسيّة الإنسانيّة هي هي، وأنّ السلوك والقيَم هي نفسها، وأنّ الصفاء الروحي ربّما كان أفضل حالاً يومَها، وما تطوّر الإنسان إلاّ في وسائل المادّة وتسخير الطبيعة وأدوات الإنتاج والتحصيل (سواء إنتاج وتحصيل المعرفة، أو المادة)، فإذا كانت هذه الشرائع ترجع إلى أكثر من ٥٠٠٠ آلاف سنة منذ الآن، فهذا يعني أنّ الإنسان القديم هو الإنسان العصريّ، وأنّ المكتسب هو الفكر (كمنتج) فقط (الذي جاء نتاج لعمليّات كثيرة معقّدة ليس أولّها تطوّر وسائل المعرفة والتقنية وتراكم الخبرات واتّساع أنماط الاجتماع)، لا العقل المُفكِّر ولا الضمير، الذي زاد في ابن آدم ليس العقل المطبوع بل العقل المسموع (المُكتسب)، لا العقل المكوِّن بالكسر، بل المكوَّن بالفتح، العقل التاريخيّ لا الإنساني (الفطري)، فلذلك فإنّ العالَم اليوم ما زال يحتاج إلى رسول (ضمير)، لا ليقوده إلى فتح العالَم ومعرفة علوم الصناعات، بل ليقوده إلى فتح روحه ومعرفة نفسه، فقد انتفخ علمُه وضمرتْ معرفته!

---

[1] – راجع عن حكمة السومريين وأخلاقهم وشرائعهم العادلة: صامويل كريمر، **من ألواح سومر**، ص١٩١، الفصل ١٣، وعن (شريعة أور– نمو) العادلة والأخلاقية راجع الفصل السابع.

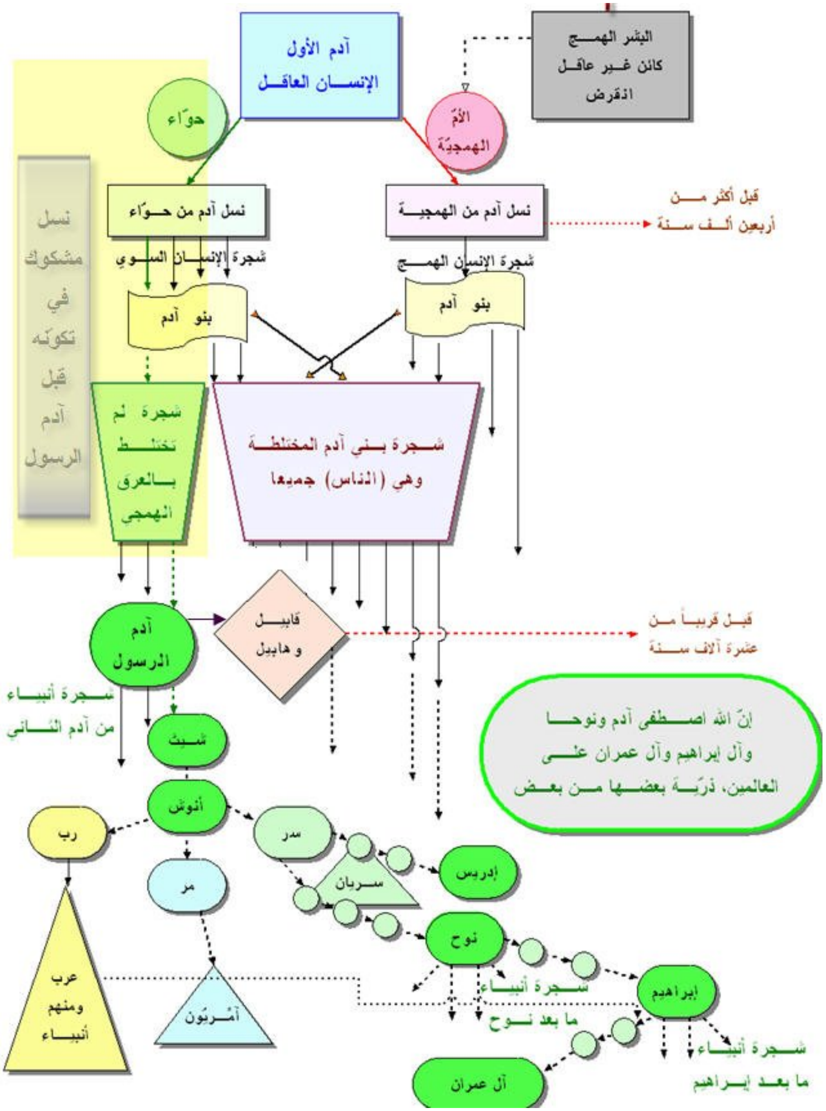

الشكل رقم (٦): خارطة تقريبيّة لشجرة آدم بين حقبتيْن

خاتمة الفصل

لقد رأينا كيف أنّ عربة الفهم التوراتي بخصوص وجود آدم وحقبته، ما كانت لتسير بسلاسةٍ على عقول المسلمين لولا قاطرةُ التفاسير التي لم تُدقّق في سياق آيات القرآن ومفاهيمه ونظامه، ولم تحتمل التفريق بين آدمين (أو حقبتين آدميّتيْن على الأقلّ)، طبعاً ساعد على هذا عدمُ وجودِ أرضيّةٍ علميّةٍ حصينةٍ جينيّة أو تاريخيّة وآثاريّة أو منطقيّة عقليّة رصينة تمنع مثل هذا الاختراق أو التسليم السريع به، ففسّرت آيات القرآن بما يُحاكي ذاك الفهم القديم اللاعلميّ، ورأينا أنّ حقيقة معنى الآيات تتوافق مع الكشف العلمي الآثاري والجينيّ المُعاصِر، المعزِّز لوجود آدمين، وبالتالي حقبتيْن، حقبة بدأ بها وجودُنا الإنساني، وحقبة بدأ بها وجودنا الحضاري، التي عبّرت عنها آياتٌ ذكرتْ (آدم) لكنّها لا يُمكن بحالٍ أن تتفسّر بمنطقٍ مقبول غير متعسِّف إلاّ إذا كان (آدمها) المذكور هو "آدم الثاني" الذي هو الرسول، والآيتان هما:

- **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(آل عمران:٣٣).
- و**(أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرائيلَ..)**(مريم:٥٨).

والتي اكتشفنا منهما ومن أخرى سواهما معنى (الاصطفاء) على العالمين، و(سلامة الفطرة)، و(زمن الرسل)، ومعنى (الذرّية

الطيّبة)، وأثرها على تشكيل الأسرة والمجتمع الواعي، التي سنتوسّع فيها في فصول قادمة باعتبارها ركيزة الوجود الإنساني السويّ (الحضاريّ) منذ أُمِر بمفارقة البرمجة البشريّة السابقة التي كانت سمة إنسانِه الهمج، من إباحة عشتاريّة.

بظنّنا أنّا بهذا التحليل القرآنيّ، قد حيّدنا (القاطرة!) القرآنيّة عن خدمة أفهامهم وأخطائهم، بل وكشفنا أنّ منطق آياته في حقيقتها تسير وبشدّة عكسَ اتّجاههم، إلاّ أنّ ثمّة ركاماً من الأفهام والتراث والمرويّات والتصوّرات الراكزة التي ما زالت قويّة فاعلةً ترفد ذاك الفهم القديم من جهةٍ أخرى، وهي كذلك بحاجة إلى مراجعة ونقد وتمحيص و"تبخير"، لأنّ معظم النّاس في الحقيقة تنجرّ بحبال التقليد، فوقودُهم الفعليّ هو آراءُ الرجال وتراث الآباء، لا القرآن ولا العلم، مهما أفصحا!

الفصل الثالث

وهم سببه مرويات وموروثات وآراء

(إنّ كلامَ الحكيمِ إذا كان صوابًا كان دواءً، وإذا كان خطأً كان داءً!).

الإمام عليّ بن أبي طالب(ع)[1].

الأفكار –صحيحةً أو باطلةً– إنّما تتعزّز لا بمنطقها بل بكثرة تواتر قائليها، إلاّ أنّ ذلك لا يعني بحالٍ أنّها صادقةٌ وحقّة، لكنّ حشدَ القائلين (حكماء وعلماء) سيُجبِر التاريخ (والنّاس) على الظنّ بصحّتها مع الأسف، مع أنّ تلك الحشود ما قالوها –لو صحّ أنّهم قالوها– عن تمحيص بل لأنّها ثقافةٌ كانت دارجةً على الألسن فحسب، لذا سنتعرّض لآراء العلماء والمفكّرين هنا بالتمحيص، تلك التي أعطت المزيد من الزّخم للفكرة التوراتيّة البالية.

وكذلك، كثيرةٌ هي المرويّات الصحيحة والمنسوبة والمكذوبة سواءً إلى النبيّ (ص) أو إلى آل بيته (ع) أو إلى الصحابة (رض) والتابعين، وكثيرٌ منها كأنّه منقولٌ بالنصّ أو بالمعنى من توراة الكهنة، ففيما يتعلّق بآدم، أو أحواله، أو قصّته، أو أبنائه وشجرة نسله وذرّيته، أو التعليقات للمفسّرين أو الروائيّين التي ترد كشرحٍ للآيات التي تعرّضت لشأن آدم وأحواله، هي كثيرة جدّاً، بحيث أنّ مجرّد

[1] – محمد الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج٣، ص٢٧٣٩.

جمعها يحتاج إلى مجلّد أو أكثر، ونحن في هذا البحث، بعيداً عن هذا الخضمّ المتلاطم، يعنينا تحقيق ثلاثة أمور لها ارتباط بـالتفريق بـين آدمين:

الأوّل: التحقيق في انتظام تلك المرويـات لآدم واحـد أو انقـسامها لآدمين.

الثاني: التحقيق في أحوال أبناء آدم قابيل وهابيل وشيث التي قال بهـا التراث لاستيضاح الفكرة الأولى.

الثالث: التحقيق في عمر آدم الألفيّ المديد ومـشابهته لعمـر نـوح، وعلاقة ذلك بآدم الأوّل أو الثاني، وبحث سرّ هذا العمر المديد وهدفيّته.

أوّلاً- مرويّات تفضي بوجود آدمين؛ الإنسان، والرسول

إنّ سرد كثرة المرويّات هنا المُحاكية للفهم التوراتي أو المكرّر بعضُها مضمون الآخر لا يغنينا شيئاً، كما أسلفنا، إلاّ إتعـاب ذهـن القارئ بكثرة الغثّ وشغله بالبحث بين ركامهـا عـن خـيط النـور الصحيح الذي فيها، مجهدةً للذهن ومربكةً لفرط اختلافها مع بعضها، وتناقضها في كثير من التفاصيل، حتّى لتكاد تشعر أنّك أمام جـدالات فقهيّة تحفل بتخطئة كلّ منها لمضمون الآخر وتسخيفه، فـلا ترسـو على عقيدة منها، ناهيك عن الخلل في متونها، والخدش فـي صـحّة أسانيدها، لدى كثير من علماء الحديث، غير أنّها بمجموعها ربّما دلّت على أمور في الجملة:

١- أنّ من آدم انبثقت الناس جميعاً، ثمّ اختلفوا في الكيفيّة، هل بزواج أبنائه، أي تزاوج الأخوة، أم بغير ذلك، وقد شرحنا الكيفيّة في البحثيْن السابقين بما لا حاجة لتكراره، وبما يتناسب وفريقاً صحّ من تلك الروايات. تلك التي تقول أنّه تمّ إنزال حوريّات (إناث إنسيّات) من الجنّة لتزويج أبناء آدم الذكور.

٢- أنّ آدم له أولاد كثيرون من حوّاء، اختلفوا في أسمائهم وعددهم، بعض الروايات سبّقت قابيل بسبعين بطناً من حوّاء! وأشهر ما احتفظ به التراث التوراتي والإسلامي من تلك الأسماء قابيل وهابيل، ثمّ شيث، وهذا بتحليل منطقي يقودنا إلى أنّ الثلاثة الذين علقوا بالذّاكرة هم من زمن قريب، أي أبناء آدم الرسول، أمّا الذين أغفل التاريخ ذكْرهم أو كانوا بطوناً مجهولة العدد من حوّاء، وضاعوا في المجهول، فهم إمّا بعض أجيال أبناء آدم الأوّل قبل قرابة ٥٠ ألف سنة من "حوّاء!" الهمجيّة، أو اختراع قصصي لا حقيقة وراءه، ولقد سبق أن عرضنا في الهامش نموذجاً للروايات والأدعيّة التي يُفضي منطقُها الوحيد بضرورة أنّ مقصودها هو آدم الرسول أبو الصفوة من الناس، وليس آدمَ الأوّل أبي الناس جميعاً، من تلك النماذج المرويّ المأثور في شأنِ المهديّ (ع) حين يخرج، أنّه سيقول: **(فأنا بقيةٌ من آدم وذخيرةٌ من نوح، ومصطفًى من إبراهيم، وصفوةٌ من محمد صلى الله عليهم أجمعين)**[1] وسبق قولُه: **(من يحاجّني في آدم،**

---

[1] - تفسير هذه الجُمَل ما تمّ سردُه في البحث كلِّه، أنّ آدم المصطفى لم يبق منه بقيّةٌ لم تتصهر

فأنا أولى النّاس بآدم .. مَن يُحاجّني في نوحٍ فأنا أولى النـــاس بنوح)[1]، فلا معنى لأن يكون (المهدي) أولى الناس بآدم، أو بقيّةٌ من آدم، إذا كان آدم هذا كلّ الناس منه، فكلُّهم بقيّةٌ منـــه أيــضاً وليس بأحدٍ أولى مـــن أحـــد، إلاّ إذا كـــان هـــو آدم الرســـول المصطفى، فربّما يندر أن يُوجَد اليوم ثمّة بقيّــة منـــه مـــن دون دخول نسل السلالة الآدميّة الهمجيّة في أسلافه.

٣- أنّ الروايات تُخبر بأنّ آدم نبيّ، ورسول، وتُبهم في تفسير ذلـــك، فكيف كان رسولاً ولمن وهو وحده؟ فيُجاب: هو رسول لأبنائـــه! وهذه العقدة نحن فككناها بالتمييز بين آدمين، فالأوّل العاقل القديم لا يحتاج لأكثر ممّا عُلِّم على أكثر تقدير، أمّا الرســـول فيحمـــل أنظمة تشريعيّة لمجتمعات (عالَمين) اصـــطُفي عليهـــا، وبُعـــث (كنبيّ) لها ليُعلّمها الاجتماع والحضارة، (عالمين) كانت موجودة وذات علاقات شبه اقتصاديّة واجتماعيّة ومدنيّة وتبادليّة، وهـــذا مرحلة متأخّرة جدّاً في الوجود الإنساني على الأرض والـــتمكّن من ثرواتها وتسخير طبيعتها وظهور مفاهيم الملكيّـــة والحقـــوق والاختلاف والنزاع وتعقّد الحياة.

٤- أنّ الروايات تجمع على جعل المســـافة الزمنيّة بين آدم أبي شيث

في النسل الآدميّ الآخر، إلاّ عبر شجرة كان منها الأنبياء، ثمّ توالى الاختصاص فيها و(ذخرها) نوح، ثمّ من (إبراهيم) جاءت صفوة الأنبياء وبيوتات الصالحين، ثمّ أنّ المهدي (ع) من ذرّية نبيّنا (ص) بإجماع المسلمين.

[1] – محمد بن إبراهيم النعماني، **كتاب الغيبة**، ص٢٨١ وأيضاً ص١٨٨.

ونوح قريبة، لا تتجاوز ألف أو أكثر قليلاً من السنين، وهــذا لا يُعقل إلاّ لآدم قريب جدّاً من الألف الرابع قبل الميلاد حيث وُجِد نوح وانتهى بطوفانه، وقد اتّفقت المرويّات والتوراة على إحداثيّة زمن نوح أنّها في الألف الرابع قبل الميلاد، واتّفقت معها أساطيرنا ومدوّناتنا العربيّة في سومر وبابل[1]، وقدّروا لطوفانه ما قبل ٢٨٠٠ قبل الميلاد (بداية الألف الثالث)، أي أنّه (ع) تواجد في الألف الرابع. وإنّ إثبات زمن نوح في هذه الحقبة بمقارنتها بالأبحاث العلميّة الجيولوجيّة والآثاريّة والعلوم الإنسانيّة وعلم الحضارات والتاريخ، مهمّة غير عسيرة، لا سيّما مع أخذ ملامحها وسماتها من القرآن الكريم أيضاً، كمقاربته مع زمن اختراع السفن مثلاً، وتأريخ زمن تواجد أصنام في جزيرة العرب اشتُهرت منذ زمن نوح باسم (يغوث، يعوق، نسر، ودّ، سواع) فهذا متيسّر بالبحث الجادّ تاريخيّاً، وأيسر منه توقّع الزمن الفعليّ مع ربط (قوم نوح) بخلائفهم وسلالاتهم بعد بضعة أجيال (قوم هود) وهم "عاد" حيث كرّرت آيات القرآن هذا الأمر بوضوح تامّ، ليس أحدها قول هود لقومه **(وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ)**(الأعراف:٦٩). وآثار عاد باقية للآن بالإمكان قياس حقبتها، وسمّاها التراث؛ العرب البائدة، إذ بادت مع نهاية الألف الثالث وبداية الألف الثاني قبل الميلاد (٢٠٠٠

---

[1] – في ملحمة أتراحاسس (سُمّي نوح أتراحاسس Atrahasis)، وفي ملحمة جلجامش (اسم نوح زيوسدرا Ziusudra) و(أيضاً اسمُه أوتونفشتيم Utnapishtim).

ق.م)، لا سيّما وأنّهم ينسبون هوداً هكذا (هود بن أرفكشاد بن متوشالح بن سام بن نوح) فكأنّما (هود) هو (عابِر) – المسمّى بالتوراة– بن أرفكشاد بن شالح بن سام بن نوح، كما قال بعضٌ بهذا.

بل أنّ زمن إبراهيم (ع) معلوم في حوالي منتصف الألفيّة الثانية ق.م (١٥٠٠–١٦٠٠)، وقد رفع قواعد البيت حسب المعلوم القرآنيّ، الذي اندثرت معالمُه من أثر طوفان نوح، وقد كان البيت (الكعبة) بناء آدم الرسول، ثمّ بناء إدريس، والآيات أفصحت أنّ إبراهيم من ذرّية من حُمل مع نوح من أبنائه الذين حُملوا معه في الفلك، ثمّ استقرّوا في أرض المركز، لا من أبنائه الذين ابتعثهم في الأقطار قبل الطوفان ليُنشئوا الحضارات والعلوم، فهذا يُرينا تماسّ قريب لزمن نوح (ع) بإبراهيم (ع)، هذا التماسُّ القريب هو الذي سوّغ تذكير قريش بأنّ أصولهم قد حُملت في الفلك، وكان بالإمكان أن يُبادوا جذريًا حينها من منطقة مكّة **(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ)**(يس:٤١)، عموماً؛ إنّ أدلّة الارتباط الزمني بين حقبة نوح والنبيّين من بعده كثيرة، وسردها لا داعي له.

٥- اتّفقت الروايات جميعاً على معصية آدم، معصيته لا خطئه، فكلّ بني آدم خطّاء حتى الرسل (ع) يُخطئون إجرائيّا لكنّهم لا يعصون الله ما أمرهم، وعبّرت النصوص عن هذه المعصية بطرائق كثيرة واضحة، كاستغفار آدم واعتذاره، وطرده، وبكائه

الطويل ووحدته ووحشته وذلّته، وجرّه بعيدًا بالملائكة عن الجنّة، وغضب الله عليه، ثمّ توبة الله عليه، وضحك إبليس وشماتته به، وعبارات كثيرة لا تُحصى تُؤيّد ما سبق وقاله التراث والتوراة والقرآن الكريم بحقيقة **(وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى)**(طه:١٢١)، الدامغة، لكنّ المدوّنين والمجتهدين ارتبكوا لمّا علموا برسالة آدم ونبوّته وعصمته، فكيف يتمّ تفسير هذين المتناقضين بين العصمة والمعصية؟

في الحقيقة لا يُمكن، لذلك لم يُوجَد في الكتب إلاّ مراوغات غير منطقيّة، فلذلك لا يَقنع بها المرء ولا يَحفظها، لأنّ الإشكال القائم يُعيده إلى المربَّع الصفر، ولا يُمكّنه من حفظ أجوبتهم لأنّها تلتفّ على العقل وتُزعجه ولا تُشبِعُه، فعلى كلّ صواب نورٌ عباراتُهم -مع الأسف- لا تبثُّه، لأنّها ببساطة خالفت الصواب، لغياب حقيقة منطقيّة واحدة؛ أنّ آدم آدمان (أو لنقل: ثمّة حقبتيْن لآدم، بمعنى أنّ (آدميْن) أو آدماً واحداً قد عاش الدنيا في زمانيْن بعيدين وبشخصيّتيْن!)، فآدم الأوّل خدعه الشيطان وأخرجه من الجنّة فخرج وحده طوعاً وعصى الأمر ومارس الممنوع، لأنّه غير معصوم، فأُهبِط من خارجها للأرض السفلى، وبمعصيته تلك بدأ النسلُ الإنساني (بنو آدم)، وآدمُ الثاني بعده بعشرات آلاف السنين هو أوّل رسول وأبو الرسل المعصومين وأبو الشرائع، واحتفظ التاريخ بسلالة الآباء الممجَّدين من ذرّيته

كأوصياء على الفطرة الإنسانيّة وقادةٍ لمسيرتها بدءاً من النبيّ شيث (ع) إلى خاتمهم محمّد (ص).

٦- ثمّة مرويّة عن أمير المؤمنين علي (ع) تُلخِّص المسألة برمّتها، لو قرأناها لا بعين تقليديّة توراتيّة، تستعرض حوار الربّ مع الملائكة: **(إني أريد أن أخلق خلقا بيدي، وأجعل من ذريته أنبياء ومرسلين، وعبادا صالحين، وأئمة مهتدين، أجعلهم خلفاء على خلقي في أرضي ينهونهم عن معصيتي، وينذرونهم من عذابي، ويهدونهم إلى طاعتي، ويسلكون بهم سبيلي، وأجعلهم لي حجة عليهم وعذرا ونذرا، وأبين النسناس عن أرضي وأطهّرها منهم، وأنقل مردة الجنّ العصاة عن بريتي وخلقي وخيرتي، وأسكنهم في الهواء وفي أقطار الأرض فلا يجاورون نسل خلقي)**[1].

فهي تثبت بخلاصتها الآتي:

أ- الإنسان المُكرَّم (آدم) وليس البشر الهمج (النسناس)، هو الكائن الذي خلقه الربّ بيديه، ويدا الربّ هنا هما سادة الملائكة الصافّات (صفّاً صفّاً) من الجهتيْن حين تخليق آدم في الجنّة.

ب- أنّ الأنبياء والمرسلين هم من ذرّية آدم لا آدم الأوّل نفسه، وسبقت أنبياء المعارف تاريخيّاً مرحلة رسل التشريع.

---

[1] - المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١١، ص١٠٤.

ج- أنّ الرواية جاءت تعقيباً (تفسيراً) على آية حوار الربّ مع الملائكة في شأن الخليفة، بل تعقيباً بالخصوص على قولهم أنّهم أولى بالخلافة من البشر المفسد في الأرض، فأراهم سبحانه نماذج من البشر المتطوِّر/الإنسان الخليفة، وأنّه أعلى من أولئك الملائكة المُسجدة له المُحاوِرة للربّ في شأنه، وهذه هي معنى (**أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**)(البقرة:٣١) التي علمها آدم لأنّها أسماء خلفاء (أنبياء) طاهرين لا يُفسدون ويُقدّسون بحمد الله من ذرّية آدم الإنسان.

د- أنّ الوجود الإنساني من ذرّية آدم هو الذي سيخلف السلالة البشريّة الهمجيّة (النسناس) التي قبله، وقد كانت الخطّة أن يقوم الربّ (بأسباب طبيعيّة) بإبادة الوجود الهمجي، ثمّ يُسمَح للخليفة المرشّح (آدم) بالخروج من الجنّة لممارسة مهنة الخلافة الأرضيّة الروحيّة والمادّية، لكنّ الشيطان تدخّل هنا وأخذت الخطّة الربّانيّة مساراً مقدوراً آخر.

هـ- أنّ خلق الإنسان وجعْله الخليفة، بحدّ ذاته كان لتمييز مردة الجنّ وعُصاتهم وعلى رأسهم إبليس.

٧- بل في رواية أخرى عنه (ع) تُفصِح أيضاً أنّ الأنبياء والمرسلين هم من ذرّية آدم لا آدم الأوّل نفسه، من الخطبة الأولى من نهج البلاغة، حيث يحكي عن آدم:

(ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ في تَوْبَتِهِ، وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ، وَوَعَدَهُ المَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ، فَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ البَلِيَّةِ، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ. وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ، لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِه عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ، فَجَهِلُوا حَقَّهُ، واتَّخَذُوا الاَنْدَادَ مَعَهُ، وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ، وَاقتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ، فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ، وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ، لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ، وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ، وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ، وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ، وَيُرُوهُمْ آيَاتِ الْمَقْدِرَةِ ...)

والكلام واضح أنّ "**الأنبياء**" ثمّ "**الرسل**" هم من "**تناسل الذرّية**"، "**من ولده**" أيْ آدم، "**لمّا بدّل أكثرُ خلقه**"، ولابدّ أنْ تمرّ أحقاب طويلة يُنسى فيها الله "**فبعثَ فيهم رسله**" "**يُذكّروهم منسي نعمته**"، والعبارات أكثر من كافية للعاقل. فاصطفاء الأنبياء المرسلين واضحٌ أنّه بعد وجود أمم الناس وبعد اختلافها، أيْ تمّ "**لمّا بدّل أكثرُ خلقه**" عهْدَ الله إليهم من ميثاق الفطرة ومن الذي عهَدَهُ لآدم فنسي ثمّ تاب ورجع إليه، ثمّ عهَدَه لبني (آدم) ألاّ يعبدوا الشيطان أي يُسلّموا له قيادهم، كما فعل في أبويهم أوّل الدّهر، على ما حكاه سبحانه في خطاب آيات الأعراف من (٢٦-٣٥) وآخرها وعدهم بمجيء رسل من ذراريهم **(يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي)**(الأعراف:٣٥).

٨- روي عن ابن عباس أنه قال: (**أوّل المرسلين آدم، وآخرهم محمد (ص)، وكانت الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي، الرسل منهم ثلاث مائة، وخمسة منهم أولو العزم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلى الله عليهم، وخمسة من العرب: هود، وصالح، وشعيب، وإسماعيل، ومحمد صلى الله عليهم. وخمسة سريانيون: آدم، وشيث، وإدريس، ونوح، وإبراهيم عليهم السلام، وأوّل أنبياء بني إسرائيل موسى، وآخرهم عيسى. والكتب التي أنزلت على الأنبياء (ع) مائة كتاب وأربعة كتب، منها على آدم خمسون صحيفة، وعلى إدريس ثلاثون، وعلى إبراهيم عشرون، وعلى موسى التوراة، وعلى داود الزبور، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى محمد الفرقان، صلى الله عليهم**)[١].

فلنتأمّل في هذه الرواية، وما يُمكن أن نستنتج منها بمعيّة ما سبق وقدّمناه:

أ- هذه رواية تُلقي ضوءاً أنّ آدم السريانيّ الذي سبقَ إدريس هو آدم الرسول، وإلا أين آدم الأوّل السحيق وإدريس؟!

وأنّ آدم الرسول هو (**أوّل المُرسلين**) لا أوّل نبي موحى إليه، فالأنبياء المحلّيون الذين (نبّأتهم الملائكة) فعلّموا

---

[1] - المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١١، ص٤٣، والرواية تُشبه باختلاف بسيط رواية أخرى عن أبي ذر عن النبيّ (ص) وأخرى عن الإمام الصادق (ع)؛ راجع: ابن حبان، **الثقات**، ج٢، ص١١٩؛ وأيضاً: المفيد، **الاختصاص**، ص ٢٦٤؛ وغيرها من مصادر.

الإنسان ما يحتاجه لوجوده، سبقوه بآلاف السنين في كلّ البقاع، وهدوا الإنسان أينما وُجِد طرَق الوقاية وسُبُل الأمان.

ونحنُ إذا علمنا أنّ الرسالة (كوصايا أخلاق وشريعة توادد وتراحم وقوانين عدل) تقوم مقامها الفطرة الإنسانيّةُ والعقل بلا حاجة للرسالة، بدليل أنّ أصفياء الفطرة منهم ابتعث الله رسلاً، وأنّ الرسل ما بعثهم الله في الناس إلاّ بعد الاختلاف[١] بحيث اختلّت الفطرة الإنسانية لديهم الداعية للاستئناس ببعضهم والتكامل، فما وسعهم التساهل والحبّ والتعاون والتعاطف، فجاءت الرسالات بشرائع العدل وقوانين حفظ النظام وقواعد الإيمان لتُؤاخي بينهم وتزيل الشرور.

وإذا علمنا أنّ العقل الإنساني يقصر باستقرائه أن يكتشف ضرورات ما يُعيشه فكيف بما يُمدّنه ويُرقّيه، من كيفيّة ملبس، وأنواع مأكل، وألوان الدواء ضدّ أشكال الأوبئة والأمراض، وطرائق تسخير الطبيعة والاستفادة منها، والانتفاع من المعادن واستخراجه، ومعرفة القوانين الطبيعية وكيف يركب البحر ويبني ويصنع ويزرع ويكتب،

---

[1] – سنتطرّق لمزيد من هذا لاحقاً، ودليلُه قوله سبحانه (**فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ**)(البقرة:٢١٣)، فأحد أوجه الإرسال بالشرائع هو لفضّ نزاع الاختلاف.

فلو تُرك الإنسان بلا تعليم في هذه الأمور لانقــرض منــذ أوّل جيل أو تاليه، فلهذا نُدرك حاجة البشرية فــي حقبهــا الأولى إلى أنبياء (علوم) تُعلّمها كيف تعيش، وكيف تُــذلّل الطبيعة وترقى على الصعاب، أدركنا أنّ محطّات الرســل هي محطّات استثنائية لفضّ الاخــتلاف وتنقيــة المــسيرة الاعتقاديّة والسلوكيّة من الشوائب والانحراف، وأنّ النبيّين هم المحطّات التي توالت وما انقطعت حتّى توفّر للإنــسانيّة مقدارٌ كافٍ من عقلٍ متحرّر وتراكمِ علمٍ وافــر، بالمقــدور البناء عليه لمواصلة الرقيّ بلا نبوّات، حصل هذا مع انتهاء حقبة (الأوّلين) وتدشين حقبة (الآخِرين) مع اختتــام بعثــة (خاتم النبيّين "ص").

إذا علمنا هذا أدركنا سرّ كون النبيّين في أقطار المعمــورة (١٢٤ ألف) نبيّ، والرسل منهم (٣١٣) فــرداً! وأدركنــا بالضرورة، كون (آدم) السريانيّ المــصطفى أوّل رســول فهذا ليس أوّل إنسان، كما تعني أنّ أنبياء كثيــرين ســبقوه، لأنّ الرسالة تأتي بعد اختلاف، والمجتمع قبــل الاخــتلاف بحاجة لعلوم كثيرة ليحيا وينهض ويطوَّر ليختلــف فيُــؤتى بقوانين له.

ب- كما تُلقي هذه الرواية ومثيلتُها المرويّة عن أبــي ذرّ عــن النبيّ (ص)، الضوء، بأنّ صحفاً خمسين قد أُنزلت على آدم (ع) أو بحسب الأخرى على ابنه شيث (ع)، وأنّ أوّل مــن

خطّ بالقلم إدريس (ع) وهو أحد أحفاد آدم السرياني، وعلمنا من مصدر سابق أنّ أوّل من خدش الخدوش (النقوش) أنوش وهو حفيد آدم (ع) أيضاً، ما يعني أنّ الكتابة والقراءة (التعليم بالقلم للإنسان)، وتحويل الأفكار لرموز تصويرية أو نقشيّة قد بدأ مع وجود صُحف ربّانية وأدوات نقش وترميز، مع حقبة آدم الرسول التي بدأت قبل ٨ آلاف عام تقريباً، ومعلوم بحسب علم التاريخ والكتابات الآثاريّة أنّ أقدم رموز تُوحي بالكتابة التصويريّة قبل اكتشاف الحرف، وُجِدتْ بداياتُها قبل ٨ آلاف عام، أمّا قبل ذلك فالإرث الثقافي شفويّ، ولا أثر علمياً يدلّ على وجود رموز ككتابات موحية قبل خمسين ألف سنة، بل ولا قبل عشرة آلاف سنة، لا من صحيفة ولا وثيقة ولا جداريّة ولا لوح طينيّ ونقش دالّ على لغة، البتّة، وما اكتُشِف المقطع ثمّ الحرف، وحُلِّل الكلام إلى أصوات إلاّ قبل ستّة آلاف عام تقريباً!

وما يُؤكِّد هذا أنّ الصابئة المندائيّين، يُرجعون تعاليمهم وكتابهم الكنزاربا إلى (صحف آدم وشيث وإدريس)، ما يعني أنّهم يرجعون إلى حقبة توالي الرسل وثقافة التدوين، وهم بأنفسهم يرجعونه إلى عدّة آلاف سنة فقط.

٩- ثمّة روايات اعتنت فقط بآدم وبنيه كخلق وانتشار (آدم الأوّل/الإنسان)، بينما أخرى اعتنت به كرسول (آدم

الثاني/المصطفى)، وقد مررنا عليها في البحث السابق (**وعصى آدم- الحقيقة دون قناع**)، منها:

أ- عن الإمام جعفر الصادق (ع): (**إن الله عز وجل أنزل حوراء من الجنّة إلى آدم فزوّجها أحد ابنيه وتزوّج الآخر من الجنّ فولدتا جميعا، فما كان من الناس من جمال وحسن خلق فهو من الحوراء وما كان فيهم من سوء الخلق فمن بنت الجان**)[1]، طبعاً، لا يشكّ عاقلٌ أنّ "**الجانّ**" هنا لا يمكن أنْ يكون العفاريت أي الجنّ المخلوق من نار[2]! بل النوع البشريّ الآخر الهمجيّ المُختفي في المغارات والكهوف، وإذا كان المقصود هو زمن آدم الرسول، وهؤلاء أبناؤه، فهم الأوادم الإنسيّون الذين من النوع الهمجي ولم يتحضّروا بعد.

ب- وعن أبيه الباقر (ع) قال: (**إنّ آدم لما ولد له أربعة ذكور، فأهبط الله إليهم أربعة من الحور العين، فزوّج كل واحد منهم واحدة فتوالدوا**)، والحور العين أصلهنّ من فتيات الهمج اللاتي يسكنّ الكهوف، لأنّ "حور" أو "أور" هي "غور" المغارة، أُخذن إلى الملائكة الصافّات في الجنّة وأُجري عليهنّ

1- الصدوق، **علل الشرائع**، ج١، ص١٠٣.

2 - وعن هذا المعنى من الجانّ، بيّن القرآن نوعاً من الحيّات التي تُصدر خشخشة وتهتزّ وتختفي في المغارات، لذلك تُسمّى "جانّ" من الفعل "جنّ" أي اختفى واستتر، فقال تعالى في عصا موسى التي تحوّلت لمثل هذه الحيّات (**وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً**)(النمل:١٠).

التعديل الجيني ونفخ الروح (كما حصل لعيسى "ع") والأنسنة ثمّ أهبطن.

هذا يعني أنّ الرواة قد علموا بالفكرة بأنّ ثمّة تخليقاً آخر غير الذي جرى على آدم وحوّاء، على بشريّات، تمّ تأنيسهنّ، ثمّ إنزالهنّ على أبناء آدم الذكور (وربّما تمّ هذا لا بداية الوجود الإنساني بل زمن آدم الرسول)، ولا يهمّنا عدد الزيجات والأولاد، فكلّ راوٍ فهمها وسردها وصاغ العبارة كما فهم، فالروايات أثبتت وجوداً للتزاوج مع الجنس الهمجيّ **(وتزوّج الآخر من الجنّ)** سواءً الهمجيّ البشري زمن آدم الأوّل، أو الهمجي الإنساني زمن آدم الرسول.

وقد سأل رجلٌ جعفر الصادق (ع): كيف بدأ النسل مِن ذرية آدم (ع) فإنّ عندنا أناسا يقولون: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى آدم (ع) أنْ يزوج بناته من بنيه، وأنّ هذه الخلق كلهم أصله من الإخوة والأخوات، فقال الصادق (ع): **سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيرا، يقول من يقول هذا: أنّ الله عزّ وجلّ جعل أصل صفوة خلقه وأحبائه وأنبيائه ورسله والمؤمنين والمسلمين والمسلمات من حرام، ولم يكن له من القدرة ما يخلقهم من الحلال، وقد أخذ ميثاقهم على الحلال والطهر والطيب؟**. قال زرارة : ثم سئل (ع) عن خلق حواء وقيل له: إنّ أناسا عندنا يقولون: إنّ الله عز وجلّ خلق حواء من ضلع آدم

الأيسر الأقصى، قال: **سبحان الله وتعالى عن ذلك علوا كبيــرا! يقول من يقول هذا: أنّ الله تبارك وتعالى لم يكن له من القــدرة ما يخلق لآدم زوجةً من غير ضلعه، وجعل لمــتكلّمٍ مــن أهــل التشنيع سبيلاً إلى الكلام يقول: إنّ آدم كان ينكح بعضُه بعــضًا إذا كانت من ضلعه، ما لهؤلاء؟ حكم الله بيننا وبينهم.**

تلك إذاً رواية صريحة في نبذ هذه الخرافات والمدسوسات، ومع هذا، فالرواة ينسبون المتناقض في كــلام النبــيّ (ص) وآل بيته، فهو على حدّ نسبتهم (ع) إلى الجهل بكتاب الله وقــد نــزل فيهم وإليهم ومنهم، إنّ ممّا يُؤسف أنّ الرواة أنفسهم قد نسبوا إلى السجّاد علي بن الحسين (ع) (وإلى عليّ الرضا (ع) أيــضاً): أنّ آدم زوّج أبناءه من بناته: **ثم حرّم الله نكاح الأخوات بعد ذلك.**

فقال له القرشيّ متسائلاً: فأوْلداهما؟ قال عليٌّ بن الحــسين (ع): **نعم**، فقال القرشيّ: فهذا فعْلُ المجوس اليوم، فقال عليّ بــن الحسين (ع): **إنّ المجوس إنما فعلوا ذلك بعد التحريم مــن الله!** ثمّ قال علي بن الحسين (ع): **لا تنكر هذا، أليس الله قــد خلــق زوجةَ آدم منه ثم أحلّها له؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم، ثم أنزل الله التحريم بعد ذلك!!**

فهذه رواية مدسوسة ومكذوبة على أهل بيت النبــيّ (ص) للإزراء بهم أو لتسويغ تلك الدخائل التوراتيّة على لــسان هــذه السادة، وإلاّ فما الذي استبشعه الصادق (ع) أعــلاه؟ أيستبــشع

ويُشنِّع على قولٍ يعلم أنّ جدّه السجّاد (ع) أو حفيده الرضـــا (ع) كانا قائليْه.

وقال الصادق (ع) أيضاً: (**أنزل بعـد العـصر فـي يـوم الخميس حوراء من الجنة اسمها "بَركة" فأمر الله عز وجل آدم أنْ يزوّجها من شيث فزوجها منه، ثم نزل بعد العصر من الغـد حوراء من الجنة اسمها "مُنزلة" فـأمر الله عـزّ وجـلّ آدم أنْ يزوّجها منْ يافث فزوّجها منه فولد لشيث غلام وولـد ليافـث جارية، فأمر الله عزوجل آدم حين أدركا أنْ يُزوّج بنـت يافـث من ابن شيث، ففعل ذلك فولد الصفوة من النبيين والمرسـلين من نسلهما، ومعاذ الله أنّ ذلك على مـا قـالوا مِـنْ الإخـوة والأخوات**)[1].

بيّنتْ هذه الرواية أنّه لا شأن لقابيل وهابيل بالنسل الإنسانيّ بل لأبناء آخرين يُدعون شيث ويافث، بل حتـى شـيث ويافـث المحتمل الأرجح أنّهما أبناء آدم السرياني أيضاً أُنزل لهما نـساء إنسيّات من الجنّة، فأمْرُ إنزال حوراء من الجنّة، وهي الطريقـة التي خُلِّق بكيفيتها آدم وحوّاء، جليٌّ في الرواية، وهي الطريقـة التي سنحتملها لإعادة نزول آدم كرسول مرّة ثانية مع حوّائه.

وتعليقنا الأوّل هنا: أنّه بإمكان إنزال أشـخاص من الجـنّة

---

[1] – الروايات عن أهل البيت (ع) أعلاه الصحيحة والمكذوبة نقلناها من المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١١، ص ٢٢١–٢٢٦.

لتكوين الذرّية الإنسانيّة الصفيّة الخاليّة من الهمجيّة، بل لقد أخبر سبحانه أنّه لو أنزل ملكاً لجعله رجلاً، كما حصل مع الملك الروحاني الذي وهب مريم ابنها عيسى (ع) استجابةً لدعاء أمّها **(وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**(آل عمران:٣٦)، وسوّغ ليقول عيسى **(أبي الذي في السماوات)** و**(أبي السماوي)**(متّى، ٧: ٢١ - ١٨: ٣٥)! فلا يمنع أن يكون آدم نزل من الجنّة مرّتيْن في حقبتيْن، حقبة مسخوطاً عليه بعد معصيته، وحقبة مطيعاً بعد التوبة والاجتباء لممارسة الخلافة المعصومة ونسل الذرّية الصالحة التي سقط فيها أوّل مرّة قبل عشرات آلاف السنين، كما سنبيّن فرضيّة هذا لاحقاً!

الثاني: أنّ أبناء آدم هما شيث ويافث، في رواية، وهذا قطعاً آدم السرياني (الرسول) أبو شيث، بدليل أنّه يقول بعدها **(فولد الصفوة من النبيين والمرسلين من نسلهما)**، ولأنّ الأسماء سريانيّة أيضاً تجري على نسق بقيّة الأسماء المعروفة تاريخيّاً للناس والملائكة[1]، وقُلنا سابقاً أن هب-إيل أي هبة الله[2]،

[1] - أسماء السريان المعبّدة لله، يلحقها (إيل) وهو (الله) (ميكائيل- جبرئيل - عزرائيل - مهلائيل - قابيل - هابيل - إسماعيل - صموئيل - عزازيل ...).

[2] - ومن أسماء مشابهة لـ (هبة الله) (عطيّة الله) وبالسرياني (عطيل) كما في رواية شكسبير، (عط + إيل/إيلو) (**Othello**)، حيث (إيل) و (إيلو) هي الله بالسرياني، ومن الأسماء أيضاً (ناثان **Nathan**) حيث (نطى/نتى) بالسريانية أي أعطى، وإلى اليوم أهل الشام يقولون (أنطي) بمعنى (أعطي)، ومصدر أنطى "نطان/نتان"، أي عطاء، وأحيانا يُصرّح بكونه عطاء الله والآلهة كما في اسم (نتالي) (**Nathaly/Natalie**) = نطى + إيلي، أي عطاء الآلهة، هذا الفعل نطى،

وجاب-إيل أي إجابة الله ومِنْحته وعطيّتـــه، هـــي أوصـــاف لا أسماء، باللهجة السريانية فهي تحتمل كلّ مَن لم يملك ذريـــة ثـــم أُجيب له دعاؤه ووُهب الولَد، إجابة الله له أولا، ثم هبـــة تكـــون ثانياً (**فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَى**)(الأنبياء:٩٠) وقد تأتي (الإجابة) في ولَد، ثمّ يُوهب (هبةً) بولدٍ ثانٍ إن كان له زوجتان كـــإبراهيم، وكل آيات "وهب الله إبراهيم إسحاق" جاءت (فوهبنـــا لـــه) أمـــا إسماعيل فقد سبق الهبة دعـــاء إبـــراهيم (**رَبِّ هَـــبْ لِـــي مِـــنَ الصَّالِحِينَ* فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلامٍ حَلِيمٍ**)(الصافات:١٠٠، ١٠١)، ولحقها حمده وشكره لهذه الاستجابة والهبة (**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِـــي عَلَـــى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَـــسَمِيعُ الـــدُّعَاءِ**)(إبـــراهيم:٣٩)، لاحظ سميع الدعاء، هي أصل تسمية الابن الأوّل فاســـمه جـــاء (سمع-إيل) أي سمع الله وأجاب هي نفسُها جاب إيل (جاب الله). لأنّه البكر، وبهذا نُدرك طبيعة الصراع حين تُؤخذ الزعامة مـــن البكْر (جابئيل/گابئيل/قابئيل).

ثانياً- حكاية قابيل وهابيل وبوادر الهمجيّة

عاد أمراً مسلّماً به ومفروغاً منه أنّ (قابيل وهابيل) ابنا آدم في ثقافة العالَم، مع أنّ المصدر الفعلي الوحيد لهذا الخبر هو التوراة فقط، تابعتْه مرويّـــات لدينا تمّ فهمها على ضـــوء الأصـــل التوراتي إن لمْ

هو الذي دخلت عليه (دال) الأمر التي ما زالت نستعملها في لهجاتنا (دِقومْ، دِقْعُدْ، دُكُلْ .. أي قُمْ، اقعُدْ، كُلْ) فجاء فعل (دُنِطْ) أي أعطِ = **Donate**.

تُدسّ أو تُوضع مُتابعةً له أصلاً.

إلاّ أنّا نزعم أنّ (هابيل وقابيل) لا علاقة لهما بآدم الأوّل، أوّل مخلوق من جنسنا الإنساني قبل قرابة ٥٠ ألف من السنين، إنّما هي قصّة فرديْن جاءا مع زمن آدم الرسول (ع) فقط كأبناء له مباشرين أو كأحفاد، والناس يومئذ تملأ الأرض.

ونفترض أنّ النزاع بين قابيل وهابيل ليس هو بين راعٍ وفلاّح، بل على زعامة (روحيّة/دينيّة) **لعشيرة صغيرة من العشائر.**

ونفترض أنّ أحد خطايا قابيل عدا حبّ الرئاسة الزائفة، خطيئةٌ جنسيّة، أفقدته تقواه، وفاقَمَتْ همجيّته ليقتل أخاه.

ونفترض أنّ حوادث القتل في جنس الإنسان سبقت قابيل بكثير، وأنّ علْم الإنسان بالدفن سبق قابيل بعشرات الآلاف من السنين.

ونفترض أنّ اليهود الذي تعاملوا مع الأنبياء، كما كثيرِ الناس حالياً، رغم أنّهم يترحّمون على هابيل، إلاّ أنّهم قابيليّون بامتياز وأكثر، ولو كانوا هناك لتلطّخت أيديهم بدم هابيل أيضاً.

فماذا عن قصّة التوراة أحقيقيّة تاريخياً أم متناقضة؟ هل يتّفق معها القرآن؟ وإذا كانت ذات أصل فأين تموضع الإحداثية الزمنية المنطقيّة لهذه القصّة؟

الصورة رقم (٢٠): قابيل يُقدّم ثمر زرعه، وهابيل يُقدّم خروفاً من قطيعه!

أ- الحكاية التوراتيّة

ورد في سفر التكوين، الإصحاح الخامس:

١- وَعَرَفَ آدَمُ حَوَّاءَ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ قَايِينَ. وَقَالَتِ: «اقْتَنَيْتُ رَجُلا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ».

٢- ثُمَّ عَادَتْ فَوَلَدَتْ أَخَاهُ هَابِيلَ. وَكَانَ هَابِيلُ رَاعِيا لِلْغَنَمِ وَكَانَ قَايِينُ عَامِلا فِي الأَرْض.

٣- وَحَدَثَ مِنْ بَعْدِ أيَّامٍ أنّ قَايينَ قَدَّمَ مِنْ أثْمَارِ الأرض قُرْبَانا لِلرَّبِّ
٤- وَقَدَّمَ هَابِيلُ أيضا مِنْ أبْكَارِ غَنَمِهِ[1] وَمِنْ سِمَانِهَا. فَنَظَرَ الرَّبُّ إلَى هَابِيلَ وَقُرْبَانِهِ
٥- وَلَكِنْ إلى قَايينَ وَقُرْبَانِهِ لَمْ يَنْظُرْ. فَاغْتَاظَ قَـايينُ جِـدًّا وَسَـقَطَ وَجْهُهُ.
٦- فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟
٧- إنْ أحْسَنْتَ أفَلا رَفْعٌ. وَإنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّـةٌ رَابِـضَةٌ وَإلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا».
٨- وَكَلَّمَ قَايينُ هَابِيلَ أخَاهُ. وَحَدَثَ إذْ كَانَا فِي الْحَقْلِ أنَّ قَايينَ قَـامَ عَلَى هَابِيلَ أخِيهِ وَقَتَلَهُ.
٩- فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايينَ: «أيْنَ هَابِيلُ أخُوكَ؟» فَقَالَ: «لا أعْلَمُ! أحَارِسٌ أنَا لأخِي؟»
١٠- فَقَالَ: «مَاذَا فَعَلْتَ؟ صَوْتُ دَمِ أخِيكَ صَارِخٌ إلَيَّ مِنَ الأرض.
١١- فالآن مَلْعُونٌ أنْتَ مِنَ الأرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أخِيـكَ مِنْ يَدِكَ!
١٢- مَتَى عَمِلْتَ الأرض لا تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا. تَائِها وَهَارِبا تَكُـونُ فِي الأرض».
١٣- فَقَالَ قَايينُ لِلرَّبِّ: «ذَنْبِي أعْظَمُ مِنْ أنْ يُحْتَمَلَ.
١٤- إنَّكَ قَدْ طَرَدْتَنِي الْيَوْمَ عَنْ وَجْهِ الأرض وَمِنْ وَجْهِـكَ أخْتَفِـي وَأكُونُ تَائِها وَهَارِبا فِي الأرض فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي».

[1] – في النسخة العبرية (بكورة صأن) (בכורה . צאן) أي ضأن بكر.

١٥- فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايينَ عَلامَةً لِكَيْ لا يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ.
١٦- فَخَرَجَ قَايينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ.
١٧- وَعَرَفَ قَايينُ امْرَأَتَهُ فَحَبِلَتْ وَوَلَدَتْ حَنُوكَ. وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ.
١٨- وَوُلِدَ لِحَنُوكَ عِيرَادُ. وَعِيرَادُ وَلَدَ مَحُويَائِيلَ. وَمَحُويَائِيلُ وَلَدَ مَتُوشَائِيلَ. وَمَتُوشَائِيلُ وَلَدَ لامَكَ.
١٩- وَاتَّخَذَ لامَكُ لِنَفْسِهِ امْرَأَتَيْنِ: اسْمُ الْوَاحِدَةِ عَادَةُ وَاسْمُ الأُخْرَى صِلَّةُ.
٢٠- فَوَلَدَتْ عَادَةُ يَابَالَ الَّذِي كَانَ أَبا لِسَاكِنِي الْخِيَامِ وَرُعَاةِ الْمَوَاشِي.
٢١- وَاسْمُ أَخِيهِ يُوبَالُ الَّذِي كَانَ أَبا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ.
٢٢- وَصِلَّةُ أَيْضا وَلَدَتْ تُوبَالَ قَايينَ الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ. وَأُخْتُ تُوبَالَ قَايينَ نَعْمَةُ.
٢٣- وَقَالَ لامَكُ لِامْرَأَتَيْهِ عَادَةَ وَصِلَّةَ: «اسْمَعَا قَوْلِي يَا امْرَأَتَيْ لامَكَ وَاصْغِيَا لِكَلامِي. فَإِنِّي قَتَلْتُ رَجُلا لِجُرْحِي وَفَتىً لِشَدْخِي.
٢٤- إِنَّهُ يُنْتَقَمُ لِقَايينَ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ وَأَمَّا لِلامَكَ فَسَبْعَةً وَسَبْعِينَ».
٢٥- وَعَرَفَ آدَمُ امْرَأَتَهُ أَيْضا فَوَلَدَتِ ابْنا وَدَعَتِ اسْمَهُ شِيثا قَائِلَةً: «لأَنَّ اللهَ قَدْ وَضَعَ لِي نَسْلا آخَرَ عِوَضا عَنْ هَابِيلَ». لأَنَّ قَايينَ كَانَ قَدْ قَتَلَهُ.

٢٦- وَلِشِيثَ أَيْضا وُلِدَ ابْنٌ فَدَعَا اسْمَهُ أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أن يُدْعَى بِاسْمِ الرَّبِّ.

تحليل النصّ وتحديد تناقضه:

١- يقول النصّ (**٢. وكَانَ هَابِيلُ رَاعِيا لِلْغَنَمِ وكَانَ قَايينُ عَامِلا فِي الأرض**)، حسب التطوّر الإنساني، وعلم الآثار، فإنّ الإنسان القديم عاش على الالتقاط (التقاط الثمر)، وعلى الصيد (القنص)، ثمّ تحوّل للزراعة، ثمّ تحوّل للرعي حين استأنس الحيوان، وربّما يُرجع الآثاريّون أقصى تاريخ للزراعة إلى أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، فأين هذا وتاريخ آدم الأوّل بفارق عشرات آلاف السنين! والنصّ يدكّ المراحل كلّها فيجعل الرعي والزراعة متزامنين، فهي قصّة لزمنٍ اجتاز الالتقاط وطوى مراحله إلى مجتمع زراعي ورعوي.

٢- لو كان قابيل رابع شخص على الأرض، فما معنى قول قابيل للربّ (**١٤- وَأكُونُ تَائِها وَهَارِبا فِي الأرض فَيَكُونُ كُلُّ مَنْ وَجَدَنِي يَقْتُلُنِي**)؟! إذن هناك مجتمع وأناس يُمكن أن يجدوه ويقتلوه.

٣- أوحى الربّ لذاك المجتمع (عبر نبيّهم قطعاً) (**١٥- «لِذَلِكَ كُلُّ مَنْ قَتَلَ قَايِينَ فَسَبْعَةَ أَضْعَافٍ يُنْتَقَمُ مِنْهُ». وَجَعَلَ الرَّبُّ لِقَايِينَ**

عَلامَةً لِكَيْ لا يَقْتُلَهُ كُلُّ مَنْ وَجَدَهُ)!! فهناك مُخاطَبون مزامنون لقايين (قابيل) وقد يجدونه بتنقّلاتهم مع أنّه طُرِد بعيداً.

٤- (١٦- **فَخَرَجَ قَايِينُ مِنْ لَدُنِ الرَّبِّ وَسَكَنَ فِي أَرْضِ نُودٍ شَرْقِيَّ عَدْنٍ**) بالعبراني بدلاً من "يسكن" يشبّ، وبدلاً من "شرقي" قدّام، أيْ راح يشبّ هناك ويتزوج وينشأ، وهذا يؤكّد على وجود لتجمّع بشري قريبٍ آخر.

٥- يقول النصّ (١٧- **وَكَانَ يَبْنِي مَدِينَةً فَدَعَا اسْمَ الْمَدِينَةِ كَاسْمِ ابْنِهِ حَنُوكَ**)، أمعقول أن يبني مدينة وحده بلا عمّال؟ وله وحده بلا أناس؟! فإنّ معنى المدينة هو المكان الذي يسكنه الناس وفيها دورهم وأسواقهم، فلو كان واحداً وامرأته لاكتفى بالبيت أو الغار أو الخيمة الذي كان فيه!

٦- يقول النصّ أنّه قد ظهر بعد ستّة أجيال من قايين أي بعد أقلّ من ٢٠٠ سنة (٢١- **كَانَ أَبًا لِكُلِّ ضَارِبٍ بِالْعُودِ وَالْمِزْمَارِ**) و(٢٢- **الضَّارِبَ كُلَّ آلَةٍ مِنْ نُحَاسٍ وَحَدِيدٍ**) والعود والمزمار وأدوات النحاس والحديد بهذه الشهرة، أمورٌ لم تعرفها البشريّة إلاّ بعد الألف الخامسة قبل الميلاد، وبدأت بالحاجات الضروريّة من السلاح والأواني، قبل أن تتّجه للكماليّات المتأخِّرة كالعود والمزمار!

لقد تنبّه كثيرٌ من الباحثين والمؤرّخين إلى هذا التهافت مثل قول بعضهم ("**فيكون من وجدني يقتلني**"، يفترض أنه كان في البدء

أربعة أشخاص هم آدم وحواء وقايين وهابيل، فمن هم أولئك النـــاس الذين يخاف قايين أن يقتلوه ثم يضع الله له علامة لكي لا يقتله مـــن وجده، ومن قتله فسبعة أضعاف يُنتقم منه، و"**عـــرف قـــايين امرأتـــه فحبلت وولدت حنوك**"، هنا أيضاً من أين جاءت تلـــك المـــرأة التـــي أصبحت زوجة لقايين ولم يذكر سفر التكوين بنات لآدم؟!)[١].

فأخذاً في الاعتبار أنّه في منطقة الشام (سوريا الكبرى) أي بعد جزيرة العرب: (في الألف السابع ق.م تأسّس المجتمع الرعوي إلـــى جانب المستوطنات الزراعية (الألف التاسع ق.م)، كذلك طوّر إنـــسان هذه المرحلة منازله وأسلحته الحجرية المـــصقولة، وابتـــدع الطـــين المجفف والمشويّ لصناعة الأواني والتماثيل والفخار والمعادن، وفي بداية الألف الخامس ق.م بدأ التعرّف على النحاس. أمّا القـــرى فقـــد تكوّنت بالقرب من الأنهار والأماكن التي تتوفّر فيها المراعـــي فـــي بداية الألف التاسع ق.م. يذكر أنّ سكان منطقـــة المـــريبط باشـــروا بزراعة البذور قريباً من ٨٠٠٠ ق.م، وقد عثر على منازل، وآثـــار مواش، وآثار لزراعة القمح والشعير في موقع حبوبة كبيرة ومـــاري، وفي تل مشنقة عثر على نماذج لزوارق النقل والصيد وهي تعود إلى عصر عبيـــد ٥٠٠٠ ق.م وهـــي مؤلّفـــة مـــن رزم مـــن القـــصب المتراص)[٢].

---

[1] – وديع بشور، **الميثولوجيا السورية – أساطير آرام**، ص٤٥٤.

[2] – **http://qamishly.com/web/modules.php?name=News&file=article&sid=707**
وأيضاً: وديع بشور، **الميثولوجيا السورية – أساطير آرام**، ص١٩.

الخلاصة:

إنّ بناء قايين (قابيل) مدينة، فهذه مرحلة متقدّمة ولابدّ من وجود تجمّعات بشريّة، حتّى لو كانت المدينة مجرّد قلعة كبيرة مسوّرة، كحالها قديماً.

إنّ الجيل السابع بعد قايين أيْ بعد ١٥٠-٣٠٠ سنة على أكثر تقدير، نجد منه سكنة الخيام ورعاة المواشي، ونجد آلات العود والمزمار، وهذه مراحل متقدّمة جدّاً للبشريّة وانتشارها وتطوير أدواتها ومجتمعاتها، بل نجد آلات النحاس والحديد، والعصر البرونزي (النحاسي) وبعده الحديديّ لمْ يستهلّ إلاّ في الألف الخامس قبل الميلاد (٤٥٠٠-١٢٠٠ق.م)، فهي في الحقيقة تناسب التورايخ التي وضعتها التوراة فعلاً وثنّى بها المسلمون بوضع آدم في الألفيّة السادسة أو الخامسة قبل الميلاد، فقط، وهو آدم الرسول لا آدم الإنسان، وإنْ كُنّا نُشكّك في تواريخ حتّى آدم الرسول (ع) والتي يرجح أن تكون أقدم بألف أو بألفي عام على الأقلّ إلاّ أنّه من المؤكّد أنّه عصر بداية اختلاف الناس، واستجداد القضايا، لا أقلّ في أرض المركز حيث الأمّة الواحدة المُعتنى بها، فهي خطيئة جرت في المركز قريباً من جنّة عدن في قرية من قرى أرض نود[1] لا في

---

[1] - أرض نود سمّاه السومريّون (نودي-مُد) أي جبل مُد، جبل الإمداد الربّاني والمائي والغذائي، والنود هو النُتء، المرتفع، وسمّاه سريان المنطقة أسفله (قاع-مُد) وتسقط العين لدى السريان والقاف تُنطق (گ) فيلفظونها (گا-مُد)، أي (أرض مُد) وهي التي تقلّصت الآن لمنطقة ضيّقة تُدعى (غا-مد = غامد) في سراة شبه الجزيرة قرب الباحة (راجع بحث: **وعصى آدم- الحقيقة**

أطراف العالَم، فالمركز (مكّة وقراهـا) ترمـومتر الرسـالات، وآدم الرسول انطلق من مكّة أم القرى لا من غيرها، ولهـذا نلحـظ فـي القصّة التوراتيّة بقيّة من آثار حقبة ما قبل الرسـالات، وهـو عـدم عقوبة القاتل سوى بالنفي إلى أرض أخرى قريبة مع علامـة بعـدم مسّه. وكذلك نلحظ التعامل الملائكي أو التعامل الربوبيّ المباشر مـع البشر على نحو الاستثناء في خطاب الربّ (الملاك) مع قابيـل (لـو صحّ).

ب- تحليل المفكّرين العرب للقصّة

إنّ بعض الباحثين أوعز القصّة إلى عقليّة اليهود الرعويّة التي وقفت في صفّ الراعي (هابيل) دون الزرّاع الردئ (قابيل)، لأصيلة أنّهم بدو رُعيان يشتغلون بالرعي قبل استقرارهم، وقد أخبرنا القـرآن عن بدوهم في قول يوسف **(وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ)**(يوسف:١٠٠)، والتوراة حافلة ببداوتهم ورعيهم، ولم يشتغلوا في قرية مـصر التوراتيـة إلاّ رعياناً لدى زعيم تلك القبيلة العربيّة (فرعـون) بحـسب التـوراة[1]، ودخلَهم (المجتمع الزراعي) الاستقرار والتحضّر عنوة، ما أدّى بهـم لترميزها بقتل الزرّاع للراعي[2]. مع هذا فإنّ القرآن يُثبت لنا صـحّة

دون قناع، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة).

[1] - في حوار فرعون مع إخوة يوسف لما جاءوا بأهلهم ودخلوا قرية (مصر) ليسكنوا مع أخيهم **(فَقَالَ فِرْعَوْنُ لإخْوَتِهِ: مَا صِنَاعَتُكُمْ؟ فَقَالُوا لِفِرْعَـوْنَ: عَبِيـدُكَ رُعَـاةُ غَـنَمٍ نَحْـنُ وَآبَاؤُنَـا جَمِيعا)**(التكوين ٤٧: ٣).

[2] - فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص٢٧١.

القصّة، لا مجرّد حكاية رمزيّة تشي بتفضيل العشائر اليهوديّة الرعي على حياة الحضر والزراعة، بل ولا لتكون مدخلاً نفسيًّا لاستباحة بدوِهم ورعيانهم (المظلومين كهابيل) قرى الآخرين ومزارعهم (كقايين).

والبعض فسّرها منحىً فرويديّاً (!) كمعْلم تاريخيّ على بداية تخصيص الدم لقرابين الآلهة، انتقالاً من التضحية البشريّة إلى البديل الحيواني (لهابيل) ورفض البديل النباتي (لقايين)، ولا يذهب بالقصّة وسياقاتها إلى أكثر من هذا الاختراع[١]!!!

وفريق فسّرها رمزيّة محضة بين الأسطورة والخرافة، كترميز تاريخيّ جغرافي، لتواجد قبائل عربية سكنت تهامة إلى اليمن، هابيل هو رمز للإله (هُبَل)، وقايين رمز لقبيلة (قين) أهل حِدادة، وأحداثها المنسوجة تدور في أرض اليمن، وصراع بين أحقّية طقوس القرابين اللحميّة أو النباتيّة، وهي كلّها أسماء قرى وقبائل تحكي تشتّت تلك الشعوب الأولى وتنقّلاتهم في البوادي والجبال، فالقصّة تحوي "**مادّة تاريخيّة هامّة تتعلّق بأنساب بعض القبائل القديمة في الجزيرة العربيّة**"[٢].

آخرون فسّروا قتل الزارع للراعي أنّه صراع بين حقبتيْن ونظاميْن، معناه انتصار الزارع على الراعي، وخيراً فعل، لأنّه

[1] – تركي علي الربيعو، **الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة**، ص١٩.

[2] – كمال الصليبي، **خفايا التوراة**، ص٣٧-٤٤.

انتصارٌ للحضر والتوطّن والاستقرار والإنتاج على البداوة والترحال والجولان والالتقاط، وغلبة الحضارة والبناء على الطبيعة العشواء[1]. ولو قتل هابيل (رمزًا) قابيل لما تطوّر مجتمع الإنسانيّة ولاسترسلت البداوة والخيام فقط ولما قامت المدنيّة والصناعات والتطوّر والعمران[2].

الصورة (٢١): هابيل كفلاّح كما رسموا (Abel Farming)

وليس من شكّ أنّ البشريّة مرّت بمحطّات هذا الصراع بين البداوة والتحضّر، والراعي والفلاّح والاقتتال بين الفريقين على

---

[1] – فاضل عبد الواحد علي، **عشتار ومأساة تموز**، ص٧٣؛ وأيضاً: وديع بشور، **الميثولوجيا السورية–أساطير آرام**، ص٤٥٥.

[2] – فراس السواح، **مغامرة العقل الأولى**، ص٢٧١.

المراعي ومصادر المياه، وأنّه صراع الرعويّة مع الإنتاجيّة، وقد حكت لنا أساطير سومر وبابل بعضاً منها، كأساطير تهذيبيّة تنظيميّة تتيح للمجتمع أن يتطوّر ويسمو على مشاكله باندماج أو انتقال نافع وتطوّر سلميّ، كأسطورة أنكيمدو الفلاّح الذي يخطب ودّ (الربّة إنانا/عشتار) أي يريد لقوى الطبيعة أن تقف في صفّه ضدّ الراعي تمّوز، فيجبر الربّ (أوتو: ورمزه الشمس) كربّ للعدالة بخاطر الراعي، ويُؤلّف بين قلوبهما حتّى أن الفلاّح يدعو الراعي ليرعى في حقوله فيتصادقا، والأسطورة تُعلّم أشياء كثيرة عن طقوس الزواج وعن التقاليد السليمة وعن علوم الصناعات والزراعة كتصنيع ونسج الكتّان[١]. وتحكي لنا أسطورة أخرى عن تفاخر وعربدة سجاليّة بين "لهار" (سيّد الماشية) و"أشنان" (سيّد الغلاّت)، وأخرى سومريّة عن صراع الأخوة إيميش وإينتين (Enten and Emesh)، وكيف حكم الربّ (إنليل) بينهما في المقرّ المقدّس (نفر) فتآخيا وتصادقا (وتعاهدا أن يعملا معاً بحكمةٍ وطيب)[٢].

أجنبيّة قصّة التوراة والقرآن عن نظيرهما الأسطوريّ:

خلافاً لما ظنّه المفكّرون العرب، فإنّ تناول قصّة قابيل وهابيل، حسب ورودها في التوراة، والقرآن الكريم، ونظيرها في الأساطير

[1] – فاضل عبد الواحد علي، **عشتار ومأساة تموز**، ص٦٣.

[2] – فاضل عبد الواحد علي، **سومر أسطورة وملحمة**، ص١٢٣، ٢٨٩. وأيضاً وديع بشور، **الميثولوجيا السورية–أساطير آرام**، ص٤٥٥.

العربيّة، بمسطرةٍ واحدة فيه نظر، وخلطٌ لا مبـــرِّر لـــه. إنّ بعــض التنظيرات صحيحة من حيث هي خارج النصّ، ولها انطبـــاق علـــى الأساطير التي جاءت تعليميّة بمضامين كثيرة وتوثيقيّة في آن، تحتمل الرمزيّة؛ تعليميّة تسكب علوم مـــدنيّتها وتُحفّظهـــا كأناشـــيد طقـــسيّة للأجيال، وتُكرِّس للفلاح أنْ يسود وللراعي أنْ ينخرط تـــدريجيّاً فـــي النظام الجديد.

لكنّ إسقاطها على ما جاء في التوراة من قصّة ابني آدم، ومـــا جاء تصحيحه في النصّ القرآني الحكيم، مجازفـــة بالغـــة، ورمـــيٌ قصيّ، وقفزٌ على الصياغة القرآنيّة المحكمة، فلو تمّ ربْطهـــا بحـــدثٍ قرآنيّ آخر كقصّة خلاف الراعي والزرّاع واختـــصامهما لـــدى داود وسليمان **(وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَــنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ)**(الأنبياء:٧٨)، فمع أنّ هذه قـــصّة تاريخيّـــة أيضاً لا ترميز، لكنّه كصراع "رعويّ–حضريّ" أقرب لمرادهم، فكلا هذين النبيّين (ع) جاءا لبني إسرائيل حقبة التئام الرعوي بـــالزراعي، حقبة المجتمع المدنيّ البسيط، فداود جُعل "خليفـــة فـــي الأرض" ولا معنى لعبارة "في الأرض" على بدوٍ رُحّل لا ارتباط لهم بـــالأرض إلاّ بكلأ ومرعى، فإن ارتحل ارتحلـــوا كعـــشيرة يعقـــوب، فالاســـتقرار والمدنيّة الذي أُسّه تخزين وتوظيف وتطوير وإنتاج الموارد الأرضيّة وإنمائها من ثروة نباتيّة وحيوانيّة ومعدن ومصادر مياه وغيره، هـــو مسوّغ خلافة الأرض.

ج- الغاية القرآنيّة من ذكْر القصّة

القرآن لمْ يأتِ بالقصّة ميثولوجياً (أي أسطوريّاً للتعليم بلا واقع تاريخيّ)، ولا رمزاً ومثالاً مضروباً، بل عبَّر بها كحقيقة عارية، قصَّها (كنبأٍ) لا (كمثَلٍ)، سردها كحادثة تاريخيّة تمّت بين فردين إنسانيْن (آدميّين رُفعا عن طور الهمجيّة)، كونهما من نسل سلالة آدم الإنسان، وهما أخوان من أبوين موحّدين، في الدم والدين.

هي حادثة أتى بها سبحانه، في سياق كلامه عن اليهود وكيف أنّ أسلافهم خذلوا موسى (ع) ولم يدخلوا الأرض المقدّسة، ونكلوا عن حمل الأمانة، وكيف أنّ فلولهم ها هي ستعيد الكرّة مع آخر نبيّ فيخذلونه ويُحاربونه ويُجرّبون قتله والتآمر عليه، فجاءتْ، تأمر النبيّ (ص) أنْ يُذكِّرهم بهذه القصّة ليُوخزهم بها.

وباعتبار أنّ إبراهيم (ع) هو الأب لأهل الكتاب ولمحمّد (ص)، فإبراهيم في هذه الحالة رُمِز له بآدم الرسول الأب لأخوينْ في زمنٍ معيّن هما (هابيل وقابيل)، فهي تماماً كعلاقة يهود المدينة (يُمثّلون قابيل) بمحمّد (مُثّل له بهابيل) بأبيهم البعيد (إبراهيم)، فهل سيكونون كقابيل لأخيه هابيل؟ سورة المائدة المدنية هذه وهي من آخر السور أخبرت أنّهم حاولوا ذلك جدّاً، كما قتل آباؤهم الأنبياء قبلاً[1]، كما أنّ

[1] – لذلك نجد عيسى (ع) يُحمّلهم جريرة دم هابيل كصدّيق مع دماء الأنبياء فقال لهم (**لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ**)(متّى ٢٣: ٣٥).

القرآن يُخبرنا والتاريخ أنّ الصراع على (إمامة الدين) مستمرّ، يُحاول المنتحلُ فيه دائماً تصفية الصادق، بدأت بقابيل وهابيل ومشتركهما الآدميّة من آدم، اليهود وعيسى ومشتركهم داوود، اليهود ومحمّد (ص) ومشتركهم إبراهيم، معاوية وعليّ ومشتركهما عبد مناف، يزيد والحسين أيضا، آل العبّاس وآل الرسول ومشتركهما عبد المطّلب.

وقد يصير اثنان متعاونان إماميْن للدين (خلفاء لله) كموسى وأخيه هارون، أو عيسى وابن خالته يحيى، أمّا حال التنافس والتدافع والادّعاء بينهما على إمامة الدّين فلابدّ أن يكون أحدُهما مصيباً والآخر مُنتحلاً، لهذه العلّة نازع أميّة هاشم وتحاكما إلى الكاهن فحكم لهاشم بالريادة والرئاسة وتغرّب أميّة عشر سنين، ولهذه العلّة كانت مباهلة النبيّ (ص) لنصارى نجران فتراجعوا، ولهذه العلّة قرّب هابيل وقابيل القربان فتُقبِّل من واحد فقط **(ولم يُتقبَّل من الآخر)**(المائدة:٢٧)، فهذه الجملة لمْ تُوضَع لغواً ولا زيادةً ولا تأكيداً كما يقول المفسِّرون دائماً ولا تحصيل حاصل! لأنّه كان من الممكن تقبّل قربان الأخويْن في أيّ مسألة أخرى، لكن لا في مسألةٍ نوعيّة، يُراد حسمها في فردٍ واحد منهما فقط، وهي وراثة الإمامة، أو قل الرياسة الروحيّة اللائقة، تمثيل الله في الناس.

فعبارة **(واتلُ عليهم)** أي اتلُ يا مُحمّد على (يهود أهل الكتاب) لا غير، لمنْ يفهم السياق، فالقصّة القبَليّة هذه لا يعرفها مشركو

قريش، بل هي خاصّة باليهود وحْدَهم[1]، لأنّها مـذكورة فـي تـراثهم ومسوِّغ شرْعتهم، وعرْضُ ذكرها إنّما هو لهـم حصْراً، لأغراض:

١- تصحيح على ما لدى اليهود أوّلاً، من تشوّه في القصّة التاريخيّة، لسردها بالحقّ **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ)**(المائدة:٢٧).

٢- أتى لهم بالقصّة هذه بالذّات، لأنّها كانت لديْهم مُوجب التحـريم للقتل وتجريمه (أيْ علّة شريعتهم)، لذلك عقّب سبحانه على هـذه القصّة بقوله **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَـلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِـي الْـأَرْضِ فَكَأَنَّمَـا قَتَـلَ النَّـاسَ جَمِيعاً)**(المائـدة:٣٢)، فيُذكِّرهم بعهد الله السابق إليهم بحرمة القتْـل، وبالعاقبة السيّئة لـ (بسط اليد) بالأذى والتآمر، لقتل أخـوّة لهـم في الدم والدين والإنسانيّة (أبناء آدم/إبراهيم) كإخوتهم وأهـاليهم من المسلمين إبّان البعثة المحمّدية، وأنّ من فعل ذلك كمن قتـل الناس جميعاً، فالآية تسلبهم شرعيّة أيّ حرب قذرة يوقدونها على رسول الله (ص) والمؤمنين به، لأنّ عاقبة محاولة بسط اليد لقتل المتّقين الخسران والندامة **(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيـهِ فَقَتَلَـهُ**

---

[1] – حتّى أنّ بعض الأوائل من أئمّة المذاهب، اعتقدوا كما اعتقدنا أنّ (هابيل وقابيل) لا علاقـة لهما بآدم الأوّل مباشرة، بل زادوا أنّهم إنّما في زمن بني إسرائيل! (عن الحسن: "**لم يكن ابن آدم المذكور وأخوه المقتول من صُلب آدم وإنما كانا من بني إسرائيل**". أخرجه الطبري) (الشوكاني، **نيل الأوطار**، ج٧، ص١٩٧)، ونحن نؤيّد الشقّ الأوّل، ونقدّر أيّ عقل يستطيع الخـروج عـن المألوف ليرى الحقّ ويُعلنه وإن خالف المشهور، وإن كان حينها ليس ثمّـة (مـشهور وغيـر مشهور)، لذلك انفتحت العقول أيّامَها على كلّ الوجهات، ولم تُحبس!

فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)(المائدة:٣٠)، فلا يُحاولوا التآمر لقتلـه كمـا فعلوا وقتلوا الأنبياء قبله حتّى زكريّا (ع) ثمّ مع عيسى (ع) حتّى نبّههم عيسى قائلاً الأمر نفسه، بأنّهم يحتملون وزر دماء الصدّيقين منذ هابيل حتّى آخر الدهر **(لِكَيْ يَأْتِيَ عَلَيْكُمْ كُلُّ دَمٍ زَكِيٍّ سُفِكَ عَلَى الأَرْضِ مِنْ دَمِ هَابِيلَ الصِّدِّيقِ إِلَى دَمِ زَكَرِيَّا بْنِ بَرَخِيَّا الَّذِي قَتَلْتُمُوهُ بَيْنَ الْهَيْكَلِ وَالْمَذْبَحِ)**(متّى ٢٣: ٣٣-٣٨).

٣- لتذكيرهم بأنّ الربّ هو الذي يتقبّل قربان أحد دون الآخر، هو يُقرِّب وهو يُبعِد لأنّه أعلم بصلاح القلوب وأهليّتها، فمع أنّ الاثنيْن أخوة من أبيهم إبراهيم (ع)[1]، فالآن اختار الله أنْ يكون القرب لنبيّه (ص) دونهم، فهل كما قتل الأخ أخاه على شهوةٍ ورياسة سيقتل أبناء إبراهيم أخاهم محمّداً (ص) لأنّه تُقبِّل وقُرِّب دونهم بالاصطفاء، بعد أنْ ولّى زمنهم، وأخذوا حظّهم وفُرَصَهم، وبدّلوا فطرتهم، واستفحل فسادُهم، فما عادوا يصلحون لحمل أمانة هداية البشريّة بعد جمّ خطاياهم، وعنصريّتهم، وقتل أنبيائهم، ومادّيتهم، وشيوع الفواحش والهمجيّة فيهم، فالله يتقبّل من "**المتّقين**"، وهم نفسهم الذين أخبر سبحانه عنهم موسى (ع) حين سأل الله أنْ تكون أمّة الرحمة العالمية أمّته، فلمْ يُستجَب له بل قيل أنّها ستُكتب للمتّقين لا لليهود **(فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ**

---

[1] - إبراهيم هو أب إسحاق الذي انحدرت منه بنو إسرائيل (يعقوب)، وإبراهيم أب لإسماعيل أيضاً الذي جاء من نسله محمّد (ص)، فإبراهيم بالنسبة لبني إسرائيل ولمحمّد (ص) مُثِّل له بآدم الإنسان كأب بعيد لـ (هابيل وقابيل)، أو كآدم الرسول كأب مباشر لهما وهو المعني حسبما يبدو.

يَتَّقُونَ)(الأعراف:١٥٦)، يتّقون الخبائث والمنكرات حسب تلميح الآية.

٤- وأنّه يُهدِّدهم إن هم تآمروا على قتله، مصيرَ قابيل (قايين) بالنفي بعيداً عن الأرض المقدّسة **(تَائِها وَهَارِبا تَكُونُ فِي الأرض)**(التكوين ٥ : ١٢)، وقد فعلوا وأرادوا قتله (ص) فأجلاهم (ص) بأمر الله[١]، بعيداً عن الأرض المقدّسة (مكّة وما حواليْها)، هذا التهديد بالنفي بعيداً عقّب به سبحانه بعد أنْ حدّثهم بقصّة قابيل وهابيل مباشرة بلا فصل بقوله **(إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ)**[٢](المائدة:٣٣).

فالقصّة إذاً واقعٌ تاريخيّ، وموضوع خلافها ليس الرعي والفلاحة، فهذه جزئيّة، لمْ يُشِر لذكرها القرآن ولمْ يهتمّ بها لو

---

[1] – راجع بداية آيات سورة الحشر مثل: **(وَلَوْلا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ)**(الحشر : ٣).

[2] – لا حلّ للقاتل المعاند المُحارب والمفسد لقوانين الإنسانيّة المقدّسة، الذي لا يعيش إلاّ بالهمجيّة وإرهاب الناس والشراسة، إلاّ بأحد أربعة حلول: ١-(القتل) ٢-(الصلب) ومعناه الشدّة والقوّة والحزم بحيث يُمنعون من قوّتهم ويُحرمون من شدّتهم (كالسجن المشدَّد هذه الأيّام)، ٣-(التعويق) بقطع طرف من رجلهم ومن يدهم الأخرى كعلامة بارزة على شرورهم وإجرامهم ليُجتنبوا ويُتحذّر منهم، ولإضعاف شوكتهم أيضاً ولإعجازهم عن الشرّ والفتك بأحد. ٤- (النفي) يُطردون من أحياء الناس ويُبترون خارج المجتمع الآمن ويُحرّم عليهم جوار الناس، ومن هذه الآية استنبط الفقه ما عُرِف بحدّ الحرابة، والنبيّ (ص) قد طبّق منها مع من حاربه لوأد دينه وحاول قتله من اليهود وأرعبوا المسلمين بشرورهم، الخيار الأوّل القتل، والأخير النفي.

صحَّتْ، بل محورُها أهليّة مَن يتقبّل الله منه، جدارة المستخلف الذي يُمثِّل الله، المُحافظ على نقاء فطرته من الهمجيّة، أيْ أنّ موضوعها أمرٌ يحكم فيه الله (الخلافة الربّانية)، وشرطه "التقوى"، والتقوى سيّان بين الراعي والزرّاع والعاطل والعالم النوويّ والخادم والطبيب، ولقد اقترنت التقوى في القرآن بالإمامة **(وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً)**(الفرقان:٧٤)، فالذي يبدو، وبحيثيّة سلاح القتل والإبادة، الذي شابه أسلوب إخوة يوسف مع يوسف، وسيُشابه فعل اليهود مع نبيّ الأمّة حين أرادوا قتله، أنّه نزاع حول أجدريّة تمثيل الأب (الربّ) وولاية عهده، بإمامة الأسرة أو القبيلة (الخليفة)، لا الإمامة الإداريّة (العقليّة) فقط للبشر والموارد، بل الإنسانيّة والروحيّة لأمّة الأب أو لعائلته وقومه ضمن مجالها الحيويّ[1].

الصورة رقم (٢٢): قابيل (قاين) يقتل هابيل بفكّ حمار (Cain Kills Abel)

---

[1] – لذلك قيل عن ابن عبّاس في تفسير الحادثة وتعقيبها أنّ (من قتل نفساً): (المعنى: مَن قتل نبيا أو إمام عدل فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياه بأنْ شدّ عضده ونصره فكأنما أحيا الناس جميعا) (القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٦، ص١٤٢).

هذا الصراع ما زالت أصداؤه تسري في الأمّة لحدّ الآن على السلطان والتزعّم باسم الصراع السياسي، أو الانقلاب العسكري، أو الإطاحة بالشرعيّة، وهي بذرة قابيليّة في الأصل، وشعارها المُعلَن أو المُخفى للخصم "**لأقتلنّك**" و"**قاتلتكم لأتأمّر**" لا غيْر. بل إنّ كلّ صراع نشب في المسلمين إلى يومنا، منذ غاب النبيّ (ص)، كان طرفٌ منها يملك جدارة تمثيل الرسالة بتقواه وسلميّته ونقائه الإنساني، وطرفه الثاني جدارته البطش فيتوسّل للغلبة ولسرقة الرياسة بغير التقوى، بوسائل القتل جسمياً أو معنوياً، منذ عليّ (ع) ومعاوية، منذ الحسين (ع) ويزيد، هي توابع للزلزال الأوّل الذي نشب على تمثيل دين الله وقيادة الإنسان، بين الإنسان الإنسان، والإنسان الوحش.

فهناك، فإنّ قابيل الذي لمْ يهمّه أنّ الله لمْ يرضَ به، والطبيعةَ لمْ تنتخبه، والناسَ لمْ يُعطوه أصواتهم، والأرضَ لمْ تُرحّب به، فإنّ نفسه الهمجيّة التي تتوق للغلبة هي الحاكمة، وتردّ الطبيعةُ عليه بأنْ تُثبت له عدم أهليّته أربع مرّات؛ مرّةً حين فقد تقواه فروْحَنَته قبل القربان بخطيئة، وثانية لمّا رُفِض قربانه حين أكلت النّارُ قربان أخيه فأكلته نارُ الغيظ والحسد واتّقدتْ شيطنتُه، وثالثاً حين قتل أخاه فخلعَ إنسانيّته لاستيلاء همجيّته، والرابعة حين رأى أنّ عقل غراب مبرمج غريزيّاً هو خيرٌ من عقله في التدبير حين الأزمات فخسر تعقّله وتدبيره، فأيّ رياسةٍ أو تدبير كان يُنازع أخاه عليه وتدبيرُ غرابٍ بدا خيراً من تدبيره؟! فأراه سبحانه بعين الواقع أنّه أنِف اختيار الربّ له أنْ يعيش مأموماً بأخيه ولو كان فيه ما يُسيء إليه من حدّة لسانٍ في الحقّ،

فبصّره الربُّ ليَخضع للحقّ من طريقٍ آخر ولكنْ مأموماً هذه المـــرّة بغراب أسودٍ نتن، فأصبح من النادمين.

د- لا تزْنِ، لا تقتلْ

ما هي "التقوى" التي تحلّى بها هابيل وتخلّى عنها قابيل؟ مـــاذا كان موضوع هذه التقوى التي انسلخ منها؟

ليس (نيّة القتل) قطعاً فهذه جاءت بعد رفض القربان، ما هـــي "التقوى" التي عرَّض هابيل لأخيه قابيل بخلوّها منه حـــين لـــمْ يُقبَـــل قربانه؟ أمعقولٌ أنّ هابيل يُزكّي نفسه تبجّحاً بتقـــوىً خادعـــة لأنّ الله قبَل قربانه؟ أينخدع الله بتقوى خادعة؟ أم لأنّ هابيـــل اتّقـــى الله فـــي الكبش فأتى به سميناً! وقابيل لمْ يأبه فأتى الربّ بـــزرع رديء، كمـــا يُقال؟! فهل الله تعالى ينخدع بهذه المظاهر وينالهُ شيءٌ منها؟ أم لعـــلّ هابيل قد أخطأ وقذف أخاه بأمرٍ هو نزيهٌ عنه! فاستفزّه، فلماذا إذاً لـــمْ يُتقبّل قربانه ما دام نزيهاً، ووقفتْ السماء مع هابيـــل، لـــتُعلن عـــدم "تقوى" قابيل فعلاً وحقّاً؟

لقد سبق وذكرنا أنّ "**لباس التقوى**" الذي أمر به الربُّ بني آدم في الحقبة الآدميّة المديدة الأولى، المنسيّة من التاريخ، لم يُركّـــز إلاّ على أساسٍ واحد بعد توحيد الله المفروغ منـــه أصـــلاً، هـــو تـــرك الإباحيّة، الذي سُمّي فاحشة بعدئذ وزنا وملحقاته، وذلك بعد بعـــد أن

عرَّض سبحانه بخطأ الأبوين الجنسيّ الذي آل بخروجهما من الجنّة[1]، لذلك جاءت الوصايا، لبني إسرائيل، "لا تزنِ" على قائمة الوصايا، وأتى بها سبحانه كاملة في الأنعام وختمها في الآية ١٥٣بقوله **(لعلّكم تتّقون)**، وثنّى كلّ دعوة للتوحيد بأمره **(بِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)**(الأنعام:١٥١)، والزنا (الإباحة) ينفي هذه الحالة الإنسانيّة، أي ينفي وجود (والديْن شرعيّين) يُنعِمان التربية الحسنة، فيبدو أنّ قابيل انتهك هذا القانون وتناول الثمرة المحرّمة، وهابيل يعرف هذا فعلاً أو بنور بصيرته، فوبّخه بقوله **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)**(المائدة:٢٧)، فكيف يسود الإنسانيّة من أخلّ بأولى شرائط تكوينها؟ أليس هكذا سقط الخليفة الأوّل "آدم"؟ فقابيل بعد هذا الإخلال الأوّل الذي افتضح بعدم قبول قربانه، أخلّ مرّةً ثانية بشرعة الربّ للإنسان باقتحام حرمة قتل الأخ الإنسانيّ، كان يريد أنْ يكون إماماً للناس جميعاً، فقتل إنسانيّته من جهة وأتى بالهمجيّة، وقتَل من جهةٍ أخرى الفردَ اللائق بإمامة الناس جميعاً **(مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً)**(المائدة:٣٢).

بقي أنْ نُشير إلى حقيقة مؤلمة غائبةٍ عن الأذهان، مع أنّها ماثلةٌ مع الأسف للأعيان؛ أنّ النداء الهمجي، نداء الغاب والتوحّش[2]:

---

[1] – **(يَا بَنِي آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا)**(الأعراف:٢٧).

[2] – من المناسب ذكر ما قاله ابن عبّاس سواءً صحّ أم لم يصحّ، وربّما سيق للموعظة، لكنّه تعبيرٌ عن مستوى التوحّش الذي هبط إليه قابيل، فجوزي بأن يبقى فيه، فيأكل كما تأكل وحوش

(**لأقتلنك**)، ما زال يعمل في النفس الآدميّة مذ فعّله قابيل وأشباهُه، إن قتل الإنسان لأخيه الإنسان، المخالف له، الذي لا يراه مشروعاً للتعاون، ولا واجباً لوجوده هو، بل يراه محلاًّ لخصام وغرضاً لسهام، ولا يستقيمُ وجودُه إلاّ بقتله، إنّ نفي الآخر المخالف والمختلف، وتشويهه وقتله، وإزاحته من الوجود، قد رؤي هذا المنكر في يومنا هذا معروفاً، البعضُ سمّاه عقيدة وشرْعاً (واجباً شرعياً)، والبعض دهاءً ولوازم سياسة، وهو، ما هو إلاّ من بقايا المسخ القابيلي، وإذا كان قابيل قد ندم على عدم دفن سوأة أخيه، وعدم تجاوز ماضي ما بينهما، فإنّ آخرين اليوم، لا يقرّ لهم قرار حتّى يكشفوا كلّ سوأة لأخيهم، وينبشوا القبور لأنّ المدفون إدامهم، فهناك حيوان يأكل اللحم، وهناك حيوانات لا تأكل إلاّ الجيَف فهذا حالهم، وهذا للأسف موجودٌ لا في أمّة اليهود الذين صنعوا هذا الأمر مع محمّد (ص)، وأرادوا إخماد دعوته بشتّى ضروب التشويه والافتراء وافتعال الحروب الدينيّة والماديّة وشنّها، بل هو أمرٌ يجري في أمّتنا، بين طائفة وطائفة، وقبيلة وأخرى، وحزب وحزب، وجارٍ وجار، وأخ وأخ، فعاد التلاميذ الأشقياء كفّاراً بأخوة الدين والآدميّة، يضرب بعضُهم رقاب بعض، كما حذّر المعلّم (ص)، (**لا ترجعوا بعدي كفّاراً**) قال تعالى: (**أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ؟**)(آل

الحيوان: (**إنّ قابيل استوحش بعد قتل هابيل ولزم البرّيّة، وكان لا يقدر على ما يأكله إلاّ من الوحْش، فكان إذا ظفر به وقَذه حتى يموت ثم يأكله!**)، (القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٦، ص١٤٢).

عمـران:١٤٤)، لذلك يُوصي المُعلِّم (ص) مرّةً أخـرى **(كـنْ عبـدَ الله المقتول، ولا تكنْ عبدَ الله القاتل)**[1] و**(كن خيرَ ابنيْ آدم)**[2].

خذ مثلاً كتابٌ كهذا، أو غيره، أنت بين خياريْن، أن ترى في أفكاره مشروع تحاور ونقد بنّاء وتثاقف وتعاون مع الكاتب، للأخذ بيدك أو بيده إلى الهدى والصواب، أو يتردّد صدى الماضي الغاضب في جوفك، مع كلّ سطرٍ تقرأه، يُحمى معه نداءٌ واصطراخٌ قديمٌ، لذاك الانحماش القابيلي: **(لأقتلنّك)**، بل ولأنبشنّ عن سوآتك كلّها. النفس البشريّة في شقّها البشري تُطوّع لكلّ هذا وأكثر، والشيطانُ يُفرحه هذا وأكثر، ويُطبطب عليها، ويحتضنها "بنفسي أنتِ"، ويَعْدل رداء الدّين على كتفيها عند صراخها ملوِّحةً: **(لأقتلنّك)**، ليكون هذا التطويعُ النفسانيّ تطوُّعاً بلباس الدين والواجب، وما هو إلاّ حميّة النفس الذاتيّة أو الجماعيّة، نفْسِ الغاب التي ما هجعت بعد، ما دامت لمْ تتكهرب بعد بأجواء **(مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ)**(المائـدة:٢٨)، فبدلَ دفْن أخيه، يدفن الهمجيّة من نفسه، وبدلَ إخماد حسٍّ وصوتِ أخيه، يُخمّد مِن منافثِ قاموسِه مُرادفات "**لأقتلنّك**"، إذّاك سيُشْرِق عليه الربُّ بدينه القديم الجديد الأبديّ لا المزيّف، ويخرج مِنْ استعارِ لهبِ "قابيليّته"، مُطفّياً إيّاها بالتقوى الحقيقيّة، تقوى الإنسان، ليتذوّق برْدَ معنى القبول والتقبّل **(إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)**(المائدة:٢٧).

---

[1] – العجلوني، **كشف الخفاء**، ج٢، ص١٣٤؛ الأردبيلي، **زبدة البيان**، ص٢٣.

[2] – (قيل: يعني قابيل وهابيل): محمد بن الشربيني، **مغني المحتاج**، ج٤، ص١٩٥.

إنّ الله سبحانه قد حذّر بُغاةَ بني إسرائيل، كما نبّه هذه الأمّة، إلى نبذ همجيّة "**لأقتلنّك**" لأنّها توسّلٌ سريعٌ لإبادة الناس جميعاً في النهاية. لذلك لا نجد نبيّاً هذه لغتُه، بل نجد لُغة المجرمين كذلك: "**لأصلبنّكم**" "**سنُقتّل أبناءهم**" "**لنرجمنّكم**" "**لنُخرجنّكم**"! ولقد ضرب لنا النبيُّ الكريم (ص) من شيَم الحبّ والعفو وإشراق التسامح أعلى معاني الانتصار والفخر والإعجاب، فعفا عن كلّ مَن ظلمه، وسامح كلّ من آذاه، ولم يكن يرجو إلاّ هُداهم وأنْسَنَتَهم وحسب، ولم يكن ليترك تحسّرَ نفسِه الكبيرة الوالهةِ على ضياعهم الأحمق لولا أنّ الله جلّ شأنُه أمره بذلك!

إنّ "**المتّقين**" هم الذين اتّقوا قتل الإنسانيّة فيهم، فلمْ يُمارسوا أفاعيل الهمج واهتياجاتها، ولكن ليس يعني هذا أنّهم معصومون وليس لهم ذنوبهم، ولكن أليس عجيباً أنْ يُعوّض الله تعالى الإنسان، الذي احتفظ بإنسانيّته، متّقي الولوغ في دماء وأعراض الآخرين سواءً بقتلٍ ماديّ أو اعتباريّ، فيعوّضه ربُّ البررة ويتقبّله في عالمه السماويّ الطاهر، بتطهيره من آثامه وركْمها على آثام "الهمج" الذين لمْ تتطهّر دواخلهم من أزيز "**لأقتلنّك**" فقتلوه، إعلاناً ربوبيّاً متفجّراً مِن لسان قتيل الهمجيّة والتوحّش، وشهيد الطهارة والتعفّف، حين كفّ يده عن النهج اللامُتقبّل، وسطّره القرآن ليُخلّده أبد الدّهر في الأسماع **(إِنِّي أُرِيدُ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)**(المائدة:٢٩).

عرفنا إذاً، أنّ تنويه هابيل بـ (المتّقين)، يعني أنّ قابيل كان فاقداً تقواه ويعمل الشرور قبلاً[1]، وقُلنا أحد مصاديقها وأقربها كان (الزنا) أو (الخطايا الجنسيّة)، وهو أمر وقع فيه بنو إسرائيل بلا هوادة، حتّى ضجّتْ أنبياؤهم (**أَفْعَالُهُمْ لاَ تَدَعُهُمْ يَرْجِعُونَ إِلَى إِلَهِهِمْ لأَنَّ رُوحَ الزِّنَى فِي بَاطِنِهِمْ وَهُمْ لاَ يَعْرِفُونَ الرَّبَّ، يَذْهَبُونَ بِغَنَمِهِمْ وَبَقَرِهِمْ لِيَطْلُبُوا الرَّبَّ وَلاَ يَجِدُونَهُ. قَدْ تَنَحَّى عَنْهُمْ**)(هوشع ٥: ٦،٤)، لذلك قال سبحانه عن النبوّة، الرسالة الخاتمة، أمانة الدعوة، أنّها لا لليهود بل (**فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ**)(الأعراف: ١٥٦)، وقد رفض اليهود عيسى (ع) أن يتفوّق عليهم بالرسالة واتّهموه بفقدان التقوى (ابن زنى)، كما طلب اليهود من محمّد (ص) أن يأتيهم بقربان كعلامة (**الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلَّا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ**)(آل عمران: ١٨٣)، فأخبرهم بأنّ ذلك قد حصل قبلاً ولم يمنعهم من قتل النبيّ الصدّيق، كما لم يمنع قابيل قبولُ الربِّ قربان أخيه، لأنّ النفس التي تتهمّج فتبدأ تزني، قدْ تنتهي لتقتل، طواعية!

هـ- الإرث الديني واضطرابه

لقد كادت بعضُ المأثورات التي نُقلت بتشوّه أن تُلامس الحقيقة، حين قالت أنّ قابيل نظر إلى التي يريد أن يتزوّجها أخوه هابيل، لكنّها جنحت جدّاً لمّا جعلت هابيل له أخت توأم، وقابيل له أخت توأم، وأنّ

---

[1] – في رسائل الإنجيل (... **كَانَ قَايِينُ مِنَ الشِّرِّيرِ وَذَبَحَ أَخَاهُ. وَلِمَاذَا ذَبَحَهُ؟ لأَنَّ أَعْمَالَهُ كَانَتْ شِرِّيرَةً، وَأَعْمَالَ أَخِيهِ بَارَّةٌ**)(١ يوحنا ٣: ١٢).

الله أوحى لآدم بتزويج أبنائه الذكور من أخواتهم غير التوأم! كأنّهم بذلك سيهربون من زواج الأخوات!! وكأنّ آدم هو آدم الأوّل!! فقالوا أنّ قابيل أصرّ على الزواج من توأمته لأنّها أجمل[١]!

فبغضّ النظر عن هذا التخليط، فثمّة رائحة لخطيئة تتعلّق بهوى قابيل لامرأة من قبيلته، هي التي سيتزوّجها أخوه، أو هي غير ذلك، بالنظر إلى أنّ ثمّة غير أخيه في الوجود، فهؤلاء اضطرّوا ليجعلوها خطيبة أخيه أو أخت قابيل التوأم لأنّهم لم يحسبوا في الوجود سوى آدم وحوّاء وقابيل وهابيل والفتاتين، وربّما زاد من انخداعهم العبارةُ القرآنية "**ابنيْ آدم**"[٢]!

---

[1] – ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٢، ص٢٦٤، وفيه: (أنّ آدم (ع) كان قد نُهي أن يُنكح المرأة أخاها الذي هو توأمها، وأجيز له أن يُنكحها غيره من إخوتها، وكان يُولَد له في كل بطن ذكر وأنثى، فوُلدت له ابنة وسيمة، وأخرى دميمة، فقال أخو الدميمة لأخي الوسيمة: أنكحني أختك، وأنكحك أختي، فقال أخو الوسيمة: أنا أحقّ بأختي، وكان أخو الوسيمة صاحب حرث، وأخو الدميمة صاحب غنم، فقال: هلمّ فلنقرّب قربانا، فأينا تقبل قربانه فهو أحقّ بها، فجاء صاحب الغنم بكبش أبيض أعين أقرن، وجاء صاحب الحرث بصبرة من طعام، فتُقبِّل الكبش، فخزنه الله في الجنة أربعين خريفا، فهو الذي ذبحه إبراهيم، فقتله صاحبُ الحرث، فولْدُ آدم كلّهم من ذلك الكافر، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس)!!

[2] – مع أنّ كلّ الناس هم بنو آدم، قال تعالى (**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ**)(يس:٦٠)، وقد ملأت كلمة (ابن آدم) الأحاديث القدسيّة لتدلّ على الكائن الإنساني، أمّا في (الكتاب المقدّس) لدى اليهود والمسيحيّين فقد وردت ١٠٠ مرّة كلّها تعني الإنسان والأنبياء ولا تعني أيٌّ منها ابن آدم المباشر، مثل خطاب الربّ لحزقيل النبيّ (**يَا ابْنَ آدَمَ، أَنَا مُرْسِلُكَ إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، إِلَى أُمَّةٍ مُتَمَرِّدَةٍ قَدْ تَمَرَّدَتْ عَلَيَّ. هُمْ وَآبَاؤُهُمْ عَصَوْا عَلَيَّ إِلَى ذَاتِ هذَا الْيَوْمِ**)(حزقيل ٢: ٣).

فالمأثورات (المختلطة والمشوّهة) في مجموعها تُؤكّد وجود خطيئة جنسيّة لقابيل تجاه أختٍ له (وأخت تعني فتاة من عشيرته). وقد أثبت الكهنة في التوراة هذا الأمر مع غفلة مفسّريهم عنه ومرورهم عليه مرور الكرام! ذاك هو قول الربّ لقايين (قابيل) بعد سخطه بسبب عدم قبول قربانه **(وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا)**(التكوين ٥: ٧)، فكأنّها تفسير لجملة هابيل له **(إنّما يتقبّل الله من المتّقين)**، فهناك خطيّة تنتظره[1]، أي له علاقة غير شرعيّة تنتظره، هو (يشتاق إليها)، و(يسود عليها)، وهذه عبارات تُشير إلى (أنثى) في فكر الكهنة اليهودي[2].

وإنّ من المأثورات المدسوسة أو التعليقات المشوّهة، التي تنطلق من عقليّة أنّ آدم الأوّل هو أب مباشر لهابيل وقابيل، وأنّ مجموع السكّان أربعة أو ستّة في العالم فقط! ذاك اللغز الذي يُسأل فيه (من قتل ربْع العالَم؟) فيُجاب (قابيل)!! هو لغز توراتيّ، ولا حلّ له إلاّ بالضحك على العقل. لأنّ قابيل لو قتل أخاه وهو ربع العالم

[1] – في النسخة (العبرية!) نقرأ ترجمة الكلمات (لا شئت، لا يطب، خطئة، رابص، فتخة، إلى، تشوق)، أي إن ما شئتَ هذا الخيار ولم يطبْ لك فهناك خارج الفتحة (المغارة) خطيئة رابضة لها تشوّقك، ويبدو أنّ القربان يُقدّم في مغارة جبليّة، وأنّ خليلته (معشوقته) رابضة تنتظره خلسةً (ضمن المنتظرين من الناس) لمعرفة النتيجة، على صراعه مع أخيه للسيادة العشائريّة.

[2] – نفس الألفاظ استُخدمت لحوّاء كأنثى يسود عليها آدم عقوبةً بعد الخطيئة!! **(وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ)**(التكوين ٣: ١٦)، هذا الاشتياق الخاطئ يُذكّرنا مرّةً أخرى بـ (شوق الليّ تعدّى) في أسطورة (شوكالليتودا) مع (إنانا) وانتهاكه (شجرة أسرة البيت: سور-بيتو)، راجعها في بحث: **الخلق الأوّل – كما بدأكم تعودون**، وبحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

آنذاك لأنّهم أربعة، ثُمّ طُرد بعيداً عن أبويه بنصّ التوراة، فكيف أتى الناس؟ وبمن تزوّج قابيل؟ أوَعاد آدم وحوّاء لإنتاج الأبناء والبنات وتناكحِ الأخوة بالأخوات أم ماذا؟ ثمّ أنّ القرآن يقول: (**فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً**) لا (ربْع العالَم)!

ولقد بيّنّا في بحث (وعصى آدم)[1] أنّ آدم الأوّل إن أنجب (وهو بعيد) فقد أنجب على الأقلّ أربعة ذكور، تمّ تخليق أربعة (إناث) إنسيّات لهم كما تمّ تخليق آدم وحوّاء من قبل، فلم يبدأ الجنس الإنساني بتزاوج بين الأخوة وأخواتهنّ، وأتينا بدليل ذلك من الآيات، ومن المرويّات، ومن أقوال بعض ملل الموحّدين كالصابئة، فأبناء آدم الأوّل (إن كان وُجِد له أبناء من حوّاء وهو مُستبعد) فمجهولون تماماً في التاريخ لأنّها حقبة منسيّة بالكامل، والتوثيق الشفوي والتكهّنات بسلسلة الأنساب، التخمينيّة في كثيرها، يرجع إلى ٤٠٠٠ – ٦٠٠٠ سنة قبل الميلاد لا أكثر، فكيف لها أن ترجع إلى ٥٠ ألف سنة؟!!

فممّا أوردوه أنّ آدم (**كان يزوّج غلام هذا البطن لجارية تلك البطن. والدليل على هذا من الكتاب قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً)**(النساء:١). **وهذا كالنصّ ثم نسخ ذلك، وكان جميع ما ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى في عشرين بطنا، أولهم قابيل**

---

[1] – وعصى آدم – **الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

وتوأمته إقليمياء[1]**، وآخرهم عبد المغيث. ثم بارك الله في نسل آدم)**[2] فالفقرة خاطئة من أوّلها لآخرها، فالآية المستشهد بها أنّها نصٌّ وأنّها دليل هذه الزيجات المُنكرة، تتكلّم عن أمرٍ آخر لا علاقة له بآدم ولا بحوّاء، فضلاً أن تتكلّم عن أبناء ذكور لآدم وبنات إناث له يتزاوجون مع بعضهم، وقد بيّنّا معناها أنّها في بداية الوجود البشري البحت الذي خرج بالغاً من أجداث الطين، لا البشري الإنسانيّ الذي بدأ بآدم، بيّنّاه في بحث (**الخلق الأوّل - كما بدأكم تعودون**)، وفسّرنا علّة استخدام (**رجالاً كثيراً ونساءً**) بدلاً من (ذكوراً وإناثاً)، وقد رددنا على مثل هذه الآراء في بحث (**وعصى آدم**).

وممّا زعموا من مرويّات: (**إنّ آدم (ع) وُلد له سبعون بطناً في كل بطن غلام وجارية إلى أن قُتل هابيل، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعا قطعه عن إتيان النساء، فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام ثم تخلّى ما به من الجزع عليه،**

---

[1] – من المناسب القول أنّ اليهود في تفاسيرهم في (كتاب آدم) يقولون أنّ آدم وحوّاء لم يرزقا إلاّ بخمسة أبناء (هابيل وقابيل وأخواتهما لولوة وعقليّة ثمّ شيث)، واضطروا أن يُزوجوا قابيل من لولوة، وشيث من أخته عقليّة التي تكبره بأكثر من ٢٥ سنة! وفي كتاب آخر حزن آدم وحوّاء ١٠٠ سنة قبل أن يُقرّرا إنجاب شيث.

As for Adam, he knew not again his wife Eve, all the days of his life; neither was any more offspring born of them; but only those five, Cain, Luluwa, Abel, Aklia, and Seth alone.

http://www.piney-2.com/ApocAdEve2.html

http://www3.iath.virginia.edu/anderson/retellings/Cave.html#div1.2.14

[2] – القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٦، ص١٣٥.

فغشي حواء فوهب الله له شيئا وحده ليس معه ثان)[1].

لو تجاوزنا الأغاليط الاعتقاديّة والتاريخيّة والعلميّة، وغضضنا عن الخلط بين آدم الأوّل وآدم الرسول (ع)، ومحاولة ربط هابيل وقابيل بآدم الأول لكنْ بعد ٧٠ بطنًا! وحشْر (شيث) حشراً ليكون ابن آدم بعد خمسمائة سنة! يستطيع المرء أن يتأمّل مفارقات أخرى أعجب منطقياً:

١- **(وُلد له سبعون بطناً)** هل الكلام عن ملكة النحل، النمل، أم عن امرأةٍ إنسانة؟ أهذا كلّه من حوّاء؟! أهي أنثى عاديّة أم بدعةٌ خارقة من خوارق الدنيا؟! لا سيّما ونحن نتذكّر أنّهم أيّدوا قول الربّ لحوّاء التوراتي قبل إهباطها، والتاريخ يُؤيّد مضمون ذاك القول (لكنْ لا صدور القول) **(تَكْثِيرا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ. بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلادا)**(التكوين ٣: ١٦)، والقرآن أيّد أنّ أوجاع الحمل القاسية المكروهة سنّة طبيعيّة للنساء **(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً)**(الأحقاف:١٥)، فكيف استطاعت حوّاء حمل توائم سبعين مرّة، وألم الولادة هو من أشدّ الآلام؟! ربّما الرجال يُصدّقون هذه الرواية وتنطلي عليهم مع ابتسامة خفيفة مُشكّكة تعلو شفاههم، لكن لتسمعْها أيّ امرأةٍ جرّبت حمل التوأم، ثمّ ولادتهما، ثمّ تربيتهما، وستُجيبك بغضب: لو حملت حوّاء عشر مرّات بتوائم،

[1] - ابن بابويه القمّي، **علل الشرائع**، ج١، ص١٩، وسنأتي إلى شرح مستساغ لأمثال هذه الروايات في **(آدم ونوح وأحجية عمر الألف سنة)**!

عشر مرّات فقط، لحازت جائزة أعظم وأصبر وأجلد وأثوب (من الثواب) امرأة في التاريخ، ثُمّ لسقطت ميّتة شهيدة عند تجاوز توأم الرقم أحد عشر!

٢- **(في كلّ بطن غلام وجارية)**! لماذا ليس التعبير (ذكر وأنثى)؟ وما هذه الهندسة الحمليّة المطّردة سبعين مرّة؟!

٣- **(جزع آدم على هابيل جزعا قطعه عن إتيان النساء)**! إلى متى يُراد لآدم البريء من هذه الافتراءات (ومعه حوّاء المسكينة) أن يُواصل إتيان النساء وقد أنجب سبعين بطنا، أي ١٤٠ ولداً؟!

٤- **(قطعه عن إتيان النساء)** أيّ نساء؟ وليس لدى آدم إلاّ حوّاء!

٥- **(لا يستطيع أن يغشى حوّاء خمسمائة عام)**!! هل (عام) هذه هي التي نعرفها نحن (عام = ٣٥٤ يوماً)؟! وكيف ستُصبح حوّاء، وشكل حوّاء، بعد خمسمائة عام وبعد أن أنجبت سلفاً سبعين بطناً؟ أي عمرها قريب من ٦٠٠ عام! أهم بشر يجري عليهم ما يجري علينا أم حالة إعجازية تنتمي لعالَمٍ لا علم لنا به، حتّى وهم خارج الجنّة؟! يبدو أنّ الرواة استصحبوا عجائب الجنّة لخارجها! أو غاب عنهم سرّ لم يُدركوا وجهه، وسنأتي له حين نتناول الأعمار المديدة، لآدم ونوح.

٦- **(فغشي حواء)**، بعد خمسمائة عام، لتلد شيئاً، الآن لنُحلِّل معنى هذا:

- هذه الرواية من التي تُروِّج لقصّة تناكح الأخوة، ولذلك قيل منذ البداية **(في كلّ بطن غلام وجارية)**. حسناً، لنُزوّجهم الآن:

- سنّ القدرة على الإنتاج (الزواج) هو ١٥ سنة، وهو السنّ الذي وضعته التوراة وبعض الروايات لهابيل، و١٧ لقابيل، فدبّ الصراع الذكوريّ بينهما كما يرَوْن.
- سنفترض المستحيل وأقصر الآجال، أنّ حوّاء تنجب كلّ عام توأمين، ولا تهتمّ بالرضاعة والفصال، ولا تهتمّ بصحّتها ولا بتخطيط تربية أبنائها، فالنتيجة أنّه بعد سبعين سنة، سيكون لديها ١٤٠ ولداً، ٧٠ أنثى و٧٠ ذكراً، وسنفترض أيضاً أنّ قابيل قتل هابيل على رأس السبعين سنة مباشرة بلا فصْل، سيكون لدينا ١٥ زوجاً دون سنّ التكاثر، و٥٥ فوق سنّ التكاثر، منهم هابيل وقابيل، الذي قُتل أحدهما ونُفي الآخر بعيداً، ولم يبدءا بالتكاثر بعد. لكن لدينا ٥٣ حالة (زوج: غلام وجارية!) قابلة للتكاثر، آخرهم عمر الفتى فيهم سبعون عاماً، والذي قبله ٦٩، والذي دونه ٦٨ سنة .. وهكذا.
- لو بدءوا عمليات التكاثر، حسب الزمن الذي نضجوا فيه (عمر ١٥-١٧ الذي بدأ فيه صراع قابيل وهابيل على الفتاتيْن حسب الزعم)، لكان الزوج رقم ٧٠، والذي عمره ٧٠ سنة، قد أتى بحسب وتيرة الانتاج الغريبة المُدهشة، بـ ٥٥ ولدا أو أقلّ، والذي دونه بـ ٥٤ ولداً أو أقلّ ... حتّى نصل إلى الزوجين الذين قبل هابيل وقابيل ولديهما ولد واحد، أمّا أولادهم، فمن الـ ٥٥، والـ ٥٤، والـ ٥٣ ... الخ، هناك ٣٠ حفيد لآدم

من الأول، قادر على الإنتاج، و٢٩ حفيد من الثاني، و٢٨ حفيد من الثالث ...الخ.

- الخلاصة أنّ الرقم الموجود لدى آدم من أبنائه وأحفاده وأبناء أحفاده بعد ٧٠ بطناً، سيجاوز عشرات الآلاف. هذا بعد ٧٠ سنة (سبعين بطن) أي بعد ثلاثة أجيال، حتّى من دون استخدام (السفسطة الإنتاجيّة) أعلاه، لإنتاج آخر طبيعيّ ومعقول.
- أمّا بعد أن صام آدم عن الإنتاج ٥٠٠ سنة! وهؤلاء الأبناء والأحفاد واصلوا، و٥٠٠ سنة تعني لا يقلّ عن ٢٠ جيلاً، فسيكون لدى آدم على أقلّ احتمال الملايين من الأبناء وأبناء أحفاد أحفاد الأحفاد .. إلى ٢٣ جيل!

فالسؤال:

لماذا جزع آدم على هابيل ولديه ملايين الأبناء والأحفاد الطيّبون غيره، من الذين لم يُمارسوا وحشيةً ولا حسداً ولا قتلاً؟
لماذا واصل آدم ليُنجب شيئاً ولديه الملايين الطيّبون غيره، ١٣٨ من الصفّ الأوّل (الأبناء ناقص هابيل وقابيل)، والآلاف من الثاني (الأحفاد)، وعشرات الآلاف من الصفّ الثالث (أبناء الأحفاد) ... و (....) من الصفّ ٢٣!!!؟ أكلُ هؤلاء بلا قيمة كالغنم، أم قد نسي وجودهم الراوي، فتبخّروا؟!

(لو تجاوزنا وهن المحكيّات، سنرى في فصل لاحق، أنّ جعل آدم هذا هو آدمَ الرسول، ذا المواصفات الخاصّة، والمعمِّرَ ألف

سنة، الذي معه حوّاء أيضا، قد يفسّر جانباً حقّاً من مثل هذه الأخبار والمرويّات، باعتبار أنّه (ع) مأمور أن ينسل الذرّية الصالحة الكثيرة التي تُعمّر الأرض لتُصلح ما فسد من النسل الآدمي الهمجيّ الأوّل السائد وتعلّمه وتُحضّره).

ومنها قول المفسّرين تعقيباً على قوله تعالى: **(فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَى أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)**(المائدة: ٣١)، **((مكث يحمل أخاه في جراب على عاتقه سنة حتى بعث الله الغرابين فرآهما يبحثان فقال "أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب" فدفن أخاه.)** وعن آخرين: **(كان يحمله على عاتقه مائة سنة ميتا لا يدري ما يصنع به يحمله ويضعه إلى الأرض حتى رأى الغراب يدفن الغراب))**!![1]

فعدا عن أنّ القرآن يقول **(غراباً)** وهم يقولون "غرابيْن"! فالباقي نسْجُ خيال عن دنيا لا تنتمي لعالم البشر ولا تمتّ إلى العقل بصلة، فأيّ جثّة تصمد في جرابٍ لسنة؟ وأيّ ظهر خارق يحملها سنة؟ هل ينامُ بها متدلّية على ظهره؟! أم أيّ أنف بيولوجي يحتمل روائحها؟ أمّا مائة سنة فالأمر يتعدّى أقصى اللامعقول ليُصيبنا بضحكٍ هستيريّ! أمّا القرآن الذي أخبر أنّه يتلو النبأ بالحقّ لا

[1] – ابن كثير، **تفسير ابن كثير**، ج٢، ص٤٨. ومثله في: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٦، ص١٤٢.

بالخرافات المُضحكة، فلم يقل أنّ قابيل حمل جثّة أخيه هــذه الــسنين الإعجازية الخارقة!

بل وعلى عكس ما اشتُهر أنّ الإنسان قد تطوَّر وتعلّم الدفن من هذه الحادثة المؤسفة، القرآن لا يقول هذا، بل يقول أنّ قابيل تعلّم من الغراب شيئاً أراه عجزه عن مواراة سوأة أخيه. ولقــد كــان الــدفن معروفاً قبل زمن قابيل وهابيل[١]، منذ آدم الأوّل الإنسان المبدع العاقل المفكّر، فهذه أدنى الأشياء التي علمهــا الإنــسان الــذي كرّمــه الله بالارتفاع عن الحيوانيّة، منذ أوّل جيلٍ إنساني قال له سبحانه **(يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاساً يُوَارِي سَوْآتِكُمْ)**(الأعراف:٢٦)، وتعليم الــدفن أحد الألبسة المُنزلة التي تُواري سوأة الإنسان[٢]، لكنّ ظنّهم أنّ (قابيل)

---

[1] – البعض فعلاً قد قال (كان قابيل يعلم الدفن، ولكن ترك أخاه بالعراء استخفافا به)، (القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٦، ص١٤٢).

[2] – ذكرنا في بحث **(وعصى آدم – الحقيقة دون قناع)** أنّ مفردة **(لباســاً)** اسم جنس، وهي تعمّ كلّ الأمور المنزلة من أهل التدبير السماوي في الجنّة لآدم حين أُهبط ولبنيه الذكور، كلّ ما من شأنه أن يمنع الآدميّ من الإساءة لكرامته والحطّ منها (سوءات)، فإنّه يُواريها، واللباس الأفضل هو لباس داخلي يُسمّى (التقوى) **(ولباسُ التقوى ذلك خيرٌ)**، فما هي السوءات التــي قــد تُهــين الآدمي لو فقد تقواه أو لو لمْ تتوفّر له فقد يصير كالحيوان المتوحّش يُصارع لأجلها؟ منهــا: ١– الحاجة إلى الأكل، ٢–الحاجة إلى الجنس، ٣– الحاجة إلى الستر البدني ٤– الحاجة إلى مــأوى ٥– الحاجة إلى قضاء الحاجة بستر (مرحاض وحمّام) ٦– الحاجة إلى الدفن، تلك أمور تحتــاج لباساً موارياً لها (ضرورياً)، ولباساً (ريشاً) (تقويةً وكمالاً)، فاللباس الذي أنزل لبنــي آدم منــه مادّي، أربع نساء مخلّقات للزواج من الجيل الأوّل تقي الأبناء سوأة الجنس، ومنها (غير مادّي) تعاليم تعلّمهم كيفيّة الستر، واتّخاذ السكن، وصناعة اللباس الطبيعي، وكيفيّة قضاء الحاجات وأين، وكيفيّة الدّفن أيضاً، وكلّ ما يستر سوءات الإنسان ويحفظ كرامته حيّاً وميّتاً، هو مــن اللبــاس المواري المُنزَل ربّانياً مادّياً أو معنوياً.

ثالث مخلوق إنسانيّ على الأرض هو الذي أوحى لهم بفكرة أنّـــه أوّل قتل وأوّل دفن! مع أنّ القرآن قد أورد عبارات في القصّة مثل (**إِنَّمَـــا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**)(المائـــدة:٢٧)، (**وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ**)(المائـــدة:٢٩)، (**فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ**)(المائدة:٣٠)، (**فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ**)(المائدة:٣١)، إذْ يُمكن –مع أنّه ليس بالضرورة– اعتبارها تلميحات لوجود مـــصاديق إنسانيّة لـــ (متّقين، ظالمين، خاسرين، نادمين) إذّاك، لكـــنّ المعـــوّل عليه فعلاً هو قول هابيل (**إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَـــالَمِينَ**)(المائـــد: ٢٨)، ومفردة (**العالمين**) ليس معناها إلاّ مجتمعات النّاس[1]، عالَمٍ هنا، وعالَمٌ

---

[1] – كثيرٌ من المفسّرين يظنّون أنّ (**عالمين**) تعني عوالم الحشرات والطيور والأسماك والحيوان والنبات والإنسان والجنّ وغير ذلك، وبعض العلماء سيّما العلميّين يُوسّعها لتشمل كلّ مـــا فـــي الوجود ممّا لا نعلمه في المجرّات الشاسعة والأكوان، وكلّ هذا خروج عـــن الـــسياق القرآنـــي وانفراط للّفظة، فهناك ألفاظ وتعابير قرآنيّة أخرى أدلّ على مآربهم وظنونهم مثل: (**مـــن دابّـــة**) (**أمم أمثالكم**) (**كلّ شيء**) (**ما/مَنْ في السماوات والأرض**) (**الخلق**) (**ما خلق**)، أمّـــا (**العـــالمين**) التي ترد في حمدنا لله ربّ العالمين، فهي مجاميع الناس المختلفة المشارب في كوننا الأرضي، وكلّ مجتمع (عالَم) .. له لغته وثقافته وجغرافيّته وتاريخه وظرفه وزمنه وانتماؤه لربّه، يتّـــضح هذا في آيات مثل قوله في بني إسرائيل (**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ**)(الـــدخان:٣٢) و(**وَآتَاكُمْ مَـــا لَـــمْ يُـــؤْتِ أَحَـــداً مِـــنَ الْعَـــالَمِينَ**)(المائـــدة:٢٠)، و(**سَـــلامٌ عَلَـــى نُـــوحٍ فِـــي الْعَالَمِينَ**)(الصافات:٧٩) ولا علاقة للحشرات ولا للمجرّات بنوح ولا ببني إســـرائيل ولـــم يـــتمّ اختيارهم إلاّ على المجتمعات المزامنة لوجودهم، وقول قـــوم لـــوط لـــه (**أَوَلَـــمْ نَنْهَـــكَ عَـــنِ الْعَالَمِينَ**)(الحجر:٧٠)، وقول لوط لهم (**أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ**)(الـــشعراء:١٦٥)، و(**إِنَّكُـــمْ لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ**)(العنكبوت:٢٨)، طبْعاً لا يُمكن تصوّر هـــذا الفعْل كقبيح في ذكور أجناس غير الإنسان، علاوةً أنّه يُمكننا تصوّر (اللواط) في أفراد إنـــسانيّة شاذّة قبل وجود قوم لوط، لكنّ انحراف مجتمعٍ (عالَمٍ) كاملٍ وانحلاله بهذه الفاحشة رجالاً ونساءً، حدَثٌ لم يُسبق، لذلك كبادرة يخسف اللهُ بالجميع بزلزال وبحمم بركانية، وقوله تعالى (**إِنَّ اللَّـــهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ**)(آل عمران:٣٣)، وهذه تُبيّن لنـــا أنّ

هناك، فالقرآن يقصّ الحقّ، والمجتمعات الإنسانيّة كمجاميع **(العالَمين)** موجودة وتملأ الأرض، فيها أفراد متّقون، وفيها ظالمون حينها، كما الآن.

وعلم الآثار قد أثبت فعلاً وجود مدافن ترجع إلى أكثر من عشرة آلاف سنة قبل الميلاد، أي قبل تواجد قابيل وهابيل في عشيرة قرب مكّة بآلاف كثيرة من السنين.

يُواصل القرآن وضع النقاط على الحروف، أثبت بقوله **(وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ)**(المائدة:٢٧)، أنّ تقييد التلاوة بمفردة "**بالحق**"[1] يُبيّن أنّ ثمّة تلاوة أخرى متداولة تتلو القصّة بغير الحقّ بل بتشويه، سواءً كان غير الحقّ هذا أنّهما ابنان مباشران لآدم الأوّل وهو أمرٌ

آدم الرسول فُضّل على مجاميع بشريّة كثيرة مُزامنة له، ولا تنطبق على آدم الأوّل لعدم وجود هذه (العالمين) الأناسيّة حينها. وأيضاً **(وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلّاً فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ)**(الأنعام:٨٦) وتفضيل مريم على نساء المجموعات البشريّة في زمنها **(وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ)**(آل عمران:٤٢)، وقوله في أصحاب المائدة **(فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَاباً لا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ)**(المائدة: ١١٥)، وأيضاً **(وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(البقرة:٢٥١)، فلا دخل لهذه المجاميع الإنسيّة في الآيات، مع عوالم طيور أو حيوانات أو جنّ أو ملائكة. فإن قيل فما الفرق بين **(العالمين)** و **(الناس)**؟ قُلنا أنّ **(الناس)** هي جمع إنسان من حيث هم أفراد، و **(العالمين)** جمع لمجموعات/مجتمعات إنسانيّة، لا جمع لأفراد.

[1] – "بالحق" متعلّق بتلاوة النبأ، لا بـ (ابني آدم) فلا يُمكن تفسيرها أنّها بمعنى (ابني آدم حقّاً) أي ابنان شرعيّان!! فالعبارة بالتمام تشبه الآيات: **(نقصّ عليك نبأهم بالحقّ)**، **(نتلوها عليك بالحقّ)** **(نتلو عليك من نبأ موسى وفرعون بالحقّ)**، القصّ والتلاوة هما اللذان بالحقّ، دليل أنّ هنالك موروثاً يُتلى ويُقصّ من اليهود والقصّاصين في هذه الشئون بالباطل أو بالتزوير والتحريف أو بالتخمين على أحسن الظنّ.

رأينا ورأى غيرُنا تناقضه العلميّ، أو أنّ قربانهما هو كما ذُكِـر، أو أنّ طبيعة الخلاف هو على اشتهاء قابيل الزواج من أخته التي جـاء معها في بطنٍ واحد بدلاً من الأنثى توأم هابيل التي لمْ تتـوفّر علـى جمال وافر! وقد غاب عن هؤلاء أنّ بطناً واحداً أو اثنـين لا يُلغـي منكر نكاح الأخوات، وهل يخفّ القبح بهذا الاستهزاء بالعقل، وهـل الأخ مع أخته يومنا هم التوأم فقط؟! بل أنّ هذه العقليّة قد قفزت على السنين التي تربّى فيها هابيل وقابيل وأخواتهم المزعومـات، وكأنّمـا منذ الولادة قد أوحى الله لآدم بتزويج هابيل وهو رضيعٌ من تلـك، أو كأنّ شعور قابيل تجاه إحديْهما كأختٍ له أشدّ من الأخرى لأنّه خـرج معها من بطنٍ واحد؟ ما هذا الاستخفاف بالدّين والفطرة؟ حالُ النّـاس كلّها والأسر الإنسانيّة خلال مديد التاريخ تُكذّب هذا.

أمّا تفريع القرآن على قتل قابيل أخاه بقوله: **(مِـنْ أَجْـلِ ذَلِـكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرائيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَـسَادٍ فِـي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَـا أَحْيَـا النَّـاسَ جَمِيعاً وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ بَعْدَ ذَلِـكَ فِـي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ)**(المائـدة:٣٢)، فهذا يُبيّن أنّ القصّة معروفة لدى بنـي إسرائيل فعلاً وإنْ تشوّهتْ حين تدوينها لتُتلى خاطئـة، أُعْلِمـوا بهـا تعليلاً لشرعة تجريم القاتل من بني إسرائيل وقتله جـزاء، أو يُعلَّـم بكونه قاتلاً ويُنفى خارج كيانهم (كما فُعل بقابيل).

كتب الله على اليهود أن القاتل يُقتل (**وَكَتَبْنَا عَلَـيْهِمْ فِيهَـا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ**)(المائـدة:٤٥)، وهي آية ٤٥ من المائدة التي ستأتي بعـد ١٢ آية، فلماذا يُقتل القاتل (الباغي) ولا يُعطى فرصـة ثانيـة بـين الناس؟ لأنّه كتبنا عليهم أنّ من مارس قتلاً واحداً عمداً فهو لن يُردَع لممارسة قتلٍ آخر وهكذا إلاّ بقوّة القانون، لأنّه يمكن أن يقتل النـاس المحيطين به جميعاً، أيّ أحد، كائناً من كان أمامه (ولو كان نبيّـاً أو خاتم أنبياء!)[1]، تماماً كمثل (قابيل) الذي قتل أخاه، فهل تُرى سيُراعي حرمة لأحد آخر حين يختلف معه؟! فكتب الله على بني إسـرائيل أن يُعامِلوا القاتل بينهم (في الجزاء والعقوبة) كمن قتل ناس القرية جميعاً بلا رأفة من أحد ولا أمان، لأنّه كقاتلٍ للجميع، فلا حلّ له إلاّ أن يُقتل إن أراد الباقون أن يحيوا ويأمنوا، أو يُنفى خارج مجـتمعهم بعيـداً، ومن ترك التوسّل بالقتل لأخذ مطلبه أو شهوته أو مهما كـان، فقـد جعل الآخر يعيش، فهذا كمن ترك الجميع يعيشون، وأيضاً من كـان له حقّ الاقتصاص فترك القاتل يُنفى من بين الناس خـارج المـوطن بدلاً من الإصرار على قتله، فهو ممّن أحيا الناس جميعاً لأنّه قتل في نفسه شهوة القتل، ولأنّه منع أهل المُقتصّ منه أن تسري فيهم النقمـة عليه كونه قتل أحداً منهم ولمْ يعفُ[2]. كانـت معركـة فاصـلة بـين

---

[1] – أفادت عدّةٌ من المرويّات أنّ (قابيل) بعد مدّة جعل يتوعّد (شيث) النبيّ وأبناء شيث بالقتـل أيضاً.

[2] – على أنّ من أفضل المعاني لتعبير **(ومن أحياها)** ليس هو الإحياء المادّي، بل هو الإحيـاء المعنوي، فالنفوس الجاهلة ميّتة الروح، وإحياؤها بالعلم والفضائل، ومهنة الأنبياء هـو إحيـاء الناس، أي إيقاظهم من الهجعة الهمجيّة، إحياء أنفسهم بشعلة روح الحياة، لذلك قال تعالى **(أَوَمَنْ**

الهمجيّة والإنسانيّة، الهمجيّة تقول للواحد اقتل ولو أخاك، الإنسانيّة تقول للواحد اعفُ ولا تستخدم القتل حتى مع عدوّك، إلاّ إذا كان دفاعاً واضطراراً، أي قتلاً غير مقصود، ولا مخطّطاً له، وبغير همجيّة نفسانيّة وتشفٍّ، بل بالحقّ والقانون.

ولماذا قال (ابني آدم) ولم يقل (الآدميّين)؟ ليس لأنّ أباهم آدم الرسول فحسب؟ بل لأنّ الإنسان كان (ابن آدم) لتلك اللحظة على خلاف الهمج الذين هم (أبناء لا أحد)، لا أنساب بينهم ولا يتساءلون برحم ولا قرابة، فقانون الفطرة الآدميّة الواعيّة أوجَد أباً في الأسرة الإنسانيّة، له الأولاد أبناء، وهُم لبعضهم إخوة، علاقة مودّة ورحمة تمنع قتل الأخ أخيه، قانون الأسرة والقرابة يمنع هذا، الاجتماع الإنسانيّ يمنع هذا، فهو خصلة من الوحوش، الإنسان يحفظ أخاه، ويواري سوأته، ويستر عليه، ويدافع عنه، قبال نوع آخر هم الهمج، لا أن يقتله أو يأكله!

لقد سبق قتل قابيل لهابيل حوادث قتْل كثيرة، واكتشف العلم وجود حالات لإنسان عاقل مقتولاً أو مذبوحاً أو مضحّى به قد يرجع بعضُه إلى أكثر من عشرة آلاف سنة، فالقتل دفاعاً عن النفس، أو لصدّ غارات همجيّة، أو درءاً عن فساد كبير، بل أكل لحوم البشر للبشر من أبناء آدم (الهمجيّين) كان موجوداً قبل قابيل، لكن الأبناء

كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ(الأنعام:١٢٢)، فالآية قابلت بين فعلَيْن وُجدا في بني إسرائيل؛ القاتل والمُحيي، نبيّ يُحاول إحياء أنفس اليهود، واليهود يريدون قتل النبيّ.

المتحدّرون من آدم (الرسول) وحوّاء، السلالة النقيّة من الهمجيّة التي توطّنت أرض المركز وحظيت بالتعاليم والمتابعة ليكون للعالَم منها معلَّمون، والتأمتْ على السلوك السويّ، تحصل فيها هذه الحادثة النكراء بهذه الكيفيّة البشعة لأوّل مرّة، أن يُقتَل المرء، بل الأخ القرابيّ اللّصيق، ليس إلاّ لطهارته وتقواه وأهليّته![1]

فهابيل وقابيل كابنيْن لآدم (الرسول السريانيّ)، فردان من ألوف الألوف من سلالة آدم الإنسان الأوّل، وابنان (أو حفيدان) لآدم الرسول (آدم الثاني) من بين كثيرين في القرى، ظهرت النفسُ الهمجيّة في أحدهما، في مجتمع إيمانيّ صحيح الفطرة معتنىً به بتعاليم الربّ وتهذيباته (كبني إسرائيل تماماً)، بحادثة قتل متعمّد (سفك دم بريء)، طوّعتْ فيها دناءةُ نفسِ أحدهما قتل أخيه الطاهر من أمّه وأبيه، بدوافع حيوانية/شيطانيّة، فهي أوّل جريمة قتل داخليّة في الأسرة على الهوى أو الجشع الإنسانيّ في المجتمع الإنسانيّ الصفيّ، ليتبرّأ الأب من ابنه المجرم بعدها وينفيه عنه، وليبدأ بعدها تشريع التجريم وتقنين التحريم بعد أن كان موكولاً للفطرة الإنسانيّة،

---

[1] – بهذا يُمكننا أنْ نفهم ما رووا عن النبيّ (ص): "**لا تُقتل نفسٌ ظلماً إلاّ كان على ابن آدم الأوّل كفْلٌ من دمها؛ لأنه كان أوّل من سنّ القتل**". (الإمام أحمد بن حنبل، **مسند أحمد**، ج١، ص٣٨٣. وأيضاً: البخاري، **صحيح البخاري**، ج٢، ص٧٩. وأيضاً: مسلم، **صحيح مسلم**، ج٥، ص١٠٧. وأيضاً: الترمذي، **سنن الترمذي**، ج٤، ص١٤٨).
واضح أنّه (كابن لآدم) أوّل من سنّ قتل الظلم والغيلة في المجتمع الآمن النقيّ (الأسرة/العشيرة)، لا قتال الدفاع عن النفس أو الخطأ أو غيره، فهو أوّل خروج عن الدين (الذي هو: الفطرة مُعزَّزة بالتعاليم الربّانيّة).

فلم يكن قبلها أن يُخطّط أخٌ لقتل أخيه، تماماً كاستهلال قوم لوط (كقومٍ) بالمنكر ولم يسبقهم أحدٌ من العالمين (المجاميع الأناسيّة)، مثلما نسمع اليوم استخدام الأطفال حتى الرضّع في الجنس! فهذا أوّل حدوث له في مجتمعات انحطّتْ اليوم، وعن قتل الإنسان لسرقة أعضائه والتجارة بها فهذا بدْع أيضاً، وعن الممارسات الجنسيّة المنحطّة مع البهائم والحمير والكلاب، وعن الممارسات الجنسيّة المشتركة (رجل وإناث، أو رجال وأنثى) فكلّ هذا ما تفتّقت عنه عقليّات شيطانيّة مبتكرة على خُطى (قابيل)، وكأنّها تأبى إلاّ أن تخطّ بأقذارها سبيلاً يُردي البشريّة إلى وادي ينحطّ بكثير جدّا عن همجيّته التي سبقت كونه إنساناً!

أمّا زمان (قابيل وهابيل) فمع بدايات انحلال الأمّة الواحدة، حيث كانت السمة الآدميّة (الإنسانيّة) هويّة الجميع (آدميين=أبناء آدم) وإرث الجميع، بلا محدّدات أخرى، لا وطن، لا مسمّى للهجة، لا لون، لا تفاوت أديان وشرائع. بل الآدميّة البحتة الصالحة.

و- قابيل وهابيل السريان العرب

إنّنا نستطيع بدلالة الاسم، أن نُدرك للوهلة الأولى اللغة والظرف والزمن الذي بزغ فيه قابيل وهابيل.

كايين (Qayen) كما تُلفظ "بالعبري!"، يحتمل أنّه "كائن/كاين" أي هو حاصل، قدْ استُجيب وأُعطي[1] لوالديه بعد دعاء بطلب الولد،

[1] - لذلك عقّبت التوراة قولاً لحواء «<u>**اقْتَنَيْتُ**</u> **رَجُلا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ**»، ويلفظونها: qanah. وإنّ

كما أنّه محتملٌ جدّاً كونه من "قيْن" وهو الصائغ والحدّاد بالعربيّة الحديثة والقديمة[1]، وهذه مهنة مهما قدُمتْ فلمْ تُوجَد مع بداية الوجود الإنسانيّ.

أمّا (قابيل) كاسم في مأثورنا، أي (گاب إيل) وهي الجيم البدويّة أي جاب إيل، استجابة الله، استُجيب. فهو معنى (كاين) الأوّل نفسه أي كائن وحاصل وواقع ومُستجاب، وهذا يُبيّن أنّه الأكبر، وما زال إلى اليوم يُسميّ العرب أبناءهم (في مصر مثلاً) "جاب الله" ويلفظونه "گابْ الله"، أيْ أجاب وإجابة واستجابة.

هابيل احتمالان، لأنّ السريان يلفظون الحاء هاء أيضاً: ١- حاب إيل، محبّ الله ومحبوبه، أو حبّ الله. ٢- هب إيل: أيْ هبة الله وعطيّته، وهو الأقرب افتراضاً لا سيّما وأنّ التوراة تنطق الحاء لكنّها كتبته بالهاء (هَبِلْ הבל)، وفي الأثر الروائي سمّوا هابيل "هبة الله" والبعض قال أنّ شيثاً هبة الله، واختلفوا في أنّه ابن آدم أو ابن ابنه هابيل، فاختلط الأمر بين زمانين، فـ"شيث" هو الابن الأوّل لآدم الرسول[2]، لا لآدم العاقل القديم الذي لا يُمكن أن تصل الذاكرة

البعض لا يستبعد أن يكون تسمّى (كاين) بمآل الحال أنّه (خاين/خائن) (Khayin) والتي قد تُلفظ بالإبدالات الصوتيّة (كاين)، فقد خان أمانة الإنسانيّة، وخان الأخوّة، وخان الأمان فغدر بأخيه.

[1] – وديع بشور، **الميثولوجيا السورية**، ص ٤٥٤.

[2] – وجاء في **الطبقات الكبرى** لابن سعد ص١٢: "وبجبل نوذ نجر نوح السفينة ومن ثم بدأ الطوفان فركب نوح السفينة ومعه بنوه هؤلاء وكنائنه نساء بنيه هؤلاء وثلاثة وسبعون من بني شيث ممن آمن به فكانوا ثمانين في السفينة .." فهذا شيث ابن آدم الرسول وأين زمنه وأين آدم الأوّل؟

التاريخيّة له، ولم يُعقّب كما يبدو أبناء أصفياء لهم أسماء بل أبناء آدميين همجاً (من المعصية الأولى)، وجاءت المرويات بأنّ اسم "شيث" "أغيثوذيمون" (أغِيثو- ذي-مُون) إغاثة المُعين، أي استجابته بالولد الصالح، وهبة الله نفسها.

وشيث، أو سيث، قد تكون "شتّ" أو "شعث" أو "سئف" وكلها بمعنى التشقّق والانتشار والتفرّق، فكأنّ بداية النسل الإنسانيّ الصالح منه، أو هي "سِعْف" وهي الإعانة والإجابة والمدد، وقد يكون "سيدْ/ستْ" وهو السيّد ورأس القوم بلهجات عربيّة، ولا زال إلى اليوم تُسمّى السيّدة (سِتْ) في مصر والشام، وإنْ كان النصّ التوراتي في لفظه المسمّى (عبري!) يحتفظ ببعض التعليل (**تقرأ أت-شمو شت: كي شت-لي ألوهيم زرع آحر**)(التكوين ٤: ٢٥)، أي أنّ حوّاء (تقرأ اسمه (أيْ تُسمّيه) "شت/شيث"، كي (أيْ لأجل أنّ) شات لي (شاءت لي) ألوهيم (أي الآلهة: ملائكة الله) زرعاً آحر أي آخر)، فالاسم إذاً هو (شت) أي مشيئة قوى السماء، أي إرادة الله واختياره، أي هِبةُ الله، مرّةً أخرى.

وگابئيل وهابئيل (Heb-El)، أسماء بحسب نطقها وصياغتها سريانيّة كلهجة من العربيّة الأمّ القديمة، التي هي خزّان اللهجات كلّها، فهما اسمان يشبهان "جبرائيل" أي رجل الله وقوّة الله، و"سموعيل/شموئيل/صموئيل/إسماعيل/سمعان/ شمعون[1]" وهي

[1] – لو راجع المرء سبب ظهور هذه التسميات لرأى أنّها وردتْ ضمن سياق نصّي عن استجابة

لهجات بمعنى إجابة الله وسماعه أي سـمَعَ اللهُ واسـتجاب، ومثـل "إسرائيل" وهو يعقوب، أيْ أسير الله وعبده، لا كما قالوا أنّه صـرَع الله!

الصورة رقم (٢٣): يعقوب يُصارع ملاك الله الذي بزعمهم أنّه سبب تسميته (إصراع-إيل: إسرائيل)!

فلا يمكن أنْ يكون اسم ابني آدم الأوّل القديم "هابيـل وقابيـل" والاسمان سريانيّان، والسريانيّة كلهجة مُتأصِّلة لمْ تُوجد بعد، وبحسب التوراة فإنّه لمْ تظهر التسميّة باسم الربّ، سواءً كمعنى للـربّ مثـل "سر" و"مر" و"رب"، وهي أسماء تعني السيّد والربّ وهم أبناء "أنوش"

الله لدعاء أو مذلّة، فمثلاً حين ولد (ليئة) امرأة يعقوب، ورد في (التكوين ٢٩: ٣٣) **(وقالـت إنّ الربّ قد سمع .. فدعت اسمه شمعون)** وهو تصغير (شمع أي سمع) وهي الإجابة.

الثلاثة، إلاّ أيّام أنوش، ومن "سر" هذا وأبنائه فيما بعد انتسبتْ وتأصّلتْ لهجة السريان كفرع عن العربيّة القديمة. أو سواءً كإضافةٍ للربّ وملحقٍ مثل "نعمة الله، حبّ الله، سمع الله، هبة الله، مُهلّل الله، عبدالله .. الخ" طبعاً بالسريانيّة كـ "هابيل وقابيل ومهلالئيل" إلاّ بعد أنوش، فقالوا (**وَلِشِيثَ أَيْضا وُلِدَ ابْنٌ <u>فَدَعَا اسْمَهُ</u> أَنُوشَ. حِينَئِذٍ ابْتُدِئَ أَنْ <u>يُدْعَى بِاسْمِ</u> الرَّبِّ**)(التكوين ٤: ٢٦)، والذي نُرجّحه أنّ عبارة "**يُدعى باسم**" بدلالة نفس العبارة "**فدعا اسمه**"، أي كلتاهما بمعنى أنّ المواليد صار في أسمائهم قراءات ربوبيّة، حيث أنّ النسخة المسمّاة بالعبرانية توحّد هاتين العبارتيْن بقولها أنّ شيئاً "قرأ شِمْ" (qara shem)، ثمّ الناس بعد أنوش أيضاً "قرأ شَمْ"، حيث الشين سين و"شِمِ" هي "اسم"، فمنذ عهد أنوش بدأت قراءة الأسماء منسوبة للربّ، أو تُحاكي الربّ، كما أسلفنا بيانَه.

ثالثا- آدم ونوح وأحجية عمر الألف سنة

ربّما لا يسعنا النظر عميقاً في آثار آدم الرسول (ع) لاندراسها، ولا معرفة معالم مهمّات آدم كرسولٍ ومعلّمٍ للشعوب، لكنّ القرآن والروايات والتراث قد ربط بين آدم ونوح بقوله تعالى (**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً**)(آل عمران:٣٣)، وقول الرسول (**أربعة سريانيون آدم .. ونوح**)، ومروي أنّ (نوح حمل عظام آدم معه في الفلك)، ومرويّات أخرى لدى طوائف أهل الأديان ومنهم المندائيّون،

فلذلك سنُحاول أن نسبر آدم في شخص نوح، ومعرفة سرّ عمر آدم المديد بكشف سرّ عمر نوح.

أ- نوح مرآة آدم

إنّ الله تعالى حين جمع بين آدم ونوح في قوله **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ)**(آل عمران:٣٣)، فكأنّما أقام آدم، كما أقام نوحاً، مقام توالي ذرّية إبراهيم، وتوالي ذرّية عمران. أي أنّ آدم ونوحاً عاشا حياة بعد حياة (لتكوين الذرّية الصفيّة)، (عُمِّر أحدهم) لذلك نقرأ في الروايات وفي التوراة أنّهما بلغا قريباً من ألف سنة، بل في التراث الأوّل أيضاً حتّى أنّ المندائيين أوردوا في كتابهم المقدَّس (الكنزا ربا): **(قال الحيُّ وهو مستوٍ على عرشه بين أنواره: ليكنْ الموتُ من نصيب أهل الدنيا إنْ آدم <u>عاش ألف عام</u> فليخرجْ من جسده قبل أن يشيخ وقبل أن تُوهنه الأسقام)**[1]، ونعلم أنّ نوحاً سمّته العرب (آدم الثانيّ)، بل أنّ بعض المرويّات عن أهل بيت النبيّ (ص) تُشير إلى أنّ عظام آدم وبدن نوح مدفونان (أو دُفِنا يوماً حين دُفِنا) في لحدين متجاوريْن[2]، حتّى أنّهما يُجمعان بزيارة واحدة **(السلام على آدم ونوح)**.

---

1 – **كنزا ربّا:** الكنز العظيم- اليسار، الكتاب الأوّل، التسبيح الأول، ص١، ٢. وانظر كذلك: **<u>http://bahzani.org/Maqalat</u> ordner/M78.html**

2 – هذا الخبر شائع، وأنّ مولانا عليّاً (ع) مدفون بجوار آدم ونوح (ع)، مع أنّ هناك أخباراً أخرى بأنّ آدم ونوحاً مدفونان في جبل أبي قبيس، أو منى، أو في البيت الحرام، أو في مغارة

نحن نفترض أنّ آدم الرسول (ع) عاش ألف سنة، وأنّ نوحاً (ع) ألف سنة،

زمن آدم كان بين ٦٠٠٠ إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م، ثمّ بين الألف الخامس إلى الرابع كان رسل وأنبياء كإدريس[1]، ثمّ بين ٤٠٠٠ إلى

الكنز (راجع مثلاً: ابن كثير، **البداية والنهاية**، ج١، ص١١٠)، وهي كلّها مناطق تقع في أرض المركز في مكّة أو حواليْها، ونعتقد أنّها الأصحّ، أمّا الخبر الأوّل، فقد يفترض لمن يُتابع مضمون الروايات بدقّة أنّ ثمّة (تابوتا خشبيا وحجريا خاصّا، نُحِت كقطعةٍ من الجبل المقدّس) قدْ دُفن فيه آدم (ع) مرّة، ثمّ احتمله نوحٌ بعظام آدم مع الطوفان الذي جاب أرض مكّة وجبالها، ثمّ أرجعها ودفنها مكانها بعد الانحسار، واحتفظ بالتابوت المقدّس ليُحمل فيه بدنه (كنعش) حين تُوفّي أيضاً، هذا التابوت هو إرث عزيز يُحتمل أنّه صار إلى النجف (محمولاً) مع ذراري نوح من النبيّين والصالحين الذين تفرّقوا، على نهر الفرات العربيّ الذي كان موجوداً آنذاك، ينبع من السراة ليلتقي مع فرات العراق، في نقطة التقاء تُشكّل بحيرة، ثمّ نضب فرات الجزيرة العربيّة بالآثار الجيولوجيّة السلبيّة لما بعد كارثة الطوفان وغيْض المياه وغوْرها، وصارت مع الأيّام تُدعى تلك المنطقة الرسوبيّة الجافّة (ني-جف) (نجف)، حيث (ني) اسم سرياني لتلك البحيرة، وجفّ النهر كلّه وغاض تحت الأرض وظلّ الوادي منه ليكون طريق القوافل ويبدو أنّه الطريق الذي سلكه الحسين (ع) إلى العراق من مكّة، عموماً؛ فالتابوت المقدّس دُفن في النجف التي هي مصبّ النهر المقدّس قديماً من قبَل أحد الصالحين أو النبييّن من سلالة نوح، فشهرة التابوت أنّه حوى يوماً عظام آدم، وبدن نوح، ولذلك ورد خبر أنّ الحسن والحسين حفرا حيث أشار أبوهما (ع) في وصيّته فوجدا خشبتيْن، وورد أيضاً (فإذا زرت جانب النجف، فزر عظام آدم، وبدن نوح، وجسم عليّ، عليهم السلام) (الطوسي، **تهذيب الأحكام**، ج٦، ص٢٣) (لمزيد من فهم أنّ مكّة وحواليْها، هي مقرّ الرسل المشهورين ومدفنهم، راجع بحث: **نداء السّراة، اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية).

[1] – سبقتْ الرسلُ ومنهم آدم الرسول (ع) نوحاً، لا كما قال بعض المفكّرين (كالدكتور شحرور) أنّ نوحاً هو أوّل رسول، لقوله تعالى (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**)(الشعراء:١٠٥)، (**وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ**)(الفرقان:٣٧)، ولقد فسّر الدكتور (الرسل) هنا بالملائكة المتمثّلة! مع أنّ الله لم يُرسل ملائكة، وإنْ بعثهم هداةً وتمثّلوا بشراً، لقوله تعالى في موقفيْن، موقف البداية (**يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ**)(الأعراف:٣٥) فالرسل من بني آدم، وموقف النهاية (**وَقَالَ لَهُمْ**

٣٠٠٠ ق.م، كان زمن نوح، لذلك ورد (كان بين آدم ونوح عــشرة قرون) أي ألف سنة[١].

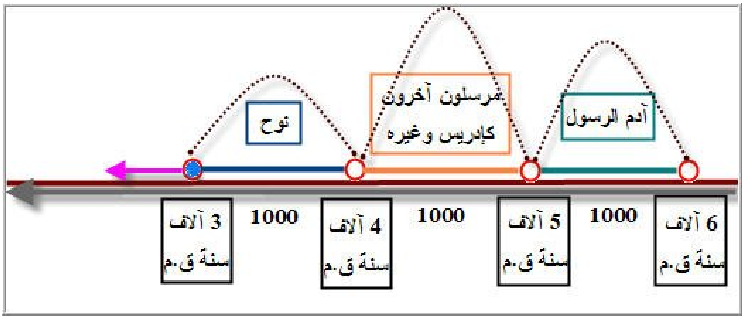

الشكل رقم (٧): رسم لفرضيّة زمن وعمر نوح وآدم

فلماذا هذا العمر المديد وكيف[٢]؟

خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ)(الزمر:٧١)، فرسلنا منّا ومن جنسنا، قال تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى**)(يوسف:١٠٩)، وردت ٣ مرّات، والآية مُغلقة تُخبر أنّ الرسالة للبقاع على طول الخطّ قد حملها رجالٌ من أهل القرى المحيطة بمكّــة، لا ملائكــة متمثلون.

[1] – الذهبي، **ميزان الاعتدال**، ج٤، ٢٥٢، وأيضاً: ابن حبّان، **صحيح ابن حبّان**، ج١٤، ص٦٩، والغريب أنّ البعض فسّرها أنّها بين ولادة آدم (ع) وولادة نوح (ع) فيُولد نوح بعــد وفــاة آدم بعشرات السنين فقط وهذا الرأي هو الذي ساد! بينما المفروض أن تكون المدّة بين وفاة آدم (ع) وولادة نوح (ع)، أو بين رسالة كلّ منهما، وكلاهما الأمر نفسه مع تسامحٍ تقريباً، فالفرق ١٠٠٠ سنة = ١٠ قرون بين الرسالتيْن، أو الرسوليْن، مع أنّ المدلول القرآنــي واســتخدامه لمفــردة (قرن/قرون) تدلّ على جيل وأجيال متتابعة، وباعتبار أنّ الجيل عمره عمر الإنــسان الطبيعــي الذي هو (٨٠–١٠٠ سنة) فعشرة قرون (أجيال) متتابعة لا متداخلة تُساوي ألف ســنة أيــضاً، والآيات المستخدمة لكلمة "قرون" مثل: (**وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ**)(القصص:٤٥)، (**ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُوناً آخَرِينَ**)(المؤمنون:٤٢)، (**وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ**)(مريم:٧٤)... .

[2] – لئن ثبت عمر آدم ونوح في حدود الألف سنة، والعلم لا يمنع من ذلك، لكنّه سادت خرافة في العقل التراثي أنّ جسم آدم أو أجسام الأوائل قد (تبلغ الجبال طــولا) وضــخامةً، أي عــشرات

ولتشابه المسلكيْن، سنطّلع هنا على (نوح) بدلاً من آدم، لـوفرة الآيات حوله، والآثار الكتابيّة والأسطوريّة عنه (ع).

ومع دحضنا لخرافة عالميّة طوفان نوح قبلاً، وعالميّة رسـالته (بمعنى أنّها ما كانت إلى شعوب الأرض كافّة)[1]، فهل تبقـى مـسألة (ألفيّة) عمره العجيبة، والتي تبدو وكأنّها من توابع تلـك الخرافـات، مستساغة؟ ولها ضرورة؟ أم تسقط هي الأخرى لانتفاء الحاجة إليها، إذْ نُوح بُعث في قرى قومه (السريان) فقط، برسالة إصلاحيّة إيمانيّـة محلّيّة، أعقبها طوفان هائل محلّيّ مُبيد؟

الأمتار، وهذا ينفيه العلم والآثار والمنطق، ولم يحتج آدم أن يهبط من الجبل فهو جبل بحدّ ذاته؟ ولا بناء كعبة كبيت له بهذا الحجم الصغير؟ ولا احتاج نوحٌ وقومُه ركوب سـفينة لأنّ ارتفـاع الطوفان ربّما لم يزد على ٢٠-٣٠ متراً في منطقته! فالهياكل البـشرية منـذ ملايـين الـسنين المكتشفة لا تدلّ على طولٍ سوى هذا المُشاهَد البالغ مترين، أزيد قليلاً أو أنقـص، وإن قويـت الأبدان ففي ثخن عظامها وبالتالي قوّة تحمّلها، وكلّ آثار الماضين التي ترجع إلى قبل ستّة آلاف سنة، كالمومياءات، والجماجم، والقبور، والتصاوير، والنقوش، والأدوات والأواني المـستعملة، والغُرف المكتشفة، تدلّ على هذا الطول الجسماني، ونجد مثالاً أنّ حجم قدمي إبراهيم (ع) فـي الحجَر المحتفظ به بمكّة للآن هو حجمٌ طبيعي (فطول القدم في السطح ٢٧ سم، والعـرض ١٤، وفي العمق ٢٢ والعرض ١١ سم)، ونجد آثاريّاً أنّ الدوابّ المسخّرة برعاية ربّانيّة خصوصيّة للإنسان، وأحافيرها، بنفس الحجم تقريباً أو أضخم قليلاً على مدى هذه الدهور (الجمال والخيـل والحمير والأغنام والبقر)، وأنّ النبات المسخَّر خصّيصاً له كالنخلة وبلحها أو بقيّة الفواكه هـي كما هي في الحفريّات، فتغيّر هذه الأجسام البشريّة من أمتار كثيرة إلى مترين سيحتاج معه إلى تغيير شامل لكلّ النسب في الكون والنبات والحيوان، وهذا أمر لا منطق فيه، والأدلّة ضدّه.

[1] - **طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

ب- لغز الألف سنة

قال تعالى **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ)**(العنكبوت:١٤).

- كيف لبث نوح في قومه ٩٥٠ سنة؟

- ما معنى عبارة (**ألف** (**سنة**) **إلاّ خمسين** (**عاماً**))؟ لماذا ليست: (ألف سنة إلاّ خمسين (سنة))؟ أو (ألفاً إلاّ خمسين سنة)؟ أو (ألفَ سنةٍ إلاّ خمسين)؟ أيْ لماذا أُقحمت مفردة (**عاماً**) في المجموع الحسابيّ؟ بل وأيضاً لماذا لم تكن العبارة فقط (تسعمائة وخمسين سنة) بكل بساطة ووضوح؟!

- ما الفرق بين العام والسنة؟

- أليس العمر الألفيّ المديد مدعاة إعجاز في نفسه؟ ألَم يكن عمر نوح المُعجز وحدَه كفيلاً بأن يُرعب قومَه ويروه آية؟ ولماذا لم يذكر القرآن لهم هذه الآية العمريّة، ولم يذكر غرابة هذا العمر لديهم؟ ولمْ يُشِر لنا أنّها (آية)؟ بل، لم يُدلّل عليه أبداً في سياق كلام نوح أو كلام قومه عنه؟ ولم تستبِنْ إشارةٌ قرآنيّة عليه سواءً في حديثه عن أهل نوح وأبناء نوح ودعوة نوح، الأمر الذي يجعل الأمور كلّها طبيعيّة تتّسق مع عمر حياتيّ طبيعيّ يتراوح بين الخمسين والثمانين؟

- هل يُعقل أن يدعو نوح ٩٥٠ سنة قوماً والحال أنّهم على الأقلّ ١٩ جيلاً (من عمر الخمسين: ١٩جيل×٥٠سنة=٩٥٠سنة مدّة بقاء نوح فيهم)؟ أم كانت أعمارهم مديدة وإعجازيّة كعمره؟ فهذا منافٍ للتاريخ والطبيعة البشريّة العامّة، فرد واحد يُعقل هذا عنه، بخارقة ربّانيّة له واختصاص حكيم، أمّا القوم المكذّبون كلّهم فهذا خرق لا خارقة، الطبيعة تقول أنّ الرجل يبلغ أشدّه ٤٠ سنة بشهادة القرآن ثمّ يهبط ويذوي من بعد القوّة ضعفاً وشيبة، فكيف يصل إلى ١٠٠٠ سنة من دون تدخّل إلهيّ خاصّ يُوقف ساعة العمر ويحفظ ساعة الأشدّ دائمةً؟! ثُمّ أنّ القرآن أثبت أنّ المكذّبين لنوح هم جيلٌ أو جيلان ولو زادوا فثلاثةٌ فقط، ليستحقّوا بعدها هم وحدهم العذاب، لا غيرهم.

لو عاش قومُه معه ١٠٠٠ سنة لانتشرت من المكذّبين به الملايين بل المليارات من أنسالهم المكذّبين أيضاً، ولصار كلّ شخص يرى الملايين من أحفاده حتّى الجيل الخمسين من نسله؟!

- كيف يعيش داعياً فيهم مئات عديدة من السنين ثمّ يستخدم القرآن وِحْدة زمانيّة للدعوة (**ليلاً ونهاراً**) وهي لا تدلّ إلاّ على دعوة طبيعيّة، تمارس الليالي والأيام؟ وكيف نزعم وجود عشرات طبقات الأجيال والأحفاد من أعدائه وهو لم يذكر إلاّ جيلَ الأولاد (**قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً**)(نوح:٢١)، و(**وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ**)(نوح:١٢).

- هل لنا الحقّ أن (نلوي) الآية، لتناسب المنطق العقليّ والتاريخيّ والعلميّ؟ كأن نجعل من (نوح) جنساً مثلاً يعني عدّة رسل (سلالة نوحيّة، آل نوح)، أو نجعلها "دعوةً" و"رسالةً" امتدّت ١٠٠٠ سنة رُمِز لها بنوح باعتباره أشهر رُسلها، لا أنّه رسولٌ فرد؟

- أو ربّما نفترض أنّ نوحاً لم يُوجَد تاريخيّاً قبل (٥٠٠٠ سنة فقط) مع أنّ عصر الإنسان العاقل علميّاً وقرآنيّاً بدأ فقط منذ قُرابة ٥٠ ألف سنة، وأدوات الحضارة كالبيوت الخشبيّة والسفينة والزراعة لم تظهر إلاّ في العشرة الألفيّة الأخيرة، فلماذا لا نفترض أنّ نوحاً ربّما عاش قبل مليون أو مئات الآلاف من السنين؟! حيث (السنة) بتلك الأزمنة السحيقة كانت قصيرة جدّاً (ويومُها كان محدود الساعات يصل إلى ٣ ساعات! بحسب قول البعض!) متغافلين أنّ هذا يُهوِّن شكوى نوح (**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً**)(نوح:٥)، إذْ ما أهون الدعوة لساعتيْن أو ثلاث!

فالمحصّلة أنّ سنتَهم ستُعادل أجزاء من سنتنا، ونوح عاش فيهم بمقدار عمر طبيعي حُسِب ١٠٠٠ بسنيّهم هم[1]! وكذلك قومُه لبثوا معه المدّةَ نفسَها، فلا اختصاص له وحده باللبث الطويل فيهم لأنّهم

[1] - كان الأولى بهذا الاعتبار أن يقول القرآن: (ولبث في قومه ألف سنّةٍ ممّا يعدّون) بزيادة عبارة "ممّا يعدّون" ليقينا طوالَ هذه المدّة من كلّ هذا الوهم الذي حصل، ولتكون دلالةُ القرآن مُبينة!

لابثون معه أيضاً[1]، وعلى هذا الرأي لمْ نجِد تفريقاً بين (السنة) و(العام)!!

- أو نقول، أنّ مفردة (ألف) ربّما لا تدلّ على عدد! (فإمّا أن يكون للسنة مقياسٌ آخر غير الذي نعرف، أو أنْ يكون ربط "العام" بحدث، بحيث يكون العام الواحد "الحول" أكثر من سنة، أي في كلتا الحالتين تكون النتيجة لا تساوي ٩٥٠ سنة من مقاييسنا. وهناك احتمال آخر أنْ تكون السنة من مقاييسنا ولكن لفظة "ألف" لا تعني عددا يساوي ٥٠٠ + ٥٠٠، ولكن تعني مجموعة من السنين حيث أنّ "ألف" تعني في اللسان العربي انضمام الشيء إلى الشيء والأشياء الكثيرة. ومنه جاء العدد "ألف" و"التأليف". أي "ألف سنة" عبارة عن مجموعة من السنين نقص منها خمسون عاما. ففي هذه الحالة أيضا لا تكون النتيجة (٩٥٠)[2]).

والسؤال الوارد هنا: هل يُعقَل أنّ القرآن يطرح (حسابياً) معلوماً من مجهول، ويقول لنا –وهو العربيّ المبين- أنّ نوحاً لبث في قومه مدّةً طولها = (س) سنين – ٥٠ عاماً! (حيث س= مجهول لا يعلمه إلاّ الله)؟!! هذا منطقٌ نحن لا نقوله، فلا يقول أحدُنا: سأتّصل بك بعد (مدّةٍ) إلاّ خمس دقائق!!

---

[1] – هشام عبد الصبور شاهين، **نوح بين القرآن والأساطير**، ص١٢١.

[2] – محمد شحرور، **الكتاب والقرآن**، ص٣٦٨.

- أو نعتبر الأمر طبيعياً لا يحتاج فحصاً، فلا فرق بين (سنة) و(عام)، وأنّ (التعبير بألف سنة إلا خمسين عاماً دون أن يقال: تسعمائة وخمسين سنةً، هو للتكثير)[1]، أيْ التكثير للسامِع بوقْع العدد (ألْف)، ولا ندري ما فائدة هذا التكثير الإيقاعيّ وتهويل الرقم (لفظاً) لنا؟ إلاّ أنْ يزيد الأمور لا منطقيّةً وفتنةً بالنسبة للسامع، فتعظم حيرتُه! والغريب أنّ هذا هو رأي معظم المفسّرين، يعبِّرون به أحياناً بجمل طويلة وأحياناً بإيجاز شديد، أمّا العام والسنة، فآراؤهم لا تخرج عن أنّها ضرورة بلاغيّة! (فإنْ قلتَ: فلم جاء المميَّز أوّلا (بالسنة) وثانياً (بالعام) قلتُ: لأنّ تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيقٌ بالاجتناب في البلاغة، إلا إذا وقع ذلك لأجل غرضٍ ينتجه المتكلّم من تفخيم أو تهويل أو تنويه أو نحو ذلك!![2])، فسبحان ربّي.

وتعليقنا: أنّ هذا الرأي يُحاول جاهداً أن يجعل ناتج عمليّة الطرح تقترب من عمرنا الطبيعي، أي أنّ: ١٠٠٠س - ٥٠ ع = عمر طبيعي. فإمّا أنّ (السنة وهي س) قصيرة جداً، أو أنّ (العام وهو ع) طويل جدّاً، أي أنّه سيجعل الأمر مع تغيير قيمة السنة أو العام وكأنّه (١٥٠-٥٠) أو (١٠٠٠-٩٠٠) ليخرج بناتج يُساوي قريباً من مائة مثلاً، ويُؤخذ عليه أنّه سيُخالف مفهوم السنة والعام الذي اجتهد ليتوصّل إليه الكاتب نفسه، فضلاً أنّه يزيد المسألة

---

1 - الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج١٦، ص١١٤.

2 - الزمخشري، **الكشّاف**، ج٣، تفسير سورة العنكبوت.

تعقيداتها لأنّه يبقيها في طور اللغز والمجهوليّة بعد أن جعل قيمة السنة أو العام غير ثابتة، أمّا أسوأ ما في الأمر فإنّه سيطرح كثيراً من كثير، وعادة العرب بالمنطق العقلي واللغوي أنّها تطرح قليلاً من كثير، كما قال القرآن (ألفا إلاّ خمسين) ولا يقول عاقلٌ (ألفا إلاّ تسعمائة) ولا أشباهها إلاّ على نحو النكتة!

عرضْنا هذه الآراء المتضاربة لعقولٍ من خيرة العقول المُفسِّرة والمفكّرة والجادّة، لنري القارئ أنّ المعضلة حقيقيّة، وأنّ القرآن لمْ يُفتَح بعد!

مخرجٌ غير نافذ:

قد نقترح رأياً، لا نظنّ أحداً احتمله، هو أنّ الذي لبث فيهم لا نوحٌ نفسُه بل

(إرسالُنا الرسلَ) لبث فيهم ألفَ سنة، باعتبار أنّ رسلاً قبل نوح قد سبقتْ نوحاً إلى تلك الأقوام، فظلّتْ الملائكة تتلبّث عن إهلاك قوم نوح وتُمهلها منذ أوّل رسول بُعث إليهم، حتّى ختمت الرسل بنوح إليهم في آخرِها، استغرق هذا الأمر ألف سنة إلاّ خمسين.

كأنّنا لو أعدْنا تعبير الآية بلغتنا البسيطة (<u>ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه</u>، كآخر فرصة، <u>فَ</u>بهذا (<u>فَ</u>عليْه) <u>لبث</u> (إرسالُنا رسلاً) <u>فيهم</u>، مدّة <u>ألف سنة إلاّ خمسين عاماً، فأخذهم الطوفان</u> على رأس تلك المدّة والمهلة، في عصر آخر رسول من تلك الرسل؛ فكان آخر فرصة بعد هذا اللّبث والتريّث الطويل، وهو نوح).

وبهذا نستطيع أن نقرأ الآيات هذه:

(وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً)(الفرقان:٣٧).

(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) مرسلين قبل نوح **(إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ)**(الشعراء:١٠٥-١٠٦).

وتكون الضمائر صحيحة في عودها إلى أمرٍ يُفهم في السياق، هو موضوع الحديث، لا إلى آخر لفظ:

(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلاَّ خَمْسِينَ عَاماً فَأَخَذَهُمْ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ* فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ)(العنكبوت:١٤، ١٥).

فبناءً على هذا الرأي، أنّ الذي لبث في الآية الأولى (ألف سنة إلاّ خمسين) ليس نوحٌ بل هو (الإرسال)، لأنّه المُتكلّم عنه.

والتي جُعلتْ آية للعالمين، في الآية الثانية، وهو الصحيح، ليست السفينة، بل العقوبة وحادثة إغراق أولئك المكذّبين، وهي ما زالت آية مُفزعة، وظلّتْ تُذكَر كآية في القرآن يُهدّد الله بها كلّ مكذّب ومنحرف عن الفطرة **(وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً)**(الفرقان:٣٧)، **(وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ)**(القمر:١٥)، فالإغراق، عقوبة المكذّبين، هو الآية، لا السفينة المذكورة.

آنفاً رأيٌ قد يرفع كثيراً من الإشكالات، ويبقى عمر نوح طبيعيّاً ومنطقيّاً كسائر الباقين، حتّى ولو تجاوز المائة عاماً أو قريباً منها، بحيث يُصبح (شيخ المرسلين)!

ومهما كان التفريق بين مفردتي (سنة) و(عام) فلن يُؤثِّر في هذا الرأي، سوى أنّه يُؤخذ عليه الآتي:

١- هل يجوز لُغةً أن يكون الإرسال (لبَثَ) فيهم؟ قال تعالى: (**فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِنْ قَبْلِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ**)(يونس: ١٦)، وقال: (**فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ**)(يوسف:٤٢)، (**وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلاً**)(الإسراء:٥٢)، (**وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ**)(الكهف:٢٥)، (**فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ**)(طه:٤٠)، فهناك ثلاثون ورودًا في القرآن لفعل (لبث)، كلّها على هذه الشاكلة من دون استثناء، أي تعني بقاء (أشخاص) في مكانٍ على حالٍ واحد زمنًا ما.

٢- أصحاب نظريّة النظام الرقمي للقرآن، اكتشفوا الآتي (معلوم أنّ نوحاً قد لبث في قومه ٩٥٠ سنة، واللافت للانتباه أنّ عدد حروف سورة نوح هو ٩٥٣ حرفًا، والملاحظة هنا، والتي تدعو إلى البحث أكثر، هي أنّ حرف الحاء في السورة قد تكرر فقط ٣ مرّات، وفقط في كلمات (نوح) الثلاث، أي أنّ حرف الحاء لم يرد في سورة نوح كلها إلا في كلمة نوح. فتأمل !!)[1].

---

1 – **http://www.islamnoon.com/ijazresearches.htm**

ونحنُ نضيف؛ إذا قُلنا أنّ اسم (نوح) ليس من (النـوْح/النياحـة) على قومه كما يُزعم، فنواحُه عليهم لا يُناسب شكره لعقوبة الله فيهم، وتُناقض من جهةٍ ثانية دعاء نوح عليهم بالإهلاك حين الطوفان نفسه[1]، فإنّ حرف الحاء في (نوح) ليس هو إلاّ مبدل عن السرياني نوخ (والإناخة هي اللبث والتوطّن والراحة بعد التجوال)، أي هو حرفٌ غير أصيل نُطقاً، ربما عرفنا السبب في عدّها ٩٥٣ بزيادة ٣، فهو حرف يُسقطه السريان نُطقاً ويُلفظ (نو Noah). والنوخ هو اللبث نفسه! أي أنّ اللبث المديد ارتبط باسم (نوح) نفسه! وأنّ (نوح/نوخ) كما يُلفظ في التوراة، تعني الإناخة واللبث الطويل تماماً، فالاسم دالّ على مراد الآية نفسه!

٣- إنّ جميع المرويّات عن النبي (ص) وصحابته وأهل بيته، اتّفقت بعدّة سياقاتها صحيحةً كانت أو مدسوسةً، على أنّ عمر نوح هو ٩٥٠ سنة، بل وجميع أفهام الصحابة والمسلمين لم يشذّوا عن ذلك، لا على أنّه تفسير موهوم ومكرِّر للآية، بل كأنّه معلومة مسلّم بها، حتّى عُرِف بشيخ المرسلين (في روايات، وفي زيارات نوح المرويّة)[2].

[1] - (**وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً**)(نوح:٢٦)، دعاء قاله نوح وقت إغراق القوم، بل أردف بطلب المزيد من الإهلاك لهم (**وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَاراً**)(نوح:٢٨).

[2] - لقد ساد في الثقافة الدينية عن طول عمر نوح حتى أنشد أبو العتاهية في الخيزران وجواريها حين مات المهدي:

نُحْ على نفسك يا مسـ ••• ـكين إن كنت تنوح
لتنوحنَّ ولو عمِّـ ••• ـرت ما عمر نوح

٤- مدوّنة التوراة بما لها وما عليها، إلاّ أنّها سبقت القرآن وجوداً، وفيها أيضاً أنّ عمر نوح ٩٥٠ سنة[1]، وهي لم تأخذ من القرآن معلومتها، والقرآن الكريمُ قطعاً لم يأخذ معلومته منها، فهو ليس الحال كما لو كانت "رواية" قد تكون مدسوسةً وغرضُها أن تحمل لنا معلومة التوراة بثوبٍ إسلاميّ.

٥- لقد أثبت القرآن وجود امرأتين لنوح واحدة نجت في السفينة وأخرى خانت ودخلت النار، فكيف حلُّ هذا، خاصّةً وأنّ الأساطير والتوراة تكلّمت عن الناجية معه في السفينة فقط؟

الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، ج ٩١، ص ٤٣٣؛ ورُوي عن النبيّ (ص): (لموقفُ أحدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يغبرّ فيه وجهه أفضل من عمر أحدكم ولو عمر عمر نوح) المتقي الهندي، **كنز العمال**،ج٣١، ص٢٤٩؛ أحمد بن حنبل، **المسند**، ج١، ص١٨٧؛ وعن أبي سعيد الخدري: (أنّ عمّارا قال لرسول الله (ص): وددتُ أنّك عمّرت فينا عمر نوح (ع)، فقال رسول الله (ص): "يا عمّار، حياتي خيرٌ لكم، ووفاتي ليس بشرٍّ لكم ...") الميرزا النوري، **مستدرك الوسائل**، ج٢١، ص١٦٣؛ المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٧، ص١٤٤؛ ولدى بعض طوائف المسلمين اعتقادٌ بأنّ المهديّ (ع) غائب وأنّ طول عمره يُشابه طول عمر نوح، وقد رووا بذلك روايات عن النبيّ (ص) وبعض أئمّة أهل البيت، ففيما رووا عن النبيّ (ص): (ويخرج ... قائمُ أهل البيت يملأها قسطا وعدلاً كما ملئت ظلما وجورا، له عمرُ نوح، وغيبة موسى، وحلم داود، وبهاء عيسى). علي بن يونس العاملي، **الصراط المستقيم**، ج٢، ص١٤٠؛ ورووا عن الإمام الحسين (في القائم منا سنن من الأنبياء، سنّة من نوح، وسنّة من إبراهيم ... فأمّا من آدم ومن نوح فطول العمر)، ورووا عن زين العابدين (ع) قوله: (في القائم سنّة من نوح وهو طول العمر) المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٥١، ص٢١٧؛ ورووا عن الإمام الصادق (ع): (إنّ في صاحب هذا الأمر سننا من الأنبياء: سنّة من نوح وهو طول عمره ...) القطب الراوندي، **الخرائج والجرائح**، ج٢، ص٩٣٦.

[1] - **(فَكَانَتْ كُلُّ أيّام نُوحٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَمَاتَ)**(التكوين ٩ : ٢٩).

٦- أثبت القرآن أنّ نوحاً، في الوقت الذي هدّد قومه بالطوفان، فإنّهم كانوا مهدّدين بالاستئصال من نقص الأولاد وهلاك المزروعات وغيض الأنهار وحبس الأمطار، ففي سورة نوح **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً* يُرْسِلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)**(نوح: ١٠- ١٢) فأين موقع هذا التهديد، وكيف بقيت أجيالُهم تسعمائة سنة في هذا الوضع البائس المُهلك ولم يُؤثِّر فيهم لا جفاف ولا قحط ولا عقم مع كونهم لم يستغفروا الله؟! بل كيف صار لهم أموال وأولاد حتى قال فيهم نوح في الأخير **(وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَاراً)**(نوح:٢١) وأخبر أنّهم إن ظلّوا **(وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)**(نوح:٢٧)؟!

فهل هناك رأيٌ غير هذا، يُعالج هذه الإشكالات، ويوفّق بين جميع المعطيات معاً؟ ولا يُقيم قواعده على حطام أخرى؟ مع العلم أنّنا -كما قدّمنا- حين نبحث عن سرّ عمر نوح الألفيّ فإنّنا نبحث عن سرّ عمر آدم الألفي أيضاً؟!

فرضيّة لحلّ الأحجية:

- **(وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً)**(الفرقان:٣٧).
- **(كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ)**(الشعراء:١٠٥).
- **(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)**(الصافات:٧٩).

- (وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّاراً)(نوح:٢٦).

إنّ المتأمّل في مجموع آيات القرآن المعتنية بنوح (ع)، قد يفترض أنّ نوحاً أُرسل إلى قومه في المنطقة العربيّة (سرْيان السَّراة) وهي بقاع مكّة (إقليم مكّة بكلّ قراه ونواحيه)، وكانت قرى كثيرة، فلبث فيهم يتنقّل بينهم لمدّة ١٠٠٠ سنة، لكنْ بطريقة غريبة ومجزّأة الأزمان وتبدو عاديّة جدّاً لديهم، من الألف (سنة) ثمّة خمسون (عاماً) لم يلبث في قومه (بتلك القرى) بل ينقطع ويحجّ إلى ربّه ويجول في البقاع، ثُمّ يُعاد إرساله لحقبةٍ أخرى مستأنَفة، لكن بهيئة رجل غير مسنٍّ، أي يتجدّد شبابه ويستأنف ساعة عمره!

فالتسعمائة وخمسون سنة هي مدّة الإرسال فعلاً، إرسال نوح في قرى قومه، وهي مدّة لبثه فيهم يدعوهم، ولكن كلّ قرية لها قسط زمني طبيعي من هذه التسعمائة المتطاولة، فنوح عاش ألف سنة، منها ٩٥٠ لبث بين قرى قومه يُمارس الرسالة والإنذار.

أمّا الأعوام الخمسون الباقية والمطروحة من الألف، فهي الأعوام التي خرج عنهم وتوقّفت الرسالة والإنذار، لتحدث فيها أحداث البأس بالقرى التي استوفت قسطها من الإنذار من قبَله (عام الجدب/ عام الطاعون/ عام الجوع/ عام الجفاف ..)، فكان نوح يخرج ويُبقي من آمن به إن صلحت القرية كوُلاةٍ عليها وحفَظة للنسل السليم فيها، أو يُوزّعهم رسلاً ودعاة في الأرض إن غلب الكفر

والفساد والإجرام على القرية، فيخرج من القرية لتهجم عليهم (عام أو أعوام) العقوبة والاستئصال بعد خروجه منهم.

فلو افترضنا –لغاية التوضيح الحسابي فقط– أنّ كلّ قريـــة أو بلدة كان يمكث فيها نوح لمدّة (خمــسين ســنة) يــدعوها للإصـــلاح وينذرها العقوبات، فعليه سيحتاج نــوح إلـــى ١٩ إرســالاً، أي ١٩ ممارسة لدعوة في بقعة من بقاع قومه غير التي سبق وخرج منهـــا، (هذا يذكّرنا بنصّ توراتي، ويذكّرنا بخطّة الربّ)، ١٠٠٠ سنة = ٥٠ × ١٩ = ٩٥٠ سنة (لبث) للـــدعوة + ٥٠ عامـــاً للـــبلاءات (تـــرك وخروج وانقطاع من قبل نوح)، وسيتبيّن شرح هذه الفرضيّة ودلائلها شيئاً فشيئاً للقارئ.

إذن، نوح (كآدم قبله) تمّ اختياره لمهمّة عظيمة، زمنهـــا يـــوم ربّاني واحد = ١٠٠٠ سنة (قمرية).

بهذا نجيب على سؤال آخر ومهمّ سبق وطرحناه، وله ارتبـــاط بفهم القرآن وتحكيم نظامه: لماذا لم يقل القرآن (فلبث فيهم تـــسعمائة وخمسين سنة)؟! فهي أكثر اختصاراً، وأضبط، وأسهل على الـــذهن، وأدلّ، وأقصر من مثيلتها العبارة القرآنيّـــة؛ إذ أنّ العبـــارة القرآنيّـــة تتكوّن من ٧ كلمات: **(فلبث- فيهم- ألف- ســـنة- إلاّ- خمـــسين- عاماً)** وهذه من خمس فقط **(فلبث- فيهم- تـــسعمائة- وخمـــسين- سنةً)**، بل قد استعمل مثلها بقوله **(فلبثوا في كهفهم ثلاثمائة ســـنين)**؟ فلماذا الإعراض عن الاختصار لجهة الإطالة؟ واســـتخدام الحـــساب

المعقّد الذي يلفّ ثمّ يرجع عدّاً، ويُربك من لا يعرف الطـــرح؟! ثـــمّ نزعم أنّ القرآن أدلّ كلام وأصدقه وأبلغه وأخصره، ومع ذلك نخالف الأمر في التفسير؟!

فالجواب يحصل عليه من يتّبع النظام القرآني كما هو لا كمـــا تراءى من جواب سريع، ذلك أنّ نوحاً لـــم يلبـــث فـــيهم تـــسعمائة وخمسين سنة كما يُظنّ، فهذا جوابٌ خاطئ من أصل لا أنّـــه لـــيس دقيقاً، بل لبث ألف سنة فيهم تماماً، كما قال القرآن، تخلّلها مجمـــوع خمسين عاماً متوزّعة في ثناياها (لاحظ الرسم التقريبي الافتراضي – الشكل رقم (٧))، هي مدد ترك نوح لبثه فيهم وتولّيه عنهم لتقع فـــيهم العقوبات التي وعدهم، فلم يتمّ تأخير القرى المُنذرة للأجـــل النهـــائي الذي سيأتي على عموم مناطق قوم نوح (أي الطوفان) بـــل انبتـــروا قبله، وكانت آخر بقاياهم اجتثّت بالطوفـــان، بعـــد مراكمـــة تـــشكيل الصالحين الذين سيّرهم نوحٌ رسلاً في الأقطار وظلّ بعضهم كورثـــة للأرض المباركة بعد غسلها طبيعيّاً.

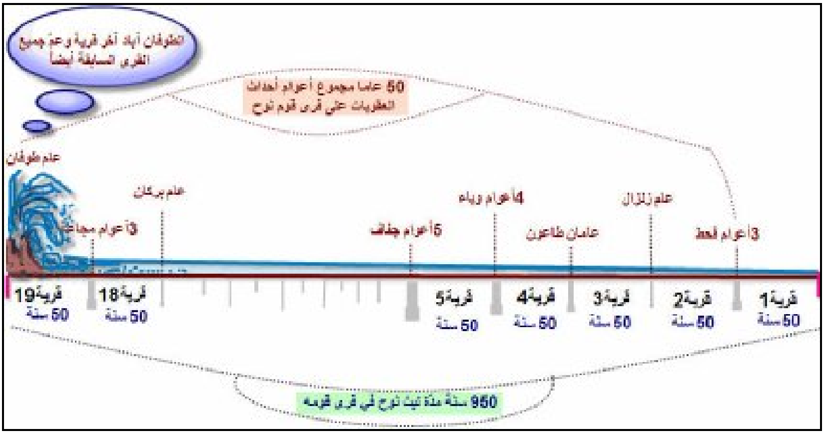

الشكل رقم (٨): بيانيّةٌ افتراضيّةٌ (للسنين) التي مكث فيها نوحٌ في قرى قومه، وتخيّليّة (لأعوام) العقوبات

ج- بين السنة والعام

اختلف المفسّرون واللغويّون في تحديد ما (السنة) وما (العام)، والبعض لمْ يُفرّق بينهما ومضى، إلاّ أنّ النتيجة المؤسفة أنّ كلّ ما توصّلوا إليه لا ينطبق على الاستعمال القرآني في آياته أبداً، ولا يصلح للتطبيق حتّى في آية واحدة جمعت (السنة) و(العام) كهذه الآية **(ألف سنة إلاّ خمسين عاماً)** حيث تمّ طرح الأعوام من السنين، فالبعض قال أنّ السنة شمسيّة والعام قمريّ، ونقول هل يُطرح القمريّ من الشمسيّ كما في آيتنا أعلاه؟ وكيف أنّ السنة شمسيّة والله يقول **(حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)**(الأحقاف:١٥)، فالحمل والفصال

والأشهر والسنين هنا كلّها قمريّة[1]، وقوله تعالى (**وَإِنَّ يَوْماً عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**)(الحج:٤٧)، واليوم الربّاني كألف سنة قمريّة تبدأ بليلة قدر (قمريّة بحسابنا) لتدبير الأمر وتنتهي بمثلها في نهاية اليوم الربّاني (أي الألف سنة القمريّة) لعروجه وتدبير غيره.

بل هل ينطبق تفريقهم هذا على آية يوسف (**قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً ... ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ ... ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ**)(يوسف: ٤٧-٤٩)، فكيف دخل (عام) الغوث وهو موسميّ شمسي، ليُصبح قمريّاً في (سنين) المواسم الشمسيّة؟! لماذا لا يتوحّد المعيار الزمني؟ كأنّنا نتكلّم عن ديسمبر ويناير، ثمّ نقول: وبعد ذلك يأتي صفَر!

والبعض قال أنّ (السنة) تدلّ على القحط، و(العام) يدلّ على الرخاء، لقوله تعالى (**ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ**

---

[1] – كلمة (شهر) بحدّ ذاتها تعني (القمر في وضع الهلال)، يخرج شاهراً كالسيف، وسمّي شهراً لأنّ اشتهار (أي ظهور) حساب الزمن به كساعة كونيّة متحرّكة العقارب، فبه عُرف تقدير الحساب لا بالشمس، لذلك سمّته العرب (مناة) بأوجهه الأربعة وما زالت كما هي بالألماني (Monat) وأيضاً (Mond)، وسُمّي القمر بالإنجليزية (مون Moon) والشهر (مونث Month) ويوم القمر (Mon-Day) وهو الاثنين، وكلّهما من الجذر (منى) أي قدّر وحسب، ولأنّه الوجه الذي يُراقَب دائماً ليُرشد الناس للجهة والزمن ومعرفة الحساب، صار المرشد والمرقاب المنظور له (Monitor)، ومنه قُسِّم الزمن إلى درجات دقيقة (Minute). ولأنّ (الشهر) كما قُلنا هو (القمر) نفسه في تغيّرات منازله، احتفظت اللغات بهذه الرابطة، فالألمانية (الشهر والقمر) كلاهما (Mond)، والإنجليزية كما بيّنّا بفارق تاء التأنيث (مون Moon، مونت/مونث Month)، والفرنسية الشهر والقمر (Lune) وأيضاً (Mois) وتُلفظ (مواه) وهي كالفارسيّة، فالفارسيّة الشهر (ماه) والقمر أيضاً (ماه)!

يَعْصِرُونَ)(يوسف:٤٩)، ولما أخرجه البخاري من دعـاء النبـي (ص): **(اجعلها عليهم سنين كسنيّ يوسف)**[1]، ولكن فاته قوله تعالى أنّ العام جاء في الكوارث والفتن أيضاً كقوله **(أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ)**(التوبة:١٢٦)، وتسمية "عام الحزن" وعام الخسف .. الخ، واستعمالات (السنة) في القرآن لا تساعد هذا وأحدها فقط قولـه **(وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ)**(الأحقاف:١٥) فمـا هو القحط هنا؟! وما هو القحط في تنزّل الأمر الإلهـي فـي يومـه **(كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ)**(الحج:٤٧) وعروج **(الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ)**(المعارج:٤)؟!

والبعض قال أنّ (السنة) تبدأ بالشهر الأوّل حتى الشهر الأخير، و(العام) يبدأ من نقطة وينتهي إلى مقابلها، وهـذا لا ينطبـق علـى الآيات أيضاً ولا على الاستخدام العربيّ، بنسبة الأحداث المهمّة إلـى أعوام، وهذا خلط مفهوم (العام) بـ (الحول) الذي يبدأ من نقطة فـي (عام) وينتهي بعد عدّ أيّام (سنة) إلى مقابل تلك النقطة في (عامٍ) تالٍ، قال تعالى **(وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ)**(البقـرة:٢٣٣)، و**(وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعاً إِلَى الْحَوْلِ)**(البقـرة:٢٤٠)، ثم أن آيـة **(وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً)**(الاحقاف:١٥) وغيرها ليست لمواليد محرّم أو يناير فقط!

---

[1] - البخاري، **الصحيح**، ج١، ص١٩٥.

إنّ (السنة) هي (العام) (وهي (الحوْل))[1] لو أردناهم بـــالمفهوم الحسابي الكمّي، إلاّ أنّ نسبة (السنة) إلى (العام) كنسبة الأيّام العاديّـــة كوحدة زمنية إلى أيّام الله (أيّام الملاحم والكوارث والأفعال المـــذكّرة بالسماء) والتي بها يُؤرّخ، وكنسبة خرزات السبحة إلى شواهدها وهي خرزات مثلها لكنْ مُعلّمة.

(السنة) هي حقبة زمنيّة (قمريّة أو شمسيّة) معيار لقياس مـــدّة زمانيّة. (العام) هو الحقبة نفسها لكنْ منسوبةٌ لظرف حدث (تـــاريخ: عام الفيل، عام الحزن، عام الهجرة، عام الفتح، عام الغـــرق، عـــام الطوفان، عام الغيث)، هي معيار حدث ومضمون؛ نقول مثلاً: منـــذ (عام الفيل) مضت ١٠٠٠ سنة، لا منذ (سنة الفيل)[2]، ولا منذ (حـــول الفيل). مع أنّ السنة تُساوي العام فعلاً.

فإذا أردنا الكلام عن محض زمن أخذنا بقياس الســـنين (**ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين**)، فالغاية رصد المدّة أنّهـــا كثيـــرة وهـــذا عددها، وليس الغاية مضمون تلك المدّة وأحوالُها (كالرقدة والتقليـــب والضرب على الآذان والغرابة).

---

1 – (الحول) لفظ من حال يحول، وهو أخصّ من السنة حيث يصلح فقط للمنقرضات ســـريعاً (كالرضاعة، وتمتّع المرأة المتوفّاة زوجها) وأشباهها، لذا غاية ما يُستخدم "حول" أو "حولين" لا أكثر.

2 – لقد توصّل الدكتور محمد شحرور إلى قريب من هذا، انظـــر: محمـــد شـــحرور، **الكتـــاب والقرآن**، ص٣٦٦.

وإذا أردنا أن نتحدّث عن حدَث المدّة، وعن مضمونها (**بل لبثتَ مائةَ عام**)، وتُؤرَّخ بأعوام اللبث لعزير النبيّ، أي أنّ الحديث عن حدَث الإماتة العجيب (اللّبث ميّتاً بلا تغيّر ولا تحلُّل مادّي) أنّه استمرّ مائة عام، لا على العدد (المائة) عام.

لذا لا نقول (حصل في سنة كذا)، فهذا حديث عن مضمون ما في الزمن، وهو حدَث، ينبغي أن نقول (حصل في عام كذا) لذلك قال القرآن (**أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ**)(التوبة:١٢٦) وقال عن النسيء الذي هو عمليّة عبث بتواريخ (أحداث/فترات) الحلال والحرام من الأشهر: (**يُحِلُّونَهُ عَاماً وَيُحَرِّمُونَهُ عَاماً**)(التوبة:٣٧)، والإحلال والتحريم هو لشهر حرام في ذلك العام، لا للعام كلّه كزمن، ولو وضعنا (سنة) مكان (**عَامًا**) لفسَد المعنى إلى غير المراد، ولصار معناه هكذا: (أنّهم يُحلّون شيئاً مدّةَ سنةٍ كاملة، ويحرّمونه السنةَ التالية بكاملها!!)، لأنّ (السنة) كمّ حسابي عدديّ، لذلك قال تعالى (**لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ**)(يونس:٥) لا (لتعلموا الأعوام)، ولا (عدد الأعوام) فالأعوام معلومة دائماً لارتباطها بحدَث، وليست عدّاً بل مضموناً حتّى وإن عُدّت فكمضمون[1]، وأيضاً (**أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ**)(السجدة:٥)، فالعدّ هو للسنين (**قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ**)(المؤمنون:١١٢).

لذلك نجد في القرآن أنّ السنين هي وحدة القياس:

---

[1] – كقوله: (**وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ**)(لقمان:١٤).

أمثلة: **(قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَباً)**(يوسف: ٤٧)، **(فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ)**(يوسف:٤٢)، **(فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِين عَدَداً)**(الكهف:١١)، **(وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعاً)**(الكهف:٢٥)، **(فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ)**(طه:٤٠)، **(قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ)**(المؤمنون:١١٢)، **(وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ)**(الشعراء:١٨)، **(أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ)**(الشعراء:٢٠٥)، **(قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً)**(المائدة:٢٦).

الآن: هل الإنسان عليه أن يعيش سنين، أم عاما بعد عام، أي هل يعيش أزمنة محضة، أم أحداثاً متوالية؟

الجواب:

نقرأ قوله تعالى: **(أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ ... قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ)**(البقرة: ٢٥٩) مات مائة عام، لا مائة سنة، لأنّه كان عليه أن يعيش أحداثها، لأنّه نبيّ، ولأنّ الإماتة الغريبة حدث ربّاني يُؤرّخ، بإمكاننا لو عرفناه أن نقول (أعوام إماتة عُزَيْر – قرن الإماتة – المائة العجيبة) أي الأعوام التي بقي فيها عزير ميّتا، وأوّلها (رقم واحد) عام الإماتة، وآخرها عام البعث (رقم ١٠٠)، ويبدو أنّ اليهود افتقدوه فأرّخوا لفقده وعودته، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها (**... وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ)**(البقرة:٢٥٩).

(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)(البقرة:٩٦) مجرّد حقبة زمانية، المهمّ أن يعيشوا.

(حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ ..)(الأحقاف:١٥) الكلام عن محض زمَنٍ قطعه أيُّ امرئٍ وبلغه، ولا يعقل أنّنا نبلغ أربعين (عاماً)، فما أدرانا ما في (سنيّنا) الأربعين أنّها مليئة بأحداث (أيْ هي أعوام) أم فارغة، ولا يهمّ، المهمّ الزمن الآتي التي تريده الآية (... **وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ)**(الأحقاف: ١٥).

باختصار: إذا أردنا الكلام عن محض الفترة، بلا لحاظ مضمونها، قلنا: أصابهم الجدب ١٠ سنين، مثلاً.

إذا أردنا أن نُؤرّخ بأحداث (إحداثية زمنية)، لقلنا (وُلد فلان في أعوام الجدب/في عقْد الجدب) باعتبارها فترة موسومة مُعلَّمة.

العلاقة بينهما تُشبه العلاقة بين الزمن والعصر، حيث الزمن للسنين (المدّة)، والعصر للأعوام (للحدث والسمة والمضمون)، كما تُشبه العلاقة بين الزمن (كحقبة محضة)، ومحدّد الزمن وهو (الوقت) كحقبة حدث، قال تعالى **(إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ)**(الحجر:٣٨)!

د- غاية الأعمار المُعمِّرة المديدة

يبدو أنّ آدم الرسول (١٠٠٠ سنة)، وإدريس (ع) (والخضر أيضاً وربّما غيرهم كما يُروى عن أعمار شيث وأنوش ...)، أُعطوا أعماراً كونهم رُفعوا إلى منبع الحياة وأُرجعوا إلى الأرض (شربوا من عين الحياة/ماء الحيَوان)، ليكونوا عُمّاراً في الأمم ويُمارسوا خلافتهم الكاملة الفاصلة بين ليلتي قدر ألفيّتيْن، مدّة يومٍ للربّ، مقداره ألف سنة، قبل تبديل الأقدار بخطّة أخرى، فصاروا رسل حضارة وإيمان ونبذ الهمجيّة وتحسين (تطهير) السلالة الإنسانيّة في الآفاق، ونوح (ع) مثلهم، ولقد نُسِب عن ذي القرنين، بما يُشبه هذا، فهم من نشر الذرّية الإنسانيّة المعدّلة في الآفاق، وأنسنوا السلالة الإنسانيّة القديمة (لذلك لمّا انتهت هذه المهمّة نرى أعمار الأنبياء عادت قريباً من طبيعتها المعروفة).

فنوح (ع) مارس الرسالة لمدّة ١٠٠٠ سنة، ٩٥٠ (سنة) منها لبثها كمجموع مُبعثَر في قرى قومه السريان، خمسون (عاماً) لم يلبثها فيهم؛ لأنّها أعوام الأحداث التي أصابت من عُوقب من تلك القرى، ومنها تُحسب وتُطرَح أعوام (عام الطوفان الأخير وعام الانحسار بعده) ... تلك الأعوام هي التي يختفي فيها نوح ويجول ليُمهّد للانتقال برسالته إلى قرى أناس آخرين من قومه، كشخصٍ ورسولٍ جديد فيهم.

فحين أخبر سبحانه عن اليهود الذين واجهوا تجديد الرسالة **(وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ**

لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ)(البقــرة:٩٦)، فليس عبثاً ولا مبالغة ولا خيالاً أجوف، بل هم فعلاً يتمنّون (ألف سنة) بالعدّ، لأنّهم يعلمون إمكانيّتها لعلمهم بحصولها قبلاً في عمر آدم ثمّ بالأخصّ نوح، والروايات أتت بشبه هذه الصياغة **(لو عمّر عمر نوح)**[1] **(وددتُ أنّك عمّرتَ فينا عمرَ نوح)**[2]، والله لم ينفِ قابلية هذا التعمير بل عقّب بقابليّته **(وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ)**(البقرة:٩٦).

فنوح اختير من الربّ رسولاً في سنّ معيّنة، وسنفترض (للتبسيط الرياضي فقط) أنّه أُرسل لمجموعة من القرى/المجتمعات حول المركز (السراة)، لتسعة عشر مجتمعاً/عالَم (سلامٌ على نوح في العالمين)، وكلّهم من قومه السريان في ١٩ قرى حوالي مكّة، جاء إحدى قرى قومه السريان ودعاهم ٥٠ سنة[3]، ولا ندري النتيجة، لكن

---

[1] – الإمام أحمد، **المسند**، ج١، ص١٨٧، والحديث هو: (والله لمشهد يشهده رجل يغبرّ فيه وجهه مع رسول الله (ص) أفضل من عمل أحدكم ولو عمّر عمر نوح (ع)).

[2] – المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٧، ص١٤٤، من قول من عمّار لرسول الله (ص).

[3] – الـ (٥٠ سنة) هنا، افتراضيّة محضة لتيسير التقسيم، والفهم الحسابي، ولا علاقة لها بالواقع التاريخي، وإنّ دعوة مجتمعٍ ما خمسين سنة تسمح لهداية ٤ أجيال على الأقلّ، فالجيل الأوّل الكبار (افتراضاً) الذي كان عمره ٥٠ سنة، سيحظى بخمسين سنة دعوة مع بلوغه المائة مع نهاية الدعوة ورحيل نوح، والجيل الثاني الشباب الذي كان عمره ٢٥ سنة سيحظى بخمسين سنة دعوة ويُصبح عمره ٧٥ مع نهايتها، والجيل الثالث الذي كان رضيعاً سيحظى بخمسين سنة دعوة ويُصبح عمره خمسين مع انتهائها، والجيل الغائب والذي باقي عليه ٢٥ سنة لحين ولادته، سيحظى بعد ولادته بخمسة وعشرين سنة من بقيّة الدعوة ليُصبح عمره ٢٥ سنة مع نهايتها، فأربعة أجيال (الجدّ والأب والابن والحفيد) لتعديل النسل الإنساني ليعود إلى الفطرة، فرصة كافية جدّاً وعادلة.

ندري أنّه أدّى ما عليه وبلّغ رسالات ربّه، وآمن من آمـــن وأرســـل بعضهم إلى الآفاق، ومن أفسد أنذره بالعذاب، وإن لم يتوبوا يُنـــذرهم بأنّ هذه آخر سنة (السنة الخمسين) ليتوبوا، فإن تـــابوا جعـــل فـــيهم الصالحين من ممثّليه، وخرج عنهم، وإلاّ فيضربهم الـــربّ (بـــأعوام) الأحداث والتي تمتدّ لسنة أو سنين، مشابها لقوله تعالى (**وَلَقَدْ أَخَـــذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ**)(الأعراف:١٣٠).

ولقد قيل (**وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَبِـــيٍّ إِلَّـــا أَخَـــذْنَا أَهْلَهَـــا بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ**)(الأعراف:٩٤)، فقد أُخِذت تلك القرى التي تلبّث فيها نوح في دورات رسالته بالبأساء والضرّاء قطعـــاً لأنّ الآية مغلقة لا تستثني أحداً، وقد بيّن نوح الكـــوارث التـــي أصـــابت قومه، من القرى، و(أعوام) الأحداث أشار لهـــا فـــي قولـــه (**يُرْسِـــلْ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً* وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُـــمْ جَنَّـــاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**)(نـــوح:١١، ١٢)، من مفهوم الآيـــة نُـــدرك أنّ القـــوم مصابون وضربهم الربُّ في هذه الأمور إذاً؛ فأحيانا لـــبعض القـــرى كان الجدب سواءً لتمنّع أمطار الغيم (سماء) أو نضوب سيول أعـــالى الجبال (سماء)[1] (**يُرْسِلْ السَّمَاءَ**)، أو موت الماشية وخراب الـــزروع بالأوبئة أو بالجراد أو بالرياح، (فقد الـــ (**جَنَّات**))، أو هـــلاك البنـــين (**وَبَنِينَ**) أو غيض الأنهار (**وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً**)، أو إرســـال الـــسماء (الأعالي) أشياء أخرى غير سيول المـــاء النافعـــة (حمـــم البـــراكين

---

[1] – (السماء) لغةً هي كلّ ما علا وهو شريف (مثل العلاء)، فله مصاديق كثيرة يُحدّدها السياق، فقد تعني الجبال، أو الجوّ، أو السحاب، أو العالَم العلويّ في بُعده الآخر.

والأدخنة السامّة مثلاً وراجمات الحجارة) (**يُرْسِلْ السَّمَاءَ**)، كما دلّت على ذلك أسطورة أتراحاسس البابليّة أيضا كما سيأتي.

فتتكسر (تلك القرية المحدّدة من قومه) أو يُمحق مُعظمهم لا كلّهم، وتنتهي حقبة رسالة نوحيّة إلى التي تليها، ليُعاوِد الكرّة فينتقل نوح إلى قرية أخرى لا تعرفه، بعد رحلة مقدّسة إلى الربّ يُجدّد فيها نفسه وشبابه[1]، فيدخلها بنفس العمر (كأنّه فوق الأربعين/كأنّه من الخالدين حسب أسطورة جلجامش)[2]، أو ربّما يعود فيهم على أنّه أحد أبناء نوح الأوّل ذاك، كنوحٍ ثانٍ (بهذا نعرف أنّ اسم (نوح) وصْفٌ لا اسم، ونُدرك تعدّد أسمائه في الأساطير التي هي أوصاف له)، يلبث (يُنيخ/نوخ) مرّة أخرى ويفعل الأمر نفسه، ويكرّر هذا ١٩ مرّة افتراضاً، ١٩ × ٥٠ = ٩٥٠ سنة، ونوح كأنّه دائماً فوق سنّ الأربعين حين يقدم. لا يثير إعجازاً لدى القوم ولا شُبهة، لذلك فهناك أكثر من تسع آيات تصف نوحاً بالرسالة والإرسال إلى قومه ولم تصفه بالابتعاث، كما قيل لمحمّد (ص) (**أَهَذَا الَّذِي <u>بَعَثَ</u> اللَّهُ رَسُولاً**)(الفرقان:٤١) و(**<u>لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً</u>**

---

[1] – شبيهٌ لهذه الحالة في قدرة الله الواسعة، ما ينال الأشرار من تجدّد أجسامهم لنيل نصيبهم من العذاب (**كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُوداً غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ**)(النساء:٥٦).

[2] – (لم يكن أوتونفشتم قبل الآن سوى بشر فانٍ، ولكن منذ الآن سيكون أوتونفشتم وزوجه مثلنا نحن "الأرباب") انظر مثلاً: وديع بشور، **الميثولوجيا السورية**، ص٣٢٨. وأيضاً: طه باقر، **ملحمة جلجامش**، اللوح الحادي عشر، ص١٦٤. وكذلك:
(Previously Utanapishtim was a human being. But now let Utanapishtim and his wife become like us, the gods!)
<u>http://www.ancienttexts.org/library/mesopotamian/gilgamesh/tab11.htm</u>

مِنْ أَنْفُسِهِمْ)(آل عمران:١٦٤)، لأنّ البعث من الدّاخل، والإرسال من الخارج، من قرية ثانية أو مجتمع أو جوار آخر، فيدخل نوح مُرسلاً لا مبعوثاً، إلى القرية الجديدة المنوطة بمهمّته، كأنّه في الأربعين ويخرج منها بعد كمال عدّته وكأنّه فوق سنّ الستين مع أنّ عمره الظاهري لديهم يبلغ التسعين (لذلك نرى جلجامش يسأل نوحاً سرّ الخلود، ويعطيه النبتة التي تعيد له شبابه الدائم (a plant that would renew youth)[1]، بغضّ النظر عن رموزها، ونرى السومريّين رهنوا زيوسدرا/أوتونافشتيم، بالربّ حيا/أيا أي المحيي، ربّ ماء الحياة، حوض الكوثر، المخلّص والمنجي -أنگي).

وبهذا، تنفكّ لنا إشكالية هلاك امرأة نوح أم نجاتها، فالقرآن الكريم سرد نجاة "امرأة نوح" كأهلٍ لنوح، لكنّه خصّنا بسرّ آخر أنّ امرأة نوح أُهلكتْ أيضاً، فكيف؟

إنّ امرأته الصالحة كانت معه في الفلك **(احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ)**(هود:٤٠) وأثبتت ذلك أسطورة جلجامش قديماً فأوّلاً:**(أصعدْتُ لداخل الفلك كلّ عائلتي وأقاربي)**، وفي النهاية مع ملاك الربّ: **(عندئذ صعد إنليل إلى السفينة، أمسكني بيدي، أخذني إلى سطحها، أخذ زوجتي وجعلها تجثو إلى جانبي، وقف بيننا، لمس**

[1] – After Gilgamesh made a dangerous journey (Tablets IX and X) in search of Utnapishtim, the survivor of the Babylonian flood, in order to learn from him how to escape death. He finally reached Utnapishtim, who told him the story of the flood and showed him where to find a plant that would renew youth (Tablet XI). **http://www.piney-2.com/Gil01.html**

رأسيْنا وباركنا: "حتّى الآن كان أوتونفشتم إنساناً فانياً، والآن صار مع زوجته مثلنا معشر الأرباب"[1]، ثمّ التوراة (**اخْرُجْ مِنَ الْفُلْكِ أَنْتَ وَامْرَاتُكَ وَبَنُوكَ وَنِسَاءُ بَنِيكَ مَعَكَ**)(التكوين ٨: ١٦)، فهذه غير المرأة الهالكة التي قال سبحانه عنها (**ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**)(التحريم:١٠).

ففي آخر خمسين سنة افتراضيّة (آخر دورة)، قد اكتفى نوح من تشكيل الأتباع والذراري الصالحة الذين ابتعثهم بعيداً عن المركز رسلاً ودعاة وبناة حضارات وهداة إلى النسل الصالح الرشيد، وقد اشتدّ الفساد في تلك القرى بحيث لمْ يعُد ممكنا إمّا جينياً وإمّا تربويّاً ولادة أبناء أسوياء على الفطرة حتّى من نوح نفسه (**قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ**)(هود:٤٦) فضلاً عن أبناء الفاسقين (**وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**)(نوح:٢٧)، فكأنّ آخر عذاب، وهو الاستئصال النهائي بالإغراق الكاسح للقرى جميعاً، موافق لما أُعْلِم عنه منذ بداية بعثه أنّه (العذاب العظيم) الذي عليه أن يُنذر به دائماً، بيد أنّ هناك "عذاباً أليماً" أيضاً، هذا كان يتبع دورة كلّ (أو معظم) الخمسين سنة الرساليّة الافتراضيّة، فامرأته التي قصّ القرآن أنّها أُهلكت لكنْ ليس بالطوفان هي (زوجة سابقة في أحد تلك الدورات

1 - اللوح الحادي عشر، أحد المصادر: وديع بشور، **الميثولوجيا السورية**، ص٣٢٨.

الرسالية – من حقب الخمسين سنة المفترضة) خانت الرسالة فأُهلكت بأحد العذابات (عذابات الأعوام التي يُحتمل أنْ تعقب كلّ خمسين سنة، لا الطوفان، فهذا آخر العقوبات) وربّما كان العذاب بركاناً نارياً كما حدث لزوجة لوط، لإشارة خفيّة من قوله تعالى (**امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ**)(التحريم:١٠)، مع أنّ النار البرزخيّة التي هي على يسار جنّة آدم، موجودةٌ الآن أسفل تلك الجبال المقدّسة، وتتلقّى بعذابها كلّ عاصٍ يموت، وأشارت مرويّات عدّة إلى وجود ما عُرف بوادي (برهوت) جنوب إقليم مكّة جهة اليمن.

ونحن نقرأ في أسطورة أتراحاسس (Atrahasis)[1] أنّ قومه مرّةً أفسدوا وصخبوا، فضربهم إنليل بالطاعون، وفي فترة لاحقة ضربهم بجفاف قنوات المياه والأنهار وغور الينابيع، وفي فترة ثالثة بالأمراض، وفترة لاحقة بالمجاعة والقحط وبالتراب المالح

---

[1] – سبق وأنْ حلّلنا معنى اسم نوح السومري هذا الذي دعوه (أترا–حاسِس)، وترجمه المستشرقون بناء على السياق أنّه (الفطن)، أنّه أحد ثلاثة أوجه تبعاً للإبدالات الصوتية لنطق السريان، ثمّ للترجمة الغربيّة مرّة أخرى للأحرف، إمّا:

أ– أثرى/أدرى حاسِسْ (أي أدرى الناس وأثراهم إحساساً بالمسئوليّة وبأمر السماء وأدراهم بالخير والشر، والسنن).

ب– إطرا خاصِص، وستُلفظ (إترا–هاسس) كما كتبها لنا الغرب (ومعناه المخصوص بالإطراء = سلام على نوح في العالمين).

ج– عترا خاشش، والسريان يقلبون الشين سيناً والخاء حاء، وستُلفظ (إترا–حاسس) (الذي خشّ العترة = احتفظ بالذّرية السليمة).

حتى أكل الأب ابنه[1]، يفعل ذلك مرّات كلّ مرّة يستأصلهم بعذاب مختلف، كلّ فترة عذاب تأخذ سنوات، ثمّ (تعود الحياة سيرتها الأولى) ويعود أتراحاسيس مرّة أخرى، وآخر عذاب ماحق للجميع هو ضربهم بالطوفان المبيد للجميع[2]، بل أنّ عمليّات الإبادة الجزئيّة للشرّير فقط كانت اقتراح ملاك الحياة (إيا)، مناشداً ربّ الروح (إنليل)، بقالبٍ أسطوريّ شعريّ المقصود منه الموعظة، حسب أسطورة جلجامش:

(حمّل المُخطئ وزر خطيئته، وحمّل المعتدي إثم اعتدائه، ولو أنّك بدلاً من إحداثِك الطوفان، سلّطْتَ السباع على الناس فقلّلتَ من عددهم .. وبدلاً من الطوفان لو أنّك أحللتَ القحط في البلاد، وبدلاً من الطوفان لو أنّ "إيرّا" فتك بالنّاس)[3]، فسّروا "إيرّا" أنّه إله الوباء والطاعون، ونرى أنّه من الفعل "أرّ" أي اتّقد، واشتعل، ومنه أوار، ومنه سُمّي (أوار) الحرب (War)، فـ (إيرّا) هو نار البركان،

[1] – قال الربّ إنليل: (فلتُقطع مؤونة الطعام عنهم، وليقل الزرع الذي يسدّ جوعهم، وليمنع "هدد- ربّ الرعود والأمطار" مطره عنهم، وفي الأسفل لتتوقف الينابيع عن التدفق، ولتعصف الريح وتجفّ الأرض، لتنعقد الغيوم دون أن ترسل مطراً، لتقلل الحقول من غلالها ..) انظر لترجمات عربيّة: فراس السوّاح، **مغامرة العقل الأولى**، ص١٧١-١٧٩.

("Cut off supplies for the peoples, Let there be a scarcity of plant-life to satisfy their hunger. Adad should withold his rain, And below, the flood should not come up from the abyss. Let the wind blow and parch the ground, Let the clouds thicken but not release a downpour, Let the fields diminish their yields"). **http://www.grisda.org/origins/11009.htm**

[2] – **http://home.apu.edu/~geraldwilson/atrahasis.html**

http://www.piney.com/Atrahasis.html

[3] – طه باقر، **ملحمة جلجامش**، اللوح الحادي عشر، ص١٦٣.

والذي بالضرورة سيجلب المزيد من الشرّ بفورانه من حرق وجثث وسموم وجوع وأوبئة.

فالتي صارت (**آية للعالمين**) وبقيتْ كذلك تاريخيّاً، هي ضربة الطوفان الماحق (لا السفينة، كما يُظنّ بأنّها الآية، فهي للآن لم تُكتشف)، الطوفان هو الآية المُخوَّفة لكلّ تلك المجتمعات والقرى (العالمين)، هو العقوبة المفزعة التي جرفت تلك القرى وأبادت ما عليها بلا رحمة، آية لمَن كان يعرف نوحاً وسبق منه إليه الرسالة في دورات سابقة في تلك الأنحاء والتي فيها ذراريه أيضاً، فقد أرسل إليهم رُسلاً عنه، باعتباره كان داعيهم يوماً، أن توقّوا العذاب العظيم الطوفان، توقّوه بالسفن أو بالهجرة البعيدة، فمن كذّب الرسل، رسل نوح ونوحاً، هذه المرّة، أُغرق (**وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَاباً أَلِيماً**)(الفرقان:٣٧)، المُغرقون جُعلوا للناس آية وأداة إغراقهم الطوفان آية، لكن نوح لم يكن أوّل رسول لهذه القرى بل سبقه رسل؛ آدم وإدريس وغيره، لقوله تعالى (**كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ**)(الشعراء:١٠٥) سواء هي تعاليم الرسل التي سبقته، أو الرسل غير المباشرين التي انتدبها هو لهم قبل مقدمه وحلوله فيها، حينما كان يُمارس دعوته في قرى غيرها، في إحدى دوراته الرساليّة التسعة عشر (كرقمٍ افتراضيّ طبعاً).

فمنذ أرسله سبحانه في أوّل دورة، أعلمه بأجل الطوفان المحدّد (أجل مسمّى) دون ألف سنة، ولديه هذه المدّة المحدّدة ليعمل على

تنقية الذرّيّة في المنطقة واستخلاصها، فمن آمن واستقام إنساناً ستبقى ذرّيته ومن كفر وأجرم ستهلك ذرّيته **(وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً)**(نوح:٢٧)، فقال لهم في الآية الرابعة من سورة نوح، أنّكم إن آمنتم: **(يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ)**، فما هو الأجل المسمّى، وما هو أجل الله الذي لا يُؤخَّر؟ هما واحد، بدليل العطف بلا فصل ولا حرف عطف، والجملة الثانية تعليل للأولى، أي مجيء أجل الله الذي لا يُؤخَّر هو علّة إمهالهم وتأخيرهم فقط إلى هذا الأجل المسمّى/أجل الله، فكأنّ الآية قالت طالما استغفرتم فسيُؤخِّركم الله إلى آخر أجلٍ وهو الذي لا يُؤخَّر إذا جاء، لأنّه طبيعي جيولوجي مُقدَّر.

فأجل الطوفان الطبيعيّ مسمّى (مُعلَّم/مُحدَّد) سيأتي دون الألف سنة، وأجلُ الله النهائي لإغراق باقي عصاة الفطرة به وعدم إنقاذهم، هو نفسُ تاريخه وموعده، هذه الدعوة أطلقها في كلّ دورة رساليّة، فتأخيرهم وإمهالهم إلى أجلٍ مسمًّى، هو حتى غاية حصول الطوفان كأجل مسمّى لا يُؤخَّر لأنّه طبيعيّ كونيّ وله غاية إلهيّة أيضاً لتنقية الروح، ينتج منه أنّ مَن آمن سيُستنقذ ومن كذّب سيُهلَك بعنادِه.

لكنْ التأخير إلى الطوفان **(وَيُؤَخِّرْكُمْ)**، يُبيِّن أنّه يُهدِّدهم بعقوبات أخرى مستأصلة تسبق الطوفان، وهي قابلة للردّ والتأخير إنْ آمنوا، ويُوقفها الاستغفار والإيمان والصلاح، هي قبل/دون أجل الطوفان الذي لا يُردّ، وهذه كما بينّا: طاعون، رمال، مجاعة، جفاف، بركان،

زلزال، أمراض وأوبئة، .. الخ، بعض القرى أصابها وآخر لإيمانها أُخِّر عنهم، خلال دورات نوح الرساليّة (خلال "نوخاته"/إقاماته فيهم، التي صيّرتْ أولئك "قومه").

وبهذا العمر المديد نستطيع أن نفهم كيف أنّ (التوراة) مع بعض الروايات، زعموا أنّ نوحاً أنجب (سام) ابنه وهو بعمر ٤٦٠ سنة، فـ (٤٦٠ ÷ ٥٠ = ٩ ويفضل عشر سنوات) بهذا الافتراض يعني أنّه (ع) أنجبه (سام) في الدورة الرساليّة التاسعة بعد (لبثه/نوخه) في تاسع قرية بعشر سنين[1]، وبهذا نفهم وجهاً آخر لقوله

---

[1] - بهذا يُصبح سام هو وصيّ أبيه نوح بعد ارتحالِه (ع) من تلك القرية إذا صلحت، أو أرسله داعياً مع المؤمنين به لحظة خروجه إذا فسدتْ القرية، ليُنشيء (سام وإخوته) قريةً بعيدةً تليق بالصلاح وبالصالحين، وربّما عاش سام كعمر طبيعي وتوفّي، فلم يشهد الطوفان، لا هو ولا حام ولا يافث، فهؤلاء كانوا أبناء نوح من حصيلة دورة حياتية واحدة سابقة، ولم تكن الدورة الخمسينيّة الأخيرة، فرواية التوراة مع صحّة بعض عناصرها إلاّ أنّها مؤلّفة ومخترعة، بل إنّ بعض الروايات تُبيّن أنّ مساكن سام جنوباً من الحدث فوق جبال السراة، كانت بمنآى عن الحدَث (لأنّهم من صنْف (**إلاّ مَنْ رَحِم**) على حدّ تعبير الآية القرآنية، فجبالُهم وموقعهم اختير بعناية ليعصمهم من الماء) بحيث يُحتمل أنّ نوحاً أوى إليها بعد انتهاء الكارثة.

بل أنّ ذراري أبناء نوح الذين أنجبهم من الدورات الحياتيّة الأخرى أكثر بكثير من سام وحام وغيرهما.

أمّا الدورة (أي الخمسون سنة الافتراضيّة) الأخيرة من أدوار عمر نوح الرساليّ الألفيّ، فمن المحتمل جدّاً أنّه لم يكن لنوح إلاّ ولدٌ واحد هو ذاك الذي غرق، كما قصّ القرآن وقال (**ونادى نوحٌ ابنَه**) ولم يقل (ابناً له) وكأنّه الموجود الوحيد المعروف ابناً لنوح، فنجي في الفلك نوحٌ (ع) فقط وأهله (زوجته) المؤمنة هذه المرّة كما بيّنت الأساطير أيضاً، ومن آمن معه.

وربّما أخطأ كهنة التوراة بتاريخ ولادة سام، فليس ولادتُه وعمر نوح (٥٠٠ سنة) بل وُلِد قريباً من آخر دورة حياتيّة لنوح، الدورة ١٨، (أي وعمره ٨٥٠ سنة، مع التأكيد أنّ نوحاً في هذا العمر هو بهيئة بيولوجيّة كابن خمسين سنة)، خاصّة أنّ التوراة جعلت الطوفان لـ (٦٠٠ سنة)

تعالى (**وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ**)(الصافات:٧٧)، ففي ختام المطاف، الذين بقوا في تلك المنطقة ونجوا كانوا يمتّون بالنسل إلى نوح، إذ كان يزرع نسله الصالح في كلّ قرية من القرى التسعة عشر (المفترضة) وضواحيها، ولم ينتهِ بعد ٩٥٠ سنة (وهو يبدو في سنّ التسعين؛ كأنّه ٤٠ سنة حين دخوله آخر قرية +٥٠ سنة الأخيرة مدّة لبثه فيها) إلاّ والقرى تلك مملوءة بالصالحين من ذرّيته ونسلهم، وبالطالحين أيضاً من ذرّيته (كابنه الغريق) وذراري غيره المجرمين.

أمّا أصحاب آخر حقبة أُرسل فيها، فليس فيهم أحدٌ من ذرّيته، هم ينتسبون للأمم السابقة كمثله تماماً، لذلك قال تعالى عنهم وعنه أنّه أخوهم (**إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ**)(الشعراء:١٠٦)، وأنّه لا يعلم مسبقاً عن ماضي مَن آمن به منهم (**قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا**

من عمر نوح، وجعلت ولادة سام وحام ويافث قبل الطوفان بمائة سنة تماماً، مع أنّهم ليسوا توائم بل "سام" أكبر إخوته، كما قالوا!

فقطعاً كان عمر سام وقت الطوفان أقلّ من مائة، ناهيك عن إخوته، لقول التوراة (**هَذِهِ مَوَالِيدُ سَامٍ: لَمَّا كَانَ سَامٌ ابْنَ مِئَةِ سَنَةٍ وَلَدَ أَرْفَكْشَادَ بَعْدَ الطُّوفَانِ بِسَنَتَيْنِ**)(التكوين ١١: ١٠)، إذ هذا يعني أنّ سام حين الطوفان عمره ٩٨ سنة ليُصبح بعد الطوفان بسنتين عمره ١٠٠! طبعاً هذا على أكثر تقدير، أمّا حام ويافث الأصغر فهم أقلّ من هذا العمر، ما يعني أنّهم ولائد الحقبة ١٨ (أيْ وُلدوا بين ٨٥٠-٩٠٠ من عمر نوح) وليسوا ولائد الحقبة ١٩ الأخيرة (بين ٩٠٠-٩٥٠) التي أنجب فيها نوح ابنه الغريق الوحيد، بهذا من المعقول أنْ يلتحق سام وإخوته بأبيهم، كزائرين من القرى المجاورة على أنّهم مؤمنون بالرجل (نوح) ويُساعدونه في بناء الفلك، لا على أنّهم أبناؤه، فهذا منافٍ للخطّة الربّانية الخفيّة وغريبٌ على القوم أن يكون الأسنّ ابناً للأصغر، فهم يبدون في سنّه (ع) أو أكبر منه قليلاً لدى الناس حين الطوفان ووقت الدعوة، وبهذا يصحّ احتمال أنّهم ركبوا السفينة معه.

يَعْمَلُونَ)(الشعراء:١١٢)، وأنّ مَن آمن به ليسوا من ذرّيته، بل من المؤمنين به فقط، بخلاف من ظلّ على الإيمان بالله من أصحاب القرى (الدورات الرساليّة) الثمانية عشر السابقة، فهنا في القرية الأخيرة (قوم نوح الأخيرين/الدورة التاسعة عشر) قال **(وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِي مِنْ الْمُؤْمِنِينَ)**(الشعراء:١١٨).

لقد انطلق نوح السريانيّ (ع) كآدم السرياني (ع)، من مكّة[1] ليُنذر ما حولها من القرى لترميم الفطرة الإنسانيّة، وهناك صنع سفينته من أخشاب جبال أرزها **(وأنشأ سفينته من خشب لبنان بين زمزم وبين الركن والمقام)**[2]، لذلك هدّد سبحانه أهل (مكّة) بالذّات باحتمال تكرار الكارثة إن أجرموا ومسخوا بواطنهم **(وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ* وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ* وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلا صَرِيخَ لَهُمْ وَلا هُمْ يُنْقَذُونَ)**(يس:٤١-٤٣)، إذ أنّ الطوفان جرفها وحيث **(الماء قد نضب وأوّل ما نضب موضع الكعبة)**[3]، وحيث أنّ بقاع مكّة هي الظاهر من بكّة الخفيّة الروحانيّة الرفيعة، حيث في "سرّتها" المقرّ الربّاني، وحيث "**أوّل بيت وُضِع للناس**"، وحيث منها تنطلق أمور التدبير والخلافة الربّانية لكافّة الناس، فمنها انطلق نوح (ع) كرسول، وهذا ما سجّلته أسطورة جلجامش، بالحرف الواحد، سجّلت هذه المعرفة السرّية التي لمْ يُبَح

[1] – وسبق أن ذكرنا أنّ اسم أب نوح (لمك) وتعني فيما تعني (المكّي) أي السيّد المثيل للربّ.

[2] – الرواية عن ابن عباس، انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٩، ص٤٣.

[3] – الرواية عن ابن عباس، انظر: جلال الدين السيوطي، **الدر المنثور**، ج٣، ص٣٣١.

بها لأحد قبلاً، فتعزو إلى (نوح) وهو المسمّى (أوتونفشتم)؛ (أوتو=حوطو أي المحيط والحافظ، نفشتم = جمْع "نفس"، نفوس، فهو حافظ النفوس)، تعزو إليه جواباً في حواره مع جلجامش ملك أوروك (العراقيّة) حين قطع الفيافي ورحل شرقاً إلى الجبال السبعة، جبال مكّة[1]، جبال السراة، ليلتقي بنوح في أرض الخالدين ومقرّ الأبرار، فيظهر له شبحُ نوحٍ هناك ويُكلّمه بهذا:

(يا ملك أوروك، يا أجرأ إنسان، هاكَ معرفةً لمْ تُكشف لأحدٍ قبلَك: حيثُ ينبع "الفرات" تقبعُ هناك مدينة تسمّونها "شورو-بك" (سرّة بكّة/ثور بكّة)، **مقرّ تلك الأرباب العظام؛ "إنليل"** (ربّ الروح) **أرسل هناك طوفاناً لإخماد الصخب البشريّ المتواصل، آنونو، آنو، إنليل .. (ثلاثتُهم) كانوا في شورو-بك** (سرّة بكّة)، **أمّا "إيا/حيا"** (الرابع) **فهو الذي همس بكلامه، عبْرَ قشّ سقف بيتي، لأصغي له، "إيا" اليقظ الدائم كلّمني** (أوحى إليّ)).

Utnapishtim said to him in swift reply:
"King of Uruk surely there is no one more bold

[1] - (فلم يزل البيت منذ أهبط آدم إلى الأرض معظما محرّما تتناسخه الأمم والملل أمة بعد أمة وملة بعد ملة، وكانت الملائكة تحجه قبل آدم، فلما أراد إبراهيم بناءه عرج به إلى السماء فنظر إلى مشارق الأرض ومغاربها وقيل له اختر، فاختار موضع مكة، فقالت الملائكة: يا خليل الله اخترت موضع مكة وحرم الله في الأرض ، فبناه وجعل أساسه من سبعة أجبل) (ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٦٤)، (سماء العروج: هي حيث المقرّ، حيث بكّة، لا خارج الغلاف الجوّي كما يُظنّ!).

Here is knowledge that no other has ever been told ..
Near where Euphrates born sits a city you call Shuruppak, home of those divine .
Enlil send from there a flood to stop noisy human babbling all the time.

Anunu, Anu, and Enlil were at Shuruppak.
But it was Ea who did speak in whispers through my roofly straw to tell me to attend to what he says: Ea the ever vigilant did to me speak)[1].

فالنصّ جليّ جدّاً، أنّ المدينة التي سمّوها (شوروبك) في العراق لا علاقة لها بحدث الطوفان البتّة، لأنّها في جنوب العراق (شمال أوروك قليلاً)، وتقع على ضفاف فرات العراق، لا أنّها منها تبدأ منابع (الفرات) بل الفرات العراقي ينبع من هضاب أرمينيا وتركيا على بُعد أكثر من ألف كيلومتر عن التي سُمّيتْ بعدئذٍ "شوروبك" العراقيّة! فالفرات المتحدَّث عنه (فرات) الجزيرة العربيّة الذي كان ينبع من الجنّة (كما تقول التوراة، والروايات الإسلاميّة) وينحدر شرقاً من السراة ليسقي بريّة الجزيرة العربية، والمدينة/المقرّ التي جنبه تماماً هي سرّة بكّة (شورو-بك)[٢]، لا "بكّة" بل "سرّة بكّة" أي أعلاها وأخصبها، حيث مقرّ الملائكة، وفي الأسطورة أنّ

1 - **http://www.mythome.org/gilgamesh11.html**

2 – شورو بالسرياني هي "شور" بالعربيّ، وهي التي وردت في التوراة كمعْلم لموطن أبناء إسماعيل حواليّ مكّة وجبالها (**وَسَكَنُوا مِنْ حَوِيلَةَ إِلَى شُورَ الَّتِي أَمَامَ مِصْرَ حِينَمَا تَجِيءُ نَحْوَ أَشُّورَ. أَمَامَ جَمِيعِ إِخْوَتِهِ نَزَلَ**)(التكوين ٢٥: ١٨).

(زيوسدرا–نوح) كان يسكن في مقرّ/معبد أيا (حيا) وأنّ الذي فــاض هو ماء أيا وهو أنكي وهو حوض الأبسو نفسه كما بيّنّا فــي بحــوث سابقة، ولك أن تقرأ:

The importance of Ziusudra in the King List is that it links the flood mentioned in the Epics of Ziusudra, Atrahasis, Utnapishtim, etc. to one specific flood of the Euphrates River about 2900 BCE. This river flood left sediments in Shuruppak, Uruk, and Kish. The flood hero was king of Shuruppak at the end of the Jemdet Nasr period (3100-2900) which ended with the river flood of 2900 BC.
Ziusudra being king of Shuruppak is supported in the Gilgamesh XI tablet by the reference to Utnapishtim as "man of Shuruppak" at line 23.
A Sumerian document known as "The Instructions of Shuruppak" dated by Kramer about 2500 BCE, refers in a later version to Ziusudra. Kramer concluded that "Ziusudra had become a venerable figure in literary tradition by the middle of the third millennium B.C.[1]

لقد ظنّ المؤرّخون والباحثون والمهتمّون أنّ وجــود الألــواح الطينية في العراق، التي تحكي وتؤرّخ ثبت الملوك، ووجــود ملــك الطوفان الذي دوّنته الملاحم الــسومرية والبابليــة والأكاديــة باســم زيوسدرا وأوتنفشتيم ثمّ أتراحاسس وهو نوح (ع)، أورثهم ظنّاً بــأنّ

---

[1]- **http://en.wikipedia.org/wiki/Utnapishtim**.

نوحا كان في العراق[1]، وأنّ الفرات الذي فـاض بالطوفـان فـرات العراق، وأنّ شوروباك هي شوروباك العراق، وهم معذورون، لكـن حقبة نوح صارت معلمًا لكل الشعوب العربيّـة، فـي العـالمين، أي تجمّعات شعوب المنطقة، فكان التأريخ بها، فالألفيّة الرابعـة (٣٠٠٠ ق.م) هي حقبة الملك زيوسدرا المذكور في الأسطورة البابلية، وليس الملك البابلي أو السومري، بل المؤرّخ سومريًا وبابلياً وأكاديا ثمّ فـي جزيرة العرب عبر كهنة التوراة والقرآن.

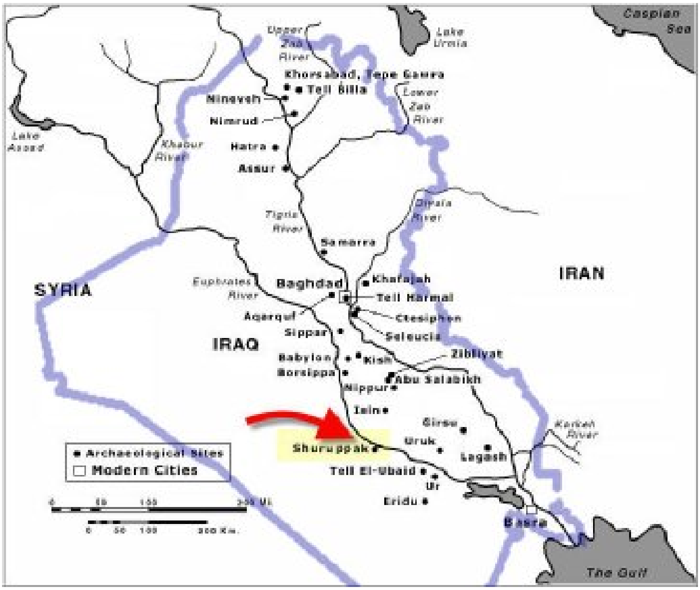

الشكل رقم (٩):

خارطة (شوروباك العراقية) ومنبع الفرات يبعد ألف كيلاً في الزاوية اليسار العليا

---

[1] – انظر مثلاً آخر ما أُصدِر: شوقي أبو خليل، **أطلس القرآن**، ص٢٤، حيث يقول: **(كان قـوم نوح في جنوبيّ العراق، حول موقع مدينة الكوفة حالياً، والجوديّ: جبل قُبالة جزيرة عمر، عنـد ملتقى الحدود السوريّة التركيّة حالياً، على الضفة الشرقيّة لنهر دجلة)!**

ختاماً، بهذا الافتراض الآنف لهندسة الآية، تنفكّ عقدة الآيات التي ظلّت عصيّة عن الفهم، ويُحافظ الفعل (لبث) على حقيقته العربيّة دون لفّ، وتتبيّن الآية على حقيقتها باستعمال (سنة) و(عام) بدقّة متناهية، ويظلّ (ألف) كتعبير عن العدد الصحيح، وتبقى (سنة) عصر نوح بطول سنتنا، ويُحفظ لأصحاب النظام الرقميّ جهدهم واكتشافهم، ويبقى عمر نوح كما هو ثابت قرآنيّا وروائيّا ومن قبلُ توراتيّا بلا حاجة للقفز عليه لأنّا فقط لمْ نفهمه، فلا يناقض العلم (النظري) وجود سنّ كهذا، فضلاً أن يكون عمْراً بعناية ربّانيّة حكيمة تحتفظ له بحيويته وتجدّد شبابه (وقصّة أهل الكهف ولبثهم ٣٠٩ سنة أحياء كشباب نائمين، ثمّ الخضر (العبد الصالح) دليل قرآنيّ آخر[1])، وبه يحتَفظ للعقل احترامه، في جعل الدعوة الإيمانيّة لا تزيد على خمسين سنة، فالعقل لا يستسيغ وجود دعوة في قوم أجيالهم طبيعيّة تمتدّ لألف سنة فهذا باعثٌ على الملل وإمهالٌ غير معقول، وهو فوق أن يتصوّره عقل يحسب الأمور ويُدرك الواقع، ويأنف الخرافة والتجهيل المُبالَغ، خاصّة وأنّنا نجد أنّ عمر جلجامش وصديقه أنكيدو وأناس

---

[1] – لقد بيّن القرآن بإشارة خفيّة إلى إمكانيّة تجاوز آليّة الموت أو التحلّل الجسماني مع أناس أنبياء أو دون الأنبياء، في ثلاث موارد؛ الأول: أصحاب الكهف حيث احتفظوا بشبابهم مدّة ثلاثمائة سنة، بدليل أنّهم حين استيقظوا من رقدتهم لم يشهدوا ملامح أيّ تغيّر على هيئاتهم فتساءلوا إن كانوا ناموا مجرّد يومٍ أو حتّى أقلّ، الثاني: الخضْر، العبد الصالح الذي يعرف أين عيْن ماء الحياة، بدليل دبيب الحياة هناك إلى السمكة التي يحملها فتى موسى معه كغداء. الثالث: موت عُزيْر مائة عام دون أن يتغيّر جسمه أو يتحلّل، فحافظ على هيئته كما هو، حتّى أنّه لمّا بُعث من موته بعد مائة سنة، ظنّ أنّه لبث "يوماً أو بعض يوم"!

تلك الحقبة كان طبيعياً، وهم في الألفيّة الثالثة قبل الميلاد (٢٦٥٠ ق.م)، أي عقب الطوفان بثلاثة قرون.

وبه نحلّ معضلة أنّ قوم نوح لم يروا في "خارِق عمره" آية لأنّهم لم يروا العمر المديد بالمرّة، إذْ ظلّت العمليّة خفيّة عنهم، فقد ظلّ نوح في كلّ قرية يعيش (يلبث/ينوخ) عمراً طبيعيّا وله فيها ذرّية طبيعيّة، فلذا لم يذكر القرآن أحوالاً ولا كلاماً ولا استغراباً يُنبئ عن عمرٍ مديد لنوح مع قوم (قرية) محدّدين.

* ملخّص إشكاليّة عمر نوح

القرآن الكريم ومعه مرويات النبيّ (ص) والآل والصحابة (رض)، ومن قبله التراث الديني للمنطقة كالتوراة و(كنزا ربّا) المندائيّين، ومن قبله التراث الأسطوري العراقيّ، كلّها أكّدت أنّ نوحاً عمّر في قومه قرابة ألف سنة، فلا مجال لنقض هذا التواتر المتعدّد المصادر عبر آلاف السنين، وفيه من مصادر الوحي.

لكنّ المعضلة كانت في تفسير كيفيّة قضاء نوح هذه الألف سنة، لنحتفظ لأصحاب المنطق بمنطقهم الذي نحترمه، وبهذا نسجّل الآتي:

١- أنّ القرآن صاغ المسألة بعبارة محكمة لكنّها تشابهت على القوم، وهي: **(فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً)**، هذه الصياغة صارت مشكلة لدى مفكّرين حاولوا التحايل والقفز على هذا

النصّ القرآنيّ لعمر نوح، وباعتبار أنّ معظم المفكّرين الإسلاميّين لا يأبهون عادةً بالمصادر المعرفيّة السابقة على القرآن، فالذين تناولوا هذه المعضلة ليفكّوها لم يتنبّهوا إلى أنّ كلّ مصادر الوحي قبل القرآن قالت المعلومة نفسَها، وهم مصيبون في عدم قبولهم هذه المعلومة، لأنّهم رأوها غير منطقيّة حسب الدّارج والمشاهَد، بل أنّ الآية نفسها بصياغتها الغريبة والتي هي مشكلة بحدّ ذاتها، لم تقل (ألفاً إلاّ خمسين سنة) ولا (تسعمائة وخمسين سنة)، بل أطالت الصياغة واستعملت وحدتيْن للزمن (سنة) و(عام) ممّا زاد الأمر إرباكاً، هذا الإرباك أتاح مساحةً لأولئك المفكّرين بالخروج عن النصّ، لكنّهم لم يتوصّلوا إلى حلّ ولن يفعلوا طالما خرجوا عن مقتضيات النصّ، فالنصّ المعضلة هو نفسه الحلّ، فمن أدرك معنى (سنة) ومعنى (عام) لن يجد إلاّ حلاًّ واحداً أمامه يفسّر المسألة برمّتها.

٢- أنّ نوحاً وحده دون قومه هو الذي طال عمره، بيّن هذا القرآن باختصاص نوح بقوله عنه: (**فلبث فيهم**)، وليس (معهم)، وأنّ (نوحاً) وحدَه - بحسب أسطورة جلجامش- لديه سرّ الخلود وطول العمر، وأنّ المسألة صارت لا منطقيّة (علميّاً) لأنّها إنّما جرت بتدخّل ربّاني غير طبيعيّ، وليس معقولاً أن يكون التدخّل الربّاني لإطالة أعمار العُصاة من قومه (ع) أيضاً وهو يُهدّدهم بفنائهم إن لم يستغفروا، بل نحن نستنكر عقلاً أن تكون الدعوة امتدّت لعشرة قرون، وإنّما هي موزّعة في قرى قومه، كلّ قرية

قرناً أو نصف قرن أو بعض قرن. هناك مجال للقول أنّ رجالاً إلهيّين غير نوح أطيلت أعمارهم بتدخّل ربّاني (كآدم) و(شيث) و(الخضر) كما يُروى، ولا مجال للقول أنّ أعمار الأوائل كلّهم بمن فيهم قوم نوح العصاة كانوا طويلي الأعمار حتى يبلغ أحدهم ألف سنة، فهذا مناقض للتاريخ والعلم والمنطق وللمرويّ، ولم يقل به أحد، لا القرآن ولا التراث، لا أعمارهم طوالٌ ولا أجسامهم ضخامٌ، فهذه خرافة، فإنّ البشر الهمج الذين وُجِدوا لملايين السنين ومن آخر سلالاتهم أُخِذ كائنان لتخليق آدم وحوّاء منهما، طول قامتهم كالتي لدينا، حسب الأحافير والأركيولوجيا والآثار والمنحوتات والأدوات المكتشفة، وأنّ آدم الإنسان الأوّل حين عصى وتزاوج مع أنثى (شجرة) الهمج قبل قرابة خمسين ألف سنة، كان طوله بطول تلك الأنثى وإلاّ لما كان تزاوج ونسل ولا كان نهيٌ لمنع تزاوج العملاق الفائق من قزمٍ فائق!

٣- أنّه لا يُمكن تصوّر عمر أحد بطول ألف سنة إلاّ وفق أحد المحتملات:

أ- أن تكون الألف هي العمر الطبيعي، فعليه أن يتوزّع تقسيمات عمره بحسب هذا، أي أنّ نشاطه الهرموني يتناسب مع هذا العمر، فيكون كلّ شيء عشر أضعاف أو ٨ أضعاف المقياس الطبيعي، فحمله في بطن أمّه ٧ سنوات، ويُفطم من رضاعته بعد ٢٠ سنة! ويبلغ بعد ١٤٠ سنة! ويصير رجلاً

بعد ٤٠٠ سنة! ولا أحد يقول أنّ نوحاً كان هكذا، وهذا أمرٌ سخيف.

ب- أن يكون الأمر طبيعيّاً هكذا كما نحن، وهذا مستحيل علمياً، لأنّه لا يبلغ المرء مائة عام إلاّ وفقد معظم قوّته، ولن يبلغ مائتي عام إلاّ وقد دخل القبر، وإن صار المستحيل وبقي فهو أشبه بالمومياء، فكيف بثلاثمائة، وأربعمائة، وخمسمائة ... الخ؟ لن يصل الألف وهو حيّ إلاّ وهو بحجم كفّ اليد من التقزّم، ولا يقول أحدٌ هذا عن نوح، وليس في هذا سرّ خلود، بل سرّ عذاب الخزي لو حصل لأحدٍ هذا.

ج- أن يكون الأمر ليس طبيعيّاً بل بتدخّل ربّاني، وبهذا لا يدخل قوم نوح في هذا العمر، وهذا له احتمالان:

١- أن يبدأ طبيعياً، لكنّه في لحظةٍ من لحظات عمره، الأربعين أو الخمسين، تُوقف ساعة عمره لعدّة قرون فلا يتغيّر بعدها، حتّى قريب من نهاية الأمد المضروب له، ثمّ يرفع الله عنه ذلك لتستأنف ساعة عمره مرّة ثانية دقّها، فيعيش طبيعيا ليموت طبيعيا، وهذا هو ما يُحكى عن "الخضر" الذي شرب من "عين الحياة"، وهو ما حدث لأهل الكهف، وما حدث لطعام عزير وشرابه بقي مائة عام لم يتسنّه ويفسد، وهو ما يرويه بعض طوائف المسلمين عن

المهدي أنّه غائب وقد بلغ عمره فوق ألف سنة، لكنّه بعمر رجل ابن أربعين حين يظهر.

٢- أن يبدأ طبيعياً، ويشيب، ويبقى في قرية عمراً طبيعياً، وما أن ينهي رسالته فيها ويخرج، يتجدّد شبابه ليستأنف الدعوة في قرية أخرى لا تعرفه ولن تعرفه في أجيال جديدة شابّة ما رأته ولا يُمكن أن تكون رأته، فيعيد كرّة الفترة من عمر ٤٠ إلى ٨٠ سنة، عدّة مرّات، حتى انتهاء الأمد (الألف سنة).

ومن الاحتمالين الأخيرين، لا يصلح إلاّ الثاني، لأنّ الأوّل معجزة أمام القوم، أن يبقى فيهم وهو شابّ لا يتغيّر مدى الدهور، فهذا كفيل بالإيمان به، ولا يناسب كونه "شيخ المرسلين"، ويستبطن أنّ دعوته كلّها في محلّة واحدة تمرّ عليه الأجيال وتموت وهو واقف العمر لا يشيخ!

ويُوافق الاحتمال الثاني آيات القرآن التي لا تتفسّر منطقياً على الحقيقة إلاّ وفق هذه الفرضيّة، بل أنّ اسم "نوح" وحده يُفسّر هذه الفرضية، فإنّ نوح السرياني تعني "نوخ" بالفصحى، وهو كما ترجموه في التوراة أنّه يعني (Rest)، أي المُنيخ، المرتاح، الباقيّ، المُقيم، فهم يرحلون وهو يُقيم من قرية إلى أخرى، وكلّ مرّة يُنيخ (نوخ) في قرية من قرى أمّ القرى (مكّة) التي كُفّل وكُلِّف بها.

وبهذا نفسّر أسطورة جلجامش، وكيف جاء لنوح ليعرف سرّ خلوده، في الدنيا طبعاً، ثمّ دلّنا نوح على الطريقة بأن أعطاه نبتة تجدّد الشباب (Renew youth)، أليس هذا ما قُلناه؟

وبهذا نعود لنفهم **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(آل عمران:٣٣)، فآدم = نوح = آل إبراهيم = آل عمران > العالمين، فأُقيم (نوح) مقام الـ (آل)، أي أُقيم مقام ذريّة يتناوبون للرسالة جيلاً بعد جيل على عالَمٍ (أي مجتمع) تلو عالَم تلو عالَمٍ تلو عالَمٍ، (فنوح المصطفى قام مقام عدّة أجيال من (الآل) المُصطفَيْن من بعده في حُقبٍ لاحقة.

وهي نفسُها إشارة **(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)**(الصافات:٧٩)، التي تعني تواجد نوحٍ في عدّة مجتمعات (عالَمين) زمانه[1]، أي تلك القرى التي عاش فيها

[1] – ففي سورة الصافّات قال سبحانه **(سَلامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ)**(الصافات:٧٩)، حيث خصّ "نوحاً" فقط بالسلام عليه "في العالمين"، فهو يُزامن عالماً بعد عالَم، عمراً بعد عمر، جيلاً بعد جيل، قريةً ومجتمعاً بعد قريةٍ ومجتمع، بينما لم يقل سبحانه ذلك عن من عاش عمراً اعتيادياً مزامناً لعالَم واحد فقط، كإبراهيم وغيره؛ **(سَلامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)**(الصافات:١٠٩)، **(سَلامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ)**(الصافات:١٢٠)، **(سَلامٌ عَلَى إِلْ يَاسِينَ)**(الصافات:١٣٠)، **(وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ)** (الصافات:١٨١).

وجاهد ليصنع (السلام) الإنسانيّ ويمحو الظلم والتــوحّش، ويعيد بهاء الفطرة والاتّصال بالخالق.

٤- عوداً إلى الآية المعضلة، التي هي الحلّ، و(حيثما كان الداء كان الدواء)، بل وكلّ الآيات التي وجــد المفــسّرون فيهــا غرابــة وحاولوا ليّها (لمُعالجتها!) هي نفسها آية العلاج لو أنّهم جعلوهــا هي (مُعالِجتَهم) بدلاً من أن يُعالجوها.

(فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَاماً)(العنكبوت:١٤) ليس لهــا إلاّ معنى واحداً، فهو لبث فيهم ألف (سنة) كوحــدة عدديّــة زمنيّــة تماماً، وباعتبار (العام) هو وحدة أحداث ومضامين، فــلا يُمكــن طرحها من النهاية الحسابيّة، إنّها كقولنا (منذ عام الهجرة "**بعضُ المسلمين المهاجرين عاشوا بالمدينة عشر ســنوات إلاّ عامــاً واحداً**" – ونعني عامَ الفــتح)، فلــيس معنــى هــذا أنّ هــؤلاء المهاجرين عاشوا في المدينة تسع سنوات ابتــداء مــن (الــسنة الأولى) للهجرة حتى (السنة التاسعة)، بل يعني هذا أنّهم عاشــوا في المدينة من (السنة الأولى) إلى (السنة العاشرة) تخلّلها (فــي السنة الثامنة وهو عام الفتح) بقاؤهم في مكّة ذلك العام بطولِه أو بما بقي منه.

فلا حلّ لمعادلة طرح (أعوام) من (سنين)، والأعوام تعني معالم أحداث "عمّت" فصار واحدُها (عام) وهي (أعوام)، طرحها مــن فسحة زمنية ممتدّة (سنين)، إلا بطريقة منطقية واحدة، فنوح (ع)

لبث فيهم (السنين) ولم يلبث فيهم (الأعوام) (وهي سنيّ الأحداث). لبث ٩٥٠ (سنة)، وفارقهم ٥٠ (عاماً) ومجموع اللبث العام والمفارقة ١٠٠٠ سنة.

لذلك قلنا بخطأ مَن قال أنّ نوحاً لبث في قومه ٩٥٠ سنة، بل لبث فيهم ألف سنة تماماً، تخلّلتها أعوامٌ خمسون متفرّقة، وقعتْ فيها أحداثُ العقوبات التي وعد تلك القرى بها ففارقهم وخرَج إلى غيرها من قرى قومِه، هذه الخمسون المتفرّقة في البيْن هي المطروحة من الحساب، فليس العدد (ألف) للتكثير والتهويل كما يقول المفسّرون قاطبة، بل هو الحقيقة، وهذا هو الحلّ الذي ينظُم كلّ الإشكالات والمعارف التراثيّة والقبول المنطقيّ في عبارة مكّونة من سبع كلمات، فيها الأحجية والحلّ، الداء والدواء (**فلبث فيهم ألف سنة إلاّ خمسين عاماً**).

هـ- البطون الكثيرة لآدم، ومغزاها

لقد مرّت علينا روايات مختلطة تمطّ في عمر آدم وتُخبر بكثرة البطون في أولاده، مثل: (**إنّ آدم (ع) وُلد له سبعون بطنا في كل بطن غلام وجارية إلى أن قُتل هابيل، فلما قتل قابيل هابيل جزع آدم على هابيل جزعا قطعه عن إتيان النساء، فبقى لا يستطيع أن يغشى حواء خمسمائة عام ثم تخلّى ما به من الجزع عليه، فغشي حواء فوهب الله له شيئا وحده ليس معه ثان**)[1]. وغيرها بعبارات أخرى

[1] - ابن بابويه القمّي، **علل الشرائع**، ج١، ص١٩ وغيره.

وباختلاف في السنين والبطون. فلو أخذنا منها عناصرها المشتركة، لأمكننا الوصول إلى بعض الحقّ فيها، مثل:

- لو احتفظ آدم الرسول (ع) كنوح، بعمره الرجوليّ الثابت، فينبغي أن يعيش ظاهريّاً أكثر من عشرة أعمار طبيعيّة، (عشر دورات حياتيّة) ينتقل خلالها بين بقاع الأرض لإنشاء الذرّية الصالحة وتأسيس القرى المتأنسنة المُعلّمة شئون الحضارة.
- في أحد تلك الدورات الحياتيّة، وعلى قرية من القرى، أنجب (هو وزوجته) مباشرة، أو أنجب أبناؤه، قابيل وهابيل، فأُبعِد قابيل عن الرئاسة الروحيّة لشرّ فيه، ما دعاه لقتل أخيه، فحزن آدم حين سمع الخبر.
- وإن كنّا نستبعد، لكنّنا نستطيع أن نستوعب الآن وجود ٥٠٠ عام بين قتل هابيل وولادة شيث، لأنّ كلاً منهما في دورة حياتيّة، (زمانيّة/مكانيّة) تختلف عن الآخر.
- نستطيع أن نستوعب وجود بطون (أولاد) كثيرين، قبل هابيل وقابيل، في الدورات الحياتيّة الأولى لآدم الرسول.
- في فرضيّة، سنأتي بها لاحقاً، سنفترض أنّ آدم الرسول (قبل ٨ آلاف سنة) هو آدم الإنسان الأوّل نفسه (قبل قرابة ٥٠ ألف سنة)، أُهبط مرّةً أخرى من الجنّة، ليُعيد إنشاء النسل الصالح، بهذا نستطيع تفسير شيئين: ١- أنّ زوجته هي حوّاء مرّةً أخرى لأنّها أُهبطت معه (أُعيد إهباطها معه)، ليكون ما تُنتجه الآن من أولاد

هم بطن آخر، البطن السليم، غير الذي كان لآدم قبل ٥٠ ألف سنة من أنثى الهمج. ٢- عبارة **(قطَعه عــن إتيــان النــساء)**، فــآدم الرسول، لو كان هو آدم الأوّل أُعيد إحياؤه لمهمّة خاصّــة، فــلا يُمكن أن يتزوّج بأحد من النساء، لأنّ جميع إناث الأرض بناتــه، فينبغي أن يمتنع عن النساء، ويقتصر فقط على التــي كانــت لــه وحده منذ البدء، حوّاء فقط، لذلك نرى روايات تعــرّف آدم علــى حوّاء بعد الهبوط من الجنّة (على جبل عرفة)، ونجد في التــوراة عبارة **(ثمّ عرف آدم امرأته)** قبل ولادة شيث.

خاتمة الفصل

إنّ الرأي يبقى رأياً، والقولَ يبقى قولاً، حتى يأتي أحسنُ منه فيكون أولى بالاتّباع **(الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ)**(الزمر:١٨)، ولابدّ للعاقل من سماع الآراء والأقوال وعدم تقديسها جرّاء انتسابها إلى قائلٍ مُعظَّم، فإنّه من هذا الباب اخترقتنا الإسرائيليّاتُ وعمل فينا مدسوسُها حين وُضِعتْ على لسان النبيّ (ص) والصحابة والآل، وإنّ أكبر مديمات الضلال الفكري هو هذا، وذلك حين يدخل على خطّ (الفكرة) غير الممحّصة، عالِمٌ أو مُفكِّرٌ لامِعٌ، فيُكرّرُ الفكرة الخاطئة في نتاجه الأدبي أو على لسانه بحكم الاعتياد والتسامح، فتُسبَغُ الفكرةُ زخماً آخر، ويصير هذا المفكّر أو العظيمُ هو العائلَ الجديد للفيروس القديم ينتشر به وعلى لسانِه، وفي مثل هذا قيل **(إنّ الحقّ لا يُعرَف**

بالرجال)[1] لوجود هذه الثغرة المميتة للحقّ والمُحْيِيةِ للباطل.

لقد رأينا أنّ مُعظَم الآراء والأفكار في خصوص آدم وعمره الألفيّ المديد وانعكاس ذلك في أعمار الرسل من أبنائه وأحفادِه في تلك الحُقَب الحضاريّة الأولى، وقصص أبنائه شيث وقابيل وهابيل، هي أفكار اجتهاديّة بسيطة ومحاولات توفيقيّة تنحو لتبنّي مقالات كهنة اليهود، حاولتْ إنجاز مقارباتها للفكرة البائدة رغم أنف النصوص، ونحسبُ أنّا أرينا القارئ أنّه بالإمكان تجاوز جميع ذلك الرُّكام والإتيان بشيء أقرب إلى الحقّ وأحسن تفسيراً؛ أحسن تفسيراً للتاريخ، وللّغة، ولآيات القرآن الحكيم، وللنصّ التوراتي نفسِه أيضاً، ولكثيرٍ من المعاضل العلميّة والاعتقاديّة والتراثيّة التي أشبعت الواحدة منها الكتبَ الكثيرةَ والمساجلات الضوضائيّة التاريخيّة، كقابيل وهابيل، وأحجية عمر نوح، والفرق بين السنة والعام، وغيرها من مفاهيم، فسّرناها ضمن منظورٍ شامل يجمع أجزاء المعارف المتشظّية ليُعطي الصورة الكاملة لوجودنا وانتشارنا، ثمّ لكيفيّة تشكّل معارفنا وعقائدنا، توخّياً لما يُراد منّا إنسانياً بناءً على تلك الخارطة الأولى، التي هي مسيرتنا الإنسانيّة سواءً بكبواتها أو باستقاماتها الرساليّة، لتجعل من خيط السماء عقداً لا ينقطع بدأ بنسْجِه رسُلُ الحضارة (السريانيّون) وانتهى برسل العربيّة العرباء وحوى في البيْن رسلاً بكافّة اللّهجات إلى الأمم، ليُعمّروا قلوب البشر بالأخلاق

---

[1] – محمد الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج١، ص٦٥٨.

والتعاليم الزاكية والعِلم، هم الأخيار الذين يُظهِرون أفضل ما فينا ليأخذوا بأيدينا لنصيرَ آلَ الله وخُلفاءه (أيْ "إنليليّين" بحسب السومريّين، كما سيأتي)، وكما جاء لدى المندائيّين **(يأتي المختارون إلى أرضِ المعمورة، يُحيطون بجفناتي، ثم يصعدون بها إلى بلد النور)**[1]، وكما جاء في ديانة "ماني" (المانويّة Manichaeism) أنّهم **(صرخة تأتي من عالم النور لتستنقذ أولئك الذين يبحثون عن النجاة من عالَم الظلام)**[2].

---

1 – **كنزا ربّا**: الكنز العظيم– اليسار، الكتاب الثالث، التسبيح الثامن عشر، ص٨٩. وانظر كذلك : **http://bahzani.org/Maqalat ordner/M78.html**

2 – The "call" from the world of Light to those seeking rescue from the world of Darkness – **http://en.wikipedia.org/wiki/Manichaeism**

الفصل الرابع

آدم وأوادم رسالات الحضارة

(الإنسانُ المُبدِع هو الذي ينظر إلى العالم وهو غير راضٍ عن الأمور كما هي، إنّه يبتغي تحسين ما يراه، لأنّه يريد أنْ ينفع العالم) ألكسندر جراهام بيل

في هذا الفصل سنُلقي المزيد من الضوء على التفريق بين آدمين، والروايات والمفاهيم والأسس التي تُشعِر بمثل هذا التفريق وتُسوّغه، وسنتوسّع في ملاحق ومستتبعات مثل هذا التفريق، لنُلقي الضوء على حقبة تلك الرسُل المعلّمين السريان الأوائل الذين استفتح (آدمُ الرسول) وجودهم والذين لم يرضوا بالمستوى البشري، بل عملوا على الثورة على الجمود وتحسين مستوى الإنسانيّة فصاروا مُبدعين بحقّ، ونستقرئ من الروايات إنجازاتهم الشامخة اللامتوقّعة التي أثّرت أعظم تأثير في سيرورتنا الإنسانيّة وبقائها وتطوّرها، وسنكتشف أنّ "آدم" الرسول، كرمز تواجد لدى كلّ الشعوب، عبر معلّمها الروحيّ الرأس، وسنُدرك بذلك سرّ تسمية (آدم) الإنسان (آدم) الرسول، مرّةً أخرى، كونه (مثيلاً) للربّ، وسنشفع ذلك بفرضيّة عن اندماج الآدمين بعد أن أثبتنا طوال تلك الفصول تمايزها زماناً على الأقلّ، بفترةٍ مداها يتجاوز أربعين ألف سنة بين الزمانين.

أوّلاً- حقبة الرسل ومعلّمي الحضارة

ما سمات حقبة آدم الرسول، أو الرسل عموماً، التي تميّزتْ عن الانبعاث الإنساني الأوّل بالتعليم الحضاري الذي أدّى إلى انفجارها؟

ماذا كان دور الرسل والنبيّين في تعليم الحياة والحضارة والدور العمليّ المنوط بالإنسان فرداً واجتماعاً؟

ما الذي حدا بالأمم أن تجعل من مؤسّسيها لا آدمها الخاصّ بها فقط وأصل وجودها، بل رأس إنسانيّة الدنيا جمعاء، كما حدث لنا في جعل آدمنا الرسول هو آدم الإنسان الأوّل؟!

أ- أربعة سريانيّون

إنّ رأس الخيط روائيّاً ما قد رواه أبو ذر الذي قال فيه نبيّ الأمّة بأنّه أصدق الناس لهجة، حين سأل النبيّ (ص): **(قلت: يا رسول الله كم الرسل منهم؟ قال: ثلاثمائة وثلاثة عشر جمّ غفير. يا أباذر أربعة من الرسل سريانيّون: آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل مَنْ خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيّكم)**. فالقارئ سيظنّ لأوّل وهْلة أنّ آدم هذا هو أبونا آدم الأوّل، خاصّة أنّ هذا الحديث يأتي أحياناً مختلطاً ليوحي بذلك، فالذي يجب أنْ يستوقف الباحث أمران:

الأوّل: أنّ آدم هذا رسول، أي صاحب رسالة (كتاب/صحف)

كما بيّنه التراث الديني، وآدم الأوّل لا أحد معه إلاّ أبناؤه الهمجيّـــون، فإنْ احتاج إلى شيء فقصاراه أنْ يحتاج إلى تكوين النـــسل الإنـــسانيّ السليم وتدبير معاشه (ولا نعتقد أنّ هذا حصل في تلـــك الحقبـــة، أي تكوين النسل الإنساني الصفي قبل ٥٠ ألف سنة)، وآدم الإنسان هـــو على علم واضح بالتوحيد، ولديه من العلوم الضروريّة ما يقـــيم إوده، وإنْ قصرت فسيحتاج إلهاماً في حدّه الأعلى لنفسه (وأهلـــه)، لـــذلك كانت الأنبياء بعشرات الألوف، أمّا الكتاب (الرسالة/الشريعة) فتـــأتي لتحكم بين الناس في حال اختلافهم وهي مرحلة متقدّمـــة جـــدّاً فـــي مجتمعات الإنسانيّة، كما قال تعالى **(كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ)**(آل عمـران: ٢٣)، وكما سنُبيّن لاحقاً بالتفصيل، فلا معنى للرسالة في أوّل الـــدهر، فما مِنْ أحد يُرسَل إليه، وما من مجتمعات أناسيّة، ولا قضايا اختلاف مجتمعيّة.

الثانيّ: أنّ لغة آدم الرسول هي السريانيّة، وليس المجـــال هنـــا لنُثبت أنّ السريانيّة ما هي إلاّ لهجة عربيّة، أيْ هي فرعٌ للغة أمّ هـــي العربيّة القديمة، فإثبات ذلك عسير، ويحتاج للمختصّين فـــي اللّغـــات وعلم الشعوب، ويحتاج فوق ذلك تجرّداً ممّا أهاله علينا المستشرقون بمصطلحاتهم من لغات ساميّة، وهندو أوروبيّـــة وكنعانيّـــة وعبريّـــة وغيرها، وكذلك تجرّداً من العصبيّات القوميّة التي تحاول كلّ منها أنْ تجعل لغتها هي أمّ اللّغات بلا سلطان ولا برهان، لكنّ الجميع يُقرّ بأنّ العربيّة موغلة في القدم ولا يُعرف لها بداية، والجميع مقرّ أنّه لـــيس لها أمّ، وأنّها لمْ تتطوّر بنظامها إلاّ النادر، وما مـــن لغـــة حيّـــة الآن

بثراء العربيّة وميزاتها ورقيّها، ولا بقدمها، بل ربّما لو غاص فيها الباحث لوجدها لغة طبيعيّة تقترب من القداسة، وخشية الإطالة في هذا، نأتي للمسلم بشاهدٍ من قولٍ آخر لنبيّ الأمّة (ص) يفكّ معضلة لغة آدم، ذلك هو قوله (ص) (**أحبّوا العربيّة لثلاث: لأنّي عربيّ، والقرآن عربيّ، ولسان أهل الجنة عربيّ**)، فمن هم أهل الجنّة؟ إنّهم أوّلاً آدم وحوّاء، هي اللغة الأولى، وهي الأخيرة التي كانت لغة النبيّ الخاتم (ص) والأمّة الخاتمة والدين الخاتم الذي ستقوم عليه النهاية.

لكن المُحيّر في الحديث هو اقتصار السريانيّة على أربعة رسل، والعربيّة على أربعة رسل، فهذا مناقض للتاريخ، فإسماعيل (ع) تكلّم الفصحى بمجاورته لقبيلة جرهم بعد سريانيّته حتّى سُمّي العرب المستعربة، وإبراهيم (ع) لسانه السريانيّة، ومعظم أنبياء بني إسرائيل كموسى وعيسى (ع) أو ما اشتُقّ منها من لهجات كالآراميّة، هذا على مستوى الشفة (اللهجة)، أمّا على مستوى اللّسان، فكلّ الأنبياء عربٌ باعتبار السريانيّة الشرقيّة والآموريّة الغربيّة (التي سُمّيت فينيقيّة) والفصحى، هي لهجات (لغات) العربيّة الأمّ القديمة.

ولكن ماذا على مستوى العرق والجنس؟ فإذا كان تثبيت نسب السريان لأبناء "سر بن أنوش"، والعرب (عرب/أرب) إلى "ربّ بن أنوش"، فإنّ محمّداً (ص) هو من ذرّية إسماعيل بن إبراهيم (ع)، من سام بن نوح (ع)، فنسب نبيّنا محمّد (ص) ونوح (ع) سواء، ولا يُمكن أنْ يكون محمّد (ص) عربيّاً وسريانيّاً إلاّ على مستوى التاريخ

والنّسب واللغة أيضاً فقد يُوجد من يتكلّم بعدّة لغات، لكــنْ لا يُمكــن الجمع بين السريانيّة والعربيّة العرباء على مستوى الــنصّ النبــويّ الذي قدْ فرّق وميّز وفصل أنّ نوحاً سريانيّ ومحمّداً عربيّ، إذن فمــا الحلّ؟

إنّ الحلّ يكمن في النصّ نفسه، حين قال "**أربعة من الرســل**"، أيْ أنّ قالب رسالتهم اللّغويّ كــان اللّهجــة الــسريانيّة، والأربعــة الآخرون فقط قالبها العربيّة العرباء، على خلاف سائر الباقين (ومنهم إبراهيم وإسماعيل وهم سريان) الذين أوصلوا رسالتهم أينمــا حلّــوا باللّهجات العربيّة غير الفصحى الكثيرة المتفرّعة عــن الأمّ، بعــد أن بادت السريانيّة الأمّ أو تشظّت إلى لهجات كثيرة متنوّعة.

فلغات (أي لهجات) العربيّة كثيرة، واللهجة الفــصحى تبلــور نظامها في حقبة تاريخيّة معيّنة واستقامت ووتدتْ بــوحي النبــوّات، ومفرداتها وقواعدها ومادّتها استلهمتها من باقة متنوّعة من أجود مــا في نخائل لغات العرب، لذا أحصوا أنّ في مفردات القــرآن الكــريم، وهو باللغة العرباء (الفصحى) ما وافق مفردات من أكثر من ثلاثــين لهجة عربيّة قديمة (لغات القبائل العربيّة الأمّ في بطن الجزيرة ومنها السريانيّة والنبطيّة والحبشيّة)[1].

وإنّ تقديم أربعة رسل سحيقين جدّاً بترتيبهم التاريخيّ الفعلــيّ (**آدم وشيث وأخنوخ –وهو إدريس– ونــوح**) علــى أنّهــم الرســل

---

[1] – انظر: أبي عبيد القاسم بن سلام، **لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم**.

السريانيّون، ثمّ توقّفُ الإرسال باللهجة السريانيّة، يعني أنّ حقبة "السريانيّة" كلهجة متميّزة مُثمرة للعالم كما سنرى لاحقاً، قد انتهى بعد نوح (ع) بعدّة أجيال حملوا إرثه الرسالي إلى أمم الدنيا، ليحلّ محلّها فروعُها الأخرى المُطوَّرة من بابليّة وآشوريّة وآراميّة وفارسيّة وفينيقيّة ويمنيّة وحبشيّة وغيرها من خليط بين فروع لهجاتٍ سريانيّةٍ (عربيّة قديمة) ابتعدت عن تميّز اللهجة الأمّ.

وإنّ مجيء أربعة رسل عربيّة عرباء بعد نوح هم (**وأربعة من العرب: هود وشعيب وصالح ونبيّكم**)، يُوحي أنّ تميّز العرْباء (الفصحى) وتبلور قالبها الإعرابيّ الفصيح، ظهر متأخّراً، ربّما بعد نوح وقبل هود، ليكون أربعة رسل منها بالخصوص، أمّا باقي الرسل فمن خليط اللهجات التي ترجع للعربيّة الأمّ القديمة (ومنها فروع السريانيّة)، وليس من رسول إلاّ يتكلّم بلهجة القوم الذين أُرسِل لهم، لأنّ هذا ما يدعو إليه المنطق العقليّ ليتمّ التواصل، وهو ما يُخبرنا به تعالى (**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ**)(إبراهيم:٤).

*** معنى (أبرام) و(إبراهيم) و(العبادلة)**

بما سبق نُدرك أنّ إبراهيم (ع) تكلّم مزيجاً متراوحاً بين السريانيّة والعرباء ولهجات ما بينهما أيضاً[١] كونه جوّالاً في الأرض

[1] – كإبراهيم (ع)، كثيرٌ من القادة اليوم، والساسة، والدعاة، وأهل الفنّ، الجوّالين في البلاد العربيّة، يتكلّمون أو (يُغنّون) في الخليج (لهجة الخليجي)، وفي مصر (لهجة المصري)، وفي لبنان (لهجة الشامي)، وفي العراق (لهجة العراقي)، ويتكلّمون في المناطق التي لا يُجيدون لهجة لسانها كالمغرب العربي بالفصحى.

العربيّة لذلك سمّوه عبري وعـــابر، وبـــالتعريف بـــالميم الختاميّـــة[١] (عبرام/أبرام)[٢]، وحين استقرّ وتوطّن "مكّة مقـــام إبـــراهيم" ليُؤسِّـــس ذرّيته، سمّاه الربّ شهرته الأوّل اللائق بـــدوره (عِيْـــرهيم/إبـــرَهيم: وهكذا هي كتابتها حسب الرسم القرآني)، فما هو معنى (إبرهيم)؟

إبراهيم: نقسمها إلى إبرا + هيم.

"هيم": فهي نفسها (الله) وهو نفسه إيل، والاختلاف في اللهجات ليس إلا، ضمير عائد إليه، أي "هو"، وبقيت حتى اليوم فـــي ضـــمير الـــ "هو" بالإنجليزية (Him)، ونجدها لاحقـــة أســـماء قديمـــة مثـــل (مناحيم = مناح + هيم = منحة الله وعطيّة الله).

"إبرا" : هو عبرا، أي المعبِّر والناطق والمبـــيِّن، وكـــان مـــن العرب تلك الأيّام من يُطلق عليهم "العبادلة"، من نحت كلمتي (عبد + الله)، وهم كلّ من جعل من نفسه خادماً أو رجلاً أو ناطقـــاً عـــن الله،

---

[1] – الميم الختاميّة كتعريف مثل (ماريا Mary) وتعني سيّدة وشريفة ورفيعة من (مُرْ) ومنهـــا مرء، صارت ماريا ماريام (مريم) وتعني السيّدة بالتعريف.

[2] – من الفعل "عبر" مادّيا جاء العبور الجسماني من مكان إلى آخر، والعبور الذهني إلى المعنى الكامن لأخذ العِبرة الذي نتبيّنه في اسم "إبراهيم" (عبراهيم)، والعبور العاطفي إلى موقع التـــأثّر فيستدرّ الدموع (العبَرات/العَبْرة)، لتُعبِّر عن بلوغنا (عبورنا إلى) مشهد التأثّر، ومنه جاء أيـــضاً (عبير) للرائحة الطيّبة لأنّها تعبر الأرجاء إلى المناسم والمشامّ، ولأنّها تعبر الأرجاء، صـــارت (أريج) أيضاً، وهي التي تروج أي تنتشر، ولعلّ من هذا الفعل (راج، يروج، روْج) صار اللون الأحمر (روج Rouge) الذي استقرّ في الإنجليزية والفرنسية وغيرها الآن، لأنّ الطيْف الأحمر أطول الأطياف وآخرها نفاذاً لطبقة الغلاف من جوانبها، فرواجاً وانتشاراً، ولهذا يحمرّ الأفق في الغداة والعشي.

أي يحكي عن جهة مقدسة فهو عبـــدالله، وكـــلّ عبـــدالله، عبدالإلـــه، عبدالرحمن، هم من يطلق عليهم "عبادلة".

إبراهيم هو أحد (العبادلة) لأنّه تكلّف أشياء لم يؤمر بها، فحين رأى القمر بازغا قال هذا ربي ... كما حكى القــرآن، وغرضـــه أن يدخل افتراضاً في عبادة القمر وكأنّه باحثٌ عن الحقيقة ليعمل علـــى دحضها و"يُعبّر" عن بطلانها، ونجد أنّ اليهود فيما بعد استعملوا هـــذا "التكتيك" نفسه مع أهل الإسلام فيدخلون فيه بنيّة إبطاله لكن لا عـــن حجّة وتبيين وتحرير عقل بل عن مكيـــدة وحـــرب نفـــسيّة وخبـــث، فإبراهيم هنا في هذا الموقف لم يحمل رسالة بعد إنّما تكلّـــف الـــشيء بحسب هُداه العقلي ورشده واتّباع فطرته، كذلك لمّا كان صبيًا وكـــان أبوه يصنع التماثيل وقومه يعبدونها كأوثان، رفضها فخاطبـــه أبـــوه: (**أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ**)(مريم: ٤٦)، فكان اســـمه ابـــراهيم كرجل يتكلّم ويُعبِّر عن الله وهو بعد لم يُوح إليه، وإنما أوحي عليـــه بعد ذلك بعد أن أتمّ كلمات الله المكتوبة بامتحانه، وآخر امتحان كـــان رميه بالمنجنيق مع ابن أخيه لوط، حتى محمّد (ص) كان يتعبد علـــى ملّة الحنفاء على الفطرة، وكان يتكلّف الأشياء بدون أن يُكلَّف ويُؤمَر، قبل أن يأتيه الوحي.

"إبراهيم"، كاسمٍ (سريانيّ)، وليس كما يُقال أنّه (عبري!) لحيثيّة أنّ العين (عبرهيم) لُفظت ألفاً كما السريانيّة، بخلاف ما سمّوها "لغـــة عبريّة" فإنّها تلفظ العين عيناً كما هي، "إبـــراهيم" كانـــت بالـــسريانية

"إبرَهِم" وما زال أهل فارس وهم بقايا لهجة سريانيّة يُسمّون (إبراهيم) (إبريم)، فهي تعني المعبّر والمتكلِّم عن الله، وموسى هو متكلّم عن الله فهو كليم الله بهذا المعنى الأصليّ أيضاً.

ويُوسف أيضاً ناطق ومعبّر عن الله، فهو من عبّر للملك عن وحي رؤياه (**أَفْتُونِي فِي رُؤْيايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيا تَعْبُرُونَ**)(يوسف:٤٣).

وإسرائيل : (إيل) تعني (الله) بالسريانيّة، إسرا: يعني أسير وعبد، فإسرائيل يعني عبدالله، فهو من العبادلة الناطقين عن الله.

والمسيح (ع) هو من العبادلة فيقول: (**قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً**)(مريم:٣٠)، ونبيُّنا (ص) هو أيضًا من العبادلة حيث أخبر القرآن (**وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً**)(الجن:١٩).

فهو وضع نفسه يتكلّم عن الله، ويتكلّف مسئوليّةً إرشاديّة قبل تكليفه بالوحي، وهذا ما قام به النبيّ (ص) أيضاً قبل نبوّته، فلمّا كُلِّف بالنبوّة وبالرسالة فقد أُسقط تكلّف نفسه واجتهاده الشخصي، هذا ما أُمِر النبيّ (ص) بقوله (**قُل ... وَمَا أَنَا مِنْ الْمُتَكَلِّفِينَ* إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ**)(ص: ٨٦، ٨٧)، فما جاء به لهم هو وحيٌ الآن وليس تكلّفاً من عند نفسه ليجوز لهم مخالفته.

ونماذج التكلّف من قبل إبراهيم (ع) لشعوره بالمسئوليّة وحسّ النخوة:

- **(وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً** – صدّيقاً أيْ كان فعله مطابقًا ما كان عليه تمامًا قبل أن يُصيّر نبيّاً– **إِذْ قَالَ لأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لا يَسْمَعُ وَلا يُبْصِرُ وَلا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئاً، يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنْ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ** – وهو ليس الوحي بل إحساس العقل والفطرة والإلهام – **فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطاً سَوِيّاً .. قَالَ سَلامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيّاً)**(مريم ٤١-٤٧)، قد تكلّف كلّ ذلك دون وحي لكونه أوّاهاً على ذنوب قومه وابتعادهم.
- **(وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ)**(الأنبياء:٥١)، أعطيناه رشْده ولكن ليس الوحي وكنا عالمين بأفعاله الشريفة المطابقة لصدق مشاعره.

ولنا أن نلاحظ أن الآية تقول: **(قَالُوا سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)**(الأنبياء:٦٠)، وهي شماتة وإنكارٌ منهم، فهي كقولنا: يُقال له، أي يُزعَم، أنّه يُطلق عليه "متكلّماً عن الله" (عبرا–هيم)، لأنّهم يرون أنفسهم هم أهل الله والناطقون باسمه وأصحاب الدين، وهو خارج عن طريقتهم المثلى فضلاً عن الادّعاء أنّه ناطقٌ عن الله، وهو كقول بعض الإذاعات الأخباريّة اليوم (قام ما يُسمّى بحزب الله بكذا أو جيش محمّد بكذا) بدلاً من قولها (قام حزبُ الله بكذا أو جيشُ محمّد) لأنّها تنكر وتُشكّك كون ذاك حزبًا لله أو الآخر جيشاً لمحمّد. فلمّا أعطاه الله (أي إبراهيم) الوحي أطلق عليه نفس الاسم التي أعطوه

إيّاه لأنّها تعني في الأساس "عبدالله" والناطق باسم الله، أي سمّوه إبراهيم. وفي التوراة: **(فَلا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إبرَاهِيمَ)**(التكوين ١٧: ٥).

فملخّصاً: **(أبرام)** تعني (عبرام) أي العابر الجوّال الذي عبَر البريّة إلى جبال أرض المركز ليتوطّن.

و(إبراهيم) تعني (عبراهيم) أيْ قائل العِبَر، المُعبِّر عن الله، لسان الله، داعي الله والناطق عنه ومؤدّي رسالته، لذا كانت صُحف إبراهيم كلّها أمثالاً وتعابير (عِبَرا)[1]، وتعاليمه ودعوته كلّها رموزاً و(عبَراً) تُحفّز العقل وتُثيره ليعبر بها إلى المراد تحفيزاً للذكاء الإنساني وللروح، بيّن لنا القرآن والتراث بعضاً من عِبره وألغازه، تكسيره للأصنام وتركه واحداً منها رمزٌ وعبرة مفتوحة للتدبّر إلى يومنا[2]، نظره في النجوم وتوجّهه للكوكب وللقمر والشمس وأفولها

---

[1] – (عن أبي ذر: قلت يا رسول الله: فما كانت صحف إبراهيم؟ قال: أمثال كلّها)، جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، ص٥٩٢. وأيضاً: المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٧٤، ص٧١.

[2] – لقد زعم كهنة التوراة أنّ اسم إبراهيم بدأ بتسمية الله له قبل أن يبشّره بإسحاق وهو في سنّ التاسعة والتسعين **(فَلا يُدْعَى اسْمُكَ بَعْدُ أَبْرَامَ بَلْ يَكُونُ اسْمُكَ إبرَاهِيمَ لأَنِّي أَجْعَلُكَ أبا لِجُمْهُورٍ مِنَ الأُمَمِ)**(التكوين ١٧: ٥) وتعليل "إبراهيم" بـ **(أبا لجمهور من الأمم)** هو الذي قاد لتصوّر أنّ (إبراهيم) هي مركّب (أب رحيم)، أو (أب رحِم) أي أب الذرّية، وهذا وإن كان الواقع لا ينفيه، وهو من سعة العربية وتنوّع دلالاتها، ويُساعده القرآن أيضاً أنّ الله جعل النبوّة والكتاب في ذرّية (إبراهيم) لأنّ الذرّية الرحيمة، أو الأرحام المطّهرة هو أبوها حينذاك لتلك المنطقة، فكان منه آل يعقوب (بنو إسرائيل) وآل عمران، وأخيراً آل محمّد. لكنْ مع هذا فإنّ القرآن يُثبت أنّ اسم الشهرة لإبراهيم في قومه حين حطّم أصنامهم قبل أن يُلقّب بالعابر (عبرام/أبرام) لعبوره البريّة البادية إلى سفوح جبال السراة غرباً، كان هو "إبراهيم" (عبرهيم) فعلاً، أي صاحب العِبَر، يُعبّر

رمز وعبرةٌ إلى الآن، رؤياه بذبح بكْره بعد كبر سنّ رمــزٌ وعبــرة، محاججته مع الملك الكافر في الإحياء والإماته وإتيان الــشمس مــن المغرب رمزيّة وعبور، طلبه من الربّ إراءة كيفيّة البعث بالأربعــة طيور هي رمزيّة على أربعة الملائكة المدبّرين يُحيطون من الجهات الأربع، من منصّات جبال التدبير يلبّون نداء الربّ ببثّ أنفس جميــع الناس بالكلمة الخلاّقة المعبَّر عنه بالنفخ في الصور أو نفــخ البــوق، يدعوهم فيستجيبون بحمده سراعاً **(ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً)**(البقرة: ٢٦٠)، وخلّف لنا التراث كيف طلّق ابنُه إسماعيل زوجته غير اللائقــة بــه، التي لا تُكرم الجار ولا تشكر أنعمَ الله خلافاً للأخــلاق الإبراهيميــة المضيافة الكريمة ولدوْر هذا البيت النبويّ في بذر القــيَم فــي أمّــة

عن حكمة الله، الذي يُعبّر عن أفكاره وحكمته بتعابير رمزيّة، كحادثة تكسير الأصنام، إذْ نقل لنا القرآن قول قوم أبيه عنه حين كسّر أطرافها وترك منظراً محيّراً للأذهان ومعبّراً بوضع الفــأس على عاتق كبير تلك الأصنام، فتساءلوا **(من فعل هذا بآلهتنا؟)** فردّ بعضُهم **(سَمِعْنَا فَتىً يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ)**(الأنبياء:٦٠)، فهو (ع) يُقال ويُزعم أنّه (إبراهيم)، اسم شهرته هذا، منذ توقّــده ورشده واتّخاذه درب الصدوع بما آمن به بفطرته، وآزر أبوه يناديه بهذا أيضاً، لا أنّ اسمه هو (إبراهيم) منذ النشأة، وهذه الحادثة حدثت قبل أن يعْبر إبراهيم البرّية الشرقية إلى جبال الــسراة قرب مكّة مع ابن أخيه لوط، فلمّا أوقدوا له ناراً وأرادوا إحراقه ونجاه الله منها، سار مع لــوط لأرض المركز المباركة ليُصنَع رسولاً للأمم، أباً روحيّاً لجمهور الأمم **(وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطــاً إِلَــى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ)**(الأنبياء:٧١)، جدير بالذكر أن لا شأن للخارطــة التوراتيّــة المزوّرة التي تُسوّق من قبَل المسلمين أيضاً وللأسف، عن هجرة إبراهيم (ع) من جنوب العراق إلى شماله إلى أقصى شمال سوريا إلى فلسطين ثمّ إلى مصر ثمّ فلسطين ثمّ مكّة! فهــذا إســقاط يهودي وتفسير فجّ مسطّح للعقل مخالف حتّى لنصّ التوراة نفسها قبل القرآن الكريم. (راجع للفهم التقليديّ جميع كُتب قصص الأنبياء والتفاسير أو مثلاً: شوقي أبو خليل، **أطلس القرآن**، ص٣٧-٤٩)(وراجع لتصحيح الفهم بحث: **نداء السّراة، اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية).

الناس، فحين مرّ إبراهيم عليها (وكان مجهولاً لديها) ورأى عدم لياقتها الأخلاقيّة، حمّلها عبارةً رمزية لتقوم بإيصالها لزوجها ابنه إسماعيل إذا حضر، (يعبر) بها إلى فهم المراد **(قولي له يُبدّل عتبة دارِه)!**

والاسم (عبرهيم/إبرهيم) كما قُلنا تتّضح سريانيّته حيث العين تُلفظ ألفاً، ولا علاقة له باللسان الذي سمّوه زيفاً (عبري/هيبرو) الذي يلفظ العين كما هي، وقد رأينا أنّ (العبري/عبرام) لا تعني إلاّ وصفاً لإبراهيم ولكلّ مَن تجوّل بادية البريّة العربيّة ليعبرها ويتحوّل إلى سفوح الجبال الغربيّة السروات، ومدوّنة التوراة نفسها خير شاهد على هذا، بل كلّ من عبَر ولو على ظهر سفينة هو عبريّ أي عابر[1].

أمّا إسماعيل فقد تكلّم السريانيّة أوّلاً ثمّ الفصحى المُبينة، بل ربّما تطوّرت الفصحى وحياً على يديه، فقد رُوي عن النبيّ (ص)

---

[1] – في التوراة في سفر يونس الذي هو "يونان" لديهم و(جوناه بالغربيّ Jonah)، حين يركب السفينه فيسألونه **(فَقَالُوا لَهُ: «أَخْبِرْنَا بِسَبَبِ مَنْ هذِهِ الْمُصِيبَةُ عَلَيْنَا؟ مَا هُوَ عَمَلُكَ؟ وَمِنْ أَيْنَ أَتَيْتَ؟ مَا هِيَ أَرْضُكَ وَمِنْ أَيِّ شَعْبٍ أَنْتَ؟»، فَقَالَ لَهُمْ: «أَنَا عِبْرَانِيٌّ وَأَنَا خَائِفٌ مِنَ الرَّبِّ إِلهِ السَّمَاءِ الَّذِي صَنَعَ الْبَحْرَ وَالْبَرَّ»)**(يونان ١: ٨-٩)، فالتحريف مع أنّه حرّف قصّة يونس في التوراة ولدى مفسّرينا أيضاً عن البيان القرآنيّ وحوّلها إلى خرافة غير منطقيّة، فقد وقع في ترجمات التوراة بنحوٍ أسوأ، فبالعربيّة كتبوها أنّه قال (أنا عبرانيّ) كما لاحظنا أعلاه، وبالإنجليزية ترجموها أنّه قال (I am a Hebrew)، في حين أنّها في النُسخة الأصل أيْ بما يُسمّى بالعبريّة(!) كُتبت "عبري" (עברי) وأنّ يُونس قال (أنا كه عبريّ)، أي (ما أنا إلاّ عبريّ) بمعنى عابر سبيل، وهذه ما زالت يستخدمها المتنقّلون في السفن والسيّارات، فيُسمّون ركوب السيّارة (عِبريّة)، ويُسمّون وسيلة النقل البحريّة (عبّارة).

وأهل بيته (**أُلهم إسماعيل هذا اللسان العربي إلهاماً**)، (**أوّل من شقّ لسانه بالعربيّة إسماعيل بن إبراهيم (ع)**)، (**إنّ العربيـــة اندرســت فجاءني بها جبرئيل غضّة طريّة كما شُقّ على لسان إسماعيل (ع)**)، (**أوّل من فُتِق لسانه بالعربيّة المُبينة إسماعيل**)[1]!

أمّا أولئك الرسل الثمانية المذكورون في النصّ فلمْ يخرجوا عن إطار لسانهم السريانيّ من جهة أو العربيّ الآخر أينما حلّوا، ومـــنهم آدم (ع) فقد كان في تجواله يُمارس دعوته بسريانيّته ليُـشيّد القــرى انطلاقاً من مكّة وصولاً إلى فارس السريانيّة التي سمّته (گيو-مــرد) وقد فسّرنا هذا سابقاً (گيو: قيْع، وهي لدى السومريّين في اســم (آن-گي) عين القاع = سيّد الأرض) و (مرد، من "مر" امرؤ=رجل، آمر، أمير)، فمعناها كاملاً امرؤ القيْــع/أميــر وســيّد الأرض، والأرض أساساً ومنطلقاً هي مكّة أمّ القرى والمدائن، هي القاع البدئي، الجــبّ (Geb)، القاعدة، المرسى الأوّل، جيو أو گيو، لدى عرب وادي النيل أيضاً نفس الأمر، لأنّ الكلّ جذورهم سريان، ومنها صار علْــم قـــاع الأرض (جيو-لوجي) : لغة القـــاع، وصـــار ســـيّد مكّـــة، شـــريف (Sheriff) مكّة، هو رأس الفضائل وحامي القـــانون فـــي المجتمـــع وحافظ المدنيّة، وذهبت غرباً إلى أمريكا هذه الــ (شريف) القديمـــة، كما ذهب اسم "مكّة" ليعنـــي المركـــز والقِبْلـــة والغايـــة والمطمـــح (Mecca)! هذا السيّد لمكّة، يُدعى سيّد البقاع/سيّد البطحاء، تمامـــاً

[1] – ابن حجر، **فتح الباري**،ج٦، ص٢٨٦؛ محمّدي الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج٣، ص١٨٦٤.

كما كان عبد المطّلب جدّ النبيّ (ص)، وأب نوح (لمك: لام التعريف + مَكّ)، المكّي/المچّي وبالسريانيّة مچّو، التي صارت هي الرجولة والمروءة والبطولة بحقّ، في الغرب (Macho).

ب- معلّمو الحضارة

لقد انطلق آدم من مكّة، ليبذر بذور الإنسانيّة، ويُفتّح الوعي العقليّ الهاجع، وما قصّة بناء بيت الله الحرام في مكّة المُشتهر في الروايات إلاّ على يد آدم الرسول (ع) الذي أراه جبرائيل المناسك كلّها.

وكما -على وجه التشبيه- برز في أمّتنا العربيّة بعد موتها وتخلّفها مُعلِّمون نهضويّون آلمهم ما نالها فكان همُّهم الانبعاث لتعليمها أسباب المدنيّة والحضارة وترقية الإرادة الإنسانيّة والإيمانيّة، كجمال الدين الأفغاني، والإمام محمد عبده، وعبدالرحمن الكواكبي، فكذلك كانت بعثات النبيّين حين سبات البشريّة جمعاء.

فتعليم الدين، الحكمة، الأخلاق، العدل، اللغة، الإبداع، النظام، الزراعة، النسج، النحت، التجارة، الملاحة، الفلك، الحساب، الهندسة، الطبّ، سياسة الملك، ركوب البحر، بناء البيوت والمخازن والأهرامات، الصناعات، استعمال الأدوات، الموسيقى، الرسم والنقش، الكتابة، السدود، التدبير، نبذ الهمجيّة .. هي بعض نفحات النبيّين والمرسلين في الأمم، ولكنّهم كانوا مع كلّ علم طبيعي يُعلّمون

معه الحكمة لأنّ همّهم القفز بالوعي الإنساني ليُدرك ســـرّ وجـــوده، وهو إظهار خيره واستئصال الشرّ والجهل الذي فيه ليس إلاّ، فيدعونه إلى التوازن والتناغم بين مكونات المعرفة، ماديّها وروحيّها، حتى لا تأتي إحداها على حساب الأخرى، وشاهدُنا الآتي.

و(**أمّا ما يتعلق بشيث فإنّه كان قد ولد له أنوش في زمن أبيه آدم وأوصى شيث إلى أنوش بعد موت أبيه بسياسة الملك وتـــدبير الرعايا على منهاج أبيه من غير تغيير ولا تبـــديل وهـــو أوّل مـــن غرس النخل وزرع الحبّ ونطق بالحكمة**)[1].

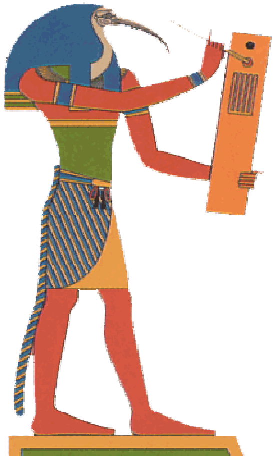

الصورة رقم (٢٤):

تحوت/إدريس/هرمز معلّم الكتابة لابساً قناع طائر أبي منجل الدالّ على الحكمة والدقّة

[1] – ابن الجوزي، **المنتظم في التاريخ** ج١:
http://www.al-eman.com/islamlib/viewchp.asp?BID=179&CID=6#s1

أمّــا: **تحــوت/ت-حــوط** (Djehuty, Tahuti, - Thoth Tehuti): ذو حوْط (الإحاطة) الــذي علّــم الكتابــة ودرّس العلــوم (إدريس) ووضع الرموز (هرموز)، فربّما هــو أشــهرهم، حتّــى أنّ المندائيّين ينسبون إليه (ع) بناء الكعبة المشرّفة التي يُقدّسونها أيــضاً، ويُسمّونها بيت الحيّ (بيت هيي).

فقد قالت آثار المؤرّخين العرب والمسلمين عنه (ويــسمى (ع) بهرمس، قال القفطي في كتاب إخبار العلماء بأخبــار الحكمــاء فــي ترجمة إدريس:

(اختلف الحكماء في مولده ومنشئه وعمن أخذ العلم قبل النبــوة فقالت فرقة: ولد بمصر وسموه هرمس الهرامسة، ومولــده بمنــف، وقالوا: هو باليونانيّة إرميس وعُــرِّب بهــرمس، ومعنــى إرمــيس عطارد. وقال آخرون: اسمه باليونانيّة طرميس، وهو عند العبرانيين خنوخ، وعرب أخنوخ، وسماه الله عز وجل في كتابه العربي المبــين إدريس. وقال هؤلاء: إنّ معلمه اسمه الغوثاذيمون وقيل: أغثــاذيمون المصري، ولم يذكروا من كان هذا الرجل، إلا أنهم قالوا : إنه أحــد الأنبياء اليونانيين والمصريين، وسموه أيضا أورين الثاني وإدريــس عندهم أورين الثالث، وتفسير غوثاذيمون السعيد الجد، وقالوا: خــرج هرمس من مصر وجاب الأرض كلها ثم عاد إليها ورفعــه الله إليــه بها، وذلك بعد اثنين وثمانين سنة من عمره. وقالت فرقة أخــرى: إن إدريس ولد ببابل ونشأ بها وأنه أخذ في أول عمره بعلم شيث بــن آدم

وهو جدّ جدّ أبيه، لأنّ إدريس ابن يارد بن مهلائيل بـــن قينـــان بـــن أنوش بن شيث. قال الشهرستاني: إنّ أغثاذيمون هو شيث. ولما كبـــر إدريس آتاه الله النبوة فنهى المفسدين من بني آدم عن مخالفتهم شريعة آدم وشيث، فأطاعه أقلهم وخالفه جلهم، فنوى الرحلة عنهم وأمر مـــن أطاعه منهم بذلك، فثقل عليهم الرحيل من أوطانهم فقالوا لـــه: وأيـــن نجد إذا رحلنا مثل بابل؟ – وبابل بالسريانيّة النهر وكأنهم عنوا بـــذلك دجلة والفرات– فقال: إذا هاجرنا لله رزقنا غيره. فخـــرج وخرجـــوا وساروا إلى أن وافوا هذا الإقليم الذي سمي بـــابليون، فـــرأوا النيـــل ورأوا واديا خاليا من ساكن، فوقف إدريس على النيل وسبح الله وقال لجماعته: بابليون، واختلف في تفسيره فقيل: نهر كبير، وقيـــل: نهـــر كنهركم، وقيل : نهر مبارك، وقيل: إنّ "يون" في السريانيّة مثل أفعل التي للمبالغة في كلام العرب، وكأنّ معناه نهر أكبر، فـــسمي الإقلـــيم عند جميع الأمم بابليون، وسائر فرق الأمم على ذلك إلا العرب فإنّهم يسمونه إقليم مصر نسبة إلى مصر بن حام النازل به بعد الطوفـــان، والله أعلم بكل ذلك . وأقام إدريس ومن معه بمصر يـــدعو الخلائـــق إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطاعة الله عز وجل، وتكلم الناس في أيامه باثنين وسبعين لسانا، وعلمه الله عز وجـــل مـــنطقهم ليعلم كل فرقة منهم بلسانها، ورسم لهم تمدين المدن، وجمع له طالبي العلم بكل مدينة فعرفهم السياسة المدنيّة وقرر لهم قواعدها، فبنت كلّ فرقة من الأمم مدنا في أرضها، وكانت عدة المدن التي أنـــشئت فـــي زمانه مائة مدينة وثماني وثمانين مدينة أصـــغرها الرهـــا وعلمهـــم

العلوم. وهو أوّل من استخرج الحكمة وعلم النجوم، فإنّ الله عز وجل أفهمه سر الفلك وتركيبه ونقط اجتماع الكواكب فيــه وأفهمــه عــدد السنين والحساب، ولولا ذلك لم تصل الخواطر باستقرائها إلى ذلــك. وأقام للأمم سننا في كلّ إقليم تليق كلّ ســنة بأهلهــا، وقــسم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كلّ ربع ملكا يسوس أمر المعمور من ذلــك الربع، وتقدم إلى كلّ ملك بأن يلزم أهل كلّ ربع بــشريعة .. انتهــى موضع الحاجة. وهذه أحاديث وأنباء تنتهي إلى ما قبــل التــاريخ لا يعول عليها ذاك التعويل، غير أنّ بقاء ذكره الحي بين الفلاسفة وأهل العلم جيلا بعد جيل وتعظيمهم له واحترامهم لساحته وإنهاءهم أصول العلم إليه، يكشف عن أنّه من أقدم أئمة العلم الــذين ســاقوا العــالم الإنساني إلى ساحة التفكر الاستدلالي والإمعــان فــي البحــث عــن المعارف الإلهيّة أو هو أولهم (ع)).[١]

طبعاً، لا نستطيع مناقــشة خلــيط آراء المــؤرّخين والــرواة والقصّاصين إلاّ بشكل عاجل ومقتضب، فكلّ الأسماء التي نقل الرواة جغرافيّتها تبعاً لتأثّرٍ بإسقاطات توراتيّة، هي في الجزيــرة العربيّــة، فبابل الأصل، ودمشق، ومنف، وقرية مصر، وكوثى (كوفــة) التــي منها جاء إبراهيم الخليل وقريش، كلّها (لمن راجع التوراة جيّداً) قرى وقلاع وحصون (مدائن) بادتْ في سروات الجبال والبرّيّــة الغربيّــة لجزيرة العرب، ثمّ حين انطلق الأنبيــاء ليجوبــوا الأرض ويُــشيّدوا

---

[1] – الطباطبائي، **تفسير الميزان**، ج١٤، ص٧١.

المدن، أطلقوا تلك الأسماء مرّة أخرى تيمّناً حيثما حلّوا، فجاء المؤرّخون ليخلطوا الصورة بالأصل، ويكفي أن نعرف أنّ هناك في يومنا هذا العشرات من (لندن) و(الإسكندرية) و(مكّة) في العالم الجديد، غير لندن بريطانيا، وإسكندرية مصر، ومكّة المسلمين، وأنّ (أور) السريانية (البابليّة) و(أور-رُك = أوروك = المغارة الجبليّة، المدينة الراقية) تحوّلت من أورك إلى يورك (York) التي في أوربا وبريطانيا، ثمّ إلى أمريكا وكندا، حيث أشهرها يورك الجديدة (NewYork)، وإنّ إطلالة واحدة على أسماء جغرافيا العالم كلّه يُريك ببيان بديع أنّ المعلّمين السريان هم من نحل العالَم أسماءه، بلدانه، وجباله، وأنهاره، وهذا بحثٌ واسعٌ آخر، للقارئ أن يتحقّق منه، وسنتعرّض لشذرات منه لاحقاً.

وإنّ شيث هو (غوثاذيمون) = (غوثا.ذي.مون) وهي مركّب سرياني بسقوط العين، و(ذي) هي أل التعريف في اللهجات القديمة ولا زالت تعمل كحرف صلة وهي التي صارت (The) الإنجليزية و(De) الفرنسية وأشباه تصويتاتها الألمانيّة وغيرها، (مون/مين/مينا) هو معين أي الربّ ولدى اليمن كتبوه (معن)، لكنّ بعض السريان لا يلفظون العين، فالاسم هو: "غوث الـ مُعاون"، (إغاثة المعين) الذي يُترجم أحيانا (هبة الله) وهو صحيح.

وأنّ جملة (إنّه أحد الأنبياء اليونانيين والمصريين) لا معنى لها بتاتاً، فإدريس ظهر قبل ظهور اليونان إلى الوجود بآلاف السنين.

وأنّ (بابل) باب-إل، ثغر الله، هي كمدينة بدأت أوّلاً في سراة الجزيرة العربيّة، حين كانت المدن في مغاور وفتحات الجبال، وكانت إحدى المغاور المسكونة تقود إلى مغاور مقدّسة يُعبد الله فيها ويُتقرّب كمداخل إلى الجنّة المفقودة، ثمّ مع انطلاق المعلّمين دُعيت مناطق أخرى بالاسم نفسه، مثل (بابل) الشامخة في العراق أخذت ذات الاسم، أمّا سبي اليهود المفسدين فقد تمّ في جزيرة العرب، حين بعث ملك بابل العراق نبوحدنصّر (نبو = نبي، مُسدّد، مُلهم -- حد (خذ/خدا) = الأحد وهو الله -- نصّر = ناصر، فالمتوقّع أنّه الملك نبي الأحد ناصر) بعث بجنوده ليُوقفوا فساد اليهود في طريق التجارة الدوليّة حوالي مكّة (وهو الإفساد في الأرض الذي تكلّم عنه القرآن في سورة الإسراء)، فأسر منهم الكثير وأجلاهم إلى قلعة حصينة/مدينة عسكريّة/حامية من حامياته، وسُمّيت هذه المدينة الصغيرة (بابلون) تصغير (بابل) عاصمة الإمبراطوريّة آنذاك، أمّا تسمية أرض مصر/القبط أنّها بابليون قديماً، فهي تيمنية أيضاً، كما سُمّي النيل نيلاً، باسم نيل الأصل في الجزيرة العربيّة وكذا فرات العراق هو تيمّني، تمّت هذه التسميات على يد أمثال إدريس ومن أقيم من ملوكها الأوائل بواسطته كأوزيريس وإيزيس، كما قرأنا أعلاه عمّا فعله إدريس بأنْ (**أقام للأمم سننا في كلّ إقليم تليق كلّ سنّة بأهلها، وقسّم الأرض أربعة أرباع، وجعل على كلّ ربع ملكا يسوس أمر المعمور من ذلك الربع ...**)، وشيث قبله فعل الأمر نفسه ونجد قرى في عالمنا العربي تُنسب إلى النبي شيث، وآدم فعل الأمر نفسه

أيضاً، لذلك قيل في دفنه أنّه في العراق وفي عُمان وفي مكة وفي الهند!

وأمّا قولهم (إلا العرب فإنهم يسمونه إقليم مصر نسبة إلى مصر بن حام النازل به بعد الطوفان) فليس صحيحاً، فالعرب تُسمّيها بلاد القبط، كما في رسائل النبي (ص)، ومصر التي نزلها حام هي قرية مصرين نفسها لو صحّت رواية التوراة، وهذا من التحريف الجغرافي، فمصر لم يستقرّ عليها أنّها مصر إلاّ بعد تمصير عاصمتها (الفسطاط/القاهرة) لجباية الأموال إليها في عهد الخلافة الإسلامية[1]، غير نافين أنّ أبناء حام وغيره انطلقوا عبر سواحل الجزيرة العربيّة إلى أفريقيا والبحر العربي والهندي كمعلّمين للحضارة.

كما نرى في (إدريس) أيضاً الذي دلّ تنوّع أسمائه باللهجات على تجواله ومهامّ وظائفه الربّانية وانتشار علوم الإنسانيّة على يديْه كنموذج للنبيّين المعلّمين، فهو الذي (درّس)[2] العلوم الناسَ (بالسريانية) والنقوش الكتابيّة، كما أخبرت إيزيس بذلك (**إنّني أنا**

---

[1] – راجع للمزيد بحث: **نداء السّراة، اختطاف جغرافيا الأنبياء**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

[2] – من المحتمل أنْ يكون الجذر الأصلي لاسم "إدريس" الذي جاء منه فعل "درس ودرّس" بمعنى خفي وعلّم، هو (درى) والدراية والأمر منه (إدْري) بالسريانية، أي أنّ إدريس ما هو إلاّ "إدري + س التقديس والانتشار"، فهو (ع) ذو الدراية التي انتشرت، العالِم الذي نشر العلوم المقدّسة وهو قريب لمعنى "تحوط/تحوت" كما سيأتي، وصار (درس) كفعلٍ عربيّ بنفس المعنى أيضاً لأنّ العربية بكل لهجاتها قائمة على قيمة الحرف، فلذلك تعطي الدلالة نفسها.

إيزيس، عاهلة البلاد جميعاً، لقد تعلمت على يد هرمــز، وابتــدعت بالاتفاق مع هرمز الكتابة الشعبيّة حتى لا يكتب كلّ شيء بحــروف واحدة)[1]، وبيّنت "إيزيس" أيضاً فضلها مع إدريس في تعليم الناس في شمال أفريقيا خصائص التمدّن والحضارة من أنسنة وحــبّ وعــدل وحكمة وعبادة وقانون وتعاليم أسرة ونبذ الهمجيّة والعلــوم الواســعة وأسرار الصناعات، وهو (ع) الذي علّم الناس نــسج اللبــاس حتّــى اشتُهر في تراثنا المروي **(كان آدم (ع) حرّاثا، <u>وكان إدريس خياطــا</u>، وكان نوح نجارا، وكان هود تاجرا، وكان إبراهيم راعيا، وكان داود زرّادا، وكان سليمان خوّاصا، وكان موسى أجيــرا، وكــان عيــسى**

---

[1] – أدولف إرمان، **ديانة مصر القديمة**، ص٥٥٩-٥٦٠. وهذا النص يجده القارئ في كثير من المواقع الأجنبية :

I am Isis, mistress of the whole land. I was instructed by Hermes, and with Hermes I invented the writings of the nations in order that not all should write with the same letters. I gave mankind their laws, and ordained what no one can alter. I am the eldest daughter of Kronos. I am the wife and sister of the king Osiris. I am she who rises in the dog star. I am she who is called the goddess if women. I am she who separated the heaven from the earth. I have pointed out their paths to the star. I have invented seamanship .

I have brought together men and women. I have ordained that the elders shall be beloved by the children. With my brother Osiris I made an end of cannibalism. I have instructed mankind in the mysteries. I have taught reverence of the divine statues. I have established the Temple precincts. I have overthrown the dominion of the tyrants. I have caused men to love women. I have made justice more powerful than silver and gold. I have caused truth to be considered beautiful. Come unto me and pledge unto me your loyalties as I pledge mine unto you.

http://www.golden-dawn.org/isis.html
http://www.philae.nu/philae/aretalogy.html

سياحا ..)[1]، أي أنّ إدريس مع أنّه ليس أوّل من ابتكر الحياكة التي بدأت قطْعاً بآدم (**أوّل من حاك آدم**)، إلاّ أنّ إدريس قد نشر الخياطة والنسيج وطوّره، لا من جلود الحيوانات فقط كالدباغة والحياكة، بل من النباتات وغزل خيوطها أيضاً كالقطن والخيش والكتان وصوف الحيوان وشعره أيضاً، وما زال العالم إلى اليوم يحتفظ بهذه النسبة إلى (إدريس) الذي درّس هذه العلوم، فكان (إدْرِزْ/دَراز/درزي/درازي) بمعنى خيّاط ونسْج وصفّ الخيوط، وراحت الكلمة للغرب لتكون من إدريسْ نفسه (Dress) أي لباس ونسْج.

وكما دُعي لدى عرب وادي النيل بـ "تحوط/ تُوتْ/Tehuty/Thoth" [2] (ذو الإحاطة/الدراية بالأسرار)، فهو لدى شعوبٍ أخرى "هرمز" (هاء التعريف + ارمُزْ)، مُعلّم الرمز والنقش والكتابة، وهو أخنوخ: أخ + نوخ، أخ الإناخة وصاحبها، أي معلِّم التوطين من وسائل استقرار وتمدّن واستيطان كالزراعة والنسيج

---

[1] – جلال الدين السيوطي، **الدرّ المنثور**، ج١، ص٥٧.

[2]– صار التيمّن باسم النبيّ "إدريس" تحوت/ توت (تحوط: أي ذو الإحاطة بالعلوم)، بادئة في أسماء ملوك مصر بعدها عرفاناً له، مثل "توت عنخ آمون" و"عنخ" = عين + أخ أيْ المُعيَّن والرقيب من أخ آمون، والله هو "آمون": آمين، مين، مينا، معن، أيْ المعنى الحقيقي للوجود، فمعنى الاسم هو (المحيط بالعلوم المعيّن صاحب آمون) (العالِم المعيّن لله/خليفة الله). ("عنخ" كثلاثة أصوات تأتي بسياقين: ١- عين + خو = المعيّن أخو كذا، مثل "عنخ آمون" المعيّن أخو آمون، أي المنتسب لآمون. ٢- عين + خي = عين حي، عين الحياة، فبعض الحاء خاء سريانياً، وهذه التسمية لها رمز على شكل مفتاح بهيئة صليب، هو سرّ الحياة في الحياة الآخرة).

والتدجين وبناء المدن والصناعات والتخزين وشقّ الجداول ... وقد قرأنا أعلاه وصف المؤرّخين فعله **(ورسم لهم تمدين المدن، وجمع له طالبي العلم بكلّ مدينة فعرّفهم السياسة المدنيّة وقرّر لهم قواعدها)**، وسمّوه أيضاً "حنوك" وسواءً هي تصويت آخر لكلمة "خنوخ"، حيث الخاء تنقلب حاء أو كاف فمدلولها هو كما السابق، أو هي أصليّة بمعنى (المحنّك، ذو الحنكة والتجربة والخبرات)، فهو (ع) موسوعة[١] بحقّ إذ علّم مصر (القبط) الكتابة- الرّسم والتصوير والرموز- والنّحت والفنون والمساحة والعمارة والفلك والحساب والهندسة والنسج والريّ والملاحة (بمعنى ركوب البحر)[٢] وغيرها... .

[1]- بل أنّ بعض الباحثين أثبت أسماء أخرى له، و"آثاراً له في المعمورة، وجعل أصله سومريّاً فيقول (أنّ هرمس هو الملك السومريّ "أنسيبازي أنّا" ويُسمّيه بيروس "إيفيدواكس" الذي حكَم مدينة "سبّار" قبل الطوفان، وتسلّم من الإله "إنكي" المعارف والعلوم ونشرها شرقاً إلى فارس والهند، ورحلَ غرباً إلى مصر وسُمّي هناك "هرمس- توت" و"إدريس" وربّما يكون قد بنى الأهرام، ولكنّه علَم السحر والطبّ والعرافة والحكمة للمصريّين .. وبذلك يكون هرمس السومريّ أوّل عالِم موسوعيّ علّم العلوم للبشر كلّها، ويرتقي هرمس إلى مرتبة النبيّ في التاريخ الدينيّ) خزعل الماجدي، **ميثولوجيا الخلود**، ص ١٠٥. وربّما أقرب تحليل لاسم "إيفيدو- اكس" هو مفيد الأقاصي، أو مفيد الحقّ، إن كانت السين سين الختام مُضافة، مع أنّ (أوفيد) هي أحياناً تصويت آخر لكلمة (أوبيد) التي هي (عوبيد) أي العابد.

[2] - كلمة الملاحة، بدأ بها السريان الذين تنقلب لديهم الخاء العربية حاء والعكس أيضاً (نوخ/نوح)، الذين ركبوا البحر، وسخّروه واصطادوا أسماكه، وعملوا المرافئ والملاجئ، وأنشأوا موانئ تخزين السمك بتمليحه، مثل جزيرة (ملقا/ملگا) وهي (ملخا) أي (ملحا) بالفصحى، مكان التمليح، ثم صار ركوب البحر لصيد السمك وتمليحه، يُدعى "ملاحة"، وصار الآن حتى السفر في الجوّ "ملاحة" جوّية بعد نسيان الأصل!

وحيثما حلّ إدريس في مناطق قومـه السريان، فـي غـرب الجزيرة، مصر، شمال أفريقيا، الشام، العراق، ساحل الخليـج الـذي دُعي مضيق هرمز باسمه، الهند، وطّن نفسَه علـى تعليـم النـاس، ونصْب أولياء له ورسل يُقيمون أمره ويواصلون مهامّه، وقـد رأينـا (إيزيس وزوجها أوزيريس) معه في مصر النيل، والـذين بـدورهما نشروا علوم الإنسانيّة، حتّى يُنقل عن أوزيريس ملك بلاد القبط يقول **(إنّني أنا الملك أوزوريس الذي أدار الحرب في أنحاء الأرض كلّهـا حتى بقاع الهند الخاوية، وحتى مناطق الشمال إلى منابع الـدانوب، ثم إلى المحيط. إنّني أنا الابن الأكبر لكرونوس، وقد ولدت جنيناً من بيضة جميلة شريفة. وليس في العالم مكان لم أبلغه، وقـد منحـت الناس أجمعين ما وجدته).**[١]

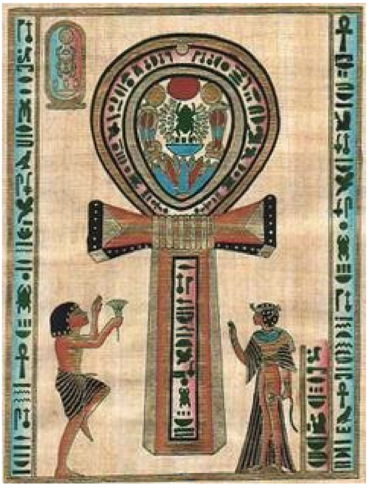

الصورة رقم (٢٥): مفتاح الحياة (عين-خي = عنخ) Ankh (Key of Life)

[1] – أدولف إرمان، **ديانة مصر القديمة**، ص٥٦٠.

وفي التوراة قالوا (**وَسَارَ أَخْنُوخُ مَعَ اللهِ وَلَمْ يُوجَدْ لأنَّ اللهَ أَخَذَهُ**)(تكوين ٥: ٢٤)، وهي التي فُهمتْ خطأً وفُسِّر بها القرآن أيضاً كما هو الدأب للأسف! وفهمها أهلُ الإنجيل أيضاً فقالوا (**بِالإِيمَانِ نُقِلَ أَخْنُوخُ لِكَيْ لاَ يَرَى الْمَوْتَ، وَلَمْ يُوجَدْ لأَنَّ اللهَ نَقَلَهُ - إِذْ قَبْلَ نَقْلِهِ شُهِدَ لَهُ بِأَنَّهُ قَدْ أَرْضَى اللهَ**)(عبرانيين ١١: ٥).

فمع أنّا لا نُنكر احتمال دخول إدريس الجنّة بإكرام ربّانيّ خاصّ، إلاّ أنّ الكرامة الحقيقيّة لرفعة إدريس وسيْرِ (أخنوخ/إدريس) مع الله ونقله هو سيرُه في البلدان شرقاً وغرباً برعاية الله وصحبته (بمرافقة وتأييد ملائكة له)، وقد انفقد من محلّته (مسقط رأسه) طوالَ دهره، لا أنّه ارتفع وحُمِل إلى الجنّة كما ظُنّ واشتُهِر، وإلاّ فكلّ الأنبياء والأبرار رُفعوا إلى الجنّة بمجرّد موتهم! هذا الأمر الجهادي العظيم بالجولان في الأمم لتعليمهم ذاك العلم الموسوعي والإحاطة الربّانيّة أخبر عنه القرآن (**وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقاً نَبِيّاً* وَرَفَعْنَاهُ مَكَاناً عَلِيّاً**)(مريم:٥٦-٥٧)، فهذا هو المكان العليّ الذي رفعه الله إليه عنده ولدى جميع الشعوب التي تمتنّ له في بقائها ورفعتها وتمدّنها، مقام المعلِّم الموسوعيّ الجليل، نبراسٍ مجّاني كريم للإنسانيّة جمعاء، (**طبيبٌ دوّارٌ بطبِّه**)، طبيب روح وعقل وبدن واجتماع، كان لفضله وصبره أكبر الأثر في تطوّر مسيرة الإنسان، مسيرة تستدعي توطين النفس على الغربة وشدّة الحلم والصبر على الجهالات العقليّة والنفسيّة للناس، لذلك يمتدحه الرحمن بالصبر بقوله (**وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ**)(الأنبياء:٨٥)، فهؤلاء

أنبياء عظام قُدِّر لهم التغرّب ليتكفّلوا (ذا الكفل) بغير بيئاتهم تمهيداً لتطوّر عموم الإنسانيّة.

وقد رأينا في بحث المعصية[1] في أساطير الإغريق أنّ "بيرسوس Perseus" ابن "زيوس Zeus"(![2]) وبسيفٍ قلّده إيّاه "هِرمس" هو الذي ذبح "الميدوسا Medusa"[3] أي أنّ فارس ابن ضيا (بيرسوس زيوس) استأصل الهمجيّة بأثر قوّة تعاليم هرمس/إدريس.

ج- آدم المؤسّس الرمز

كان لهؤلاء المعلّمين الأثر الأبرز في شعوب البشريّة، حتّى أنّ ولادتهم التاريخيّة الإنسانيّة تبدأ بتاريخ معلّميهم، فلذلك لا نستغرب أنْ سُمّيت المناطق بأسمائهم (مثل: فارس، إيران) قيل هما أسماء معلّميْن

---

[1] - راجع بحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[2] - زيوس شخصية آموريّة حقيقية، وأحد مَن لهم الفضل في بناء حضارة "أوروبا" التي جاء اسمُها من اسم الأميرة العربيّة "عروبة" (تُلفظ "أوروبا" بالفينيقي) التي خطفها زيوس وتزوّجها، لكنّ الإغريق الذين ابتدأ تاريخُهم بهذه المحطّة، تماهى لديهم البشري بالإلهي فصار السيّد ضياء (يُلفظ "زيو" بالسرياني) ربّا للأرباب ويُستخدم اسمه وشخصه في ميثولوجيا التكوين والأصول! وتقول الأسطورة أنّه قضى مرحلة شبابه بين الرعاة فوق جبل "إيدا"، وهو جبل إحْدَا (وهي الجبال التي تُسمّى "أُحد" في الجزيرة العربيّة).

[3] - أقرب تحليل لكلمة "م–إدو– سَ" حيث الميم قديماً أداة ربط في الكنعانيّة بمعنى الذي وأل تعريف أيضاً، وهي أيضاً كالعربيّة تأتي بداية الفواعل والمفاعيل والظروف والمصادر وغيرها، و"إدو" هو "أذى" فالدال والذال واحدة قديماً واللهجات السريانيّة يختم مفردها بالواو، والسين ظلّ يُضيفها الإغريق كخاتمة لكلّ الأسماء اعتباطاً، فهي "المؤذية" أو "الأذى" وهذا فعْلُها فعْلاً، فـ "مؤذٍ" العربيّة "ميدو" سريانياً.

من أحفاد نوح السرياني[1]، ما جعل الشعوب تعدّ هذا المعلِّم الوافد آدمها الروحي، بهذا ظنّ كلُّ شعبٍ أنّه أصلُ دُنيا النّاس، وآدم منه، ولا عجب أنّ "نوحاً" مع أنّ القرآن قدْ "مَوْقَعُه" في جزيرة العرب، إلاّ أنّا نراه موجوداً كمُواطنٍ لدى السومريّين، ثمّ البابليّين، ولدى الهنود أيضاً، بل وعند قبائل أمريكا اللاتينيّة كذلك، بل هناك لا أقلّ من ٣٣ وثيقة تاريخيّة كلّها تُمركز بطل الطوفان لديْها، لحقيقة أنّ الشعوب صارت تتّخذ من أسماء آبائها الأوائل أسماءً لتلك القصص الربّانيّة المُوحاة أو العكس، كما رأينا "إيتانا" رمزاً لآدم في بابل، ولدى الإغريق تماهى السيّد "زيو/ضيو =ضيا" وهو "زيوس" الفينيقي مع بداية الخليقة الإنسانيّة (آدمهم) وصيّروه ربّاً فعلاً لا مجرّد ربّ مدنيّةٍ وحضارة وتعليم، فالتاريخ –على مستوى الأسماء والشخصيّات على الأقلّ– يبدأ لديْها من أصول آبائها، وكذلك العرب، بدأوا بآدم الرسول (ع) ونصبوه بداية للتاريخ الإنساني، لأنّهم اندثر لديهم ما قبله ناهيك عن عدم وجود حضاري فعليّ إلاّ بعد حقبة الرسل التي دشّنها آدم

---

[1] – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج١، ص٢٨٩: (وزعم الفرس أن طهمورث الملك، وهو عندهم بمنزلة آدم (ع)، دلّ عليه كتابهم المعروف بالابستاق، أقطع الدنيا لأكابر دولته، فأقطع أولاد إيران بن الأسود بن سام بن نوح (ع)، وكانوا عشرة، وهم: خراسان وسجستان وكرمان ومكران وأصبهان وجيلان وسندان وجرجان وأذربيجان وأرمنان، وصيّر لكل واحد من هؤلاء البلد الذي سمي به ونسب إليه). وفي ج٤، ص٢٢٦: (سميت بفارس بن علم بن سام بن نوح (ع)، وقال ابن الكلبي: فارس بن ماسور بن سام ابن نوح، وقال أبو بكر الحلواني: الذي أحفظ فارس بن مدين بن إرم بن سام بن نوح).

الرسول، فضلاً أنّ اختراع التدوين بالنقش أو غيره والتأريخ لم يبدأ بعد.

أمّا عربُ وادي النيل فقد بدأوا بإدريس مع إيزيس وأوزيريس فعلاً وكحقيقة تاريخيّة، إذْ كان لهؤلاء الثلاثة فعلاً فضلٌ على العالَم بنشرهم العلوم الإنسانيّة، وأسّسوا حضارةً في مصر وادي النيل قبْلَ الألف الخامس قبل الميلاد وعلّموا الناس الزراعة هناك والملاحة والكتابة والحساب والفلك والمهن الصناعيّة ونبْذ الهمجيّة وتدشين الأسرة والنظام الاجتماعي، لكنّ النّاس بعد دهورٍ مديدة ماهوا بين تلك الشخصيّات (أسمائها) وبين أصول الخلق من جهة أولى وبداية التاريخ العالَميّ الإنساني من جهةٍ أخرى.

وتختلط القصّة بين "أوزيريس" الفعليّ كأبٍ ربّانيّ لشعبِ مصرِ النيل وبين آدم الأوّل كأبٍ للإنسانيّة جمعاء، لأنّه كما قُلنا أنّ التاريخ الإنساني في مصر النيل يبدأ بأوزيريس فيتّحد لديْهم بشخص آدم، فكان آدم فاتح الإنسانيّة (وفتاح كقوّة ربّانيّة يُدعى Ptah) متماهياً مع فاتح الإنسانيّة في مصر (أوزيريس)، بل وتبدّى "أوزيريس" في شخصيّة ثالثة تُدعى "سكَر"، وظنّ المترجمون أنّها ثلاثة آلهة (فتاح-سكر-أوزير) اندمجت في واحد كالثالوث المسيحي[1]، ولمْ يدروا أنّها

---

[1] – Sokar (Seker) was the primary god of the Memphite funeral cult and its nearby burial grounds and tomb sites. He was seen as a manifestation of the resurrected Osiris, and in later dynasties he was combined with Ptah and Osiris into one deity, Ptah-Sokar-Osiris. **http://touregypt.net/godsofegypt/seker.htm**.

رموز تقديسيّة لقصّة الإنسان من أوّله لآخره تتماهي مع الأصل الجغرافي للإنسان، فتماهي "أوزير" مع "فتاح" الإنسانيّة "أي آدم" (لا "فتاح" الخلق، وهو القدرة الربّانيّة)، أدّى لاستقدام إحداثيّة المركز الأوّل إلى الذاكرة وهو "سَكَر"، وهو جبل من سراة شبه الجزيرة العربيّة[1]، أحَد معالم البقعة التي كان فيها آدم كأصل، وحيث دُفِن فعْلاً فيها "أوزير/أوزيرس" لاحقاً، ودليل آخَر أنّهم استهلّوا بأوزيريس تمثيلاً عن آدم الأوّل أب الخليقة الإنسانيّة، هو جعلهم ميلاد أوزيريس الخامس والعشرين من ديسمبر[2]، وما هو إلاّ مولد النّور الإلهيّ، وتمثّل الروح (خلْق آدم)، والذي كرّره تراثُ الأمّة الواحدة وسمّاه القرآن "ليلة القدْر" وصار يحتفل به المسيحيّون بعدئذ على أنّه مولد عيسى (ع) تيمّناً به[3].

وهذا بالتمام ما نجده في بقاع عربيّة أخرى حيث اتّحد هذه المرّة آدمُ الرسول بآدم الأوّل لدى عربِ الجزيرة ومنهم بنو إسرائيل. أمّا لدى الفرس فقد اتّحد جدُّهم الأعلى وملكهم ومؤسّس وجودهم في تلك البقعة "جيومرث" بآدم أيضاً فقالوا أنّ جيومرث هو آدم أبو

---

[1] – وسُمّي "شكَر" في حديث لرسول الله (ص)، وجبل حمومة أو الحمة، وجبل "شكر/سكر"، وهو يقع بالقرب من أُحد رفيدة، صار أسكار لدى الفينيقيّين، وأشكار لدى بابل وسومر، ولمزيد التعرّف على معالمه راجع ما كتبه أحمد داوود، **تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- "المركز**، ص ٣٩٩-٤٠٤، وما نقله عن هاشم النعيمي، وعن حمد الجاسر، في **تاريخ عسير** لفؤاد حمزة، ص١٢-١٣.

[2] – راجع المئات من المواقع مثل:

http://www.religioustolerance.org/xmas_sel.htm

[3] – راجع بحث: **ليلة القدر- عيد الخليقة**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

البشر![1]. وهذا ما ذكره "زرادشت"، حين مناظرته لعلماء فارس الوثنيّين، فقال أنّ "أهرمان قتل كيومرد أوّل البشر، والذي منه ظهرت بذور بني آدم"[2]، وأهرمان[3] هو روح الشرّ (الشيطان) وله أعوان "ديفا"[4] وهي مثل "ديفلس" وهي ذي أبلس (الأبليس)[5]، وواضح أنّ هذا

---

[1] – انظر: ابن النديم البغدادي، **فهرست ابن النديم**، ص٢٢؛ الطبري، **تاريخ الطبري**، ج١، ص١٢، ص٩٨، ص١٠٤، ص١٣٢؛ والمسعودي، **التنبيه والإشراف**، ص٧٥. وأعتقد أن "جيو-مرت" أنّ جيو/گيو هي گيع (قِيَعْ) أي قيعان الأرض، وهذا يُبيّن أنّها تسمية سكّان جبال، حيث السهول هي القاع، وهم سريان جبال السراة العرب، ومن "جيو" جاءت جيولوجي، أي لغة الأرض وأسرارها، أمّا "مرت" وصارت بعدئذ "مرد" بالفارسيّة أي الرجل والبطل، والعربيّة "مرأ"، و"مَر/مار" هو السيّد والبعل والشريف، وما زال يُضاف كلقب لرجال الدين المسيحي ومنه ماري أيضاً، ولعلّها جاءت من الفعل "أمر" أساساً الذي منه تشعّب الأمر والأمير في الجذور القديمة، فالذي يبدو أنّ معناه "سيّد البقاع".

[2] – سليمان مظهر، **قصّة الديانات**، ص٢٩٩.

[3] – أهريمان رمز للشرّ/الشيطان، وهي سريانية كما نرى، أحريمان، (إحريمان، على وزن سليمان ونعيمان)، إذن، أهريمان هي المحروم والشقي والمُبعَد والملعون، وما زالت بعض اللهجات تستعمل صياغات كهذه ففي العاميّة التي طُويت فيها معالم الصياغات السريانيّة نقول (إحريمان، إسليمان، إحميدان)، والبعض يُسمّي (عبد الرحمن = عبد أرْحَمان).

[4] – ما زلنا إلى اليوم نُسمّي الهلاك (ذيفان) والمصائب المهلكة (أم الذيفان)، فالفعل (ذف/دف) بمعنى أهلك وأفسد ومنه جاء (Death) بمعنى هلاك، فـ"ديفا" أي المفسدون المهلكون.

[5] – "إبليس" قالوا أنّها من الإبلاس أي اليأس، وهذا معقول، لكن لا يعني أنّ إبليس منذ وُجِد كان اسمُه إبليس، وهذا ما صار يَشْكل على البعض، بل لقد اقترن اسم "إبليس" به في القرآن منذ تمرّد على الأمر لا قبْل، كأنّه (يئس) أنْ يجد له موضعاً في المشروع الربّاني المُستحدث (مشروع جعل خليفة بشري) ثمّ زاد وتكبّر وانتفخ وطغى وتحوّل إلى شيطان رجيم، فلمْ يُسمِّه القرآن في أحداثِ بعدئذٍ إلاّ شيطاناً، وقد أكّد سبحانه أصل هذا الفعل العربيّ "أبلس" أربع مرّات لا اعتباطاً كقوله **(وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ)**(الروم:١٢)، هذه اللفظة العربيّة هي التي دوّنها الكهنةُ في التوراة (دي-أبْلُس) (دي هي ذي بمعنى الذي وهذا واضح فليس إلاّ لام التعريف مضافة، أي الذي أبلس)، صارت باللاتينيّة (Di-abolos)، ثمّ "ديابول" (وبالإنجليزي diabolic

القتل هو قتل روح آدم باستزلاله وإخساره مقامه، وآدم أبو الناس هو "كيو-مرد" ("جيو-مرت")، فالقصّة تعيد إنتاج نفسها وتوطينه.

ولقد تشابه الرقيّ المدني والأخلاقي والاعتقاديّ والأسطوري في حضارات العالَم القديم، مع عدم وجود أيّ جسر بينها، ما يدلّ على انبعاث معلّمين ربّانيّين من مشكاة واحدة إلى تلك البقاع البعيدة، لذا نجد أسراراً كالفلَك وبناء الأهرام وصناعة السفن في كلّ مكان، يقول هنري فرانكفورت (**لا نستطيع أنْ نُعلّل انبثاق المجتمعات المتحضّرة في مصر وفي ما بين النهرين على أساس الاحتكاك الحضاري والاتّصال بالخارج، إذ أنّ هذين البلدين كانا الأوّلين اللّذين ارتفعا فوق المستوى العام من الوجود البدئي**)[١].

د- تعليم الإنسان بين الملائكة والنبيّين

من الراجح جدّاً أنّ مسار الهدايات كانت تبدأ من المركز (بكّة) وتنطلق، ولانتشار الإنسان في كلّ بقاع العالَم، اقتضت عدالة الله ورحمته ألا يُترَك سدى بلا نذير ومعلِّم، فكان التعليم الملائكي على قدم وساق للبشر يسدّ الثغرات، فلذلك نجد الإعجازات الحضاريّة في أمم الماضين، وتوحّد علومهم سواء على مستوى الأهرام أو الهندسة

هي شيطاني) حذف المترجمون السين من اللاتينيّة ظنّاً منهم أنّ السين النهائيّة كانت زائدة حسب عادة الإغريق بإضافات السين، ثمّ ديڤول، بالإقلاب بين الباء والڤاء، والتي تُسمّى الآن ديڤيل (Devil)، ودليل أنّ (دي) الأولى أصلُها حرف التعريف العربيّ، أنّ بحذفها في الإنجليزية، يُنتج لنا (Evil) وهي الشرّ والشيطنة والأبلسة نفسها!

[1] - هنري فرانكفورت، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**، ص ١٣.

أو الفلك أو الأدوية أو ارتباطهم بأرواح الطبيعة وقواها أو ظاهرة القرابين أو القوارب، حتّى بات علماء الآثار في حيرة كونهم يجدون حضارة صينيّة، وبابليّة، ومصريّة، وأفريقيّة، وأمريكا جنوبيّة، تتّفق كلّها على أسس علميّة في المعمار والآلات والعقائد من دونما دليل ملموس على وجود حلقات تمازج حضاريّ والتقاء ثقافيّ بينهم، ما أدّى بهم لافتراض وجود حضارة أمّ مشتركة أسبق، أو معلّمين أوائل أقدم، وكلا الأمرين صحيحان، لكنّ الوجود الأسبق هذا مرهون باستلام الإنسان خلافته التي تنازل عنها وفرّط فيها، فمارست الملائكةُ دور كافل اليتيم حتّى إذا بلغ رشده دفعوا إليه حقّه.

ومسألة وحي الملائكة لأحد البشر غيباً على مستوى الرّوح فقط كرسالة قدْ بدأت بنوح (ع)، أمّا كنبوّة وتعليم فلم تنقطع منذ آدم الأوّل وأبنائه، أو تمثّل الملائكة كبشر واقترانهم مع رسول بشريّ كداعم له، بدأت قبل نوح (ع) وانتهت بنوح، لذلك احتجّ عليه قومُه بعدم نزول ملائكة، كما كانت مع آدم الرسول **(أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ)**(الزخرف: ٥٣)، **(أَوْ جَاءَ مَعَهُ مَلَكٌ)**(هود:١٢)، **(لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً)**(الفرقان:٧)، **(لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ)**(الأنعام:٨) أي يعاينونه ملَكاً فـ"الإنزال" يشهده الوعي، أو ممارستهم دور التعليم بتمثّلهم شخصياً ومشيهم في الناس، وقد ظلّت هذه في الذاكرة حتّى قالت نسوة يوسف **(مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ)**(يوسف:٣١)، وقال نوح **(وَلا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ)**(الأنعام:٥٠).

فقوله تعالى في هذا الصدد **(وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكاً لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لا يُنْظَرُونَ)**(الأنعام:٨)، يعني أنّ نزول الملك معايَناً بصورته الملائكيّة لا البشريّة هو ما طلبوه كقولهم **(أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً)**(الإسراء:٩٢) وأيضاً **(وَقَالَ الَّذِينَ لا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوّاً كَبِيراً)**(الفرقان:٢١) فهذه حالة تنمّ عن عناد وتعجرف، لا أنّها تصف حالة تاريخيّة حاصلة، فهذه الحالة غير طبيعيّة تُشبه قولهم **(لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ)**(الحجر:٧) لأنّها عُقّبت بالتعقيب نفسه **(مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذاً مُنْظَرِينَ)**(الحجر:٨)، أي هي إعجازيّة تضاف للرسالات التي يعقبها عذاب مع الكفر، وقد نُسخت هذه الظاهرة مع رقيّ العقل الإنساني لاستلام خلافته بالنبيّ الخاتم (ص) فلا عودة للوراء بهذه التأييدات لإسناد الرسل وتقويتهم التي تجئ مع كامل توابعها، لذلك عقّب سبحانه "لقُضي الأمر" وهو أمر الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن وإتاحة الاختيار وهو الإنظار فقال "ثمّ لا يُنظرون" فهذه حالات خاصّة جاءت لاستئصال الهمجيّة والإجرام في البشر وإثابة البقيّة إلى رشدهم، ولا تناسب رحمة وخاتميّة واستحقاق الرسالة الخاتمة، ورُشد البشر ووجود "هادين" كفاية.

أمّا التمثّل الملائكي التاريخي، فهو أمرٌ طبيعي رافق النبوّات جميعاً، سواءً شهده الناس أو لمْ يشهدوه، وحصل لمحمّد (ص) إذ كان يجيء جبريل (ع) مشابهاً لصورة الصحابيّ دحية الكلبيّ سواء

بالمقدور معاينتها (... **يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلاثَةِ آلافٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُنْزَلِينَ**)(آل عمران:١٢٤) أو لم يعاينوها وشهدوا آثارها وقوّتها بإرداف كلّ مؤمن بشبيهه المتمثّل بشراً (**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ**)(الأنفال:٩)[1]، وحدث التمثّل مع مريم، وإبراهيم، ولوط، وداود كما حكاه القرآن، لكنّه مرّ في حقبتيْن ثمّ انقطع، حقبة يكون تعامل الملائكة المتمثّلة بشراً مع الناس مباشرة، كما جرى لقصّة الملكيْن المُعلّميْن ببابل وهو أمرٌ أشار القرآن لقاعدته (**قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكاً رَسُولاً**)(الإسراء:٩٥)، فتنزّل الملائكة من السماء كرسل يأتي إلى أحد مُستهدفيْن: وجود ملك أرضي بين الناس، أو بشر روحاني بينهم، أيْ مع أحد أفراد البشر الطاهرين، كما سبق أمثلته، سواءً تمثّلوا بشراً لهم أم جاءوا روحاً (**يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا**)(النحل:٢).

والعجيب أنّ الإنسان حتّى الجاحد منه بدعوة الرسل، يعرف

[1] – هذا التمثّل شهده المسلمون في المعركة ولم يفهموا سرّه حتى أخبرهم به سبحانه بقوله في سورة الأنفال في ثلاث مواضع: ١- (**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلاً**)(الأنفال: ٤٤) فكيف رأوا الأعداء قليلاً لولا أنّهم رأوا عدد صفوفهم هم قد تكثّر وزاد، وأخبرهم سبحانه أنّ الشيطان رأى هذا المدد فتولّى فزعا مُخاطباً معسكر المشركين الذين لم يروا هذا الأمر لم يسمعوا خطاب إبليس ٢- (**إِنِّي أَرَى مَا لا تَرَوْنَ**)(الأنفال: ٤٨)، وأراد سبحانه من المؤمنين أن يُثبتوا هذه الحقيقة ويعزّزوا الإيمان بحصولها بقوله ٣- (**إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**)(الأنفال: ٤١) فالمُنزل يوم الفرقان يوم التقاء الجمعيْن هم الملائكة المردفون.

الربّ ونزول الملائكة، ما يُبيّن استقرار هذا الأمر في الذاكرة البشريّة منذ القدم، فالدّين أقدم شيء في الإنسان فهذه عاد وثمود قبل ٤٥ قرناً يحكي القرآن عنهم قولهم **(لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنْزَلَ مَلائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ)**(فصلت:١٤).

فكان دور الملائكة، خفيّاً أو مُعلناً، هو الانتقال بالفرد من بشريّته إلى إنسانيّته ليصحّ سجودها له، على عكس تيّار الشيطان، بتسفيل الفرد من إنسانيّته وتجريده منها ليبقى فقط (بشراً من طين) لا روح له، ليصحّ عدم سجوده له، فصراع الملائكة مع الشيطان هو إثبات وجهة نظر، لو طالعناه بعين سياسيّة!

هـ- مهمّة آدم الرسول .. الراعي الصالح (دوموزي)

وكما كان هدف الملائكة في الإنسان، فكذلك هدفتْ الرسل الإنسانيّون وانصبّت جهودهم، فرفع درجة الوعي (بمكارم الأخلاق والصلاح النفسيّ الفرديّ والاجتماعيّ وتفتيح مدارك العقل) هي مهمّة آدم الرسول لإرجاع الناس إلى إنسانيّتها ومقارعة وإزالة مظاهر الهمجيّة، تماماً كالمهمّة التي فعلتها واختصرت عباراتها إيزيس بلاد النيل، ونصب شرائع القانون التي تُحاصر مظاهر الهمجيّة اجتماعيّاً لإيجاد المحضن السليم، وقد هيّأ الملائكة المجسَّدون بهيئة البشر، والأنبياء قبله في بقاع العالم علوماً لرفع الإنسان وتوفير ضروراته من غذاء ولباس وسكن ودواء وحيل ودفاع، فكانت الرسل تُراكم المخزون المعرفي الذي وصلت إليه البشريّة.

ولقد عُدَّت الأنبياء والمصلحون ملوكَ البشريّة وسادتها، يومَ كان الدين انفتاحا على العالَم وإبداعاً وحبّاً ومعاملة لا انغلاقاً وعصبيّة وجهلاً، يوم كان الدينيّ والدنيويّ أمراً واحداً، وكانت علوم العرفان والأخلاق والفلَك والهندسة والحساب والصناعة والزراعة والطب والكيمياء والرياضيّات والاجتماع والأدب والموسيقى يُمارسها عالِم الدين لأنّها من الدّين، يوم كان السياسيّ هو الأعدل والأصلح والأرحم والأحنك لقيادة شعبه، لا الأقدر على القفز فوق ظهر الشعب في غفلة أو تسويق كذب الكلام!

لذلك يمتنّ سبحانه على آل إبراهيم بأن **(فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكاً عَظِيماً)**(النساء:٥٤)، و **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكاً وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يُؤْتِ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ)**(المائدة:٢٠)، وشُبّه القائد المصلح دائماً براعي المعزى، **(راعي الخراف العظيم)**(رسالة العبرانيّين ٢٠: ١٣)، كما قال عيسى (ع) لبني إسرائيل **(أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ وَالرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذِلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ)**(يوحنّا ١٠: ١١)، وقال **(لَمْ أُرْسَلْ إِلاَّ إِلَى خِرَافِ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةِ)**(متّى ١٥: ٢٤)، وقدامى المصريّين سمّوا مؤسّسهم ومعلّمهم وملكهم أوزيريس بالراعي الصالح (the good Shepherd)[1]، وكذلك السومريّون سمّوه الراعي الصالح، وراعي الخراف (دموزي) والذي صار (تموز)

[1] – **http://www.religioustolerance.org/xmas_sel.htm**

أيضاً، وهذه اللفظة العربيّة بصمة على خارطة انتشار ملوك الصلاح في البشرية حتّى أقاصي الغرب فضلاً عن الشرق، وسنرى أنّ قاموس الراعي الصالح انتقل لغةً بكامله، فكيف ذلك؟

نعلم ذلك إذا علمنا معنى "دموزي".

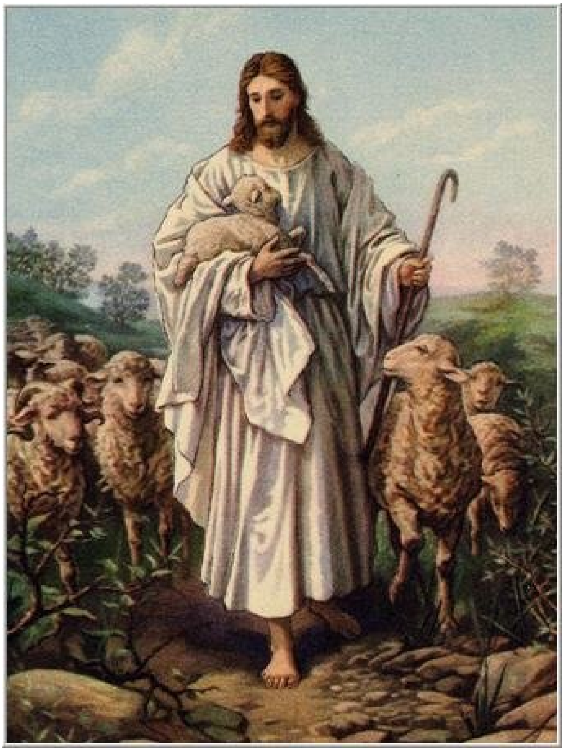

الصورة رقم (٢٦): المسيح الراعي العظيم لخراف بيت إسرائيل الضالة!

قالوا في (دموزي): ((دمو: ابن – زي: بار، مخلص) بينما كان "الثور الوحش" أحد ألقابه العديدة، والحقيقة أنّ مدلول اسم هذا الإله (الابن البار المخلص) غير واضح .. وفي سنة ١٩٥٣ تقدّم

الأستاذ جاكبسون بتفسير جديد فقال إنّه يعني "هو الذي يُعجّل بالصغار" أي يُقوّيهم، يُكسبهم الصحّة، كأنّ رأيه هذا مستمدّ ممّا هو معروف عن دوموزي "راعي الغنم والماشية" ..)[1]!!

ولا ندري كيف اجتمعت هذه المعاني المتناقضة في مدلول (دموزي)، لا يشفع لهذه الآراء إلاّ سقم الترجمة والتخبّط في الاجتهادات بدون الرجوع إلى أصل اللفظ عربيّا (سريانيّا)، وبدون التحليل المنطقي حيث تمّ تحليل دموزي إلى مقطعين (Dumu) و (Zi)[2]، بينما كان المنطق يقول أنّ (دموزي) هي (تموز) فالدال هي التاء، وهي حرف التعريف، فهي مقطعان فعلاً لكن بتقسيم آخر (د أو ت) + (موز).

وسنجد أنّ (دموزي) هو فعلاً راعي القطيع، سواءً كان من مهمّة قائد القطيع أن يُعجّل بالصغار ويقوّيهم فعلاً، أو من مهمّته إن كان مثلهم أن يكون الثور الوحش، أي الرائد القويّ القائد والحامي عن القطيع.

---

[1] – فاضل عبد الواحد علي، **عشتار ومأساة تموز**، ص ٢٦.

[2] – فاضل عبد الواحد علي، **سومر أسطورة وملحمة**، ص١١٩.

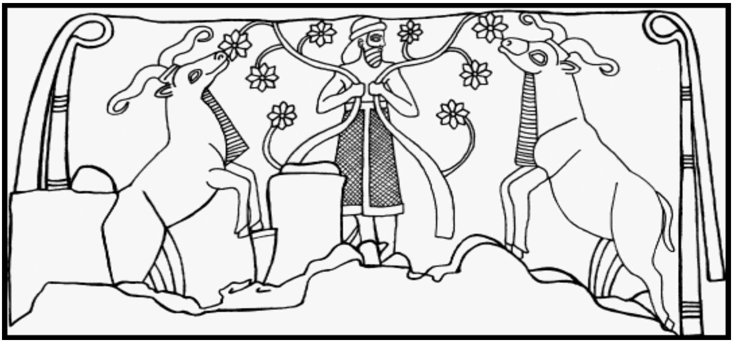

Dumuzi feeding the goats of inanna (sumer 3200 b.c)

الصورة رقم (٢٧):

لوحة سومرية ٣٢٠٠ سنة قبل الميلاد، فيها دموزي يُطعم جداء الطبيعة (إينانا)

فـ "دي–موزي"، جمع دي–موزو، (دي) هـي ذال التعريـف القديمة التي ما زالت موجودة في عربيّتنا الفصحى في أسماء الإشارة (ذي) وأداة الوصل (الـذي)، وهـي أيـضا (ذي) للملكيّـة أي صاحب/راعي كما في "ذي القرنين" "ذي عيال".

(موزو) السريانيّة، هي معزو: معز، ماعز، ونجد فـي محـيط المحيط أنّ "أمْعوز" هي المعز والسرب من الظباء وجماعة الأوعال، جمعها أماعيز وأماعز[1].

أمعوز، وبتسكين الميم كما في اللهجات العربيّة "مْعـوز" ومـع عدم لفظ العين الحلقيّة تُصبح "مُوز" والسريان كعرب، حركة ضـمة المفرد لديهم صوت واو ختاميّة، والجمع ياء فقط بدلاً من (ياء ونون) جمع المذكر السالم في الفصحى، "كبيرو" = مفرد كبير، "كبيـري" =

[1] – البستاني، **محيط المحيط**، ص٨٥٦.

جمْع كبير. معزو/موزو مفرد، والجمع معزي/مــوزي، فالنتيجـــة أنّ (دي–موزي) هي (ذي الأمعوز) أي راعي القطيع.

نعود إلى مْعُوز/مُوز التي هي سرب الظباء وجماعة الأيائــل، أليست هي التي أطلقها الفينيقيّون الآموريّون العرب في قارة أمريكـــا الشماليّة[1]، وصارت "مْعُوز/موز/moose" التي رجعتْ تُعرّب خطـــأً إلى "موظ"[2] و"موظ" تُلفظ باللهجات تلك أيضاً كلهجات الــشام "مــوز" مرّةً أخرى! هذا عدا أنّ (موز/موس) قريبة أيضاً إلى (موش) بإبـــدال السريان والفينيقيّن بين السين والشين، وهي "مواش" جمـــع "ماشـــية" التي هي بنفس المعنى، (موزي (جمع) = "مواشي").

الصورة (٢٨): (Moose) (مْعوز) وهو الماعز والأيّل التي راحت تُترجم لنا (موظ!)

[1] – (آمِر–كا: عامِرْ–كا: هذه أرضٌ عامرة، أو آمور+كا أي مثيل وبديل آمور موطن ومنتسَب الآموريّين وهم الفينيقيّون أنفسهم).

[2] – منير البعلبكي، **المورد**، ص٥٩١.

إذن: الراعي "ذو الماشية" الــ (معزى/ظباء/أيائل/مْعــوز)= ذو موزي = دو موزي. وهكذا أيضاً أدوني/أدونــيس = عــدوني ســيّد الخصب المقابل لدموزي في سوريا وفينيقيا، رمزه الكبش والجداء.

لذلك نقرأ في شرح معنى ديموزي أنّه الرّاعي، وربّ قطعــان الأغنام، ويلبس تاجاً منيراً من قرنين الذي تطوّر مع الأيّام في الشكل ليُصبح تاج الملوكيّة، فاقرأ التالي[١]:

DUMUZI: Also called "<u>the shepherd</u>" and "<u>lord of the sheepfolds</u>." Dumuzi known from his horned lunar crown

(دموزي: ويُسمّى أيضاً "الراعي"، و"ربّ الحظــائر"، ويُــشتهر بتاجه المنير ذي القرنين) و(الراعي الملكيّ، الإله الإنسان[٢]).

لقد سبق للسومريّين أنْ بيّنوا معنى التاج المنير، في أســطورة (أنزو/عين سو) الذي سرق تاج إنليل ورداءه الملوكي، وفسّرناها أنّه الشيطان حسد بعين السوء آدم/الإنليل البــشريّ (الــربّ الإنــسانيّ)، فسلب منه رداءه الروحاني وتــاج الملوكيّــة إكليــل النــور/هالــة النور/وعيه السامي، ولقد رأينا ملــوك وادي النيــل يعتمــرون هــذا الإكليل المنير (Lunar: وهــي عربيّــة لِ+أنــار = الــذي أنــار، بالفصحى) كقرصٍ للشمس بين قرنين، هذا القرون الذي يُصوِّر الملك أنّه الثور العظيم وأمير الماشية، هو الذي صار علامة للتاج، فكانــت

---

1 – **<u>http://www.piney.com/BabGloss.html</u>**

2 – فراس السوّاح، **الأسطورة والمعنى**، ص١٨٣-١٨٨.

التيجان بداياتها خوذ قرون ثمّ تطوّرت لتصبح بأشكال متطوّرة، خوذة و(خوذ) لُفظت لدى السريان (هـود) وهـي نفسها (Hood) فـي الإنجليزية، و(قرون) لفظته السريان (كرون) فصار التاج بالإنجليزيّة (Crown). أمّا (Sheep) فالسريان يقلبون السين شينا والعكس، فهي (سيب) أي السائبة في الفصحى، أي التي ترعى لوحدها وذكرها القرآن في المائدة ١٠٣، أمّا الجداء وهم صغار الماعز، (جداء/گداء) فالسريان يلفظون الجيم جيما مصريّة (گ)، والدال أحيانا تُقلب تاء (كما دموزي = تموز)، گتاء فيُحتمل أنّ (Goat) منها أو من كونها تقتات على قت/گتْ.

وتسمية دموزي السومري، تموز Tammuz لدى البابليين وعرب الجزيرة بمن فيهم اليهود، هي التي سُمّي بها الشهر الحار حيث منتصف الصيف (يوليو) شهر الحرّ والجفاف في المنطقة العربيّة، لأنّ راعي الماعز (تموز) في الحقيقة، يأخذ بُعداً ورمزاً أكثر، فهو أيضا المرعى نفسه، الذي يجعل القطيع ترعى، وحيث يُوجد يُوجد قطيع المعز، فهو الذي يحفظ وجودها ويقوّيها مرّةً أخرى، فهو (ربّ/راعي/سبب وجود) المعزى، بهذا نفهم أسطورة موت تموز أسفل الأرض، أي موت المرعى ويباس الزرع واندراسه، ونفهم أنّه ربّ الخصب أي هو مظهر خصب الأرض ومخضّرها ومُحييها بعد جفاف، وأنّه نفسه الذي لُقّب في سوريا "عدن/أدونيس" أي جنّة المرعى.

أمّا رويال/رِيال (Royal): أي ملكيّ، فكان من عادة العـــرب السريان قديماً، وعلى رأسهم آدم السرياني الرسول، نـــسبة الأشـــياء والأماكن إلى الله (إل) في خاتمة الأسماء تهذيباً للعقل البشري علـــى ذكر علّته الأولى (إل = عِل) علّة الوجود كلّه، وتشوّقه إلى الأصـــل وهو الله المثلُ الأعلى لمثيله الإنسان، مثـــال علـــى ذلـــك "إســـمع-إيل/سمعو إيل/شمعو إيل/صمو إيل/سمو إل" كلّها بنفس المعنى إجابة الله، والأماكن مثل "بيت إيل"، ومنه سُـــمّيت "بـــراز-إيـــل" للبحّـــارة الفينيقيّين الذين وصلوا الساحل الشرقي لأمريكا الجنوبيّة فـــأوّل أرض برزت أمامهم سمّوها "برازيل Brazil" أي الأرض التي أبرزهـــا الله لهم بعد التيه في عرض المحيط.

روي-إل: إنّ "راعي" بالسريانيّة هي "روعيو"، والله هـــو "إل"، راعي الله، روعيوإل، ومع عدم نطق العـــين لـــدى شـــعوب كثيـــرة تأصّلت وتعلّمت لهجاتها من السريان، تُصبح = رويُوئِل، التـــي هـــي رويال. لأنّ الملوكيّة تُعدّ رعاية الله، والملك راعٍ من الله (خليفـــة الله) بالروحانيّة التي تُشرق فيه، فلذلك فإنّ مصطلح (ظلّ الله في الأرض) صحيح، لكن يوم كان لله ظلّ بوجود سادة أنقياء البواطن يحبّون خير البشر ويفيضون علماً ورحمة، لا الذين انتحلوا أثواب الدين وانتحلـــوا الطهارة ونزوا على مناكب الناس وما زادوهم إلاّ خسارا وبُعداً عـــن الله وعن إنسانيّتهم وأهدافهم العُليا!

ثانياً- سبب تسمية شخصيّتيْن (آدم)

لقد سبق وطرحنا في بداية البحث سؤالاً يقول: لماذا سُــمِّي آدم الرسول "آدم" باسم "آدم" الإنسان الأوّل؟ فإنّ هذا كان الأساس الفعلــيّ الأوّل لوقوع كلّ هذا الوهم والالتباس، فليس التزوير، ولا الجهل، بل المحاكاة الاسميّة هي سبب التشويش.

طبعاً هذا كلامٌ فيه الكثير من الصحّة، إلاّ أنّنا لا يُمكننا أن نمنع الناس من أن يسمّوا أنفسهم بأيّ اسمٍ شــريف يُــديمون بــه قــيَمهم وانتسابهم، لا سيّما إذا كان الاسم يشي بحقيقة متواجدة في الــشخص نفسه أو يتبارك بها، فاسم مثل عبدالله، تَسمّى به عشرات الآلاف مــن الأشخاص عبر التاريخ ليس أحدهم والد نبيّنا الكريم (ص)، ويكفينــا أن نجد في سلسلة أهل بيت النبي (ع) الإثني عــشر أربعــةً اســمُهم "عليّ"؛ علي ابن أبي طالب، علي بن الحــسين، علــي بــن موســى الرضا، على بن محمّد الهادي، فالثلاثة الأواخر تيمّنوا باســم جــدّهم العظيم (ع)، فهل المفروض أن يختار كلّ منهم اسماً آخر لمنع وقوع وهْمٍ تاريخيّ ؟

وأجبنا هناك بجوابين يُعلِّلان اختيار الاسم نفسِه؛ الأوّل: تيمّنــاً بذاك الاسم الشريف، وقد سبق وذكرنا أنّ القرآن والتوراة والمرويات أثبتوا وجود مريميْن بنت عمران ("عمــرام" بالــسريانيّة، كمــا فــي التوراة) الأولى أخت هارون وموسى، والثانية أمّ عيــسى، وبينهمــا أكثر من ألف سنة، وأوردوا أسماء أخرى مثل (يهوذا) و(إســماعيل)

و(عاد) و(فرعون) و(يوسف) .. تدلّ على أكثر من شخصيّة واحدة خلال التاريخ الدينيّ المسرود.

وكان جوابنا الثاني: لأنّ (آدم) وبالسريانيّة (آدمو) معناه: الشبيه والمثيل، مثيل الربّ، فكان آدم الأوّل مثيل الربّ لأنّه نَفَخ فيه من روحه وعَيَّنه ليكون خليفته الأرضي لكنّ آدم استعجل الخروج من الجنّة وعصى معصيته التي بيّناها، أمّا الذي ابتُعِث كأوّل رسول إلى الأمم فهو بحقّ (آدم) أي مثيل الربّ، وبمعنى آخر إنّه تماماً (**خليفة الله في أرضه**) وهذا هو معنى آدم الضمنيّ.

أمّا الجواب الثالث الذي أخّرناه، فهو جواب افتراضي، مضمونُه: ماذا لو كان آدم الأوّل الذي سقط في الامتحان، ثمّ ندم واستغفر، ثمّ اجتباه ربّه وتاب عليه، ثمّ مات ودخل جنّته لم يحْظ بفرصة إصلاح خطئه عملاً بقوله تعالى (**ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ**)(النحل:١١٩)، ثمّ جاءت الفرصة بعد عشرات آلاف السنين، فأُهبِط آدم أبو الإنسانيّة من الجنّة مرّةً أخرى لإصلاح خطئه الأوّل، أُهبِط هذه المرّة كآدم السرياني لساناً[1]، الرسول المعصوم، وأمم الناس (من بنيه؛ بني آدم) موجودة، وأُهبِطت معه حوّاؤه أيضاً، وتعارفا

[1] – مع أنّ (سر من أبناء أنوش من أبناء شيث من أبناء آدم الرسول) هو الذي صنّفت اللهجة تلك باسمه (سريانيّة)، إلاّ أنّ اللهجة كلهجة كانت موجودة يتكلّم بها الأب والجدّ قبل تصنيفها ونسبتها باسم الحفيد إلاّ حين تمايزت لهجات أخرى عنها، بهذا نقول أنّ آدم تكلّم السريانيّة، أي أنّه تكلّم اللهجة التي سيتمّ تصنيفها فيما بعد تاريخيّا وتُشتهر باسم اللهجة السريانيّة.

على جبل عرفة[1]، عرفها وعرفته مِن بين الناس الذين كانوا موجودين ومنتشرين، حيث لا يليق به امرأةٌ إلاّ هي دون سائر النساء لأنّ الباقيات بناته من نسلِه منذ الدّهر، ماذا لو كانت هذه الفرضيّة صحيحة، ألَن يكون الفرق بين آدمين هو فرق زمانيّ لا شخصيّ؟

وربّما من المناسب التأمّل مليّاً في قول عيسى (ع) الوارد في إنجيل توما الإكويني-٤ **(قال يسوع: الشيخ الطاعن في السنّ لن يتأخّر عن سؤال الطفل ابن السبعة أيام عن مكان الحياة، وذلك الشخص سوف يحيا. فكثيرون مِن الأوَّلين سيكونون آخرين ويصيرون واحداً)**. سنأتي لتفصيل هذا الأمر.

ثالثاً- (إنليل) السومريّ، المثال والمثيل

ليس بين (آدم) الإنسان و(آدم) الرسول وقع الالتباس فحسب، بل باعتبار أنّ الربّ هو (المثال) المُحتذى ليكون الإنسانُ على صورته أي (مثيله) في الصفات، فقد وقع الالتباس الأسطوريّ بين (آدم) و(الربّ) الذي نفخ فيه من روحه أيضاً، في ترجمةِ نصوصٍ كثيرة، ومن أمثلة هذا الوقوع مسمّىً سومريّ للربّ يُدعى "إنليل" كما دُعي الإنسانُ الخليفةُ "إنليل" أيضاً، بل ووقع الالتباس ثالثاً في كلمة (الربّ) نفسها؛ حيث ظنّ البعض أنّها خاصّة بالله تعالى، بينما العرب

---

[1] - كتب أحد الظرفاء مرّة ما يُوحي باستهجان الفكرة، هذا: (وسط تصفيق آدم وأولاده: حواء تفوز بلقب ملكة جمال العالم!)، طبعاً لا يُمكن أن تفوز بملكة الجمال وليس من أنثى موجودة إلاّ هي!

الأوائل كانوا يُطلقونها على كلّ مربٍّ ومُعلِّمٍ سامٍ، فكانوا يُسمّون الملائكة المدبّرين، كجبريل وميكائيل أرباباً، ويُسمّون السادة البشريّين المحسنين أرباباً، وقد ورد في سورة يوسف قول يوسف (ع) لأحد السجينيْن **(يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْراً)**(يوسف:٤١)، ثُمّ قولِه له بعدئذٍ **(وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ)**(يوسف:٤٢)، وورد في الإنجيل **(فَالْتَفَتَ يَسُوعُ وَنَظَرَهُمَا يَتْبَعَانِ فَقَالَ لَهُمَا: مَاذَا تَطْلُبَانِ؟ فَقَالاَ: رَبِّي (الَّذِي تَفْسِيرُهُ: يَا مُعَلِّمُ) أَيْنَ تَمْكُثُ؟)**(يُوحنّا١: ٣٨)، ونقل الدكتور أحمد داوود عن المؤرِّخ فيلون الجبيليّ أنّه كتب: **(إنّ أقدم الناس، وبخاصّة الفينيقيين والمصريين، الذين كانوا كمرشدين لجميع الناس الآخرين، كانوا يرون أنّ "الأرباب" الكبار هم أولئك الذين حقّقوا اكتشافات لمساعدة وجودنا، أو الذين عمّموا الخير، مهما تكن طبيعته، بين الشعوب. وقد دعي هؤلاء محسنين بسبب أعمال الخير الكثيرة التي يدين لهم الناس بها"**[1].

والقرآن الكريم – كمُعلِّمٍ وقولٍ فصْلٍ لاعتقاداتنا– لم يمنع استخدام "مفردة" (ربّ) و(أرباب) كلفظ عربيّ يخدم سياقه وغرضه العاقل، كربّ البيت، وربّ الأسرة، وأرباب التدبير (أي قيّمو التدبير وسادته ومسئولوه)، ولا اشتقاقاتها مثل كلمة (رُبّان) السفينة، و(ربِّيّ) وهو المعلِّم والمُربّي، و(ربّانيّ) و(ربائب)، بل منع التلبّس العقيدي

---

[1] – أحمد داوود، **تاريخ سوريا الحضاري القديم** ١- "المركز"، ص٩٠.

للمفردة بحيث تنحلُ الموسوم بكونه (ربّاً) رداءً قُدسياً هو لله خاصـــة، فتكون منازعةً لله العليّ أو جحوداً به أو شركاً ربوبيّاً مـــع الــساحة المقدّسة لربّ العزّة الواحد الأحد، أي منَع بلغة القرآن (اتّخاذَ أربــابٍ مــن دون الله)[1]، "فالاتّخــاذ" أوّلاً، ثــمّ "مــن دون الله" ثانيــاً، همــا الممنوعان، أمّا أن يكون واحدٌ ربَّ أســرته أو محلّتــه أو أمّتــه أو مهمّته، أو "إيزيس" ربّة القبط، وسيّد يوسف (ع) الذي آواه في بيتــه ربّه، فلا إشكالَ عقديّاً به، بل الأشكلة على اللفظ ليست خاصّة بلفــظ (أرباب) وحده بل تسري حتّى على مثل (مُعين) و(حبيب) و(مرجــع) وغيرها؛ فاعتبار أيّ أحد مُعيناً أو حبيبــاً أو مرجعــاً أمــرٌ مقبــول وعاديّ، أمّا اتّخاذ شخصٍ أو جهةٍ مُعيناً أو حبيباً أو مرجعاً (من دون الله) هي المشكلة نفسُها.

لقد علمنا من بحوث ســـابقة[2] كيــف أنّ عمليّــة خلــق آدم الإنســان، أي إخراج الحيّ من الميّت، بــإخراج (الإنــسانيّة) مــن حضيض (البشريّة)، قد تمّ في إحداثيّة زمنيّة غيــر قابلــة للنــسيان

---

[1] – بمراجعة الآيات التي وردت ذمّ (الأرباب) نجدها أنّها أكّدت على عدم اتّخاذ غير الله–سواء كانوا بشراً نبيّين أو ملائكة– أرباباً من دون الله، وضعتْ هذا القيْد "**مِن دون الله**" سواءً بــالنصّ (**أرباباً من دون الله**) كما في معظم الموارد، أو بالمفهوم السياقي، كقوله (**ولا يأمركم أن تتخذوا الملائكة والنبيين أربابًا**) فقط، لكنّه ورد هكذا للاختصار تعقيباً مباشراً على قوله (**مَا كَانَ لِبَــشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُــوا عِبَــاداً لِــي مِــنْ دُونِ اللَّــهِ**)(آل عمران:٧٩)، فعبارة (**كونوا عباداً لي من دون الله**) هي الوجه المقابل لعبارة (اتّخِذوني ربًّا من دون الله).

[2] – انظر بحث: **ليلة القدر – عيد الخليقة**، وأيضاً بحث: **وعــصى آدم–الحقيقــة دون قنــاع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

تاريخيّاً وفلكيّاً، كشفَها سبحانه في قوله في سورة الرحمن (**الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ* الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ* وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**)(الرحمن: ١ - ٦)، أنّ الرحمن أتى إلى الكائن البشري المعدَّل والمهندس والمسوّى والمخلّق الجاهز لنفخ روح (الإنسانيّة)، ونفخ فيه من روحه الربّانيّة التي هي سرّ مجهول لدينا، فتحوّل الكائنُ البشريّ إلى أوّل مخلوقٍ إنساني عاقل مبدع مثيل للربّ (الرحمن) وسُمّي (آدم/آدمو[1]) أي المثيل المصغّر للربّ/خليفة الربّ، وقد وُضِع معالم برنامجه الذي فيه مقاديره وعلومه ومدّته في الأرض ومستلزمات خلافته ..الخ، وسُمّي هذا المخزن العلمي بعدئذ (القرآن) (**علّمَ القرآنَ**) أي حدّد "معالمه"، ومضمونه بـ (**الميزان**)[2]، وما هذا

---

[1] - ما زال جذر (دمية) بمعنى المثيل والشبيه في اللغة الفصحى، وفي السريانية بمعنى (شبه ومشاكلة) أيضاً (انظر: سمير عبده، **السريانية العربيّة**، ص٨٥)، وفي الإنجليزية والفرنسيّة (Dame) و (Madame) أي السيّدة، وهي ما-دام، (ما) الأمّ، (دام) المثيل، ولدى المندائيّة الآراميّة دموثا، ودمو أي المثيل، وهي التي دخلت في مركّب "دمو-كراسي Democracy" أو ما يُعرَف اليوم "ديموقراطي" بمعنى (السجلّ الآدميّ/السكّاني)، وصار الشرح والتعليم بالمثال (Demonstrate)، وعموم الآدميّين (Demos).

وليس فقط (دمية) هي التي تحتفظ بالجذر بل حتّى كلمة (دم)، التي قال البعض أنّها (النفس) كما قال الشاعر (تسيل على حدّ الظباة نفوسُنا) يعني دماؤنا، فكلمة (نفس) تعني الشبيه والمثيل في استعمالاتها فنقول (أعطني نفسَ ما أعطيتك) أي مثل، ووردت في القرآن في قوله (**وأنفسنا وأنفسكم**) في المباهلة، فالآدمي هو مثيل الربّ بروحانيّته، ولدينا كلمة (الأدمة/الأديم) التي تصف الغشاء المبطّن أسفل الجلد (البشرة)، فهو مثيل البشرة ولكن باطناً، وليس عبثاً كان هذا، فمرتبة الأدمة الباطنة من البشرة الخارجيّة، هي كمرتبة آدميّتنا من بشريّتنا، فالأولى للقلب والثانية للقالب، والله لم يُكرّمنا كبشر بل كبني آدم.

[2] - هذه القواعد الدقيقة الضابطة للكون الأرضي وللإنسان التي يحتاجها الخليفة المدبّر لا محالة، هي علم إدارة الأشياء بحكمة، سمّاها سبحانه (**الميزان**) في قوله في الآية التي تلي سياق خلق

المصحف الذي بين أيدينا إلاّ الظاهر الذي تجلّى في حروف صـــوتيّة إنسانيّة، أمّا باطنه ففيه علم حقيقة الإنسان منذ وجد حتّى قيام ســـاعته وأصول وقواعد علم ما يحتاجه **(علم الأولّين والآخرين)**.

ومع خلق الإنسان ترافق **(البيان)** وهو الحجّة والبرهان بالعقل واللسان، أيْ لم يخلُ الإنسان من منطق عقليّ ولسانيّ منذ وُجد، فمتى وُجد؟

وُجد (أي تمّ نفخ الروح فيه) مع تلك النزلة الربّانيّـــة التـــي لا تكون إلاّ كلّ خمسين ألف سنة، بدأت بمجيء الربّ (وجـــه الله/نـــور الله) إلى هذا الكوكب، وتنتهي بمجيئه مرّةً أخرى يوم الحساب كما في قوله سبحانه **(كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكّاً دَكّاً* وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَـــفّاً صَفّاً)**(الفجر:٢١، ٢٢)، هذه اللحظة الكونيّة حدث فيها اقتران في الحساب الشمسي والقمري في البداية **(الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ)**، وعبّر القرآن عن مثيلها لحظة الخاتمة بقوله **(وَجُمِعَ الـــشَّمْسُ وَالْقَمَـــرُ)**(القيامـــة:٩)، حيث كان القمر محاقاً (موت القمر)، والشمس في أبعد نقطـــة عـــن الأرض (موت الشمس)، أي كان الكون الأرضي ظلمة فأناره ظهورُ

الإنسان هذا: **(وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ* أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ)**(الرحمن:٧، ٨)، ورفْـــع "السماء" هنا، هو رفع الإدارة السماوية التلقائية السابقة، وتحويلها وتخويلها لإدارة أرضيّة وُضِع لها "ميزان" تُدبّر الأمر به، باشر المدبّرون العمل بهذا الميزان، ريثما يستوي الخليفة لينـــضبط بالميزان أوّلاً ولا يطغى، ليُسلَّم إليه في النهاية مقاليد الـــسماوات والأرض لكوننـــا الأرضـــي لإدارتها، وهي التي أخبر سبحانه أنها وراثتـــه **(وَجَنَّـــةٍ عَرْضُـــهَا الـــسَّمَاوَاتُ وَالْـــأَرْضُ)**(آل عمران:١٣٣).

الحقّ فيه، بمجيء الربّ وخلْق الإنسان (خلــق آدم)، زمــن توقّــف (موت/غياب) الشمس والقمر، الذي قال عنه النبيّ حبقوق في التوراة مناجياً الربّ حين قدومه (**اَلشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَقَفَا فِي بُرُوجِهِمَــا لِنُــورِ سِهَامِكَ الطَّائِرَةِ لِلَمَعَانِ بَرْقِ مَجْدِكَ**)(حبقوق ٣: ١١).

ثمّ بعد تلك اللحظة التخليقيّة المهيبة الأولــى، وبعــد انحــدار الإنسان بظلمه وجهله، صار (الأنبياء) و(المعلّمون) الــذين اتّــصلوا بنفائس دواخلهم واتّقدت شُعلة أرواحهم فيهم، والمنثورون عبر مساحة الزمن المديد عبر آلاف السنين، صاروا هم التمثيــل الحقيقــيّ لتلــك الولادة الآدميّة الأولى على أيدي (قوابل) المدبّرين الربّانيّة، ليكونــوا (خلفاء الله في أرضه وحججه على عباده) و(الدُعاة إلى طاعته والقادة إلى سبيله).

أ- أنبياء الأمم أوادم ربّانيّة بثّتها حظيرةُ القدَّس

ولِد الإنسان القابل للكمال/العاقــل إذّاك، وولــد النــور، نــور الإنسان بنفخ روح الربّ فيه، متزامناً مع ولادة قوّة شــعاع الــشمس فلكيّاً وهلال القمر من محاقه، وافق ذلك ١ شوّال للقمري فسُمّي عيــد الفطر (أي فطر الإنسان وخلْقــه)، و٢٥ ديــسمبر، يــوم التكــريس (كريسماس)، وهو مولد الشمس فلكيّاً بعد الانقلاب الشتوي (٢١-٢٤ ديسمبر)، واحتُفل به على أنّه مولد النور/مولد الشمس[١]، فكلّ الرجال

---

[1] - البعض يفترض أن معنى كريستمس/كريسمس هو قرص شمس، كرس-تمس/كْرِسْ-سَمِسْ (كرس: قرص)، (تمس: سمس/شمس) للإبدال بين التاء والثاء والسين والشين، كمــا فــي

الربّانيّين الذين انبثقوا في المجتمعات البشريّة أو أُرسِلوا كمعلّمين عوملوا كآدم، وكأنّهم بعْثُ آدم (مثيل الربّ) في محيطهم البشريّ، فقاموا يُؤرّخون احتفالاً لمواليد أبيهم ومعلّمهم وبطلهم الأوّل (وإن خالفت ذلك) على أنّها في ٢٥ ديسمبر، بل هم يعلمون أنّهم ما وُلدوا في هذا اليوم، لكنّهم يدرون أنّ الروح الإنسانيّة وُلدت ثمّت، الولادة الروحيّة تمّت هناك، فكأنّهم أدركوا أنّ هذا المعلّم الكبير ورائد الخير قد بلغ ذروة الإنسان الكامل (كما لدى البوذيين) ببلوغه الاستنارة الكاملة (النيرفانا Nirvana)[1]، والمقام المحمود والكمال لدى نبيّنا

تعلب/ثعلب/سعلب/شعلب باللهجات العربيّة سيّما السريانيّة بفروعها، وثمان/تمان/سمان/شمونو. وكانت كلمة كريست (Christ) التي اشتهرت للمسيح، قد سبقته بأكثر من ٣ آلاف سنة توثيقاً، إذ نُسب لـ (حورس) ملك وادي النيل ومؤسّس وجودها، ابن إيزيس وأوزيريس، أنّه (KRST)، حيث كانت الكتابة بدون حركات (حروف لين)، ونعلم أنّ أمّه (إيزيس) كالعذراء وعيسى تحمل قرص الشمس على رأسها، فهي قريبة من (قرصت/مؤنّث قرص) أي دائرة الشمس، والبعض يفترض أنّ (كرست Christ) هي كرّس من التكريس، حيث كان الممسوح بالزيت لدى الكهنة "يُكرّس" ويُخلّص للربّ، فكانت (المسيح) أي الممسوح والمنذور للربّ، تعني تماماً (المكرّس Christ)، وبهذا صار هذا اللقب لعيسى (ع)، "فالمسيح" هو المنذور و"كريست" هو المنذور، لهذا نجد "المسيح" تُترجم "كريْست" وهي ترجمة "مآل معنى" لا ترجمة معنى، و"كرست" كانت لقبًا لآخرين منهم "حورس" في أرض النيل قبله بعدّة آلاف سنة، وهو أيضاً لكريشنا (Krishna) في الهند، حيث "كريش" تحوير صوتي لـ(كريس)، فالسين شين لدى سريان وبالعكس، وصار تُطلق على الأسماء المشهورة الآن (كْريس، خْروش (ومنه خروشوف)، خريستو ...).

[1] – مصطلح (نير–فانا) تتجلّى رجوعه للعربيّة القديمة في معناه (نير=نور، فانا=فناء) وهو (الفناء في النور) وهذا فعلاً معناه المترجم أنّه بمعنى انطفاء شهوات النفس بالنور، بحسب اللغة السنسكريتية القديمة التي أصلها سريانيّ، ففي:

(**http://en.wikipedia.org/wiki/Nirvana**)

(Nirvana: is a Sanskrit word that literally means extinction (as in a candle flame) and/or extinguishing)

الأعظم (ص)، فهم المستحقّون فعلاً لينتسبوا لذلك الزمن الأوّل، وليكون مصاديق حقيقيّة للمخلوق الإنسانيّ الأوّل الذي خلقه الربّ بيديه ونفخ فيه من روحه وأسجد له ملائكته وأباحه جنّته، فذلك اليوم، يوم الميلاد المجيد، الذي سمّي بالكريسماس لدي الشعوب وآخرهم المسيحيّون الذين أزاحوا بعد أكثر من أربعة قرون، احتفالهم بمولد المُعلِّم عيسى (ع) من تاريخه الفعليّ سواءً كان السادس من يناير، أو الحادي والعشرين من أبريل، أو الحادي من مايو، ليُثبّتوه في هذه الإحداثيّة الفلكيّة الكونيّة[١]، ولو راجعنا الثقافات الإنسانيّة لرأينا هذا الاحتفال العالميّ محفوراً في ذاكرة تاريخ الشعوب قبل ستة آلاف سنة وربّما يعود إلى أكثر من ١٣ ألف سنة قبل المسيح[٢]، فمِن دموزي، وأوزيريس، وحورس، وبعل، وأدونيس، وآتيس، وكريشنا، وبوذا، وميترا، وغيرهم، (انظر الصورة رقم (٢٩))[٣] كلّهم يُحتفى بميلادهم مع مولد قرص الشمس، لذلك تُحاط رسومهم بهالة الشمس، لتعني ثلاثة أمورٍ قد لا تعرفها البشريّة للآن:

1 – The actual birthday of Jesus was forgotten by the early Christian movement. in those days, various groups celebrated his birth on JAN-6, APR-21 and MAY-1. By the 4th century, the church selected the approximate time of the winter solstice as the date to recognize Jesus' birth **http://www.religioustolerance.org/xmas_sel.htm**

2 – This has been the major festival in the life of human beings for at least 6,000 years, and quite possibly the last 15 to 20,000 years .
http://www.truthseeker.com/truth-seeker/1993archive/120_6/ts206i.html

3 – راجع بحث: **ليلة القدر – عيد الخليقة**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، وانظر موقع: **http://www.wilsonsalmanac.com/jesus_similar.html**.

١- تزامن مولد الإنسانيّة (برمزها آدم) مع ولادة قرص شمس ٢٥ ديسمبر (عيد ميلاد الإنسان) مع هلال الأوّل من شعبان (عيد الفطر؛ فطر الإنسان).

٢- الرّوح التي هي سبب ولادة الإنسان من الطور البشريّ السابق هي بالفعل هالة نوراء تحفّ بالإنسان[١].

٣- جغرافيّا الخلق الأوّل هي أحقّ بقعة التي يتولّد فيها هذه الهالة التي عُرفت بهالة القدّيسين، ولأنّ اللغات صناعة سريانيّة، و"الهالة" تُسمّى "هالو" لديهم فما زال الغرب يُسمّي "هالة" الشمس والقمر والقدّيس "هالو" (Halo)! وإنّ أشدّ بقعةً على وجه الأرض كلّها من حيث المغناطيسيّة هي بقعة مكّة، هذا ما اكتشفه العلماء، وعلى جبالها تبدو الهالة على الرؤوس جليّة ليلاً بأثر ظاهرة التكهرب الساكنة، حتى أنّ تلك البقاع قبل اكتشاف الكهرباء كانت في الليالي تظهر منيرةً، وما لبس العربيّ (الغترة) وأوقف شعره بالعقال، وجعل في سرواله الخيوط المتدلّية إلى الأرض إلاّ لتفريغ الكهرباء الساكنة، وما سُمّيت الكهرباء إلاّ من هذا حيث نطقتْ السريان (الغترة/القترة) (الكترا) فجاءت كلمة (Electron) ومنها (Electric).

[1] - قال الإمامُ الصادق (ع): (إنّ الأرواحَ لا تُمازج البدنَ ولا تُواكله، وإنّما هي كُلَلٌ للبدن محيطةٌ به)(محمد الريشهري، ميزان الحكمة، ج٢، ص ١١٢٩).

Maya and Buddha; Isis and Horus; Mary and Jesus;
Devaki and Krishna

الصورة رقم (٢٩): بوذا وأمّه مايا، حورس وأمّه إيزيس (حيزي)، عيسى وأمّه مريم، كريشنا وأمّه ديفاكي.

الصورة رقم (٣٠): الهالة التي تُرسم حول القدّيسين تُعبّر عن مولد النور

(روح الإنسان، رجوع شعاع الشمس، ولادة القمر)

بل أنّ تلك الديانات كالديانة الديمترية (DiMithra)[1] في فارس ثم بعدها بعدّة قرون المسيحيّة، وافقوا رمزاً وأسطورةً في موافقة موت شفعائهم الروحانيّين موتَ شعاع الشمس لثلاثة أيّام (من ٢٢-٢٤ ديسمبر) ثمّ انبثاقه واشتداده صبيحة ٢٥ ديسمبر، بقيامة الإنسان (ميترا/أو المسيح) من الموت بعد دفنه لثلاثة أيام في مغارة! ولقد قام الإيرلنديّون قبل ٤٠٠٠ عام ببناء مدافن لا يدخلها النور إلاّ عند الانقلاب الشتوي (٢١-٢٤ ديسمبر)[2]، أمّا السومريون فسبقوا الجميع برسم الربّ (القوّة) شمش (أي الشمس) إذ يخرج حيّاً من قمّة الجبل الربّاني في أرض المركز التي تتوسّط العالَم، أوان خلق الإنسان!

---

[1] – دي–ميثرا: هي (ذي) حرف التعريف القديم الذي انتقل للغرب، و(ميثرا) أي مُثري، مُكثِّر، مُنعِم، مُخصِّب، مِعطاء، فهو نبيُّهم ومُعلِّمهم ومصدر خيرهم الوفير وثرائهم الروحي والحضاري.

[2] – **http://news.nationalgeographic.com/kids/2003/12/wintersolstice.html**

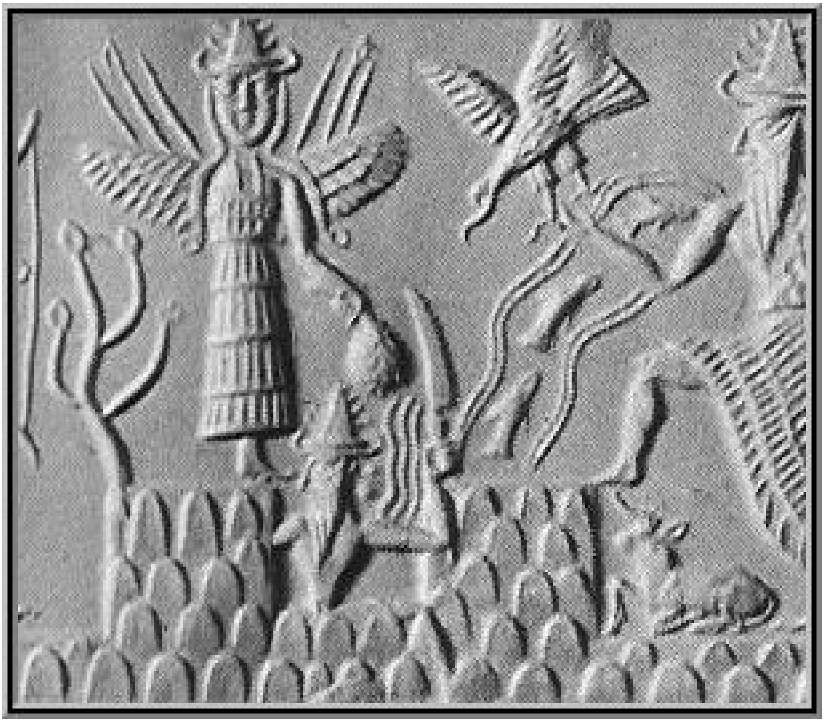

الصورة رقم (٣١): شمش (الشمس) تخرج من بين قمّتي الجبل الأوّل، و(إيا/حيا) ربّ الماء يفيض من الجبل، وشجر عشتار ينبت، وروح الربّ كطائر يرفرف فوق الماء.

هذا يُبيّن لنا أنّ التراث الإنسانيّ بدأ واحداً، وأنّ التعاليم الربّانيّة هي التي علّمت الإنسان وبيّنت له المعالم، بل إنّ القرآن الكريم في قوله **(الشمسُ والقمرُ بحُسبان* والنجمُ والشجرُ يسجدان)**(الرحمن:٥، ٦)، يُخبرنا بحقيقة غاية في الدقّة عن هذه الليلة التي حدث فيها ما بيّنه سبحانه في سورة الإنسان بقوله **(الرَّحْمَنُ* عَلَّمَ الْقُرْآنَ* خَلَقَ الإِنسَانَ* عَلَّمَهُ الْبَيَانَ)**(الرحمن:١- ٤)، فقد كانت ليلة مظلمة، تنتظر النور الرباني، أخفتت كلّ أنوارها، لا شمس ولا قمر، وتشهد تساقط

النجوم (الشهب) لأنّها أوّلاً تقع ضمن دورة فلكيّة مخصوصة، ولأنّ موكب الملائكة النازل من السماء هو أشبه بنجمة تحطّ على ذاك الجبل المقدّس، فلذلك جاء في الذاكرة الدينيّة أنّها ليلة التقدير بحيث أنّ رؤية نيزك (نجم ساقط) ويُسمّى بالإنجليزيّة (Shooting Star)[1] أدعى لتحقيق الأماني، فيقولون (Make a wish)، ثمّ اتّخذوا هذه (النجمة) وتوجّوها على عصا تحقيق الأماني لدى ساحرة خياليّة.

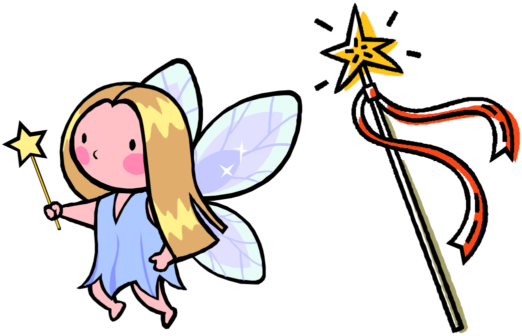

الصورة رقم (٣٢): نجمة القدر، وتحقيق الأمنيّات

ثمّ قصّوا حصول نزول ذاك النّجم مع ولادة المسيح، والأمر تكرّر مع ولادة ديمترا وحورس، بل ورُوي عن حالة كشْفٍ (أو رؤيا) حصلت لعبد المطّلب مع ولادة محمّد (ص) أيضاً، بمشاهدة نجم أو كوكب أو أنوار ساقطة على الجبال، أو شاهدها ثلاثة (رعاة) كنجمٍ ساقطٍ على بيت لحم مع ولادة المسيح!

[1] – لقد سبق في بحوث سابقة أن قلنا أنّ (إستار) ما هي إلاّ (عشتار/عستار) العربيّة وكان نجمة الصباح رمزها، فصارت كلمة (ستار Star) دالة على النجم!

الصورة رقم (٣٣): قضاة يترصّدون رؤية النجم لمعرفة الخليفة/الملِك القادم

مع أنّ الفلكيّين يؤكّدون عدم مرور مذنّب معروف في سنيّ ولادة المسيح[1]، فالأمر كلّه ظاهرة ربّانيّة حصلت مع نزول الربّ حين خلق الإنسان الأوّل، أو نزول روح الربّ في ليلة ظلماء كلّ ألف عام (**تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا**)(القدر:٤) بشكلٍ منتظم أو متى شاء استثناءً، بنزول نور (نجمي) مشعّ من السماء لحظة الهبوط، وهذا قد حصل مع النبيّ الخاتم (ص) لحظة الاتّصال بالربّ في معراجه (**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**)(النجم:١).

1 – But modern astronomers know which comets were close enough to earth hundreds and thousands of years ago and there was no comet visible to humans around the time of Christ's birth.
(**http://www.twilightbridge.com/hobbies/festivals/christmas/star.htm**).

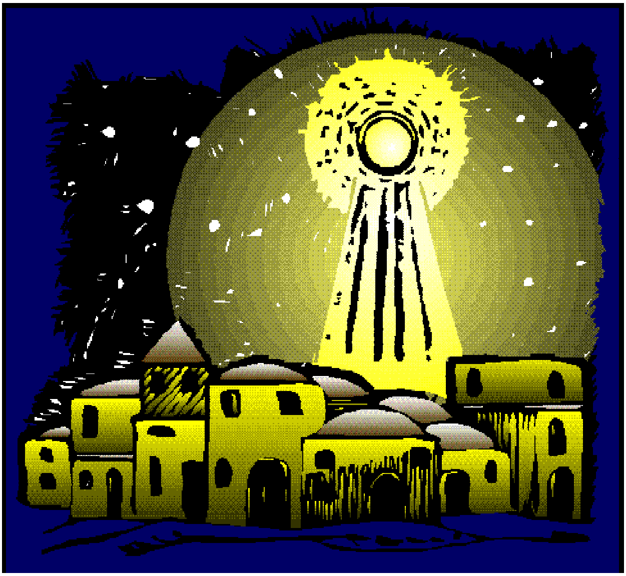

الصورة رقم (٣٤): تصوّرهم لسقوط النجم على بيت لحم
(The star over Bethlehem on Christmas Eve)

وبيت لحم جغرافيّاً ليس حيث ذهبوا إلى الموضع الذي تسمّى في فلسطين تيمّناً أو إسقاطاً! وجعلوا مريم (ع) تسير ليلاً فوق حمار مع طفلها عيسى من بيت لحم في الضفة الغربيّة في فلسطين حاليّاً إلى جمهوريّة مصر في أفريقيا! **(إِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ قَدْ ظَهَرَ لِيُوسُفَ فِي حُلْمٍ قَائِلاً: قُمْ وَخُذِ الصَّبِيَّ وَأُمَّهُ وَاهْرُبْ إِلَى مِصْرَ)**(متّى ٢: ١٣)، طفل دون السنتين وأمّ على حمار يقطعان هذه المسافة هرباً ليلاً وكأنْ لا قرى بينها ولا مساحات شاسعة من القفار! ما أغرب هذا المنطق عن المنطق! فمصر التوراتيّة قرية تجاريّة قرب مكّة، وبيت لحم قرية على سفوح الجبال قريب منها، والمسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات، لتناسب المنطق ويقطعوها ليلاً.

الصورة رقم (٣٥): المسير ليلاً من بيت لحم إلى مصر! (Rode to beth lehm)

الصورة رقم (٣٦): Jesus Taken to Egypt (!!)

فبيت لحم ليست إلاّ مغاور جبليّة قابلة للسكن والقداسة، من مغاور جبال السروات قرب بقاع مكّة، البقاع التي بدأت كأوّل يابسة في الظهور على سطح الكوكب، والتحمت حممُه فوق غمر الماء مكوّنة جيوباً وأنفاقاً ضخمة، وسمّاها السومريّون السريان الذين احتفظوا بقصّة الخليقة في معالمها الأولى وضمّنوها أساطيرهم (لحمو ولحامو Lahmo) حيث هناك بيت المقدس الأصل وبكّة، هذه الحمم المتبرّدة هي التي شكّلت المغارات التي تنبع منها جداول الأنهار من الخزّان المائي الضخم (الأبسو) لدى ثقافة السومريين، مغارات كالتي وُلد فيها المسيح تقف على بابها نخلة، وفتحات عميقة في الجبال ذات طوبوغرافيا صخريّة.

فلو تصوّرنا هطلة الغمر الأوّل على الكوكب الملتهب حين خُلقت اليابسة منذ عدّة مليار سنة، لتصوّرنا أوّل ما يُمكن أنْ ينتج، بعد أحقاب من امتزاج الماء بالصهير، صهارة/حمة متصلّبة يصدر عنها ضجيج الدخان والبخار وزبد البحر[١] هو مادّة اليابسة الترابيّة بعدئذٍ (لحمو Laḫmu)[٢] وصهير سائل حبيس الباطن (لحامو

---

[1] – نتج عن التحام بحر الماء الأول بالكوكب الصهير، أمران: بخارٌ ودخان يعلو ليصنع السماء (الغلاف)، وزبد الماء (خليط الماء بالصخر المتبرّد) ليصنع اليابسة، لذلك رُوي عن عليّ (ع) في أجوبته **(قال: فمم خلقت السموات؟ قال (ع): من بخار الماء، قال: فمم خلقت الأرض؟ قال (ع): من زبد الماء)**(الحويزي، **تفسير نور الثقلين**، ج١، ص٤٨).

[2] – ما زلنا نرى في العربيّة (حمْوُ الشمس) أي حرّها، والنار الحامية، واليحموم، هو الأسود من النار والدخان، واللّهجات العاميّة أحياناً لا تسكّن لام التعريف، بل تبدأ بها مكسورة، فمثلاً "الحمار" تقول "لِحْمار"، وغالباً تبدأ باللّام مسكّنة من دون نُطق الألف، فـ "الأبُ" تُلفظ "لْـأَبُ"،

Lahamu). واقرأ[1]: (أنّ الحمو (لحـــم/ملـــتحم) هـــو الـــذي صـــنع بيت/حوض الأبسو، أي خزّان الماء، وأنّ الحامو (الحميم) هو الـــذي يصنع الالتواءات الأرضية)، كما نجد في ملحمـــة التكـــوين البـــابلي (حينما أوّلاً-إينوما إيليش) أنّ لحمو ولحامو يُعينان الربّ (مـــردوخ) في القضاء على البحر الهائج/اليمّة (تيامة/تِ + يمّة) بإخراج اليابسة، لينشقّ الماء المحيط بالكوكب بواسطة الرياح العاتية نصفين نـــصف يتبخّر في الهواء، ونصف بحري بدأتْ تتوسّـــطه يابـــسات (لحمـــو) كحواجز أرضيّة (قارّات)، قال تعالى **(أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَـــعَ**

و"الْحَمْوُ" تُلفظ "لِحَمُو"، و"الحْامُو" تصير "لْحامُو"، وكلاهما يُعطيان نفس الأمر ســـوى أنّ الحمُـــو أخفّ من الحامُو، فالأوّل هو ما اسودّ وبرد وصلب، والثاني ما زال حميماً لذلك نقرأ في أسطورة الخلق عن تيامت أنّها **(لقد أثارتْ التنين والثعبان المتوحّش و "لحامو")** وهذا كلّه معناه واحد هو حمم البراكين وسيولها المتلوّية كالثعبان النّاريّ، و"لحمو" إذن لا يثور لأنّه برد، وهو الذي يُشكّل جيولوجياً الجبال البركانيّة ومغاراتها القابلة للإيواء (بيت لحم). ونجد "لحامو" الـــصهير الـــسائل تحت الأرض حين يرسله إنكي لاسترجاع ألواح الأقـــدار مـــن إنانـــا (Go now! The fifty lahama of the subterranean waters are to take the Boat of Heaven away from her!) راجع: **http://theoldpath.com/inanaenki.htm**

[1] – **Lahmu and Lahamu**. These names ('the hairy one' or 'muddy') known in Sumerian times in the 21st century BC (texts of Gudea, Cylinder A). They have three pairs of curls. Lahmu is the gatekeeper of the Apsu, seen as the domain of the god Ea (Sumerian Enki). In other texts there are more *Lahmu*'s, sometimes 8, but also 50. Gudea (on lay Cylinder cylinder A) speaks about 50 Lahama's of the engur (approx. syn. with abzu). This large number is in this creation epic *Enüma elish* reduced to the pair *Lahmu* and *Lahamu* because of the analogy in this theogony to other pairs.

فهي الجبال البركانيّة وبُرَك الحميم التي تحمي المركز وتحيط به وبخزّان الأبسو المـــائي فـــي الأعماق. (**http://xoomer.virgilio.it/bxpoma/akkadeng/enuma1_expl.htm**).

اللّه)(النمل:٦١) فالأرض هنا هي اليابسة، هذا ما قاله السومريّون أيضاً. واليابسة هذه بدأت تظهر فوق الماء كحاجز بدأ من نقطة، هي أشبه بسرّة اليابسة (سرّة الأرض)، كرأس الرمّانة، هي الجبل الأوّل الذي تتّصل به عروق قشرة اليابسة جميعاً، كما تتّصل خلايا جلد الإنسان كلّها بمركز عصبيّ واحد في الدماغ، وهناك مقرّ أرباب التدبير (سادة الملائكة)، حسب ملحمة جلجامش[١]، وحسب الأساطير العالميّة، كما لدى الاسكندناف[٢].

الصورة رقم (٣٧): الإيك- غراس- إيل (أيْكة/جنّة غرس الله) Yggdrasil وإحاطة عروقها بالأرض

[1] – The centre of the earth was located in a place where the holy house of the gods is situated, a land into the heart whereof man hath not penetrated, a place underneath the overshadowing world-tree and beside the full waters (Gilgamesh Epic).

[2] – ماكس شابيرو، **معجم الأساطير**، ص٢٥٧، ٢٦٧.

فالآية:(**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**)(الرحمن:٦) فما زال إلى اليوم يحتفل المسيحيّون بشجرة عشتار (الكرستمس)، شجرة الكائنات الطبيعيّة ويُعلّقون عليها صور الحيوانات، إذْ بدأ خلق "شجرة" الأزواج الأرضيّة على الجبل المزدهر الأوّل الذي دُعي بالسريانيّة (ني–نورتا : أي ربّة النَّوَر، وهي الأزهار)، وهو الجبل العظيم حيث مقرّ أرباب التدبير الملائكيّة، حيث عرش التدبير الذي كان قبلاً على الماء، وحلقة اتّصال السماء والأرض، مهبط الوحي، ومحلّ العروج، وباب السماء، الجبل الذي سافر إليه جلجامش ودعوه (جبل ماشو أي التوأمين، ذا القمّتيْن وذا القرنين)، وارتحل إليه ذو القرنين لذلك سمّي به، وللواقف الراصد بين القمّتيْن، يرى قمّة (قرناً) تطلع من أسفلها/خلفها الشمس شرقاً مع الإصباح، وقمّةً (قرنا) تغرب خلفها الشمس غرباً مع المساء، فالشمس تطلع بين قرنين للواقف حيث المقرّ الربّاني المختفي هناك، لذلك نرى ملوك مصر مثل سيّدتهم العظيمة المعلِّمة إيزيس يصوغون تاج الملوكيّة لديها بتعزيز الانتساب لهذه البقعة المركز، اللاشرقيّة واللاغربيّة، بوضع تاج من قرنين تتوسّطهما الشمس، وليس كما ظنّ بعض المستشرقين أنّها تعبد الشمس!

ولقد حكت سورة الكهف الشريفة معالم هذه البقعة المقدّسة وجغرافيّة هذه الجبال وغرائبها في قصصها الثلاث:

١- كهف أصحاب الكهف هناك.

٢- الخضر ومجمع البحرين (ملتقى النهرين) وعين الحياة (الكوثر) قرب الصخرة (الذي سمّاه السومريّون إيا/حيا أي عين الحياة، ورسموه كمجمع بحرين؛ أي منبع نهرين يفيضان منه غرباً، ونهرين يفيضان منه شرقاً، هو مجمعها (انظر الختم – الصورة رقم (٣٩)).

٣- رحلة ذي القرنيْن بين مطلع الشمس ومغربها (أي لتطهير وتحضير وأنسنة قرى ما بين تلك القمّتيْن).

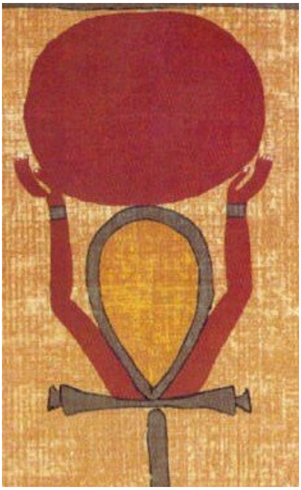

الصورة رقم (٣٨): إيزيس وقرص الشمس بين قرني الثور (بين يدي واهب الحياة)، تاج الملوكيّة التي تُوهَب من أرباب أرض المركز (أوتو/شمش/رع ..) ويُسمّى "قيامة رع" أي تدشين الرعاية الربانية بالأحياء.

الصورة رقم (٣٩): نينورتا، عشتار (إنانا) وشجرتها، إنكي (إيا/حيا) يفيض بالأنهار من جانبيْه، شمش يخرج من بين القمّتين (التوأمين/القرنين)، يشرفون على جبل ذي القرنين المزدهر (مقرّ التدبير) – ختم أسطواني أكادي ٢٢٥٠ ق.م.

تلك هي أوّل بقعة تكوّنت جيولوجيًّا، وأوّل بقعة سكنها الإنسان الواعي (آدم الذي هبط على أرض نود/النُد/النُتء) وحدّد جهاته تبَعاً؛ شرقاً (القمّة الأولى/مطلع الشمس) وغرباً (القمّة الثانية/ مغرب الشمس)، شاماً (شمالاً على يده الشمال وهو مواجه للشمس شرقاً) وجنوباً (يمناً لأنّه على يمينه)، البقعة – المركز التي سمّاها القرآن تبعاً لهذا **(لا شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ)**(النور:٣٥) ومنها نبتت أشجار الحياة كلّها ابتداءً بالتين والزيتون وغيرها.

الجبل العظيم ذو القمّتين الذي قالت الآثار والأساطير أنّ الأرض تقع بين قرني ثور[١]، وظنّ البعض أنّ الأمر خرافة وسخافة،

---

[1] – **(قرني ثور)** أي (قمّتي جبل بركانيّ) والجبل البركانيّ سُمّي "ثور" لأنّه استوى من "ثورة" بركان، وما زال بمكّة "جبل ثور" والسريان الذين كانت مكّة منطقتهم قبل تحوّلها للعربيّة الفصحى على يد جرهم وأبناء إسماعيل (ع)، كانوا ينطقون (ثور) (تور) لعدم وجود الثاء في

فإنّ الأرض كيابسة (لا ككوكب) مبسوطة للناس قد مُدّت من بين هذين القرنيْن الناتئين في السماء، وسمّاهما قدامى المصريّين (بن بن) أي البنائين العظيمين: السدّين (كما في رحلة ذي القرنين)، وصوّروهما كيدي قوّة إيزيس تحملان سفينة المعمورة (اليابسة) في البحر، لأنّهم يعلمون أنّ اليابسة هي قشرة كسفينة تسبح على بحر كوكبنا، والذي وتّدها هو الجبال الرواسي المتلاحمة على الصدوع، وهذا الجبل ذو القمّتين أولّ تلك الرواسي، ورسموه أيضاً كشخص تقف قدماه على قاع الأرض (جب) يحمل السماء (نوت) بيديه (اللتان هما قمّتا الجبل المقدَّس) في الجو (شو)، وفي الروايات أنّ ملَكاً عظيماً (قوّة ربّانيّة) يُمسك السماء بيديه (واليدان هنا طبعاً القمّتان) أن تقع على الأرض، ولدى السومريّين رسموا القمّتين تضع عليهما عشتار قدميها، وفي مأثورنا أنّ ربّ الملائكة وسيّدها (وليس ذات الله الذي ليس كمثله شيء) حين هبط وضع رجليه على صخرة بيت المقدس[1]، فكلّها رموزٌ وتقريبات وتلميحات لشيء واحد.

حروفهم (حيث الحروف الستّة ثخذ وضظغ أُضيفت متأخّرة للحروف العربيّة)، وهذه "تور" بمعنى الجبل، هي التي استخدمها القرآن بمسمّاها السرياني (طور).

[1] – هذه الصخرة هي قلب الجبل المقدّس نفسه، وهي التي جاء فيها (أوّل شئ حسر عنه بعد الطوفان صخرة بيت المقدس وفيه ينفخ في الصور يوم القيامة وعلى صخرته ينادي المنادي يوم القيامة) (ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٥، ص١٦٦)، و(مياه الأرض كلّها أصل انفجارها من تحت صخرة بيت المقدس) (الصالحي الشامي، **سبل الهدى والرشاد**، ج٣، ص١٩) فهي التي تقع فوق خزّان ماء الأبسو، و(مقابل الصخرة التي ببيت المقدس ومعراج الأنبياء فإنّ بيت المقدس بقعة جمع الله فيها خيار خلقه من الأنبياء والأولياء والملائكة والمقربين) (الفتال النيسابوري، **روضة الواعظين**، ص٤٠٩) فهي إذن في المحلّة الآمنة والمقرّ الربّاني، و(ثم يبعث الله نارا من

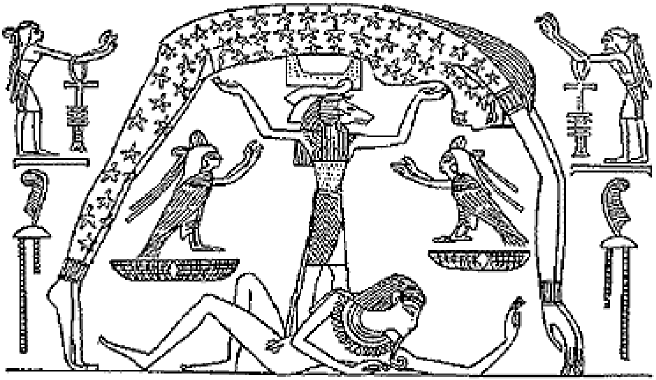

الصورة رقم (٤٠):

قوّة جبل القرنين (شو) تحمل السماء (نوت) ورجله في تخوم قاع الأرض المنبسطة (جب)

الصورة رقم (٤١): (بن بن) قمّة هرميّة من القمّتين، كما نحت رمزه قدامى المصريّين

المشرق ونارا من المغرب بينهما ريحان فيحشران الناس إلى تلك الصخرة في بيت المقدس فتحبس في يمين الصخرة وتزلف الجنّة للمتقين وجهنم في يسار الصخرة في تخوم الأرضين وفيها الفلق والسجّين، فتفرق الخلائق من عند الصخرة، فمن وجبت له الجنّة دخلها من عند الصخرة ومن وجبت له النار دخلها من عند الصخرة) (ابن شعبة الحرّاني، **تحف العقول**، ص٢٤٢) .

الصورة رقم (٤٢): حركة شمش (الشمس) بين القمّتين التوأمين

(مطلع الشمس، ومغرب الشمس) في البقعة الأرضيّة الأولى

هذا الجبل هو جبل قاف الذي ذكره القرآن كمركزٍ لبثّ القرآن المجيد وبثّ الرسالات والتعاليم على الدوام **(ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ)**(ق:١)، وأشارت له المأثورات[1]، وذُكِر في أسطورة رحلة "بلوقيا وحاسب كريم الدين" التي يعدّها البعض خرافة وهي خرافة فعلاً لكنّها تبتني

---

[1] – عن ابن عباس قال: (خلق الله جبلا يقال له ق محيط بالعالم وعروقه إلى الصخرة التي عليها الأرض فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يزلزل قرية أمر ذلك الجبل فحرّك العرق الذي يلي تلك القرية) (ابن الجوزي، **زاد المسير**، ج٧، ص١٨٩).

ولكي لا يستنكر القارئ على هذه المرويّة، فـ (الصخرة) هنا هي ما يُسمّى بلغة الجيولوجيا اليوم الوشاح الصخري (Mantle)، و(الأرض) المقصودة في المرويّ، ما يُعرف اليوم باسم القشرة الأرضيّة/اليابسة (Crust)، وهي تكون بعمق يتراوح بين بضع كيلومترات إلى ٧٠ كلم، ما يعني أنّ هذا الجبل ضارب إلى تخوم الوشاح الصخري، والإحاطة إحاطة اتّصال المركز العصبي بالأعضاء لا إحاطة مادّية، ولذلك سُمِّيت مكّة أمّ القرى، فهي مركز الاتّصال بجميع الأرض جيولوجيّاً وروحيّاً.

على أسس وقصدها الأوّل تربية الإنسان، هو الجبل الأوّل[1]، الجبل المحيط، جبل الطور الذي فيه البيت المعمور ومن مادّته أُنشئ السقف المرفوع[2] (الغلاف الجوّي) وأسفله يكمن البحر المسجور (الحمم) ومنه سيأتي عذاب الساعة والحساب[3]، وفي ملحمة جلجامش (**هو الجبل الذي تبلغ أعاليه قبّة السماء، وفي الأسفل ينزل صدره إلى العالَم الأسفل**)[4] فالوصف هو أينما ذهبت، هو المكان الذي فيه "دلمون" أرض الخالدين حيث أُخِذ نوح (أوتو-نفشتيم "الذي حاط

---

[1] - (عن ابن عباس قال: قال رسول الله (ص): أوّل بقعة وضعت في الأرض موضع البيت ثم مُدّت منها الأرض وإنّ أوّل جبل وضعه الله على وجه الأرض أبو قبيس ثم مدّت منه الجبال)(ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج٥٣، ص١٣٣) وشبيه له (ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج١، ص٧٦١) و (المجلسي، **بحار الأنوار**، ج٤٥، ص٢٠٧)، وأبو قبيس أحد تلك الجبال الأولى التي وتدها تعالى، وليس صدفةً تسميته (أبو قبيس)، فالقبس هو النور، النار، ولعلّنا نذكر أنّ موسى ذهب لجبل الطور ليقتبس ناراً، وهو في نفس تلك الجبال المحيطة بمكّة!

ورواية أخرى تصف حوار ذي القرنين مع الملَك (قال له ذو القرنين: فأخبرني عنك أيها الملك؟ قال: إنّي موكل بهذا الجبل وهو محيط بالأرض كلها (أي اليابسة لا أقلّ المحلّية)، ولولا هذا الجبل لانكفأت الأرض بأهلها، وليس على وجه الأرض جبل أعظم منه (ليس ارتفاعاً بل عظمة وأهمّية)، وهو أوّل جبل أثبته الله عز وجلّ، فرأسه ملصق بسماء الدنيا وأسفله في الأرض السابعة السفلى وهو محيط بها كالحلقة، وليس على وجه الأرض مدينة إلا ولها عرق إلى هذا الجبل، فإذا أراد الله عز وجل أن يزلزل مدينة أوحى إلى فحرّكت العرق الذي إليها فزلزله)(الصدوق، **كمال الدين وتمام النعمة**، ص٣٩٩).

[2] - هناك باطن آخر لعبارة (السقف المرفوع) تدلّ على معنى غير مادّي، له علاقة بالجنّة (المحلّة الآمنة) في بُعدها الآخر، بسقفها المرفوع عن الأنظار.

[3] - سورة الطور ١-٧ (**وَالطُّورِ * وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ * فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ * وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ * وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ * وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**).

[4] - طه باقر، **ملحمة جلجامش**، ص١٣٤.

النفوس"، زيوسدرا "ذو الصدر" السومريّ، وأتراحاسس "أثرى صاحب إحساس") فهو أوّل بقعة أشرقت عليها الشمس، فسُمّي مطلع الشمس، و(**الموضع الذي تُشرق منه الشمس**)[1]، وقصده جلجامش (**وعبر المحيط إلى حيث مطلع الشمس**)، لأنّه أوّل يابسة خرجت على هذا الكوكب وطلعت عليها الشمس ومنه باقي يابسة الأرض مُدّت، جبل المُد، نودي–مُد (Nudimud) الذي أنجبه –بحسب السومريّين– "آنو" ربّ السماء ليكون مصدر الخير للأرض، جبل الخير العميم، (**الطود الشامخ، الموضع المطهّر .. بيت إنليل، إنّه جبل الخير العميم**)[2]، (**أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ**)(آل عمران:٩٦) بحسب القرآن، وبسبب هذا الجبل السماوي المقدَّس صار يُطلق على الجبال (المقدّسة) العالية أنّها سماء[3]، الجبل الذي نصفه برد ونصفه نار، لأنّه

---

[1] – وداد الجوراني، **الرحلة إلى الفردوس والجحيم في أساطير العراق القديم**، ص٧٩. والنصّ عن نوح/ذو الصدر: زيوسدرا، هو (زيوسدرا الملك الذي حافظ على الزرع، والذي صان ذرّية البشر .. وفي أرض العبور، في أرض دلمون، الموضع الذي تُشرق منه الشمس أسكنّاه هناك). وهو من ملحمة جلجامش.

[2] – نسخة النصّ مأخوذة من: وديع بشّور، **الميثولوجيا السورية – أساطير آرام**، ص ٦٣.

[3] – كقوله تعالى: (**فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ**)(البقرة:٥٩)، (**فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَبْتَغِيَ نَفَقاً فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّماً فِي السَّمَاءِ**)(الأنعام: ٣٥)، (**يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقاً حَرَجاً كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ**)(الأنعام:١٢٥)، (**لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ**)(الأعراف:٤٠)، (**فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ**)(الأنفال:٣٢)، (**أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا**)(الرعد:١٧)، (**وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَاباً مِنَ السَّمَاءِ**)(الحجر:١٤)، (**أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفاً**)(الإسراء:٩٢)، (**أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَاباً**)(الإسراء:٩٣)، (**إِنَّا مُنْزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ**)(العنكبوت:٣٤)، (**يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ**)(السجدة:٥)، (**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ**

يحوي مداخل الجنّة الأرضيّة والنار، ولأنّ أعلى قممه الثلوج وأسفل قواعده صهير الحمم البركانيّة (الماجما)، التي سُمّيت "حواوى"، الحيّة، التتين، لوياتان، لافا، فلق، فلقان...، والعديد من الأسماء بحسب نوع الأسطورة والكتاب السماوي واللهجة!

من هذا الجبل امتدّت سلسلة الجبال البركانيّة السبعة الأولى، وهي التي من حجارتها أساس بيت الله في مكّة كما ورد عن إبراهيم (ع) أنّه (**اختار موضع مكّة، فقالت الملائكة: يا خليل الله اخترت موضع مكّة وحرم الله في الأرض، فبناه وجعل أساسه من سبعة أجبل**)[1]، وقدْ ورَد عن هذه الجبال السبعة البركانيّة التي أُخمدت في البدء، رمزاً في الأسطورة الأوغاريتيّة حين ينتصر الربُّ الخلّاق بعْلُ على التنّين لوياثان ذي الرؤوس السبعة، وهذا ما نجده في التوراة في سفر"إشعيا" حيث أنّ الربّ يعاقب بسيفه القاسي العظيم الشديد لوياثان الحيّة الهاربة ويقتل التنّين الذي في البحر، أي خمّد الجبال البركانيّة السبعة التي ظهرت في البحر البدئي، مع بداية تشكّل اليابسة بعد تشكيل طبقات غلاف الجوّ، المسمّى قرآنيّاً (**خَلْق السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**)(البقرة:١٦٤)، وهي التي سبق وأن قُلنا سافر إليها الملك البابلي جلجامش ورفيقه الروحيّ أنكيدو شرقاً لأنّ فيها مقرّ

مُنْهَمِرٍ)(القمر:١١)، (**فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ**)(الرحمن:٣٧)، (**أَأَمِنْتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ**)(الملك:١٦)، (**وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ**)(الحاقة:١٦)، (**وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَاباً**)(النبأ:١٩).

[1] – ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج٤، ص٤٦٤.

الأرباب **(رأوا جبل الأرز، مقام الآلهة، قاعدة أورنينا)**، وأور نينا أي غور-نينا وهي الأمّ الكبرى (عـــشتار/أصـــل وجــودات الطبيعـــة)، وقاعدتها أي الجبل المزدهر، فهو قاعـــدة خلـــق كائنـــات الطبيعـــة ومنصتّه، ومقام الآلهة لأنّه المقرّ الربوبي/مجمـــع الأربـــاب، "أرض إيل"، و"جبل إيل" (جبل الله)، حسب نصوص أوقريت، و**(جبل الأرز)**، لأنّه مليء بأشجار الأرز[١]، لا الذي ظنّه بعضُ المترجمين أنّـــه فـــي لبنان، وحتى جبل لبنان الوارد في النصوص هو مـــن جبـــال مكّـــة وحسب الآثار لبنان من جبال الجنّة لأنّها هناك، ومن جبـــال العـــرش لأنّه هناك أيضاً، و"لبنان" هي "لبان" وما زالـــت الفرنـــسيّة تـــسمّيها (Leban)، وجمعها لبانون (Lebanon) ومن أخشاب هـــذه الجبـــال صنع نوح سفينته **(وأنشأ سفينته من خشب لبنان بين زمـــزم وبـــين الركن والمقام)**[٢]، فلا معنى وغير معقول أنّ يكون الخشب من "لبنان" السياسيّة اليوم والسفينة في مكّة! وارتباط نوح بمكّـــة بجبلهـــا لبنـــان واضح في مروي لرسول الله (ص) (يا أبا ذر لـــو أنّ أحـــدا مـــنهم يصلى ركعتين في أصحابه أفضل عند الله من رجل يعبد الله في جبل

---

[1] - لعلّ تسمية شجر (الأرز) هو من الجبل نفسه لا العكس، فالجبل الأوّل الذي مُدّت منه يابـــسة الأرض، يُسمّى (جبل الأرض)، وفي أسطورة جلجامش سمّوه **(جبل الأرض والـــسماء)**، وهـــذا الجبل مملوء بأشجار الخشب والصنوبر والمرو، فسُمّي الشجر باسم الجبل (شجر جبل الأرض) (شجر الأرض)، و"الأرض" لدى السريان، كما نرى لدى فارس والشام ومصر اليـــوم تُـــسمّى (أرز)، فسُمّيت الأشجار باسم الجبل لا العكس، هذا ناهيك عن أنّ جذر كلمات (أرض) و(أرص) و(أرز) واحد، ففعل (رزّ) و(رصّ) و(رضّ) مقارب، نقول (رضّ المسمار ورصّ المسمار ورزّ المسمار، بمعنى).

[2] - الرواية عن ابن عباس، انظر: القرطبي، **تفسير القرطبي**، ج٩، ص٤٣.

لبنان عمر نوح)، وهذا الجبل (لبنان) تعبّد فيه بحسب الروايات عيسى (ع) وأمّه مريم، ثمّ دُفنت أسفله، والروايات ذكرت الكثير عن هذه البقعة الربانيّة المكّية الأولى، لكنّ المفسّرون والمترجمون والمؤرّخون أسقطوها على جغرافيّا أخرى غير جغرافيّتها الأولى، ولهذا وقع الخلط في كثير من الأمور وساد اللامنطق في محاولة فهم عناصر المرويات.

فعوداً إلى هذا الجبل المقدَّس المزدهِر بأشجار الأرز والسرو والصنوبر، المقرّ الذي شعّ نجمُ نورٍ، كنجمٍ هوى، حين حلّ عليه مجدُ الرحمن ليخلق مِن البشر خليفتَه الإنسان، في حظيرة القدس وبيت المقدس والمسجد الأقصى الخفيّ من بكّة، فالمسيحيّون لا زالوا يُصوّرون حلول نجمة السماء على شجرة عشتار (شجرة الكريستمس) حيث الجبل المقدّس الذي يحوي أشجار الصنوبر والسرو[1] والأرز والصندل والعرعر والمرّ واللبان والزيتون، يُصوّرون حلول نجمة أو ضوء نجميّ، المعبِّر عن هبوط كائن علويّ سماوي من قبَل الله تعالى سُمِّي في التراث الديني (الربّ/آنو/الرحمن/الرّوح الأعظم) وعبّروا عن هذه الروح العظمى في الأساطير بطائر الفينيق (Pheonix) النوراني الذي تعود دورته كلّ ألف عام، هبط هذا الروح الربّاني العلويّ لاختيار كائن من

[1] – الديانة الميثرية في فارس اتّخذوا (شجرة سرو عليها نجمة) لاحتفالهم بالميلاد (لميثرا)، بينما الأوربيّون لاحقاً ووفقاً للمسيحيّة اتّخذوا (شجرة صنوبر عليها نجمة) للاحتفال بالميلاد (لعيسى)، وكلاهما بنفس المعنى.

الأشجار الأرضيّة يُنفخ فيه من الرّوح الأعلى ليُمثّله (أيْ يكون مثـــيلاً له)، وكان الكائن الذي لاق بحمل هذه الأمانة هو الإنسان، والإنـــسان يقف على قمّة شجرة خلائق الطبيعة (أي شجر عشتار)، فالنجم (الذي هو الروح) حلّ عليه، ليكون الإنسان هو النجم الهادي والمدبّر لشجرة الخليقة دونه، وسمّوا هذا المشهد الخلائقي بشجرة الكريسماس، لكــنّ المؤسف أنّ الإنسان في أجيالِه اللاحقة شــوّه هــذه المعــاني، وراح بعضُه يتعبّد ويقدّس شجرة عشتار، ويُضحّي لها بالقرابين البــشريّة، ويحسبها ربّاً للخصب، كما حدث مع (أصحاب الأيكــة) أي الــشجرة العظيمة التي حكاها القرآن، وكما حدث مع النبيّ (ص) في الــسدرة العظيمة "ذات أنواط" التي يعكف عليها بعــضُ المــشركين، فــاقترح بعضُ حديثيّ العهد بالإسلام بقوله للنبيّ (ص): **(اجعلْ لنا ذات أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط)**[1]!

الصورة رقم (٤٣): (النّجم والشجر)، نزول النجم الضوئي على شجر الأرز (في الجبل المقدّس)

---

[1] – ابن حبّان، **صحيح ابن حبّان**، ج١٥، ص٩٤.

واحتفظ التراث لنا بأنّ ليلة الأقدار والميلاد ليلةٌ مظلمةٌ حالكةٌ يخرج فيها القضاةُ لقراءة أقدار السماء وترصّد هبوط نجم لمعرفة تعيين ملوكهم أو عزلهم، فإذا رأوا نجماً ساقطاً عزلوه، إيذاناً بولادة (بانبثاق) ملِك آخر اختارته السماء!

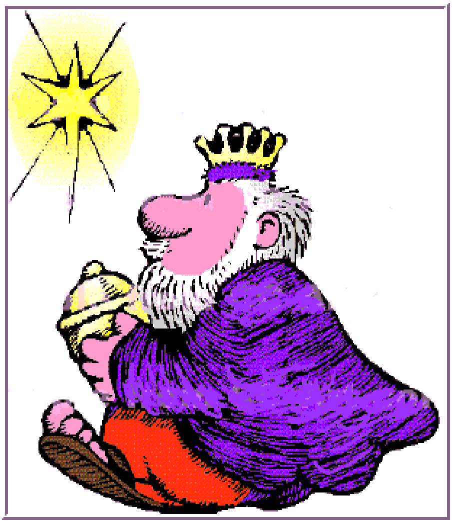

الصورة رقم (٤٤): قاضي يترقّب النجم الساقط لتعيين الملك الصالح

وأهل فارس، وتقويمهم أصحّ وأكثر توافقاً مع الطبيعة الكونية في بداية الشهور وبداية الأيّام عن التقويم المصطنع الغربيّ، فهم أيضاً تبعاً للتراث القديم قبل آلاف السنين يحتفلون بليلة الانقلاب الشتوي و(٢٥ ديسمبر) على أنّها ليلة ميلاد النور، ويُسمّونها (شب يلدا) أي (ليلة الولادة/الميلاد)، وهي ميلاد (نبيّهم القديم ميثرا ابن أمّه العذراء آنا حيتا " Mithra who is being born of His Virgin

"آنا حيتا" أي الأمّ الكبرى سيّدة الحياة، وفيها ([1]) " Mother Anahita" يتمّ تحقيق الأماني و(ليلة تقدير) المصائر وولادات الذرّيّـــة ... الـــخ وهي نفس المظاهر التي تسلّلت لدى المسيحيّة بعدئذٍ.

حتّى اليهود يحتفلون به بعد أن قلبوه عيـــداً قوميّـــاً لانتـــصارٍ تاريخيّ لملـــوكهم المكـــابيّين علـــى أعـــدائهم، ويُـــسمّونه هانوكّـــاه (Hanukkah) احتفاءً بملِكهم (وقد كان احتفاءً بملِـــك البـــشريّة آدم) وتكريساً له، ويُنيرون في لياليه المظلمة شـــمعدانهم الـــذي يُـــسمّونه (Menorah) وهي عربيّة "منوّرة"، ويستهل تاريخ هذا العيـــد بـــآخر ثلاثة ليالٍ قبل ولادة الهلال الجديد قمريّاً، والموافق من جهةٍ أخـــرى للانقلاب الشتويّ شمسيّاً، في ٢٥ من شهرهم الذي يوافق ديسمبر!

(Hanukkah always begins three days before the new moon that is closest to the winter solstice. The new moon is when the dark side of the moon is facing Earth.)[2]

ونقرأ أيضاً، أنّه احتفال بيوم النور، يوم التكـــريس (كـــريس- ماس) في ٢٥ ديسمبر:

(Hanukkah, also known as the Festival of Lights or Festival of Dedication, is an eight day Jewish holiday

---

[1] – **http://www.vcn.bc.ca/oshihan/Pages/Yalda.htm,**
http://en.wikipedia.org/wiki/Yalda

[2] – **http://news.nationalgeographic.com/kids/2003/12/wintersolstice.html**

that starts on the 25th day of Kislev, which may be in December)[1]

الصورة رقم (٤٥): المنورة اليهوديّة Menorah

وحتّى الاحتفال بعيد الميلاد يقوم على الفكرة نفسها، لرؤية النجم في الليلة الظلماء، وتمنّيهم الخير كما نتمنّاه بأدعية ليلة قدرنا، فيقولون إذّاك تمنّى: (Make a wish)، فكعكة الميلاد على شكل برج، ويُنصب أعلاها شمعة، وتُطفأ الأنوار ويُظلم المكان، وتُغمض الأعين، ويُقال "قدّر أمنيتك"، ثمّ يُنفخ على الشمعة لإطفائها إيذاناً بحصول الميلاد، وحتّى كعكة الزواج بوضع تمثالي زوج وزوجة على برج كعكة يمثّل سكن الزوج الإنسانيّ الأوّل في الجبل المقدّس، البرج السباعيّ، الحيّز الجليل (إيزا-جل) كما سمّاه السومريّون.

فهبوط الموكب الملائكي الذي يُحقّق أماني الإنسان ويصنع أقداره على جبل كائنات عشتار، صوّروه نجمةَ تحقيق الأماني،

---

[1] – **http://en.wikipedia.org/wiki/Hanukkah**.

وصوّروا الموكب بالعربة الإلهيّة القادمة من الشمال تقودها وُعولُ الجبال، وتوزّع هدايا الأماني، عبْر شخصيّة سمّوها (بابا نويل)، وهو انحراف في استخدام العبارة، فلقد كانت (عمونويل) فظنّها البعضُ مقطعيْن هكذا: (عمّو + نويل)! ثمّ استبدل (العم) (بالأب) ليُصبح (بابا + نويل)، بينما لا يُوجَد شيء اسمُه (نويل) لا أبٌ ولا عمٌّ، بل الوارد في التوراة والإنجيل ("**هوذا العذراء تحبل وتلد ابنا ويدعون اسمه عمانوئيل**" **الذي تفسيره الله معنا**)(متّى١: ٢٣)، و(**Emmanuel**) = (**עמנו אל**)، (**لأَنَّ اللّهَ مَعَنَا**)(أشعياء٨: ١٠)، عمّانو + ئيل = عمَّنا الله، أيْ أحاطنا وشملنا برعايته، وهي معناها (الله معنا) كما قال أشعياء وكما فسّرها الإنجيل.

الصورة رقم (٤٦): المظاهر ذاتها تعبِّر عن مولد النور بولادة الإنسانيّة الأولى

فسواءً كان الأمرُ نجمة على شجرة، أو شعلة نور على شجرة شمعدان[1]، أو ولادة هلالٍ أو نجمة على قبّة مقرّ عبادة مسجدٍ أو دير،

---

[1] – هذه الشمعة، سُمّيت نسبة لمادّتها الشمعية، أمّا لإضاءتها فتُسمّى (قنديل) وهي التي صارت غرباً (كندِل) للفظهم القاف كافا كمعلّميهم السريان القدماء: **Candle**.

أو صليباً يلمع كنجمة مشعّة على جبل أخضر مقدَّس أو على قبّة، أو شمعة نُصبت على برج كعكة في أجواء غرفـةٍ مظلمـة، فـالزمن والمغزى والأمرُ نفسه أنّى ذهبتَ، يُعبَّر عنه بمظاهر عـدّة ويُحـرَّف ويُوطَّن ويُزخرف ويُمَذهب ويُقدَّس شكلُه! لكنّه في مداه البعيد يعنـي ولادة الإنسان الربّاني في المقرّ العالي المقدَّس؛ وولادة النور الربّـاني على جبل الكائنات السماويّة والأرضيّة في كيان جديد أُعطـي أمانـة روح الربّ سُمّي الإنسان[1]، نسْخ مرحلة الهمجيّـة البـشريّة الـسابقة وتسييد الإنسان بدلَه، ككائن آخر أسمى على الأرض، وكملِكٍ للخلائق وخليفة للربّ، الأمر الذي عبّر عنه السومريّون في أسطورة (عنـدما بنى الأرباب المدينة) بأنّه تمّ في عيد رأس الـسنة[2]، أنّ إنليـل (ربّ الروح) قد عيّن على البشر غير المعبأ بهم سابقاً ملِكاً سماوياً للـبلاد (سيّد البشر):

والأرباب الكبار أنوناكي محدّدو الأقدار

تذاكروا وهم في المجمع بشأن البلاد

مع أرباب الكون الذين يخلقون كلّ شكل

لقد حدّدوا للبشر عيد رأس السنة (أيْ ٢٥ ديسمبر)

دون أنْ يعيّنوا ملكاً يحكمهم

---

[1] - (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَـا وَأَشْـفَقْنَ مِنْهَـا وَحَمَلَهَا الْأِنْسَانُ**)(الأحزاب:٧٢).

[2] - في السجلات التاريخية لعهد أسرة تشنغ في الـصين (١٦١٦-١٩١١) عبـارة "الاحتفـال بالانقلاب الشتوي مثل الاحتفال برأس السنة الجديدة" راجع:

http://www.china.org.cn/arabic/78456.htm.

فلم يكن حتّى ذلك الزمان ... من عمَرةٍ أو إكليلٍ (وهو التاج الذي هو كقرص الشمس وكهالة الروح) ...

ولا مِن عرش قد أقيم حتى ذلك الحين

وكان الأرباب السبعة .. يوصدون الأبواب وراء البشر

كانت عشتار ترغب في إيجاد راعٍ للبشر

فكانت تفتّش عن ملك للبلاد

فأخذ "إنليل" في التحرّي عن عروشٍ في السماء

ففتّش في كلّ مكان عن عرش الملك

لأنّه لم يكن بعد من ملك في البلاد

فقرّر إنليل أن يخلق ملكاً للبلاد

وعندئذ نزلت الملوكيّة من السموات[1]

فعندما نزلت الملوكيّة من السماء، أي جاء الربّ ليصنع خليفته، فقد عبّرت سورة الرحمن عن هذا المجيء الباهر للربّ الذي لا يتكرّر إلاّ كلّ يوم ربّاني (يساوي الواحد منه بعدّنا الآن خمسين ألف سنة)، هذا المجيء الربّاني حصل مع بداية خلقنا وسيتكرّر مع إعادة خلقنا (القيامة)، فمن معاني (**وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ**)(الرحمن:٦) في تلك الإحداثيّة الزمانيّة، أنّ كلّ عمليّات الخلق لن تخرج عن كيفيّتيْن: خلق إبدائي وهو تعبّر عنه كلمة (نَجَم[2]) أي ظهر، وخلق

---

[1] – راجع الأسطورة كاملةً مع الشرح، بحث: **الخلق الأوّل – كما بدأكم تعودون**، وبحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[2] – (النجم) ما ظهر وبان، فإذا كان في السماء فما تلألأ (نجم)، وإذا كان الأرض فما نتأ من

تكاثري يتفرّع ويتشجّر من خلق آخر كالغصن من الجذع، وهذا تُعبّر عنه كلمة (شجَر)، فكلا عمليتي (النجْم، والشجَر) يتوقّفان في تلك الليلة ويخضعان انتظاراً لاحتمال بزوغ نظام خلقيّ جديد، فقد جاء الربّ، ولعلّه يستهلّ بداية نظام جديد، أو يأذن في مواصلة التخلّق القديم النجميّ والشجريّ.

ومن جهة عمليّة مرئيّة، للنجم والشجر، فقد كان ما يُحسب أنّه (نجم) وهو الموكب السماويّ المُهيّئ لقدوم الربّ في حالة خضوع وامتثال تامّ تلك الليلة، يُشبه ما عبّر عنه الجنّ بقولهم **(وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَساً شَدِيداً وَشُهُباً)**(الجن:٨)، والسماء هنا هي الجنّة المقرّ التدبيريّ.

والشجر، فكلّ أشجار[١] الكائنات الدنيا، المعبّر عنها بأشجار عشتار، **(كانت عشتار ترغب في إيجاد راعٍ للبشر**- راجع أعلاه) أي أشجار الطبيعة نباتيّة، حيوانيّة، بشريّة، كانت تلك الليلة في لحظة

حصا ونبات (نجم)، وإذا كان في التراب فما تميّز منه، ومنه (التنجيم) والتعدين و(المناجم)، وما كان في مساحة أرض فالطريق الواضح (نجم)، وما كان في الذهن فما برز فيه من فكرة (نجم)، وما كان في الأمور فما كان من ظهور نتائجها (نجوم)، وبهذا قال البعض معنى قول القرآن عن إبراهيم (ع): **(فنظرَ نظرةً في النجوم)** أي أنّه فكر في العواقب.

[1] – لقد بينّا سابقاً أنّ كلمة (شجرة) في حقيقتها اللّغوية تعني كلّ ما تفرّع منطلقاً من أصل، فهي تعني شجرة السلالات، والعوائل، والمخلوقات، وشجرة النار، وشجرة الخصومات، وشجرة أتباع إبليس (الشجرة الملعونة)، وأشجار النبات، حيث أنّ (شجرة) مفردة مهمّة ومفتاح رئيس في فهم معصيّة الإنسان الأوّل آدم. راجع بحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعيّة.

ترقّب مصيرها، ليلة الظلام الدامس، في سبتة خمود، بانتظار أن ينفجر الوعي، ينفجر النور على أحد تلك الأشجار، وحملَها (هذه الأمانة؛ أمانة الروح) الإنسان، لذلك نرى أنّ في القسم الشمالي من الكرة الأرضيّة التي فيها المركز (جبال السراة/حيث تمّ تخليق آدم في تلك الليلة في جنّتة الأرضيّة ومقرّ أرباب الملائكة)، نرى أنّ هذه الإحداثيّة هي إحداثيّة الانقلاب الشتوي تماماً، أطول ليلة ظلام، ليبدأ مسيرة تصاعد النهار بعدها، وهي أبرد محطّة زمانيّة، فالأشجار بما فيها النبات والحيوان، تكون في أغور نقطة "سُبوت" من حيث المدّة وحيث العمق.

هذا (التجمّع) الكوني انتظاراً لخلق آدم، سبّب تسمية ذلك اليوم يوم (جمعة)، وهو اليوم السادس من الأسبوع ابتداءً من (واحد/أحد، اثنين، ثلاثة/ثلاثاء، أربعة/أربعاء، خمسة/خميس، ستة/جمعة، سبعة/سبت) وهي أسماء حسب نطقها سريانيّة واضحة (لاحظ خمسة/خْميسْ)، وربّما لعلّة خلق الإنسان في يوم الجمعة سُمّي يوم الجمعة (عروبة) أيضاً لدى العرب الأقدمين، أي الذي تمّ فيه الإعراب وهو الإبانة أي الوعي والفكر واللّغة كما أخبر تعالى عن مشهد تلك الليلة المهيبة (**عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**)(الرحمن:٤) وقد أطلقوا على (الجمعة) (عروبة) زمن كعب بن لؤيّ حين جمع قريشاً فخطبهم بمواعظه الدينيّة الإصلاحيّة. قال نبي الله (ص): **(خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُدخل الجنّة، وفيه**

أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة)[1]، (وقد سبق أن بينّا أنّ آدم لمْ يُخرَج من الجنّة بواسطة الربّ، بل خرَج بنفسه بنصّ القرآن، وأُهبِط مِن خارجها بأمر الربّ، ولا يُوجَد في القرآن كلّه أمرٌ بإخراج آدم من الجنّة، بل وُجد أمرٌ له بعدم الانخداع بإبليس ليُخرجَه منها، فالذي أخرج آدم من الجنّة بنصّ القرآن هو إبليس **(كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ)**(الأعراف:٢٧)، **(فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ)**(طه:١١٧)، فلماذا صار يوم الجمعة بركة لمّا أُخرج آدم من الجنّة بواسطة إبليس؟

هذا تناقض صريح، وهل الإخراج من الجنّة بركة؟ وهل يليق هنا أن يكون إبليس أخرج آدم؟ ليس من حلّ إلاّ بفرضيّة واحدة؛ أنّ آدم رُفع إلى الجنّة مرّة أخرى بعد مماته، وأُخرج منها مرّةً أخرى وأُهبِط ليكون بركة ورحمة ورسولاً معصوماً إلى ذرّيته التي ملأت الأرض وهو آدم الرسول (ع) بعد عشرات الآلاف من السنين!).

فجواباً على سؤالنا الأوّل: لماذا إنليل هو الربّ وهو الإنسان لدى السومريّين العرب السريان؟

لأنّ الإنسان مثيل الربّ، والإنليليّة هي الروحانيّة نفسها، وهذه الروحانيّة الناظمة هي التي سوّغت أن يُجعل كلّ نبيّ مؤسّس لملّة ولشعب، بجعله "آدم" أولئك الأقوام، ويُخلع عليه قصّة آدم الأوّل أو بعض علاماتها، ويُنحل تاريخ الميلاد المجيد (الكريستماس) له،

---

[1] – مسلم، **الصحيح**، ج٣، ص٦؛ الترمذي، **السنن**، ج١، ص٣٠٥؛ الكحلاني، **سبل السلام**، ج٢، ص٤٥.

كإنسانٍ كامل، المولود الربّاني، (ابن الله) رمزاً، لأنّه ابن السماء وابن الروح (روح الله)، يهبط لهم من جبلٍ مقدّس، ويرحلُ حين يغيب أو يُموت، صاعداً ومرتفعاً إلى جبلٍ مقدّس (إلى السماء)، ولكي يبقى يشعّ كنجمة على جبل فقدْ يُصلب أُسطوريّاً ويُوضع عليه الإكليل.

ولقد كان أثر هذا التخلّق الإنليلي (الروحانيّ) على السومريين قبل ٦٠٠٠ عام، جليّاً في لزومهم الأخلاق طريقاً، (**لقد تعلّق السومريون كما يُؤخَذ مما كتبوه ودونوه بحبّ الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحريّة والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة، كما كانوا يمقتون الشرّ والكذب والزور وعصيان القانون والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصي والضلال والقسوة وتحجّر القلب. وكان حُكّامهم وملوكهم يتباهون دائماً بأنّهم أقاموا القانون والنظام في البلاد وحموا الضعيف من القوي والفقير من الغني ومحوا الشرّ والظلم والعنف .. (والملك) يفخر بأنّه اختير بوجه خاصّ من لدن الإلهين "آن" و"إنليل" لحكم البلاد، لكي يمكن العدل في البلاد ويزيل الشكوى ويقضي على البغضاء**)[1]، أليست هذه هي أخلاق الروحانيّة؟!

وملوك الفرس الذين اعتقدوا في (جيومرت) أنّه آدمهم، ثمّ بعده (هوشنج) فالأعمال الحضاريّة التي بها صيّرته آدماً ومؤسّساً للوجود الإنسانيّ وخليفةً حقيقيّاً نقرأها في مثل هذه النصوص (**هو أوّل من**

---

[1] - صامويل كريمر، **من ألواح سومر**، ص١٩٢-١٩٥.

قطع الشجر وبنى البناء وأوّل من استخرج المعادن وفطن الناس لها وأمر أهل زمانه باتخاذ المساجد وبنى مدينتين كانتا أوّل ما بُني على ظهر الأرض من المدائن وهما مدينة بابل بسواد الكوفة ومدينة السوس ... هو أوّل من استنبط الحديد في ملكه فاتخذ منه الأدوات للصناعات وقدّر المياه في مواضع المنافع، وحضّ الناس على الحراثة والزراعة والحصاد واعتمال الأعمال وأمر بقتل السباع الضارية واتخاذ الملابس من جلودها والمفارش وبذبح البقر والغنم والوحش والأكل من لحومها ... وأنّه بنى مدينة الري ... وأوّل من وضع الأحكام والحدود ...)[1]، طبعاً هذه الأمور والأعمال قبل ٥٠٠٠ عام هي عظمى الاختراعات (وبالطبع هي تعاليم ربّانيّة) ولولاها لبقي الإنسان كالحيوان بلا مدنيّة وحضارة.

"إنليل" (كحال "آدم") كاسمٍ صار يتماهى مع كلّ مثيل للربّ، ومع كلّ زوج صالح احتفظ بتعاليم الأسرة والزواج الشرعيّ المقدَّس، ومع كلّ ملك صالح أو مُعلِّم شريف للناس يُسهم في تمدينهم وتحضّرهم وأنسنتهم وإتمام مكارمهم، ولقد وجدنا "إنليل" (Enlil) يُسرَق منه تاج ملوكيّته ولباسه الملوكيّ بواسطة الطير الشرّير "أن-سو"، وقد فسّرنا هذه الأسطورة في بحث "وعصى آدم"؛ أنّ (An-su)(عِينْ سُوْء) هو الشيطان نفسه حسَد آدم، فسرق من آدم (وهو

---

[1] – الطبري، **تاريخ الطبري**، ج١، ص١١٤.

إنليل البشري) لباسَه الروحانيّ وجعله يعصي ربّه بعد فقْد روحنته التي هي تاج ملوكيّته وإكليلُ النور والهالة التي تتوّج رأسه حقّاً.

لذلك نرى إنليل (عين-لِ-إيل = عينليل = إينليل = عين الله، المُعيَّن من الله) كربٌ للروح، يغار على انتهاك الروحنة (سرّ الإنسانيّة) فيُعاقب قوم نوح (أتراحاسس/أوتونفشتم/زيوسدرا) مرة بالطاعون ومرّة بالطوفان المبيد، وأنّه هو الذي يُبارك نوحاً وزوجته لأنّهما حافظا على النسل الروحانيّ في أسطورة جلجامش، وفي نصّ مرثيّة "سومر وأور" اللتين حطمهما الغزاة، شُبّه الغزو بـ "**فكان زحفهم كطوفان إنليل لا يستطيع أحدٌ صدّه**"[1].

وملحمة الخليقة السومريّة التي تُعزي الخلق إلى "إين.ل.ئيل"، جاءت بنسختها البابليّة لتسمه باسم آخر له "مردوخ"، في ملحمة "إينُما إيليش" (حينما أوّلاً)، ولمْ تترك القارئ يتحيّر إلاّ قليلاً، ففي الفقرة ١٤٥ من اللوح السابع يُوصَف مردوخ أنّه "إنليل" الآلهة، فإنليل إذن وصْفٌ، فهناك إنليل الآلهة (الآلهة هنا تعني الأرباب/الملائكة)، أيْ روحُها المُدبِّر، وهناك "إنليل" البشر قطعاً وهو روحُها المُدبِّر وهو الإنسان. فالإنليليّة سمات وصبغة!

نستنتج أنّ "إنليل" اسمٌ استُعمِل على مستويَيْن؛ مستوى سماويّ، ومستوى بشريّ، لأنّه وصفٌ مشترك بين الإنسان والربّ، فكلّ نبيّ

---

[1] - فاضل عبد الواحد علي، **سومر أسطورة وملحمة**، ص٣٥٤.

أو معلّم ربّانيّ للحضارة هو إنليل ، لأنّه خليفة للربّ بما امتلك من إبداع الروح المنفوخة فيه.

فالإنليليّة (التي هي عينٌ إلهيّة) سمات تتعلّق بالروح، من تدبير وعدل وعلم، فهي سرّ الأنسنة لذا نجد المظهَر "إنليل" هو مصدر قرار الطوفان على البشر حين استولت عليهم الهمجيّة وضيّعوا الإنسانيّة (في أسطورة أتراحاسيس)، ونقرأ أنّ حمورابي يُعلن في مقدّمة شريعته أنّ (آن ومردوخ) زوّداه "بالإنليليّة" ليسوس البشر بها[1]، وكذلك "آن وإنليل" زوّدا أصحاب الشرائع من ملوك السومريّين والأكديّين ليُقيموا العدل والرفاه ونشر الخُلق المتسامي[2].

فسيّد الملائكة المدبّرين هو "إنليل" الأصل، ذلك المدعو في التراث الديني "الروح" (روح الربّ) الذي ينزل مع الملائكة كأميرٍ وسيِّدٍ فيها (أي روح المجمع الربّانيّ التدبيريّ)، (**تَنَزَّلُ الْمَلائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ**)(القدر:٤)، ينزل للإفاضة الروحيّة على مثيله الخليفة الإنسانيّ، ويقوم في النهاية مع الملائكة صفّاً لانتظار حساب الربّ للناس على أمانة روحهم الربّانيّة/الإنسانيّة

---

[1] – د. إدزارد، **قاموس الآلهة والأساطير**، ص١٠٢.

[2] – صمويل كريمر، **من ألواح سومَر**، ص١٩٣، وأيضاً ص١٧٣، حيث يقول: وكان الإله! "إنليل" هو الذي يُعلن اسم الملك ويُعطيه "صولجانه" وينظر إليه بعين الرضا، .. وأنّ "إنليل" كان يُعَدّ إلهاً مُحسناً رحيماً ويُعزى إليه تدبير وخلق أهم العناصر المنتجة في الكون .. ويُعنى بسلامة جميع البشر وخيرهم.

المُودَعة فيهم، أساءوا لها أو أحسنوا، صاروا روحانيّين بها أم نسوها وقبعوا نفسانيّين (**يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلائِكَةُ صَفّاً**)(النبأ:٣٨).

ب- التقمّص الأسطوري والأوادم الإنليليّة

في أسطورة (إنليل ونمليل)[1] السومريّة التــي تحكــي عــن آدم وحوّاء في الجنّة ذات العينين النــضّاختيْن، ثــمّ عــن معــصية آدم، وتوظّفها لتُتلى مع طقوس الزواج السومريّة للجمــع بــين زوجــيْن صالحين في جوّ احتفالي يعيد مشهد الزواج الإنليلي المقــدّس الأوّل، الأسطورة التي عرضنا بعضًا منها في بحث (وعصى آدم)، نلاحــظ أنّ السومريين أوردوا فيها رموزاً عن تقمّص آدم وتمثّله بشخــصيات ملائكيّة من الجنّة، والتقائه بحوّاء خارج الجنّة ثلاث مــرّات لينــسل منها ذرّية صالحة، ومع أنّ المعلومة أسطوريّة بحتة إلا أنّها لا تخلــو من مضمون، فإمّا أنّهم أرادوا بنحو ما تقريب المعنى السابق وهو أنّ (آدم/الخليفة) يتجسّد في كلّ راعٍ صالح يجلب الخير للبشريّة ويُمارس الزواج الشرعي المقدّس ويدعو إلى الفضيلة لإرجاع الناس إلى جنّتهم وإلى محضن الربّ ومجاورة ملائكته، فكأنّما كلّ من يُمارس آدميّتــه ويريد تطهير النسل الإنساني والمحافظة عليه ليكــون لائقــاً بالجنّــة (المقرّ الربّاني)، هو آدم التائب، آدم المُجتبى، آدم الذي عمل بكلمــات

---

[1] - بالإمكان مراجعتها في مواقع إلكترونية كثيرة منها:
http://www.gatewaystobabylon.com/myths/texts/enlil/enlilninlil.htm.

ربّه التي تلقّاها خارج الجنّة ليعود إليها كمقرِّه واعياً ويحظى بخلافته بأهليّة وجدارة.

هذا يعني مرّة أخرى أنّ كلّ النبيّين والمعلّمين للحضارات، هم أودام إنليليّة، وخلائف الله في أرضه، لقد رأينا[1] هذا في أوزيريس ملك مصر وادي النيل، الذي تماهت قصّة قتله من قبل أخيه الشيطان (شيط/سيث) مع قصّة حسد إبليس لآدم والتخطيط لإخراجه من فسحة الجنّة لضيق الأرض وقتل روحنته، ورأينا كيف أنّ أهل فارس جعلوا مؤسّسهم جيومرت هو آدم الأوّل **(يقال أنّ أوّل من تكلم بالفارسيّة، جيومرث ويسميه الفرس، "الكل[2] شاه" ومعناه ملك الطين. وهو عندهم آدم أبو البشر)**[3]، **(وأما المجوس فإنهم يزعمون أن قدر مدة الزمان من لدن ملك جيومرت إلى وقت هجرة نبينا (ص) ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وثلاثون سنة وهم لا يذكرون مع ذلك نسبا يعرف فوق جيومرت ويزعمون أنّه آدم أبو البشر)**[4].

---

[1] – راجع بحث: **وعصى آدم – الحقيقة دون قناع**، جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية.

[2] – (كل) أي طين بالفارسي كما هنا، ونجد اليوم كْلِه (Clay) بالإنجليزي هي الطين، وفي الفصحى (كلح/كلحم) تعني التراب، وأيضا (كلع) تعني الوسخ اللابد المتيبّس أسفل القدم، ومع عدم نطق هذه الحروف الحلقية الحاء والعين تُصبح الكلمة (كلح/كلع) (كْله)، وهي نفسها.

[3] – ابن النديم البغدادي، **فهرست ابن النديم**، ص٢٢.

[4] – الطبري، **تاريخ الطبري**، ج١، ص١٢.

لكن هذا لا يمنعنا من جهة أخرى أن نتساءل بشغف: **بعد أن مات آدم القديم الأوّل وأُعيد إلى جنّته، ألَم يعُدْ إلى الأرض ويهبط من الجنّة مرّةً أخرى لممارسة خلافته التي سقط فيها أوّل مرّة؟!**

ج- فرضيّة رجعة آدم الأوّل كآدم ثانٍ

بين حياتين لآدم: هل بإمكان فرد أن يعيش حياتين؟ أي بتحديد أكثر: هل للمرء أن يرجع إلى الحياة الدنيا ليُكابدها مرّة أخرى؟ وهل لا يُعارض هذا قوله سبحانه **(وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)**(المؤمنون:١٠٠)؟

لو تتبعنا التراث الديني لهذه الأمّة من التوراة والإنجيل والقرآن وما قبلها من تاريخ الأولين ومدوّناتهم وعقائدهم، لرأينا علامات كثيرة تدلّ على هذه الإمكانيّة، بغضّ النظر عن تفاصيل خلافاتهم الاعتقاديّة والكلاميّة والتنظيريّة، فإنّ اللبّ كائنٌ، فضلاً عن إجماع طوائف الإسلام بالاعتقاد به بغضّ النظر عن تفاوت الاتّفاق على كيفيته، حسب مذاهبهم.

قيل في أيوب (ع) أنّ أهله وأبناءه رُدّوا إليه بعد شفائه لقوله تعالى **(فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ)**(الأنبياء:٨٤)، وأنّ عيسى (ع) قام بإحياءات لموتى عديدين، ما يعني أنّهم ماتوا وعاشوا مرّتيْن؛ قال تعالى مخبراً على لسانه **(وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ)**(آل عمران:٤٩) ومخاطبا إيّاه **(وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى**

بِإِذْنِي)(المائدة:١١٠). عُزير (ع) الذي ورد في قوله تعالى **(فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ)**(البقرة:٢٥٩) حدث له ذلك أيضاً وبُعث بعد تكوّن أربعة أجيال، زمرة الكافرين الذين قال الله فيهم **(قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ)**(غافر:١١)، ماتوا مرّتيْن وعاشوا مرّتيْن.

ومع اتّفاق مِلل الجميع على حصول هذا الأمر فيما مضى، التي تكفينا دليلاً على إمكانيّة فرضيّة رجوع آدم، إلاّ أنّ طوائف من الإسلام كالشيعة يعتقدون ببقاء هذه الإمكانيّة للآن ومستقبلاً، ففي الأدعية يدعو المؤمن ربّه بأن يُخرجه من قبره لنُصرة الإمام المهدي (ع) إذا حان عصرُه **(اللّهمّ إنْ حالَ بيني وبينه الموتُ الذي جعلتَه على عبادك حتمًا مقضيًّا فأخرجْني من قبري مُؤتزرًا كفني شاهرًا سيفي مجرِّدًا قناتي ملبّيًا دعوة الداعي في الحاضرِ والبادي)**[1]، ويرْوُون أكثر من مائتي حديث في إثبات (الرجعة) من بعد الموت لأفواج مِن أصناف وشخصيّات معيّنة مؤمنة يقيناً وفاجرة يقيناً قبل يوم البعث، مستدلّين بآيات منها **(وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ)**(النمل:٨٣)، فهذا غير حشر الناس جميعا الذي لا يُغادر اللهُ منهم أحداً، ومن الأدلّة الآية السابقة من غافر(١١)، ومنها **(إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ**

---

[1] – الكفعمي، **مصباح الكفعمي**، ص ٥٥٠؛ الحرّ العاملي، **الإيقاظ من الهجعة**، ص ٢٩٧؛ ابن طاووس، **مصباح الزائر**، ص ١٦٩.

الْأَشْهَادُ)(غافر:٥١)، فنصرُ الرسل في الحياة الدنيا مع أنّ معظمهم ماتوا قتلاً قيل أنّه بالقيامة الصغرى، أي هو بعثٌ خاصٌّ قبل البعث العـــامّ، واستدلّوا بأنّ هذا جرى في الأمم السابقة، كما بيّنّا أعـــلاه، ولابـــدّ أن يكون في هذه الأمّة مثله لقول رسول اللَّه(ص) **(يكون في هذه الأمّـــة كلّ ما كان من الأمم السالفة حذو النعل بالنعـــل والقـــذة بالقـــذة)**[1]، فهؤلاء كلّهم ممّن عاش حياتيْن أو سيعيش حياتيْن على قول طوائـــف من المسلمين.

ورووا عن عـــليّ (ع) روايـــات عـــن ذي القـــرنين وضـــربه عـــلى قـــرنه فمـــات ثمّ بعـــثه الله مـــرّتيْن لا مـــرّة واحـــدة فقط[2]، وعن حفيده جعفر الصادق (ع) أنّ الفرق بـــين كـــلّ إحياءتيْن كانت ٥٠٠ سنة، وتكرّرت مرّتين، أي أنّه خرج في عـــصر آخر غير عصره الأوّل بمسافة زمنيّة سحيقة تُساوى ألف سنة! وليس غرضنا تحقيق صحّة هذه الروايات أو صواب الاستدلالات مذهبيّـــة كانت أم حقيقيّة، بمقدار ما يهمّنا وجود قول أو اعتقاد بها في الجملة،

---

[1] - الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج١، ص٢١٨.

[2] - الرواية عن عليّ (ع): (ليس بملك ولا نبي، ولكن كان عبدا صالحا ضُرب على قرنه الأيمن في طاعة الله فمات، ثم بعثه الله، فضُرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله فسُمّي ذا القـــرنين) (المازندراني، **شرح أصول الكافي**، ج٦، ص٦٢؛ الضحّاك، **الآحاد والمثاني**، ج١، ١٤١؛ عمرو بن أبي عاصم، **كتاب السنّة**، ٥٣٨؛ ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق**، ج١٧، ص٣٣٤.

والرواية عن الصادق (ع): (إنّ ذا القرنين بعثه الله تعالى إلى قومه فضُرب على قرنه الأيمـــن فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه إليهم، فضُرب على قرنه الأيسر فأماته الله خمسمائة عام ثم بعثه إليهم ...) (إبراهيم الثقفي، **الغارات**، ج٢، ص٧٤٠؛ المجلسي، **بحار الأنـــوار**، ج١٢، ص١٧٨؛ الجزائري، **قصص الأنبياء**، ص١٦٥.

وإقرار القرآن بمثلها، من رجوع بعض الأموات إلى الحياة لمكابدتها مرّةً أخرى فرصةً ثانية للإصلاح، وما فكرة الرجعة إلاّ نوع من هذا.

ولعلّ قصّة أصحاب الكهف معلمٌ بارزٌ في هذا الاتّجاه إذ أرقدهم الله تعالى ثلاثمائة وتسع سنين **(ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَداً)**(الكهف:١٢)، أي أنّهم تجاوزوا عصرهم الذي توفّاهم الله فيه ليخرجوا بعد عشرة أجيال في عصر أحفاد أحفاد أحفادهم! وأكّد القرآن أنّ قصّة أهل الكهف بمجملها ليستْ أعجوبةً وبدعاً بحيث لم يحصل مثلها، فقال **(أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً)**[1](الكهف:٩)، فقصّتهم الجهاديّة وقيامهم لله وحده واعتزالهم قومهم ثمّ فرارهم بدينهم وهجرتهم لكنف الله، ستحصل بتمامها للنبيّ (ص) وصحبه (رض)، أمّا رجعتهم للدنيا بعد ثلاثة قرون أو سنين عدداً، فقد حصلت مع كثيرين سابقين كما قصّها القرآن في موارد أخرى، كأصحاب موسى (ع) حين تطاولوا لطلب رؤية الله جهرةً فأخذتهم الصاعقة وماتوا، ثمّ بُعثوا لإصلاح شأنهم **(ثُمَّ**

[1] – من المؤسِف، ونتيجةً لنظام هشّ لقراءة القرآن، أنّ كتب التفسير، قد تفنّنت في محاولة شرح هذه الآية، لمعرفة ما معنى قول الله لنبيّه **(أم حسبتَ أنّ أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا)**، فاجتهدوا (أثابهم الله) وقالوا كلّ شيء إلاّ التفسير؛ أخطأوا في معنى **(أمْ)** البسيط، وأخطأوا في فهم سياق الآية كخطابٍ ولماذا أتت في السورة، وأخطأوا في فهم منطق الآية الداخلي؛ أهي تنفي العجَب أم تُثبته؟! وافترضوا محذوفاً تفنّنوا باجتهاده واختلفوا في إيراده، وأخيراً فالجميع وإلى اليوم –حسب اطّلاعنا– لا يعرفون معنى **(الرّقيم)**، لأنّ العدّة اللغويّة المستخدمة خاطئة، ولأنّ السياق القرآني عادةً هو آخر المقروئين، إن قُرئ أصلاً، بعد اعتماد المرويّات والقيلات!

بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)(البقرة:٥٦)، وقوله عن قومٍ آخرين أصابهم الطاعون **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ)**(البقرة:٢٤٣).

أمّا عيسى (ع)، فالمسلمون والمسيحيّون يعتقدون برجوعه، المسيحيون قالوا أنّه مات ثلاثة أيام ثم رُفِع وسيعود للدينونة، ومهما يكن من أمر واختلاف، فهو رجوع شخص رُفِع إلى ربّه وتوفّاه الله **(إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا)**(آل عمران:٥٥) سواءً كان لم يُصلب أم قد صُلب؛ صُلب صلْبَ موت أم صلْبَ إغماء فحسب ثمّ تعليق شبهه بدلَه، لا يهمّ.

التوراة روت أنّ أنبياء غير المسيح قد أحيوا الموتى مثل أليشع

الذي سمّاه القرآن حسبما يُنطق بلسانه السرياني (أليسع)، ومعناه (إيل–يشع) الله يشعّ؛ يُفيض ويُنير، **(وَقَالَ أَلِيشَعُ لِلْمَرْأَةِ الَّتِي أَحْيَا ابْنَهَا: "قُومِي وَانْطَلِقِي أَنْتِ وَبَيْتُكِ وَتَغَرَّبِي حَيْثُمَا تَتَغَرَّبِين. لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ دَعَا بِجُوعٍ فَيَأْتِي أَيْضاً عَلَى الأَرْضِ سَبْعَ سِنِينٍ")**(٢ملوك ٨: ١)، وأيضاً **(وَقَالَ الْمَلِكُ لِجِيحَزِي غُلاَمِ رَجُلِ اللَّهِ: "قُصَّ عَلَيَّ جَمِيعَ الْعَظَائِمِ الَّتِي فَعَلَهَا أَلِيشَعُ". وَفِيمَا هُوَ يَقُصُّ عَلَى الْمَلِكِ كَيْفَ أَنَّهُ أَحْيَا الْمَيِّتَ إِذَا بِالْمَرْأَةِ الَّتِي أَحْيَا ابْنَهَا تَصْرُخُ إِلَى الْمَلِكِ لأَجْلِ بَيْتِهَا وَحَقْلِهَا. فَقَالَ جِيحَزِي: "يَا سَيِّدِي الْمَلِكَ، هَذِهِ هِيَ الْمَرْأَةُ وَهَذَا هُوَ ابْنُهَا الَّذِي أَحْيَاهُ أَلِيشَعُ")**(٢ملوك٨: ٤–٥).

الصورة رقم (٤٧): إليشع يُحيي الفتى الميّت Elisha raising the dead boy

والبعض توغّل بعيداً إلى الاعتقاد بالتناسخ أيضا ومكابدة كلّ إنسان حيَوات عدّة قبل يوم الحساب، بينما في عقائد مُعظم طوائف المسلمين يُقصرون ذلك فقط على المسخ الذي هو عقوبة جرت في الأمم السالفة كما حكاها القرآن، تجري أيضاً في هذه الأمّة لقول النبيّ الكريم (ص) **(لم يجرِ في بني إسرائيل شيء إلاّ ويكون في أمّتي مثله حتى المسخ والخسف والقذف)**[1]، بيد أنّها عقوبة برزخيّة،

[1] – المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٠، ص٢٣٣. وبعض مضمونه في: المتّقي الهندي، **كنز العمّال**،

لا دنيويّة مشهودة بالعين كما يُظنّ، تُكابد فيها بعض النفوس الشريرة مسخها إلى حيوانات معيّنة تُشابهها قلباً، لذلك قال تعالى (ولقد علمتم) ولم يقل (ولقد رأيتُم) في قولِه لليهود (**وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ**)(البقرة:٦٥)، وأولئك الممسوخون بالغضب الإلهيّ إلى قردة لمكابدة البرزخ في دنيا الناس، هم تماماً على نقيض الراجعين للدنيا رحمةً بعد حيازة فرص الصلاح التي مُنحتْ لبعض الحالات البشريّة أيضاً، كما رأينا أعلاه وكما نفترض في آدم الهابط في زمانيْن مرّة كأب للإنسانيّة كلّها وأخرى كأب للرسل (الإنسانيّة الصفيّة).

ولقد هدّد الله نبيّنا محمّداً (ص) بالقانون نفسِه فيما لو أخلّ برسالته، باستحقاق وقوع هذا الأمر ومكابدته ضعف الحياة وضعف الممات، لا ضعف عذاب الأحياء وضعف عذاب الأموات كما يُطوِّع البعضُ آيات الله ويُعيد نحتها (**وَلَوْلا أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً* إِذاً لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً**)(الإسراء: ٧٤، ٧٥).

فمهما كان، فإنّ قوله سبحانه مخاطباً نبيّه الكريم (**قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ* رَبِّ فَلا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ* وَإِنَّا عَلَى أَنْ نُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ* ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ* وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ* وَأَعُوذُ بِكَ**

ج٥، ح١٣١٦٨، ص٣٤٧.

رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ* حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمْ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ* لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ كَلاَّ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ)(المؤمنون:٩٣-١٠٠) فإنّ الآيات لا تحكي عن كلّ إنسان، بل عن أناس أشرار ظالمين، مثل الذين عاندوا الدعوة المحمديّة، فالكلام عنهم خاصّة حسب السياق كما هو ظاهر، وإلاّ نفى الآيات السابقة جميعاً لو كان حكماً عامّا لا استثناء له، وإنّ قول أولئك الظالمين المكذّبين "رب ارجعون" يُشعر بإمكانيّة حصولها، لكن لا لأولئك المستكبرين.

أمّا في الروايات فنجد بن عباس يقول **(ثلاثة أشياء نزلت مع آدم السندان، والكلبتان والميقعة،** يعنى المطرقة)[1]، طبعاً آدم الأوّل خرج من الجنّة وحده لملاقاة شجرة الهمج التي مُنَع منها، ثمّ أُهبِط من خارج الجنّة وضلّ سبيل الرجوع، ويستحيل أن يكون معه مطرقة أو سندان أو مشاريع خاصّة بنزوله الطارئ غير المُخطّط له أصلاً!

فهذا آدم الرسول، في زمنه تمّ تعميم وتطوير هذه الاختراعات، ويذكّرنا هذا بفأس إنليل، وبمطرقة الآمر، التي في يد الملوك عبر الحضارات وتُسمّى (هامِر = هـ التعريف + آمر Hammer).

[1] – ابن كثير، **التفسير**، ج٤، ص٣٣٧.

الصورة رقم (٤٨): المطرقة الملوكيّة في يد (حورس) يمينًا و(رع) يساراً (الحارس والراعي)

أمّا رواية عليّ (ع) فيقول **(فلما مهّدَ أرضه وأنفذ أمره اختار آدم (ع) خيرة من خلقه. وجعله أوّل جبلته، وأسكنه جنّته وأرغد فيها أكله، وأوعز إليه فيما نهاه عنه. وأعلمه أنّ في الإقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته. فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه، فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده. ولم يخلهم بعد أن قبضه مما يؤكّد عليهم حجة ربوبيّته، ويصل بينهم وبين معرفته، بل تعاهدهم بالحجج على ألسن الخيرة من أنبيائه، ومتحملي ودائع رسالاته، قرنا فقرنا حتى تمّت بنبيّنا محمد صلى الله عليه وآله حجته)**[1]، ففي هذه الخطبة أشكل على العلماء قول عليّ (ع) **(فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه**

[1] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، خطبة ٩١، ج١، ص١٧٧.

بنسله وليقيم الحجة به على عباده) كيف أهبط الله آدم بعد التوبة، والمعروف حسب القرآن والروايات أنّه أهبطه لمّا سخط عليه وقبل التوبة، ثمّ تاب عليه بعد الإهباط بصريح الآيات؟!

الجواب: أنّ آدم الأوّل أهبِط قبل التوبة، فتاب فاجتباه ربّه فمات فعاد إلى جنّته كما وعده ربُّه: **(ثمّ بسط الله سبحانه له في توبته، ولقّاه كلمة رحمته، ووعده المردّ إلى جنّته)**[1]، ثمّ بعد دهر أهبطه الله مرّةً أخرى بعد تلك التوبة والعودة للجنّة، ليكون حجّة ورسولاً إلى الناس الذين صاروا موجودين، ليعمر الأرض بنسله الصفيّ هذه المرّة، كما بيّنته نصّ الخطبة-٩١ أعلاه: **(وليقيم الحجة به على عباده)**، فلو كان هو آدم الأوّل بعد هبوطه، ولا أحد معه، فأيّ حجّة تُقام به على عباد الله وليس يُوجد غيره؟! بل هنا موجودٌ عبادٌ كثيرون، فأهبطه الله وعلّة الإهباط هنا ليس من سخط ومعصية بل لتكون الحجّة **(بهِ)** عليهم **(فأهبطه .. ليقيم الحجة به على عباده)**، فهذا هو آدم الرسول، الذي **(بعد أن قبضَه)** الله كحجّة على الناس وتُوفّي، توالت الأنبياء والرسل تباعاً حتّى خاتمهم محمّد (ص) كحجج على العباد.

ومن الروايات: (قال رسول الله (ص) **(خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أدخل الجنة وفيه أخرج**

[1] - الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، خطبة ١، ج١، ص٢٣.

منها)[1]، وقد علمنا من بحث المعصية أنّ آدم الأوّل لم يُخرج من الجنّة بل خرج لوحده، أمّا في دور (آدم الثاني الرسول) فيصحّ عليه هذا الإخراج من الجنّة والإهباط لينشر الخير والحضارة. ومثلها **(خرج علينا الإمام أبو الحسن (الرضا) (ع) بـ «مَرُو» في يوم خمسٍ وعشرين من ذي القعدة فقال: صوموا، فإنّي أصبحت صائماً. قلنا: جُعِلنا فداك، أيّ يوم هو؟! قال: يوم نُشرت فيه الرحمة، ودُحيت فيه الأرض، ونُصبت فيه الكعبة، وهبط فيه آدم (ع))**[2]، إنّ ما ميّز هبوط آدم الأوّل التالي:

١- أُهبِط لا أنّه هبَط مختاراً، وخرَج من الجنّة مُختاراً لا أنّه أُخرِج.

٢- أُهبط وكان فزِعاً باكياً مظلماً وجهُه، **(فباع اليقين بشكّه، والعزيمة بوهنه، واستبدل بالجذل وجلا، وبالاغترار ندما)**[3].

٣- تذكر الروايات أنّ يوم أُهبِط آدم ضحك فيه إبليس وفرِح، فهو عيد لإبليس، أمّا هبوط آدم الرسول (ع) فهو حزن لإبليس وفرح للناس قطعاً، لأنّه تماماً كهبوط (عيسى "ع") الموعود به من السماء، أي من الجنّة السماويّة.

٤- هو يوم سخط الربّ وفاجعة آدم وخسرانه الجنّة وعقوبته أعقبها بكاء عشرات السنين، لا يوم سعادة وشكر.

---

[1] – مسلم، **الصحيح**، ج٣، ص٦؛ الترمذي، **السنن**، ج١، ص٣٠٥؛ الكحلاني، **سبل السلام**، ج٢، ص٤٥؛ أحمد بن حنبل، **المسند**، ج٢، ص٥١٢. وغيره.

[2] – ابن طاووس، **إقبال الأعمال**، ج٢، ص٢٣.

[3] – الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، ج١، ص٢٣.

فهذا الصنْف من الروايات الذي يتبارك بهبــوط آدم الأرض أو خروجه من الجنّة، ويحتفي به كرحمة للعالَمين، ويُعلنه كبشارة خيــرٍ وشكر، يقصد آدم حين صار (المصطفى) أباً للرســالات والحــضارة الإنسانيّة والتعليم الذي انفجر في الألفيات العشر الأخيرة.

وثمّة طوائف أخرى من الروايات التي تُوضّــح هــذا الأمــر، وكعيّنة منها، نأخذ أحدها من حديث طويل يقول فيــه الإمــام علــيّ الرضا(ع) **(أمّا قوله عزّ وجلّ في آدم(ع)، (وعصى آدم ربّه فغوى) فإنّ الله عزّ وجلّ خلق آدم حجة في أرضه، وخليفة في بــلاده، لــم يخلقه للجنّة، وكانت المعصية من آدم(ع) في الجنّة لا فــي الأرض، وعصمتُه يجب أن تكون في الأرض ليتمّ مقادير أمر الله عزّ وجــل، فلما أهبط إلى الأرض وجعل حجّة وخليفة عصم بقوله عــزّ وجــل، (إنّ الله اصــطفى آدم ونوحــًا وآلَ ابــراهيم وآل عمــران علــى العالمين))**[1]، وهذه رواية صريحة توحّد لنا بين الآدمــين؛ آدم القــديم الذي أهبطه الربُّ جزاءً لمعصيته إلى **(دار البليّة وتناسل الذرّيــة)**، هذه هي الذرّية التي نسلت خطأ وانتشرت وســادتْ عــشرات آلاف السنين، فوعده سبحانه بعد الندم والتوبة المردّ إلى جنّته، نفس الجنّــة التي أُخرِج منها، التي يذهب إليها الأبرار بعد مماتهم، فبكــى كثيــراً على خطأه وتاب وصبر حتّى آخر رمق، ومات، ورُدّ إلى جنّته، ثــمّ في زمن لاحق أُهبِط مرّةً ثانية رحمةً كآدم مصطفى، مع وجود عبــاد

---

[1] – الصدوق، **عيون أخبار الرضا**، ج٢، ص١٧١.

وخلائق كثيرين، هذه المرّة لينسل النسل الإنسانيّ الصالح منه ومن حوّاء (**فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجّة به على عباده**).

ولا يُمكننا تصوّر النصّ أعلاه بل والروايات إلاّ بالفرضيّة هذه التي بيّنّا، أنّ آدم الأوّل أُعطي الفرصة لتصحيح خطأه، وهذا هو "**غفران ذنبه**" عملياً، لينسل الذرّية الصالحة مرّةً أخرى، ضمن إهباطٍ ثانٍ كحجّة وخليفة على ملايين الناس الموجودين، كآدم المصطفى المعصوم الناطق باللهجة التي سُمّيت (وصُنِّفت) بعدئذ باسم أحد أحفاده (السريانية، نسبة إلى سر بن أنوش).

بل يُذلِّل هذا الافتراض الكثير من الروايات، سواءً الرواية التي تقول أنّ مبدأ آدم وهو في الجنّة باللغة العربيّة، ثمّ كرسول باللهجة السريانيّة، والرواية المشهورة عن نبيّنا في قوله لأبي ذر بأنّ آدم الذي نفخ الربّ فيه من روحه في الجنّة، هو نفسُه آدم الرسول السريانيّ، فحين سأله أبو ذر(رض) (**من كان أوّل الأنبياء؟ قال آدم. قال وكان من الأنبياء مرسلا؟ قال نعم خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه ثم سواه وكلّمه قبلا. قال: يا أبا ذر أربعة من الأنبياء سريانيّون آدم وشيث وخنوخ وهو إدريس وهو أوّل من خط بالقلم ونوح، وأربعة من العرب هود وصالح وشعيب ونبيك محمد. وأوّل الأنبياء آدم وآخرهم محمد(ص)**[1])، فهذه وأمثالها تذهب بالذاكرة أنّ

---

[1] – ابن حبان، **الثقات**، ج٢، ص١١٩. والرواية مروية أيضا بألفاظ أخرى، ومروية أيضاً عن

أوّل رسول (آدم) هو نفسه الذي كان أوّل إنسان.

ومع يقيننا بوجود آدم الأوّل قبل ٥٠ ألف عام بكثير، وتأخّر آدم الرسول (المفروض أنّه نفسُه آدم الأوّل في نزلةٍ أخرى) قبل أكثر من ٨ آلاف عام، إلاّ أنّا لا نجد في الروايات ولدى المؤرّخين إشارة أو بياناً أو معرفة بأبٍ لآدم الرسول السريانيّ، ربّما لتعزيز هذه الفرضيّة، فيكون صورة رجوع آدم في زمنٍ آخر هي كصورة رجوع كلّ الذين أحياهم عيسى (ع) بأبدانهم التي لم تبلَ، إذا احتُفظ بجثمانه (ع) في مغارة[1] معيّنة كمغارة أصحاب الكهف التي احتفظت بجثامين أصحابها لثلاثة عقود بلا تغيّر، أو أن يكون إحياؤه إحياءً من تراب بعد تحلّل البدن، مشابهاً آية الله التي أراها عزيراً كيف يُحيي الموتى في مشهد إحيائه بعد مائة عام كافيةٍ لتحلّله وتحلّل حماره **(وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً)**(البقرة:٢٥٩)، وبهذا يصدق مرّتيْن قولُه سبحانه **(إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)**(آل عمران:٥٩)، مرّةً حين كان أوّل إنسان بالطريقة التي بيّنّا في بحث **(الخلق الأوّل)**، وأخرى حصلت له في رجعته وقد بُعث ببدنه وهذه المرّة كآدم الرسول، وسيُبعث عيسى إلى الدنيا أيضاً كآدم فيما يُسمّى بهبوط عيسى (ع) آخر الزمان بالطريقة نفسها أيّاً كانت!

الإمام الصادق (ع)، انظر: المفيد، **الاختصاص**، ص ٢٦٤.

[1] – روايات التوراة سمّتها مغارة الكنز، وبعض روايات المسلمين حدّدتها في مغارة في الأرض المقدّسة في جبل أبي قبيس بمكّة.

ليس من الغريب أن نحتمل على وجه الفرض، أمراً يلزم التحقّق منه وبحثه، أنّ آدم الأوّل حين خرج من الجنّة وكوّن مع (الأنثى/حوّاء!) الهمجيّة، نسلاً آدميًّا خارج شريعة "إيل"، فعوقِب وأُهبِط وتاب فبُعثت له أمّنا حوّاء الإنسيّة تؤنسه وماتا من قريب وأُعيدا إلى جنّتهما في دار الأبرار، ولم يكن من آدم غير ذاك النسل الإنساني الهمجيّ الذي ابتدأ من معصية، وتكاثر هذا النسل الآدمي وانتشر وتكاثر وساد لعشرات آلاف السنين، يتطوّر ببطء شديد وليزيح البشر الهمج المتخلّف الذي سبقه، لكنّه نسلٌ ظلّ أيضاً في هجعته الهمجيّة، واعتنت به السماء نوع عناية لتطويره وحمايته.

لكنّ القفزة الكبرى حدثت حين أُعيد بعث آدم كرسول هذه المرّة، وأُهبطت حوّاء له مرّةً أخرى حتّى تعارفا في عرفة، فبدأت حقبة السلالة الإنسانيّة الصفيّة منهما، ونسَلا النبيّين المرسلين والمعلّمين الربّانيّين، الذين من مهمّاتهم أنسنة الوجود الآدمي المنتشر شرقاً وغربا، كما قرأنا في رحلات إدريس (هرمز) وأوزيريس وإيزيس وقدموس وزيوس وغيرهم لأنسنة بني آدم الهمجيّين وتعليمهم الحضارة والمدنيّة واللّغة والدين والأخلاق والعلم.

* ملخّص فرضيّة حياتين لآدم

علمنا أنّ خطأ آدم الأوّل قبل خمسين ألف سنة كان تكوين نسلٍ آدميّ على غير منهج الربّ ولا وفق نظامه، وظلّ هذا النسل في هجعته يتطوّر ويتطهّر شيئا فشيئا وأحياناً بمدد من الملائكة لكنه

منسيٌّ في العموم، ومتروكٌ سُدى، وغير مذكور، لأنّ وظائف الوعي الأعلى غير مفعّلة فيه، ولأنّ الهمجيّة طغت عليه بكلّ معوّقاتها، ولقد قرأنا في مدوّنات سومر أنّ (إنليل) البشري، حين هبط من الجنّة ليُعاشر الأنثى، ترك (ذرّية سين) تبقى في الجنّة، وذرّية سين هي ذرّية النور والصفاء، الذرّية الطيّبة، وهي الاسم الذي خُوطب به النبي (ص) بعدئذٍ: (يا سين). وإنّ (يا) التي هي للنداء بحدّ ذاتها تبيّن وجود واسطة النداء/الخطاب بين الربّ ومثيله الإنسان، وهي الروح، واسطة السماع، والتي لم تتلوّث (ابتداءً) في الذرّية الطيّبة، ذرّية سين الفطريّة، التي أمر الله بعدم تدنيسها.

وإذا كان جديرا بأحد أن يُصلح الخطأ فليس إلاّ (آدم) نفسُه أبو الناس جميعاً، يعود للحياة ليُصلح خطأه ويُظهر الذرّية التي كان ينبغي إظهارها للوجود الإنسانيّ الخليفيّ للربّ، ذرّية سين، وإن لم يفعل ذلك (آدم)، وكان ينبغي حتماً ظهور الذرّية الصفيّة لأنّها أساس برنامج الاستخلاف ومداره، فإن لم يُخرَج (آدم) لإنتاج هذه الذرّية لكان ينبغي توفير شخص غير (آدم) ليُنتج هذه الذرّية، ولكن مع هذا الاحتمال لن تعود هذه الذرّية الصفيّة كما الجميع يُطلق عليها "بني آدم"! وهذا محال.

فالذرّية العامّة إذاً هي ذرّية (آدم) حين كان إنسانا قبل خمسين ألف سنة، والذرّية الصفيّة هي ضمن من أنتجه (آدم) وهو رسول معصوم قبل عشرة آلاف سنة، دونما مرورها وتقلّبها في أصلاب

سلسلة آباء أسلاف دخلتهم الهمجيّة وطرائق السفاح العشتاريّ، وإلاّ ناقض هذا كثيرًا من الأقوال أنّ نسل الأنبياء لم يقع فيه سفاح ولا (جاهليّة أولى)، ولم يجتمع أبوان قطّ لهم إلا على نكاح مشروع.

لذا نقول بأنّ (آدم) قد هبط هبوطيْن؛ هبوطًا (من خارج الجنة) طرداً بعد خروجه طواعية من جنّته ودار رغده وأمنه ليعصي ويُكوّن نسلاً منهيّاً عنه ظلّ عشرات آلاف السنين على عشتاريّته وهمجيّته، وهو هبوط غير حميد ولا يُتبارك به ولا يُحتفل ولا يُحتفى به، وهبوطًا ثانياً محمودًا من الجنّة نفسها بعد عشرات آلاف السنين، إذ أنّ آدم تاب فمات فدخل الجنة، فلما حان زمن تكوين النسل الطاهر ليعمروا الأرض ويكونوا خليفتها أُهبط آدم بأمر الربّ هذه المرة وفي طاعة وأُهبِطت معه حوّاء وتعرّف عليها في عرفة، وهذا هبوطٌ مبارَك يُحتفى به ويُبتَهج.

وظلّ الإشكال العقليّ كامناً في إمكانيّة رجوع من مات من البشر ليُباشر مهمّةً لم تُنجز، فهذا يُناقش من جهتين؛ جهة الإمكانيّة التاريخيّة، وجهة الوقوع الفعليّ (ببراهين أو إشارات دالّة).

وللبحث عن الإمكانيّة يكفينا رصد وقائع تُؤكّد هذه الإمكانيّة، بمحاولة البحث للعثور على أمثلةٍ تاريخيّة مشابهة أكّدها التراث المقدّس أو النصوص الربّانيّة:

١- نزول عيسى (ع) من الجنّة في آخر الزمان بفارق زمني يفوق ٢٠٠٠ سنة من حياته الأولى في الأرض.

٢- إحياء كثير من الشهداء والصديقين والأنبياء في آخر الزمان حسب أطروحة بعض الفرق الإسلاميّة فيما يُسمى بالرجعة، بفارق زمني يرجع إلى آلاف السنين بين الحياتين.

٣- رجوع عزير للحياة بفارق مائة سنة، وانبعاث أهل الكهف بفارق ثلاثة قرون، وذي القرنين مات وحيا مرّتين حسب مرويات وبفارق خمسة قرون، وقوم موسى الذين زهقت أنفسُهم بالصاعقة والمبعوثين بفارق ساعات، والأموات الذين أحياهم إليشع (ع) وعيسى (ع) بفارق أيام حسب التوراة والقرآن والمرويّات.

أمّا من حيث الإشارات والأدلّة على وقوعها لآدم، فنلخّصها في النقاط التالية:

١- المرويات في ظاهرها قد اتّفقت أنّ الآدمين هما واحدٌ، ودمجت بينهما كشخصيّة واحدةٍ مهما افترق زمانهما.

٢- القرآن أيضا لم يفرّق بين الآدمين بمائز عدا المائز الزمانيّ وفق حيثياته من خلق وسجود ومعصية في الزمن السحيق، ثم اصطفاء للرسالة ولوضعها في ذريّته المصطفاة دون آخرين في جيله في زمنٍ قريب.

٣- مرويّ أخبر بأنّ يوم هبوط آدم من الجنّة يوم مبارك وهو الجمعة، وقلنا أن آدم بعد معصيته لم يُهبَط من الجنّة بل من خارجها لأنّها قد غوى عنها آدم وانسدّت دروبُها دونه وخرج

من رؤية (بُعدها) أو مدخلها، وأنّ هبوط الطرد لا بركة فيه، خاصّة وأنّ التوبة عليه لم تأتِ إلاّ بعد عدّة عقود من سنيّ الندم.

٤- ورد في أحد الأدعية عن "آدم" بسياق المنّة على الرسل والنبيّين **(وبعضٌ أسكنته جنّتك إلى أنْ أخرجته منها)**[1] ففضلاً أنّه لا منّة بالإخراج من الجنّة بداعي المعصية، فآدم الأوّل بعد معصيته لم يُخرَج بل خرج وحده قبل المعصية ولم يعُد إلاّ بعد موتِه، فالدعاء هنا لا يصدق إلا بإخراج لآدم من الجنّة إخراجا مباركاً ممتنًا عليه به، وهو إخراج الفرصة الأخرى، بعد الاجتباء، لممارسة الخلافة وأخذ شرف إظهار الذرّية الطيّبة من ذرّيته، ذرّية الذين قيل له في المشهد الأوّل: **(يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ)**(البقرة:٣٣) الخلفاء المعصومين (ع) من الرسل والنبيّين.

٥- حديث عليّ (ع) **(فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده)**[2] التوبة كانت بعد الإهباط الأوّل، وهذا الحديث يتكلّم عن إهباط يعقب التوبة، لآدم نفسه.

٦- لا يُوجد في مدونات التاريخ والتراث كلّه معرفة باسم والد آدم الرسول السرياني، لأنّه آدم الأوّل نفسه.

٧- نسل الأنبياء لولا هبوط آدم مرّةً ثانية متأخّراً، كان سيأتي إمّا من آباء آدميّين همجيين وهذا يُعارضه سلامة نسلهم وكون آبائهم

---

1 - ابن طاووس، **إقبال الأعمال**، ج١، ص٥٠٥.

2 - الشريف الرضي، **نهج البلاغة**، شرح محمّد عبده، خطبة ٩١، ج١، ص١٧٧.

دائما إلى آدم على شريعة إيل لا عشتار **(لم يلتق في أبوان على سفاحٍ قط)**[1]، وإمّا أن يكون نسلهم أُنتج لحظة هبوط آدم الأوّل بعد معصيته، لكن من حواء، فيُعارضه أين كان هذا الإنسان الصفي؟ ومن هو؟ وأين أسماءُ شجرته؟ ومن منهم رسُلاً، وأين حضارته طوال عدّة عشرات ألفٍ من السنين؟ وكيف جاء آدم السرياني الآخر منهم في آخر المطاف فمن هو أبو آدم السريانيّ؟

٨- مشروع الإرجاع الجينيّ العلميّ من شتّى المناطق، واكتشافه عود جميع الناس إلى شخصٍ واحد تواجد قبل قرابة خمسين ألف سنة، هو بحدّ ذاته يُوحِّد شخصيتيّ الآدمين، فآدم الثاني الذي استأنف نسلاً جديداً لا ارتباط له بالنسل القديم، هو نفسه آدم الأوّل، والجينات نفسُها، وصدق نبيّنا بقوله **(كلّكم لآدم، وآدم من تراب)**[2] وقوله سبحانه **(إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى)**(الحجرات:١٣).

٩- إنّ حديث النبيّ (ص) الذي ذكرناه بأنّ آدم أُهبِط من الجنّة وهو (ص) في صلبه وركب نوحٌ السفينة وهو في صلبه، وأُلقي إبراهيم بالمنجنيق في النّار وهو في صلبه ....، إنّما يتكلّم عن آدم السريانيّ المتاخم بزمنه لنوحٍ السريانيّ ثمّ لإبراهيم السريانيّ كذلك، ولم يهبط آدم الأوّل ومحمّد (كأحد ذرية سين) في صلبه،

---

[1] - المجلسي، **بحار الأنوار**، ج١٦، ص٣١٤.

[2] - ابن أبي الحديد، **شرح نهج البلاغة**، ج١، ص١٢٨.

بل لم يتمّ إعداد آدم لإنتاج الذرّية التي ستعمّر، الذرّيـــة الإلهيّـــة آنذاك، وإنّما الهبوط الثاني هو الهبوط الذي أُعِدّ خصّيصاً لأجـــل الذريّة (برنامج جيني صحيح غير ملوّث).

١٠- روايات أنّ آدم تعرّف إلى حواء لا معنى لها في الهبوط الأوّل، فحواء يعرفها وهو لم يتغيّر، والإنسانة الوحيدة حينهـــا (حـــواء) إلفه متميّزة عن الهمج الصريح أو الهمج الإنساني الـــذي تكـــوّن من أبنائه وبناته حينها، متميّزة بشكلها وبلباسها أيـــضاً وعـــري أولئك، أمّا في الزمن الثاني فلها معنى منطقيّ، إنّه يـــشابه يـــوم البعث الأخير (الحشر) إذ يتعارف المَعارفُ بيـــنهم (**يَتَعَـــارَفُونَ بَيْنَهُمْ**)(يونس:٤٥).

خاتمة الفصل

بالرغم من صعوبة تصوّر المرء لأوّل وهلة وجـــود حقبتـــين لآدميّتنا، نتيجة سبقيّات إرثيّة ودينيّـــة نـــشأ عليهـــا، وتلقّنهـــا، إلاّ أنّ مراجعةً هادئة لمجمل حياتنا، ولصراعاتنا النفسيّة والاجتماعيّـــة بـــل وبلادتنا العقليّة والحسّية، نستطيع تلمّسَ أثرِ الحقبتين، فنحن نجهل مع وجود نور عقلنا، ونمنع ونجزع مع وجود ينبوع خيرنا وقوّتنا، فينـــا القدرة على أن نكون كالربّ في أجمل خصاله ولكنّ ثمّة ما ينزعنـــا لنتردّى بأسوأ خصال الشيطان، ما يعني أنّ مسيرة الترفّع سارت وما تزال تسير بمنحنى بطيء الصعود، وأنّ (المثيـــل) مـــا زال يحتـــاج جهاداً مُضنياً ليكون (المثال)، وأنّ الإنسان (قالَباً) عليـــه أن يُجاهـــد

نفسه الكثيرَ ليكون الإنسان (قلباً)، أي رسولا لله، ممثّلاً لـــه، ناطقـــاً بهداه، كما كان (عبرهيم/إبراهيم) المعبِّر عن الله بنفسِه قبـــلَ إرشـــاد هُدى الوحي، وكما كان كلّ الأبرار الأفذاذ الذين قفزوا هوّة هجعتنـــا الهمجيّة، أي ردموا المسافة السحيقة بين وجـــود (آدمنـــا الإنـــسان) المُخطئ والمُستزَلّ، حتّى بزوغ شمس (آدمنا الرسول) مصدر الخيـــر للأمم، هكذا فعل آدم الرسول فرَدَمَ الهوّة هذه، فنسينا وجودَ آدم الأوّل ليضيع من الذّاكرة، الذي –وحسب فرضيّتنا– من المحتمـــل جـــدّا أن يكون هو نفسه في الزمن الغابر، أُعطي فرصةً ثانيـــة، وقـــد يكـــون أكثرنا حظي بها، أي بالثانية، فينبغي أن نفعل مثله، نرقى من كونـــا (جُهّالاً) لنُصبِح (مُعلِّمين) بـــلا أجـــر، نمحـــو (بحاضـــرنا) أخطـــاء (ماضينا)، فلا نُعرَف بعدئذٍ إلاّ بالولادة الثانية، أي وجودنـــا الأكثـــر إشراقاً وهدفيّةً، لأنّ فيه فقط معنى آدميّتنا، أي إنسانيّتنا، أي وجودنـــا الخالِد أثراً .. وفعلاً.

ومع هذا، فلقطْع هذه المسافة، واجتياز هذه الهوّة، ما زال علينا تعلّم الكثير عن أفعال أولئك المعلّمـــين البـــرَرة، واكتـــشاف أنـــوار مسيرتهم في وجودنا، فهم ليسوا معلّمين لمن مضى فحسب ثمّ مضوا بلا رجعة، بل تعاليمهم وقيَمهم باقية وشموسهم لمّا تنطفئ، لنستمدّ من ألقها ودفئها، مشروع وحْدتنا الإنسانيّة، وجوهر التعاليم التـــي ينبغـــي تمثّلها أبداً لأنّها أساس مكوّننا الفطري وإعـــادة صـــياغتها بمثـــالهم الساميّ، لنعمل في اتّجاه الغاية الربّانيّة لـــشعوب الإنـــسان وإلفـــتهم (لتعارفوا)، وضدّ عقارب المفسدين للأخلاق العالمية وقلـــوب البـــشر

بالحروب والتفريقات وبمشاريع العنصريّة والطائفيّة وتسييس الأديان؛ يقول وزير المستعمرات البريطاني عام ١٩٣٨:(**لقد علّمتنا الحــربُ أنّ الوحدة الإسلاميّة هــي الخطــر الأعظــم الــذي ينبغــي علــى الإمبراطورية أنْ تَحذره وتُحاربه**)!!

الفصل الخامس

الأسرة الإنسانيّة شريعة (إيل)/الله

(إنّ العالمَ في حربٍ لأنّ الدولَ التي يتألّف منها فاسدةُ الحكم، وذلك أنّ الشرائع الوضعية مهما كثرتْ لا تستطيع أنْ تحلّ محلّ النظام الاجتماعيّ الطبيعيّ الذي تُهيّئه الأسرة) الحكيم الصينيّ كونفوشيوس.

لا مستقبَل مأموناً لنا إنْ لمْ نتعلّم تاريخنا الحقيقيّ، بعبَرِ كبواتِ إنسانِنا وبسموّ تعاليم رسله ومُعلّميه، وقد قُلنا أنّه ما زال الوقتُ مُبكّراً لنتعلّم الكثير من مُعلّمينا الأوّلين باستنطاق آثارهم واستبصار أنوارهم، ففي هذا الفصل سنتعرّف على (حجَر الزاوية) في سقوط (آدمنا الأوّل)، وفي مهمّة (آدمنا الثاني)، بل حجَر زاوية القصّة برمّتها، وهو (الأسرة) الشرعيّة أو الذرّية السليمة التي تُقام على شريعة (إيل)، وكان أوّل بنود أوامرها المنتهكَة في الزمن الأوّل **(يا آدمُ اسكنْ أنتَ وزوجُك)**، ولولا انتهاكُها لما أفرزتْ الخارطة التاريخيّة السحيقة بوجود حقبتيْن وآدميْن أصلاً، وإن كان من أمرٍ ينبغي على آدم إصلاحُه -لو بُعث ثانيةً للإصلاح- فهو (قانون الأسرة) نفسُه، قانون (السكن)؛ سكن الرجل لزوجه، ليُلغي تاريخ ما

حصل، بما في (السكن) من إيحاء بمعاني السكينة والسكون وترك الصراعات لتجعل الكوكب الأرضيّ سكناً لسُكّانه!

سنُفصِّل في هذه (الأسرة/السكَن) باعتبارها لبنة التشكّل الإنساني واجتماعه الواعي، ووقود اندماجه (انتسابه وتصاهره) وتشابكه الفعلي السلس في عالمه الأكبر (عالَم الناس)؛ **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**(الحجرات:١٣)[1]، سنلحظ أنّ ثمّة تعاليم وإفرازاتٍ وحدوداً، صدرت مرافقةً لمفهوم (الأسرة) التي انتشرت عبر (آدم الرسول) لإصلاح تشكّلنا حول المحور الربّاني الأوّل، وانبذرتْ مع سيرورة الإنسان التاريخيّة لتُزيح المفهوم العشتاري السائد بالإباحة وعدم الانضباط بالخطّة الروحيّة، بمفاهيم أطلّت بازغةً من الربّ، كمفهوم الحدود وعدم تعدّيها، والفواحش، والزنا، وعقوباتها من رجم، وجلد، ونفي ولد، وغيرها، وقيَمها من مثل العفاف، والحياء، والإحصان، وغاياتها من النسب، والمصاهرة، وائتلاف النوع الإنساني وتعارفه.

وقُلنا أيضاً أنّ مسألة تصديق عالميّة إنسانيّتنا الحضارية (= آدم الرسول)، وأنّها جاءت بعد انتشارنا الآدمي (= آدم الأوّل)، هي

---

[1] – سورة (الحجرات) بتوصيف اسمها تُعبِّر عن كيان (الأسرة) بوصفه (أسْراً) و(حرَماً) و(حَجْراً) لا ينبغي انتهاك قُدسِه واختراق آدابه، بل إعمال الالتزام به، وتُعبِّر (السورة) بمضمون آياتها بالتعاليم التي ترقى بإنسانيّتنا لنكون عقلاء اجتماعيّين ذوي هدف أمميّ ينطلق من أُسر النور، (فلا يسخر قومٌ من قوم)، و(لا يأكل أحدكم لحم أخيه) بأيّ طريقةٍ كانت، لنمسح آثار الهمجيّة ونتصهر في أنوار الهدى بنو البشر.

مسألةٌ تبدو عصيّةً قليلاً على الذهن التقليديّ، فسنتدارك هنا بعضاً من أدلّة انتشار الإنسان عبر مفهوم (الأسرة/العائلة) نفسه (لغويّاً)، وما انبثق منها من مفردات لعناصرها (أي الأسرة) وتحليل هذه (الأسماء) لإيضاح خارطة تسهّل الفهم، علّ ذلك يُشكّل مزيد قناعة عن أصلنا الواحد لغويّاً وحضاريّاً وهدفيّةً.

فإذا قُلنا أنّ مهمّة انبعاث (آدم الثاني) لإصلاح خطأ (آدم الأوّل)، فسنجد ملامح هذا مُتجلّياً في مفهوم (الأسرة) واشتقاقات عناصرها اللغويّة، كشواهد لغويّة على الأصل، وكتعاليم واحدة، وكالتزامات، وهذا ما سوف نسبر بعضه هنا، انطلاقاً من تفكيك عناصر الأمر الربّانيّ الأوّل للإنسان: **(يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)**(البقرة:٣٥) وأيضاً (الأعراف:١٩)، (فآدميّتنا) الربّانيّة لأجل اكتشافها، علينا أن نُبحِر في ثلاث مفاهيم على الأقلّ (السكن) (الزوجيّة) (الجنّة) :

- **مفهوم السكن:** سنطّلع منه على تأسيس الأسرة، وبناء الحضارة وتشييد البيت (الحرام) والقرى والمدن، لإرساء السكينة.
- **مفهوم الزوجيّة:** سنطّلع منه على تفرّعات من (الزوج والزوجة في السكن) لتُنتج أمّاً وأباً (والداً) وابناً وابنةً وأخاً وأختاً، ثمّ بالانصهار؛ عمّاً وعمّة وخالاً وخالة، وجدّاً وجدّة، وحفيداً وحفيدة، .. الخ من قوائم الانتساب والتصاهر.

- **مفهوم الجنّـــة:**[1] ومن معناها الستر، فيُولِّد كلّ قـيم الـستر، مـن الشرف، والحياء، والإحصان، والورع، ومقابلها من االشياع مثـل الفواحش وقلّة الحياء والزنا، وملحقاتها مـن عقوبـات تـشريعيّة رادعة تدرأ هذا الفساد على الأسرة والذرّية.

أوّلاً- الأسرة الآدميّة في شواهد اللّغة

لقد رأينا كيف أنّ العربيّة الفصحى، التي تُسمّى لغة الضاد، هي الوحيدة التي تحتفظ بهذا الحرف في العالَم، وهذا يدلّ على أنّ الـذي نشر اللّغة في العالم بمعيّة علوم الحضارة، ليس هم العرب أصـحاب اللّهجة الفصحى التي نزل بها القرآن والذين لم ينزاحوا عن جزيـرة العرب وربضوا في جوفها، بل هم العرب السريان وبعضُ فـروعهم الفينيقيّون الروّاد، الذين يلفظون الضاد/الظاء زاي، لذلك نـرى فـي فارس اليوم يقولون بدلاً من (ظُلم) (صُلْم/زُلم) وكـذلك فـي الـشام ومصر، والمثل المصري المشهور (يا ما في السجن مزاليم/مظاليم)، وليس عجيباً أن نرى أنّ العين تُلفظ ألف في فارس وشـرقها وفـي الغرب، ذلك أنّ الذي علّم العالَم النّطق باللّغة هـم الـسريان الـذين يلفظون العين ألفاً كما رأينا في (عينينا = إينانا السومريّة)، عدا ثقـل الأحرف الحلقيّة التي نشرها الأنبياء والمعلّمون السريان حين نـشروا

---

[1] - الجنّة مشتقّة من "جنّ" أي ستر، وكانت ولا زالت جنّة آدم خفيّة ومستورة في بُعدٍ أرضـيّ آخر، (بذبذبةٍ أرفع)، وسميّت الحدائق جنّات لاستتارها بالأشجار وظلالها، ومن (جنّ)، كلمـات مثل: جنّ، وجنين، وجنون وهو استتار العقل.

اللّغة، فلذلك رأينا (ذو حوط = تحوت = توت) في مصر وادي النيل، هذا يأخذنا مرّة ثانية إلى حديث رسول الله **(يا أباذر أربعة من الرسل سريانيّون: آدم وشيث وأخنوخ وهو إدريس وهو أوّل مَنْ خط بالقلم ونوح)** فهذه الآلاف من السنين التي جاب فيها النبيّون والمعلّمون السريان العالَم من آدم إلى نوح، هي فترة نشر اللّغة والدين وعلوم الحضارة (من ٦٠٠٠ إلى ٢٠٠٠ قبل الميلاد).

فالسريانيّة الشرقيّة والغربيّة هي التي صنعت لغات العالم، ووهبت البقاع أسماءها، لذلك لا نتعجّب أن نجد الصيغة السريانيّة في النطق لأسماء بقاع متواجدة في جميع القارات (أستراليا، تسمانيا، آسيا، إندونيسيا، ماليزيا، كمبوديا، منغوليا، كوريا، هنديا، روسيا، أستونيا، أوكرانيا، جورجيا، لاتفيا، فارسيا (بيرسيا)، تركيا، سوريا، أفريقيا، أريتيريا (كان الخليج العربي سابقاً يسمى هكذا)، زامبيا، تنزانيا، أليجيريا، ناميبيا، نيجريا، جامبيا، تونسيا، ليبيا، موريتانيا، صوماليا، كينيا، إثيوبيا، غينيا، بريتوريا، ألمانيا، بلغاريا، هنغاريا، رومانيا، إيطاليا، بريطانيا، سلافيا، كرواتيا، أسبانيا، بوليفيا، كولومبيا ... وغيرهم، الصياغة نفسها، وليس لها معنى إلاّ بإرجاعها إلى السريانيّة.

طبعاً لا يسعنا المرور على لُغات العالَم، ولكنّا سنقتصر على أشهرها وهي اللغة الإنجليزية، باعتبارها ونتيجة –لمركزيّة أوربيّة جاحدة ومُستعليّةٍ– فرعاً لما أطلقوا عليه جهلاً وظلماً باللغات (الهندو

أوربيّة)، وقد نستعين بأصول تتــراءى لنــا مــن لهجــات شــرقيّة، وسنُحاول تتبّع الأصول اللسانيّة لمفردات الأسرة/الــسكن ومرافقهــا وملاحقها، في عمليّة أشبه بترسّم لفقه معناها، وعلّة تــسميتها، هــي محاولـــة لـــسانيّة، حـــسب علمـــيّ (الفيلولـــوجي Philology)، و(الإتيمولوجي Etymology)، كما اصطلحوا[1].

نموذجنا في هذا، تدشين الأسرة في الوعي الإنسانيّ، وإعطــاء أفرادها أسماء، مثل:

دختر (بنت)، بسر (بن)، خاهر (سيستر) (أخت)، مــادر (أم)، پادر (أب)، برادر (أخ)، في تحول أسماء الأسـرة مــن ســريانيتها الشرقيّة القديمة (كاللهجة الفارسيّة) حتى تصل إلــى اللهجــات التــي ذهبت غربًا فصارت لغات كالإنجليزيّة، نجد:

---

1 – (علم جذر الكلمة) (إتِم–لوجي Etymology)، يقولون أنّها أتت من (إتمون/إتموس) بمعنى (حقّ) (True) أي (وقَع)، والحقيقة أنّ (تمّ) هي بمعنى (وقع) و(حصل) و(حقّ)؛ "تمّت كلمة الله" و"حقّت كلمته" بالمعنى المقارب، بل أنّ (ترو True) هي (طرو) أي طرأ وحدث بمعنى وقــع، فكلمات: طرأ الأمر وحدث ووقع وحصل وتمّ وحقّ، كلّها تفضي إلى التحقّق والوقوع، فإن كان معنى (إتمو–لوجي) علم تتبّع تمام/واقع/حقيقة الكلمة، باعتبار (إتمو) هي تمامية/حقيقة، فربّمــا كان من المناسب اقتراح أنّها ربما تكون من (ختمو) وتلفظ (إتمو) وتعني تتبّع ختام/منتهى الكلمة رجوعًا إلى جذرها الأول.

و(فيلولوجي Philology) فسّروها بأنّها (علم تغيّر اللغة بين الثقافــات) وأنّهــا مــن (Philos) الإغريقية وتعني الشغوف والمحبّ، و(فلو) معروفة عربيّاً قبل أن تنتقل للإغريق عبر الفينيقيّين، هو الصغير والمتعلّم والطالب والشغوف والمُتعلّق بــ، وصارت في الفرنسيّة بــالمعنى نفــسه، و(لُغِي Logy) هي لُغة، فمعناها ككلّ: (طالب اللغة) و(متعلّم اللّغــة) الــشغوف بهــا (بأدبهــا وأصولها وثقافتها)، لا أكثر.

پادر = فاذر = فاتر (حسب اللهجات الأوربيّة) وفـــي الأصـــل الفصيح هو (فاطر، الذي أخرج الولد، وسبب الأسرة).

مادر= ماذر = في الأصل (ماتر صانعة الأمومة (ما / مـــات + ر) وإلى اليوم في العربيـــة (مـــتّ، مـــاتّ، أي الـــصلة والقرابـــة والرحم)، حيث كانت (ما / ماما /مامي/ ماي /ماء) هي الماء الأوّل، والأمّ الأولى، والرحم والمحضن البدئي.

برادر= براذر Brother، وسنأتي على معناها.

خاهر= سيستر Sister، وسنأتي عليها، و(خاه +ر) (حيث خا، خو باللهجات السريانيّة هي بمعنى أخ)، فهي الأخت/المؤاخية.

بسر= صنْ Son= ابن، وسنأتي لها.

دوختر= دوتر Daughter = بنت، وسنكتشف لماذا هي هكذا.

اللغة (اللّهجة)	عربي فصيح	فارسيّ (لهجة سريانيّة)	إنجليزي
١	أب (فاطر)	پدر	فاذر
٢	أم/ماه	مادر	ماذر
٣	ابن	پسر	صنْ
٤	بنت	دوختر	دوتر
٥	أخ	برادر	براذر
٦	أخت	خاهر	سيستر

أ- نشأة الأرحام أسّست للأسرة (مفهوم الزوجة)

إنّ منبع الأسماء هو دخول مفهوم "الأسرة" بدلاً من قطعان الهمج، أي أنّها تُحلّل من الناحيّة التاريخيّة كتطوّر اجتماعيّ.

لقد ذكرنا في بحث (الخلق الأوّل) وجود حقبتين في التواجد البشري، سمّاهما القرآن (نشأتيْن) نشأة الأرض ونشأة الأرحام، نشأة الأرض حين كان البشر أوّل ما بزغوا نبتوا من الأرض نباتا، وخرجوا كالحشيش يُشقّق الأرض فيخرجون، وقُلنا أنّ هذه الصورة هي تماما صورة البعث، إذ أخبر سبحانه أنّ البعث ليس المرّة الوحيدة التي يخرج فيها البشر من القبور/الأجداث/الأرض **(يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعاً ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ)**(ق:٤٤)، حشرٌ يسير لأنّه تكرار للخلق الأوّل **(أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ)**(ق:١٥)، ولقوله أيضاً **(كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)**(الأنبياء:١٠٤)، **(خُشَّعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ)**(القمر:٧)، **(يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سِرَاعاً كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِضُونَ)**(المعارج:٤٣)، **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ)**(الروم:٢٠). **(وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَلِكَ تُخْرَجُونَ)**(الروم:١٩)، **(قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)**(العنكبوت:٢٠). أمّا النشأة الثانية الأخرى المختلفة فهي النشأة التي حدثت في الأرحام من الماء المهين (السائل المنوي)، فصار الإنسان

ينتج نفسه، أقسم سبحانه بهذه الحقبة قائلاً (ووالد وما ولد)، ذكر النشأتين في قوله (**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**)(النجم:٣٢)، وأيضاً (**فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ**)(الحج: ٥)، وذكر القفزة التطوّريّة للنشآت البشريّة بقوله (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ**)(فاطر:١١).

فالنتيجة أنّ خلْقة (نشأة) الأرض تُخرج كائناتٍ بشريّة لا علاقة بين بعضها ولا أنساب بينهم، ولا يُمكن أن يُوجد لديهم مفهوم للأم أو الأب أو الأخ أو الزوج أو البنت أو العشيرة لانتفاء مفهوم "الرّحم" الذي لمْ يأتِ بعد، بل البشر آنذاك (ومستقبلاً) كمملكة النحل أو النمل، هناك أمٌّ ضخمة تلدهم (الأرض كانت أمّاً للبشر) (**مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**)(طـه:٥٥) ونُعيدكم أي نُعيد خلقكم، لا كما تقول التفاسير أي ندفنكم! لقوله تعالى (**فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**)(الإسراء:٥١)، أوّل مرّة حين خُلقنا فخرجنا رجالا ونساء بالغين من بيوض الأرض، و(يُعيدنا)، يُعيد خلْقنا، حين سنخرج مستقبلاً من حفر الأرض (القبور/الأجداث/الشقوق).

هذا ما حكته سورة النساء (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً**)(النساء:١)، النفس/البذرة/الخليّة البشريّة الأولى التي انقسمت

(تحوّلت إلى خلايا زوجيّة ذات ذكورة وأنوثة) وتكاثرت ونمت على ضفاف الأنهار تحت الأرض في (الطين) حتّى فقست عن رجال ونساء ينتشرون.

تلك هي الحقبة الأولى للظهور البشريّ التي سيتم إعادة صورتها بالتمام **(أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ)**(النازعات:١٠) هي نفسها، وفي تلك النشأة البشرية (سواءً القديمة أو المستقبليّة) البحتة لا يُوجد أرحام، أمّا في الحقبة المتأخّرة، حقبة الأرحام والماء المهين، التي بزغ في وسطها الوجود الإنسانيّ بتخليق آدم وحواء من بشريْن سابقين، فكانت حقبة بشريّة تنتج نفسها عبر الماء المهين والأرحام، كانت حقبة تُولّد علاقات أسريّة، حقبة أموميّة، فلذلك ذكر سبحانه (الأرحام) هنا.

بيّن سبحانه الانتقال إلى هذه الحقبة بما أفاضت على البشريّة من علاقات جديدة بقوله **(وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً)**(الفرقان:٥٤)، وقوله للناس خصوصا **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا)**(الحجرات:١٣)، فالبشر سابقا يُخلقون من الأرض، ولم يكن الأمر إعجازا بالغاً، الإعجاز البالغ الحقيقي كانت النقلة بخلق البشر من نطفة ماء مهين، هذا الذي اعتدنا عليه ونراه يومياً، هو الإعجاز الحقيقي، فالخلق من (الماء المنَويّ) هو الذي صيّر للبشر علاقات نسب (أب/أم/ابن/ابنة/أخ/أخت) وبانصهار عائلتيْن (صهر) تظهر

مفاهيم: (زوج وزوجة/ جدّ وجدّة/ عمّ وعمة/خال وخالة ... الخ)، كما بيّنا قبل (**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً**)(فاطر:١١)، فالعلاقة الزوجيّة الواعية لم تكن لتأتي لولا وجود مرحلة الخلق من الأرحام البشريّة، لذلك بُدئ الأمر لآدم (**اسكن أنت وزوجك الجنّة**) وبدأت شريعة (إيل) كما في التراث كلّه، تُزيح شريعة الطبيعة الإباحيّة البهيميّة الغرائزيّة (شريعة عشتار)، شريعة (إيل/الله) الربانيّة التي افتتح بها سبحانه الإنسانيّة في المحضن الإنساني الأوّل (مكّة).

ب- البلد ووالد وما ولد (مفهوم السكَن)

مكّة، (البلد = التجمّع والتكثّف والبناء السكانيّ والعمرانيّ، ومن الفعل "بنى" بمعنى تركيب مواد أو علاقات (بنى الرجل على زوجته) جاءت "ابن"، وما زالت (بلد) تعنى "بنى" في الإنجليزية (Build) أي بناء علاقات أو عمران الذي هو "بلد" تماما) فأقسم سبحانه (لا أقسم بهذا البلد ... ووالد وما ولد).

(مكّة) التي هي المثيل الأرضي للبيت الرفيع المعمور بأرواح الملائكة والأبرار (بكّة)، حيث يتجلّى لنا مرّة أخرى العلاقة بين الباء والميم، الأولى (ب) للواسطة والسببيّة كما في العربيّة، والثانية (م) للمحلّ والأداة (كما كان الأب "با Pa " واسطة الذريّة، والأمّ "ما Ma" محلّ الذرّية وأداتُها)، وإذا كانت (بكّة) الرفيعة، صارت تعني السموّ والرفعة والعلوّ، فصار (بك) تعني العالي والسيّد (بعل-بك) و(تبوك=

ت+بُك العالية)، وإلى اليوم في الشام ومصر (بك) تعني الـسيّد وذو المقام، و(Peak) تعني العلوّ والقمّة، ومع إدراكنا بأنّ (بكّـة ومكّـة) تُنطقان بالسريانيّة العربيّة (بكو ومكو)، فلا نستغرب أن نعثـر لـدى قبائل الأنكا مثيلاً محاكياً لهاتين المحطّتين العبـاديّتين الأصـل بكـو ومكو (Machu Picchu) كأرض مقدّسة محرّمة بين قمّتيْن شاهقتيْن ترتفعان لأكثر من ٣ كيلومتراً في السماء في أرض البيرو من أمريكا الجنوبيّة.

الصورة رقم (٤٩): مكو بكو في البيرو (Machu Picchu)

الـ **(بكو ومكو)** وهما كلتاهما نجدهما في ملحمـة جلجـامش (قصّة شجرة الخالوب، اللوح الثاني عشر)، قطعتي خشب (كـأدوات

موسيقيّة) أُهديا لجلجامش، كمفاتيح لخارطتي البقعتين المقدّستيْن اللتيْن عليه أن يقصدهما كمزار ربّاني بعد أن يطوي الجبال السبعة (من السروات)، في رحلته إلى أرض الخلود (أرض الأبرار –بكة/بكو بالسريانيّ) التي منفذها الظاهر مكّة/مكّو، لذلك نرى أنّ "عشتار" بعد أنْ طهّر شجرتها، تصوغ له هاتيْن الأداتيْن الدالّتين على بكّة من جذر الشجرة الباطن، والدالّة على مكّة من أعلى الشجرة الظاهر[1]، مكّة التي عدّها سبحانه في قرآنه القرى الظاهرة كمعبر إلى القرى الخفيّة المبارك فيها، بكّة (**وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرىً ظَاهِرَةً**)(سبأ:١٨).

من القرية الظاهرة (مكّة) بدأ أوّل تجمّع إنسانيّ واعٍ يعي الدين واللّغة والمدنيّة، مهمّته نشر العلوم، وصارت (مكّة) تعني المركز الذي انتشر منه تعاليم المدنيّة والأنسنة والتوطين، فصارت اللّغات العالميّة تحتفظ باسم (Mecca) على أنّه يعني المركز والقبلة، وصار المعلّمون ينبعثون من (مكّة)، فصارت مكّي/مچي، تعني السيّد والرجل والبطل والفحل، نجدها في بادئة أسماء (Mac)[2]، و(Macho) الرجولي.

---

[1] – From the roots of the tree she fashioned **a pukku** for her brother
From the crown of the tree Inanna fashioned **a mikku** for Gilgamesh
(صنعت عشتار من القسم السفلي من الشجرة ومن قسمها العلوي آلتيْن غريبتيْن .. اسم أولاهما "بكو" والثانية "مكو"، أهدتهما إلى جلجامش) (طه باقر، **ملحمة كلكامش**، ص١٨٦).

[2] – حتّى أنّ الأنبياء انطلقوا من مكّة، ونجد في التوراة أشراف (المكابيّين Maccab) الذين حكموا بني إسرائيل في حقبة ما في تلك البقاع المكّية، ويبدو أنّه تحوير صوتي (المكاويّيين)،

ومن (ب) الواسطة للذرية (الأب) و(أ) الامتـــداد والتخـــصيب، و(ت) الأنوثة والخصب، ارتهن الأب بالبيت وجـــاء الفعـــل (بـــات)

فالباء والفاء والواو بينهم إبدالات في اللّهجات العربيّة. انظر كيف صارت كلمة (آب) وهي ماء بالفارسيّة، (آو) بالهنديّة، و(أو) بالفرنسيّة (Eau)، وهذا يعود بنا إلى أصل هذه المفـــردات مـــن أساطير أمتنا العربيّة السريانيّة، فقد كان منبع الماء العذب أسفل جبال السراة في هـــوّة عميقـــة تُشكّل حوضاً هائلاً سماه العرب (بيزان: بيسان/ أبزو:أبسو) فتسمّى حوض الماء في الغرب من بيزان (Basin)، وصار الآبسو، (آب) في فارس، وصارت الهوّة تحت الأرض (abyss) للآبسو الماء "الحبيس" في الأسفل، ولأنّ الخزّان الهائل بالماء له نافورتان تضخّان الماء كما قال القرآن (**فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ**)(الرحمن:٦٦) حيث جنّة آدم، فقد رسم السومريّون عشتار (والتي تمثّـــل الطبيعة الخصبة) ممسكة بثدييها وتفور منها المياه، ولا زال في العربية (بُز) هو الثدي وهو حافّة النهر، وللتعريف القديم بإلحاق الميم (بُزّم) والذي صار في الغـــرب بـــنفس الاســـم والمعنـــى (Bosum).

ولأنّ القوّة المسئولة عن هذا الماء دُعيت (حيا) لأنّ الماء (الآب) هو (أب) جميع الأحيـــاء فـــي نشوءها الأول فمنه فُطِرتْ وبه دوامها أيضاً، فهو سبب (حياة) المخلوقات الأرضيّة، فدعيت القوّة الربّانية للماء (حيا Ea)، وهكذا نجدها، من طريق آخر، هي التي صارت بالفرنسية بمعنى ماء (Eau). ولأنّه كما قلنا (الباء والفاء والواو بينهم إبدالات)، وكما قلنا (أنّ الماء (الآب) هو (أب) جميع الأحياء فمنه فُطِرتْ) فهو بالنسبة لها (فاطر) وبالإبدال (واطـــر) وهـــي التـــي صـــارت بالإنجليزيّة (Water)، وإن كان يبدو أن (وُتّر) جاءت من (وُتى + ر . الفاعلية)، حيث (وُتـــى) هي بُرَك الماء والغدران (البستاني، **محيط المحيط**، ص٩٥٦).

ثمّ أنّ خزان ماء الحياة (بيزان/أبيز/آبزو)، شابهه ثديا المرأة كخزّان ماء حياة الطفل (الحليـــب)، وهما بنفس الشكل المخروطي أيضاً للعينين النضّاختيْن من الأبزو، بل إنّ السومريّين والبـــابليّين بالخصوص رمزوا للعينين النضّاختيْن بماء الحياة (الآبزو) بثديي عـــشتار تمامـــاً، المرضـــعة المقدّسة، البقرة المقدّسة، فصار الإرضاع يُسمّى (إبزاء) و(بُزّ) في الفصحى، ومنه البزازة وهي حلمة الإرضاع، والبزيّ هو الرضيع، و(بزَم) الناقة أي حلَبها، وبالإنجليزية قُلنا أنّهم أطلقوا على الثدي الاسم نفسه Bosom؛ (بُزٌّ) هو "ثدي" (البستاني، **محيط المحيط**، ص٣٩)، وإضافة المـــيم لهجة قديمة للتعريف، (بُزُّم = البزّ). وصار "بُزّ" (Boss) تعني بقرة أيضاً. و(Booze) الشراب المُسكر، كالحليب للرضيع.

(أبيت) والمكان (بيت) وهي التي صارت "مقيم" (Habit) (Habitant)) (Habitat موطن)، وإنّ أوّل بيت للناس كان ببكّة، ومثاله الأرضيّ الظاهر في مكّة، كما أخبر القرآن.

وصيغ من (ملك)، أوّل موطن إنسانيّ، فعل (مكت أي أقام) و(مكث أي أقام) (ومكد أي أقام أيضاً) أيضاً و(مكن التي جاء منها التمكّن والمكان)، فكانت (مكّة) أمّ القرى، منها انتشرت القرى والمدنيّة ومعلّموها النبيّون والصالحون وملوك الأرض كما لدى فارس (گيو-مرت) (گيو: قِيَع الأرض، مرت: آمر وأمير) أي سيّد الأرض وأميرها، بل سمّوهم في البلدان (أرباباً) أي الرعاة السماويّون، والواحد منهم راعي الإله (الملك/الخليفة)، وبالسرياني (روعيو-إيل) ثم مع سقوط العين غرباً اختُصرتْ إلى (رويوئيل - رويال) وتعني ملوكيّ (Royal)..

إذن من التجمّع البشري الإنساني الأوّل حول مكة، بدأ الإنسان، وبدأ يستخدم لغته، وانطلق إلى قطعان الناس البدائيّين، لتأسيس النسب والصهر، ويُعلّمهم، زوج زوجة، أب وأم، بن وبنت، أخ وأخت، لإحلال هذه المفاهيم والعلاقات بدلاً من الهجعة الهمجيّة التي تسود شجرة بني آدم التي انتشرت شرقاً وغرباً جراء المعصية الأولى.

ج- اللّبِنة الأولى للمجتمع الإنسانيّ

متى بدأ المجتمع الإنساني يا تُرى؟ ما هي ألفباء وجوده (الإنسانيّ أي الحضاريّ) الفعليّ، وما أولى لبِنات أساسِه؟

لقد بدأ بالأسرة، وينحلّ بانحلالها، بانحلال قيَمها الشريفة، التي هي سبب وجود معناها، والأسرة من الفعل "أسَرَ" أي ربط وأوثق، ونظراً لأنّ السارح الوحيد والسائب هي الذكور، وكانت المجتمعات البشريّة أموميّة بحتة، فإنّ تكوين أسرة يعرف فيها الذكَرُ (الأبُ) أبناءه وبناته و(يُربَط/يُؤسَر) بهم بعلاقة (الرحمة) و(شريعة) حرمة التناكح (كتاب المحارم)، ويُكلَّف بواجب الإعالة (التي منها جاء اسم "عائلة") لتوفير (السَكن)، ويُربَط مع زوجةٍ واحدة يستقرّ معها بعلاقة (المودّة) لتكون (أمّاً)، فإذا كان اسم "أسرة" و"عائلة" منوط بوجود الرجل (أباً) مستقرّاً بدلاً من الجولان لتلقيح الإناث والعراك عليها، فقد بدأت الأسرة منذ خُلق آدم وقيل له مأموراً **(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)**(الأعراف:١٩)، **(اسكُن أنت)** والسكون هو الامتناع من الحركة والتجوال، إسكان الرجل مع زوجه، بسكينة نفسية وعاطفيّة وقناعة عقليّة، هو الذي أدخل باقي المفاهيم (أسرة/عائلة، أب/أم، أبناء، أجداد وحفدة) ومن (اسكُنْ) ومطالبة الرجل بالسكون وجب عليه توفير السكن فجاء مفهوم (مسكن) إلى الوجود، وبيت، وقرية ومدينة ووطن، إذن كلمة السرّ الأولى في تشكيل المجتمع الإنساني هي **(اسكن)** بربط الرجل بالزوجة وبالأرض. وصار توفير المسكن

دلالة على توفير أسرة، بحيث أنّ الفعل (بنى) أي أقام بنـــاءً للــسكن، انتقلت فصار يُقال (بنى الرجل على امرأته أي دخل عليها وعاشرها، و"Ben" تعني الغرفة الداخليّة)، وصار يُقال (ابتنى الرجل) أي صـــار له "بنون"، و(تبنّى) أي أعال "بنين" ليُربّيهم، وصار أوّل بيــت ســكنه آدم وهو الكعبة يُسمّى (البُنْية)، ونتاج "بناء" هذه العلاقة و"بناء" هــذا البيت من أولاد، هو "بن" و"ابن" ومؤنّثه "ابنة" و"بنت".

إذن، (اسكن أنت) لمحنا منها عدم وجود (سكَن) سابق لــذكور البشر، إذ كانوا (فحول/بعل) فقط متنقلين، (اسكن) هي التـــي أرســت قواعد الأسرة (الروابط) لتكون الأنثى (زوجة) له وحده، ثــمّ ليكــون معها (بنية/بناء =مسكن)، (هما+ بن+بنت =أسرة/عائلة).

ما زلنا كطبيعة، نلحظ سيكلوجيا الرجل والمــرأة مــن قــضيّة (اسكُنْ)، فالخيانات الزوجيّة هــي ذكوريّــة فــي الغالــب الأغلــب، والممانعة الذاتيّة للمرأة، والعفاف والحياء والتعلّق برجلٍ واحــد هــو الغالب على المرأة، المرأة متوطّنة وساكنة بطبيعتها، وتحتاج شــريكاً واحدا فقط بالضرورة، وتحب أبناءها بالفطرة والغريزة، أمّا الرجــل فاحتاج أن يعي هذا ويُؤمر به، فجاءت أفعــال اللّغــة، الدالّــة علــى المسكن والتوطّن، حفيّة بهذا المشهد:

(abode) أبد: تريث، أقام (للرجل) و(عبّــد/أبّــد) أي عبّــد الأرض ومهّدها للسكن، فصارت المدن تُطلق على أسمائها (آباد) في الخلــيج

العربي وفارس وشرقاً (جلال آباد، حيدر آباد، خرم آبـــاد، ســـلماباد، عبادان ...)

(house) حوش/هوس المكان الذي يحوش الرجـــل عـــن الخـــروج، ويحوش العائلة ويجمعها.

(Room) حْرُمْ، هو المكان المحرّم اختراقه، صون العائلة، وحجرتها الذي يحجرها عن الغرباء (سيّما الرجال).

(Home)، في القواميس (خُمّ) والتي تُنطق (هُوم) ســـريانيّاً وغربـــاً، تعني بيت الدجاجة التي تبيض فيه، وســـرب تحـــت الأرض يحفـــره بعضُ الناس للسكن (مسكن أرضيّ).

(Ally) عيلة/عائلة/إلّة، ذمّة، مصاهرة، تحالف التـــي هـــي مـــوالاة (والي/آلى ولاية) ومنها (ally-alliance). وقد انتشر مفهوم العائلـــة من مفهوم الأسرة، حتّى أنّ حضارة (الإنكا Enca) التي أنشأت (بكّو ومكّو) احتفظت باللفظ السريانيّ لـــ (عائلـــة/عايلـــة) وهـــو (عيلـــو) ayllu.[١]

(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)(الأعراف:١٩)، فإذا كـــان آدم الأوّل خالف (السكن) فخرج من الجنّة، وخالف (الزوجيّة) مع حـــوّاء

---

[1] – Ayllu were the basic political unit of pre-Inca and Inca life. In marriages, the woman would generally join the class and ayllu of her partner as would her children, but would inherit her land from her parents and retain her membership in her birth ayllu.
(http://www.answers.com/topic/ayllu?method=8).

وعاشر باستغفال إبليس له شجرةَ البشر الهمج، فــإنّ أمــر المجتمــع الإنسانيّ كلّه يدور حول قيمة (الشجرة) منذ البداية؛ إمّا تكوين (شجرة الإنسان) وصيانتها وهي الأسرة التي فيها المودّة والرحمة والمحــارم لتكوّن لبِنات مجتمع منصهر متوحّــد متــآلف متعــارف مــنظّم، أو الانضمام لشجرة الهمج بالإباحة والعشواء، بلا مودّة، ولا رحمة، ولا محارم، ولا عفاف، ولا تعارف، ولا هويّات، ولا أنساب، بتهتّك تــامّ وبلا تفكير في أواصر، وإنّما ذكور تلقح إناثاً، لا يعرف هذا من هــذه إلاّ الجسد، انقياد محض لقضاء الوطر وإطفاء أوار الجنس، كما هــو حاصل الآن في كثير من الأمم والدّول، ولا يهــمّ فــي مجــون ذاك الصخب إذ انطفأت الأنوار أن يكون عاشر أخته أو حتّى أمّه!

د- الأسرة، الشجرة الوارفة الظلال (مفهوم الجنّة)

فإذا كان أوّل انتهاك إنسانيّ قد حصل إنّما هو للشجرة الوارفــة الظلال، (أي بتدنيس الجنّة)، انتهاك شجرة النــسب/الأســرة/الذرّيــة (الإنسانيّة)، واختراق ســورها (ســور-بيتــو: بحــسب الأســطورة السومريّة السريانيّة)، مِن قبل آدم الأوّل، والانغواء بــشجرة عــشتار (البشريّة) بدلاً منها، فإنّ آدم (الثاني) الرسول جــاء ليُعيــد أصــالة (الشجرة) الإنسانيّة، ونفي آثار (شجرة عشتار) الهمجيّة عنها، بتطهير الذرّية نسباً وتهذيبها تعاليم، هذا أمرٌ بيّناه جليا في بحــث (وعــصى آدم) وأخبرنا أنّ الشجرة الإنسانيّة/السلالة تلوّثــت جــرّاء المعــصية بالمكوَّن الهمجيّ، فانتشر الإنسان الهمجيّ العاقل من بنــي آدم فــي

الأرض شرقاً وغرباً (والذي أباد البشر الهمجيّ المتخلّف)، ثمّ امتدّت يدُ السماء لتنتشله وتُعلّمه، فكان الآباء المصلحون الأوائل ينبعثون من مركز الجزيرة العربيّة إلى الأقطــار، حيــث التجمّعــات الإنــسانيّة البدائيّة، ليُعلّموهم الدين واللّغة وأسرار التمدّن والحــضارة ويُهــذّبوه على قيَم الدين والشرف وذكْر الله ومخافته (والتي هي قــيَم الجنّــة) وينفوا عنهم مظاهر الهمجيّة وبواطنها، وعلى رأس ذلك وضع نظــام الأسرة، شريعة إيل، والأبوة والبنوة، كما فعل قــدموس فــي فينيقيــا فيقول أوفيد الرّومانيّ في كتابه "مــسخ الكائنــات": (**وبُنيــتْ مدينــة "طيبة"، ووجَد "قدْموس" السعادة في منفــاه، فقــد تــزوّج النبيلــة "هرمونيا" ابنة الربّ مارس، والربّة فينوس، وأنجــب منهــا أبنــاء وبنات .. أسّسوا تقاليد الأسرة، وأرسوا روابط المحبّة بين أفرادها**)[١] والربّ/الربّة أي السادة الشرفاء المعلّمين.

وكما فعلت إيزيس في مصر وادي النيل (**وعقدتُ بين الرجــل والمرأة، وقضيتُ بأن يحبّ الأبناء آباءهم، لقد وضــعتُ مــع أخــي "أوزوريس" حدّاً لأكل البشر .. وحملتُ الرجال على حبّ النــساء**)[٢]. وكمــا تبــيّن لــدى الــسومريين فــي أســطورة (شــوق-اللــي-تعدى/شوكالليتودا)[٣] الذي انتهك شريعة الأسرة، شجرة العائلة، شجرة

---

[1] - أوفيد، **مسخ الكائنات**، ص١١٦.

[2] - أدولف أرمان، **ديانة مصر القديمة**، ص٥٥٩.

[3] - في لهجاتنا العامّية التي هي كالسريانية، نستعمل (اللّي) بمعني (الذي). راجع كمصدر أيضاً: تشيم رابين، **اللهجات العربيّة القديمة**، ص٢٩٣-٢٩٥.

سور البيت، (سر–بيتو) (**إنّها شجرة الـ "سر– بيتو" ذات الظلّ العريض، إنّ ظلّها لا يزول، لا في الفجر، لا في الظهيرة، ولا في الغسق)**[1].

فالقيَم تتمثّل في مجمل تلك الأساطير والتعاليم وأغراضها الكامنة والفصيحة، مثل: علاقة الحبّ والمودّة والرحمة لا الغريزة، حُسن التنشئة للأبناء ومحبّتهم وتربيتهم، الستر (اللباس الحقيقيّ ولباس التقوى)، العفاف والاحتشام، الأدب والحياء، ترك الفواحش ما ظهر منها وما بطن، إعالة العائلة عن الحاجة والتبذّل بالعمل الحلال وبالتكافل الأسريّ وبالتضامن المجتمعيّ، نفي المعتدين وعقوبتهم، كما حصل في أوّل اعتداء حصل في الجنّة فنُفي (آدم الأوّل) بعيداً عنها.

ولما كان الأب والأم هما واسطة تعاليم الربّ لبثّها عبر قيَم الأسرة ومحضنها وسكْبها في الذرّية، فقد تشكّل من اللّغة ما يُوازي هذا النظام ويدلّ عليه، فالبا والما، (Pa & Ma)، الأب والأم، (ب) تعني الواسطة والآلة فالأب كان واسطة الإنجاب، وما زال في كل اللهجات (با) أو (بابا) (بي) (بو) تعني الأب، بإضافة الألف إليها أولا

---

[1] – راجع هذه الأسطورة السومريّة في: خزعل الماجديّ، **إنجيل سومر**، ص ١٥٩؛ صاموئيل كريمر، **من ألواح سومر**، ص ١٤٦؛ فاضل عبد الواحد علي، **سومر أسطورة وملحمة**، ص ١١٠؛ فاضل عبد الواحد علي، **عشتار ومأساة تموز**، ص٦١؛ وديع بشور، **الميثولوجيا السوريّة– أساطير آرام**، ص ٧٧؛

http://www.piney.com/InanaShu-kale-tuda.html.

لتعني الواسطة التي جاءت بنسل حيث الألــف هـــي رمــز الخلــق والانتاج والخصب. ونرى أسماء عالمية كثيرة تحتفظ بالــ (بـــو/بـــا) العربية الشعبية القديمة بمعنى (أبـــو) (بولنـــدا) (بوغوتـــا) (بوليفيـــا) (بورندي) (بوكاسا) (بوتسوانا) (باهاما)..

أما (ما Ma)[1] (ماما Mama) (أم) فتعني المــصدر، المهــد، المقرّ، الأصل، لذلك كانت الميم تفتتح كلمات المصدر والمكـــان فـــي العربية. (ما + ت التأنيث = مات +ر الفاعلية) ماتر، مادر، مـــاذر، وصار متّ/ماتّ كفعل يعني اتّصل/انتسب/اقترب/ارتبط.

مادر= ماذر (Mother) = وبلهجات "ماتر"، (مـــاتر: صـــانعة الأمومة (مـــا، مـــات + ر) وإلـــى اليـــوم فـــي العربيّـــة (مـــتّ أي وصل/قرب/ارتبط/انتسب، وهو ماتّ أي منتسب مرتبط مقترن، فـــ "متْ" و"ماتّة" أي الصلة والقرابة والنسب والرحم والحرمة والوسيلة)، من (مات/Mat) للدلالة على الرحم والنـــسب والأمومـــة والوســـيلة والصلة، جاءت كلمات (مـــاتور mature) أي ناضـــج للاتّـــصال، و (مات mate) أي أنشأ صلة وارتباط مع امرأة في الأصل (تـــزاوج)،

---

[1] – لقد بدأ أصل الخلق في (الماء)، وجعل الله من الماء كلّ شيء حيّ، وفي السريانيّة القديمـــة ولا زال لليوم في لهجاتنا يُسمّى الماء: ما، ماي، والذي انتُسب لـــه شـــهر الأمطـــار والـــسقي (ميه/مايو May)، وانتسبت للأصل المائيّ حضارة (المايا)، هذا الما، الماء، الماي، يُؤنّث فيكون (مات) و(ميّة)، ويكون (يمّ) أيضا ومؤنّثه (يمّة/يمّت)، وهو الوارد لـــدى الـــسومريّين (تيمّـــتْ Tiammat) والتاء الأولى لتعريف المؤنّث. إذن (مات) تعني الماء الأوّل، الرحم الأوّل للخلق، وبإضافة (راء) الفاعليّة، تُصبح (ماتر Mother) صـــاحبة الـــرحم الخـــلاّق، أي الأمّ والمهـــد والأصل.

و(ميت meet) يلاقي ويواعد، و(ماترون matron) الحاضنة القيّمة على الأطفال، و(ماتر–نيتي + ماتر–نال maternity-maternal) أي أمومة، وأموميّ، وبالفرنسيّة الرّحم هي (ماترِيس matrice)، ما يدلّلك أنّ (متّ/مات)، هي الجذر الأول، وماتر كفاعل هي بالتاء بأنّها الأصل لا بالدال ولا بالذال.

وپادر = فاذر (Father) = فاتر (حسب لهجات الأوربية) وفي

الأصل الفصيح هو (فاطر، الذي أخرج الولد، وسبب الأسرة)، وفاطر (فادر) هو بارئ/باري/بار اسم فاعل من برأ/برى، وكما سنرى لاحقاً أنّ الابن مبروء وبريّة، فالأب باري/بار، وفي الفرنسية بار Pere. وصار الوالد/ الفاطر/الباري (بارٍ = بارن وبإضافة تاء التأنيث بارنت) وهي أحد الوالدين Parent.

والأب، باعتباره واسطة وآلة وسبب الأسرة وتواجد النسب، سُمّي (فاطر Father) و(باري Père\Parent)، إذ لولا الأب لما كانت أسرة بتاتا، فأوّلاً من ناحية بيولوجيّة لأنّ نطفة مائه هي التي تُعيّن جنس الجنين لتخليق الذكور أو الإناث الذين سيكونون (أزواجاً لأسر) ما يعني صدق قوله تعالى (**خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً**)(الفرقان:٥٤) هذا هو الماء المنَويّ، و قوله عز وجل (**ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجاً**)(فاطر: ١١)، وثانياً من ناحية اجتماعيّة، لولا مفهوم "الأب الساكن في بيت يربّي أبناءه" لظلّ التناسل إباحيّا تنعدم به لدى الذكور مفهوم أخت، ابنة، وتكون شريعة إخصاب عشوائيّة

بحتة، بلا مودّة زوجيّة، ولا رحمة أبويّة **(وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً)**(الروم:٢١)، ولا أنساب ولا مصاهرات ولا عشائر، بل قطعان.

ومن جهةٍ أخرى، إذا انطلقنا من كون التجربة الأرضيّة ما هي إلاّ فترة تطهّر عبر التشكّلات الأسريّة والمحاضن الربانيّة لنفي الهمجيّة والجهل وبرمجة النفس الدنيا فينا، أي تطهّر من آثار المعصية الأولى أو محاكاتها، وإذا علمنا أنّ الرجل هو الذي عصى لا المرأة، وأنّ معظم مظاهر الهمجيّة تطغى بالرجل قبل المرأة، فالقسوة أو الخيانة الأسريّة أقرب إلى مكوّن الذكور عن الإناث، والرحمة والتمنّع من خصائص المرأة، فالمرأة أسريّة بطبيعتها، والرجل يميل إلى الإباحة، فكان من المناسب مخاطبة الرسائل الربانيّة المطهّرة للرجل، أوّلاً باعتباره (ابن آدم)، لا باعتباره (ابن حواء)، لا للفتاة باعتبارها (ابنة آدم) أو (ابنة حواء)، أي على الأبناء خصوصا ألا يُعيدوا تجربة الأب (يا بني آدم)، وهذا يشمل قطعاً الفئات كلّها التي تليه، بل إنّ الفكر يتوجّه دائماً للابن الأكبر ألاّ يُعيد خطأ أبيه من جهة، وباعتباره القدوة الأولى والنبراس الأوّل في البيت لأخوته الباقين في الأغلب، يحذون حذوه، فصلاحُه يُؤثّر فيهم وكذلك فسادُه، لذلك كرّس الشرعُ الدينيّ مسئوليّة الابن الأكبر في تمثّل هذا الصلاح مبوّأ أبيه، فعقد به تنفيذ وصيّة الأب وقضاء ديونه وأداء ما عليه.

فلو رتبنا بهذا الاعتبار الأسرة، لا باعتبار تفوق ذكوري، بـــل بهذا الاعتبار فقط، أنّ الأب (الذكر) هو سبب الأســـرة وهـــو ســـبب خرابها، لقلنا أنّ الترتيب المنطقي الوحيد في الأسرة، من دون تفاضل هو:

١- الأب ٢- الأمّ ٣- الابن ٤- البنت ٥- الابن الثاني ٦- البنت الثانية ... وهكذا، هذه هي مقوّمات الأسرة الواحدة وأبجـــديّتها التـــي أقسم سبحانه بظهورها (ووالد وما ولد) والد= الأب والأم، وما ولد = الأبناء والبنات. لتُعاد دورة التزاوج بـــين الأســـر ويظهـــر أســـماء (جد/جدة، خال/خالة، عم/عمة ..)، ولهذا السبب بالخصوص، باعتبار الأب (الرجل) سبب الأسرة وحافظها والذي يمنع بوجـــوده الأم مـــن شريك آخر (إباحة/شرك زوجي) وهو ردّة إلى المجتمـــع الأمـــوميّ الهمجيّ السابق على الأنسنة، قال سبحانه (**الرِّجَـــالُ قَوَّامُـــونَ عَلَـــى النِّسَاءِ**)(النساء:٣٤).

لذلك جاء الخطاب القرآني في معظمه (لابن آدم) لا لـــلأب، لا للأم، لا للبنت، بل (لابن آدم) وإن كانت تعني فصيليّ الذكور والبنات إجمالاً، كقوله (**وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّـــا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَـــرَ أَحَـــدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَـــا فَـــلا تَقُـــلْ لَهُمَـــا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا**)(الإسراء:٢٣)، (**وَوَصَّيْنَا الإنسانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْـــنٍ وَفِـــصَالُهُ فِـــي عَـــامَيْنِ أَنِ اشْـــكُرْ لِـــي وَلِوَالِـــدَيْكَ إِلَـــيَّ**

الْمَصِيرُ)(لقمان:١٤)، **(أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)**(الأنعام:١٥١).

فالسريان الذين نشروا تعاليم الأسرة كما قرأنا عن قدموس الفينيقي العربيّ آنفاً (**أسّسوا تقاليد الأسرة، وأرسوا روابط المحبّة بين أفرادها**)، يُدركون ترتيب الأسرة المنطقيّ (أب، أم، ابن، ابنة، ابن ثان، ابنة ثانية)، ويُدركون أنّ واسطة العقد هو (الابن) الأوّل، وأنّه حامل استمرار الذرية (ووالد وما ولد)، ومن دونه ينقطع ذكْر الأب (كشجرة) متواصلة في السلالات للنسل القادم، فسُمّي هذا الولد (بكْر) وتعني أوّل الشيء (ومنه سُمّيت المرأة التي تتزوّج لأوّل مرّة بكراً، وهي من دون زواج "عذراء")، ونجد هذه القيمة (البكوريّة) تمتلئ بها توراة الكهنة كتراث عربيّ[1]، حيث هي قيمة عربية أساساً، والوالد يُكنّى باسم هذا البكر.

(بكر) (ب): باء الواسطة، (ك): كاف الشبه والمثيل، (ر): راء التكرّر والاستمرار، فالبكر تعني الواسطة الشبيهة التي بها يُكرّر الأب نفسه، أي تستمرّ ذرّيته، (جيناته)، شجرته، بعده.

ونلاحظ أنّ كلمة (بسر) الفارسيّة / السريانيّة القديمة، التي تعني عربيّا أوّل الشيء، وتُطلق على ثمرة الرطب وعلى بداية كلّ

---

[1] – **(وَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: قَدِّسْ لِي كُلَّ بِكْرٍ، كُلَّ فَاتِحِ رَحِمٍ مِنْ بَنِي اسْرَائِيلَ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الْبَهَائِمِ، إِنَّهُ لِي)**(الخروج ١٣: ٢).

شيء وعلى الشابّ أيضاً وعلى (الغَضّ مِن كلّ شيء)[1]، تعطي المفهوم نفسه، الثمرة الأولى (بسر) أي (الولد / الابن)، والذي هو رقم (٣) في عناصر التشكيل الأسري (الأب، الأم، الابن). وما هو (بن / ابن)؟ هو ليس إلاّ الثمرة الأولى لـ (بناء) الأب على الأم (بنى الرجل على زوجته)، أي هو ثمرة علاقة معاشرة وسكن، والابنة ثمرة علاقة الأبوين بإضافة تاء التأنيث، أمّا التي ذهبت غرباً[2] كدلالة على (الابن) فهي اللّفظة العربيّة (صنْو، وصنْوة) ومن معانيها (ابن وابنة) "صنْو" Son، بل العجيب أنّ الضَنا، والضَنْ تعني الولد تماماً في كلّ معاجمنا العربيّة، (ضَنْ) تُلفظ بالسريانية واللهجات الغربية التي أخذت عنها، التي تلفظ الضاد صاداً (ضَنْ = صنْ Son)، وإلى اليوم في مصر تقول النساء (صنايَ/ضنايَ) أي ابني.

مِن هذا الابن (بكر/بسر/ضنْ) كمرتكز العائلة وواسطة عقدها، تنشأ العلاقات المستجدة، فإذا جاءت أنثى (بنت/ابنة)، فبإمكاننا وصفها أنّها ثمرة مؤنّثة من "بناء" العلاقة الزوجية (بن+ت = بنت)، لكنّ السريان إذ مركزوا الابن الأوّل (بكر/بسر) اتّجهوا منه لإنشاء العلاقات الثانية، فكانت الـ(بنت) أختاً له، أختاً للولد البكر، (دو- خت-ار) (ذو) التعريفية، (خت) أخت، (ار) الفاعلية ، ومعناها: التي

---

[1] - ابن منظور، **لسان العرب**، كتاب الباء، ص١٥٤-١٥٥.

[2] - في الفرنسيّة (Fils) تعني "ابن"، وتُلفظ (فِلْ) وهي من العربيّة (فِلْو) وتعني الغلام الذي فُطِم وينبغي تربيته. والحفيد سمّوه (Petit-Fils) والپاء هي إبدال فاء، وهي (ابن صغير)، فتيّ - فِلْو، وفتيّ أي صغير ويافع، والجذر (فتّ، فتيت) تعني جزء صغير وقطعة أيضاً.

صنعتْ أختاً، المؤاخية، أي الكائن الذي أنشأ نسبة الأخت، فالبنت هي أخت الولد الأوّل لا أكثر، دوختر، وبالغربي الذي عسر عليه التصويت بالخاء الحلقية قال (دوهتر) ولمْ ينْسَ أن يكتبها صحيحة بالخاء (Daughter)، وتتّضح جليّاً جذر كلمة (أخت) في (دوختر) في كلّ اللغات[1]، وهي رقم (٤) في العائلة.

أمّا الرقم (٥) فهو للابن الثاني، وأسموه (براذر)(Brother)، فهو ليس إلاّ أخاً للأوّل، وصارت برادر تعني أخاً مجرّداً، بينما هي في أصلها الأخ (للابن الأوّل)، فما هي براذر؟ هي: برْ + آذر[2].

(بر) السريانيّة تعني (ابن)[3] وهي عربيّة من الفعل (برى/برأ) أي المبروء، المخلوق، والخلق هم البريّة، فالابن مبروء، بريّة جديدة من الزوجين، فهو (بر/برْأ).

1- Old English (dohtor), from Indo-European dhughter. Cognates include (from Germanic) Scots (dochter), Dutch (dochter), German (Tochter), Swedish (dotter); (from IE) Russian (doč), Persian (دختر), Mycenaean Greek (thugater), Lithuanian (duktẽ).

2 – حتّى (بر) وهي برأ ومنها بريّة، هي (فر)، بدليل أنّ (برادر) في باقي اللهجات، التي أسبق، كالتالي:

ففي الإغريقيّة واللاتينيّة (frater)، والروسيّة (brat)، والفرنسية (frère)، والإيطالي (fratello) والهندي (براتا)((bhrātā)، والبرتغالي (frade)،والياباني (burazā)، وهي نفسها (براذر) المنطوقة (برازر) لدى فارس. والعجيب أنّ (براذر) وقد حلّلناها أنّه "أخ آخر" للابن الأوّل، فصار (مفهوميّاً) أنّه ابن، باعتباره (الأخ) لذاك البكر، هي في الصينية (Teochew) (ت+أخيو) حيث التاء والدال والذال هي أدوات التعريف القديمة أي الأخ.

3 – تشيم رابين، **اللهجات العربيّة القديمة**، ص١٣٣؛ سمير عبده، **السريانيّة العربيّة**، ص٨٧.

وكما قُلنا سابقاً لأنّ الولد الأوّل هو المرتكز، فإنّ نتاج العلاقة الزوجيّة منذ لحظة تكوّن ثمرتها في البطن كحملٍ، سمّوه (فتى) وتُرجمت إلى (Fetus) فتى، أي جنين، والسريان يقولون (فتو) وجاءت منها (فتوّة)، وأضاف الإغريق سين النهاية كما دأبوا، وإذا كانت كلمة (جنين) العربيّة لا تعني كوصف أكثر من (مخلوق مستتر) فإنّ كلمة (Embryo) الإنجليزية، السريانيّة العربيّة أصلاً قد تكون أدلّ من حيث الوصف على (المخلوق المستكن في الرحم)، لأنّها تعني (إم–بريو)، (إم) هي (أل) التعريف حين إقلابها ميماً لوجود الباء بعدها، (بريو) هي كما قُلنا سابقا، المنطوق السريانيّ لكلمة: بريّ/بريء أيْ المبروء، المخلوق للتوّ.

فعوداً إلى (بر–آذر)، هي بر–آخر، حيث الخاء انقلبت ذالاً لصعوبة نطقها، فهو البر الآخر، الابن الآخر، المخلوق توّا الآخر، ونتيجة لكون العلاقة تمضي من ذاك الابن الأوّل البكْر صار هذا آخر، وصارت الكلمة جميعها تعني (أخ). بل أنّ السريانية التي أخذتْ عنها ما يُسمّى بالعبريّة فإنّا نجد كلمة (باقي/متروك) هي (יתר yether) لديهم، و(يذر)، هي (يذر) العربية نفسها، وبالعبرية يضعون الياء بدلاً من الألف ابتداء كما أنّ بعض اللهجات تضع الواو بدلاً من الألف، فهم يقولون (يسرائيل بدلاً من إسرائيل) والبعض يقول (واكل بدلاً من آكل، وخِّر بدلاً من أخِّر) فالمقصود أنّ (يذر/وذر/أذر) بمعنى واحد هو المتروك/الباقي/الآخر، فـ (بر–أذر) المبروء الباقي، فكأنّ البكر منذور لله (حتّى أنّ في بعض معتقدات

الشعوب التي شطّتْ وانحرفتْ عن الربّ تُضحّي بـــالبكر للـــربّ أو لبعل[1]، وقد فعل بنو إسرائيل هذا أيضاً وقد رأينا فـــي القـــرآن نيّـــة إبراهيم التضحية ببكره إسماعيل بذبحه للربّ)، عموماً فهذا (الولـــد)

[1] – كانت القرابين أساساً، نوعاً من زكاة المال والنفس، فكانت تُنذَر للـــربّ، أو لكهنتـــه خُـــدّام المعابد أو للمساكين، أو تترك للمارّة من المحتاجين وللحيوانات، لترويض الإنسان على التضحية بالنفيس، والعبودية للربّ، والتناغم والتكافل مع جنسه وسائر الكائنات، وللتحلّل بمعاناة عمليّة من خطاياه ليُدرك فداحتها لا بمجرّد كلام، وأخيراً لنفي تعلّقه الجشع بمطامع الدنيا وأملاكها، فكـــان يُعطي أبكار حيواناته أو ثمار زروعه، الأمر الذي قنّنه الإسلام ليكون صدقات وزكوات وخمساً ونذوراً وكفّارات يزكّون أنفسهم بها .. أمّا التضحية بالولد البكر أو بأحد البشر، فقد كانت مجرّد امتحانات لأناس خواصّ لا حقيقة، لكنّ الانحرافات الاعتقادية صيّرتها حقيقة ومارستها، فقد سنّ إبراهيم (ع) ذبح الكبش فداءً عن ذنوب العباد في مناسك الحجّ لينسف في عمليّة دراماتيكيّة ذبح الأبناء من جهة أو التعلّق بهم مطلقاً من دون الله من جهة أخرى، وكان لدى اليهود ذبح الكـــبش والتيس أيضاً كفّارة خطاياهم (**بِهذَا يَدْخُلُ هَارُونُ إلى الْقُدْسِ: بِثَوْرِ ابْنِ بَقَرٍ لِذَبِيحَةِ خَطِيَّةٍ وَكَبْشٍ لِمُحْرَقَةٍ**)، (**وَثَوْرُ الْخَطِيَّةِ وَتَيْسُ الْخَطِيَّةِ اللَّذَانِ أتي بِدَمِهِمَا لِلتَّكْفِيرِ فِي الْقُدْسِ يُخْرِجُهُمَـــا إِلَـــى خَارِجِ الْمَحَلَّةِ وَيُحْرِقُونَ بِالنَّارِ جِلْدَيْهِمَا وَلَحْمَهُمَا وَفَرْثَهُمَا**)(اللاويّين ١٦)، (**لِذَلِكَ أنا أَذْبَحُ لِلـــرَّبِّ الذُّكُورَ مِنْ كُلِّ فَاتِحِ رَحِمٍ وَأَفْدِي كُلَّ بِكْرٍ مِنْ أولادي**)(الخروج ١٣: ١٥)، وانحرافات الأضاحي قد ظهرتْ في الشعوب جميعاً من هذا المبدأ المشتبه، وكان لبني إسرائيل انحرافهم، الذي يبـــدأ بانحراف عقائديّ لينتهي بآخر سلوكي وشعائريّ، فخاطب أرميا اليهود عن لسان الربّ قائلاً (**مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ تَرَكُونِي وَأَنْكَرُوا هَذَا الْمَوْضِعَ وَبَخَّرُوا فِيهِ لآلِهَةٍ أُخْرَى لَمْ يَعْرِفُوهَا هُمْ وَلاَ آبَاؤُهُمْ وَلاَ مُلُوكُ يَهُوذَا وَمَلأُوا هَذَا الْمَوْضِعَ مِنْ دَمِ الأَزْكِيَاءِ، وَبَنُوا مُرْتَفَعَاتٍ لِلْبَعْلِ لِيُحْرِقُوا أَوْلاَدَهُمْ بِالنَّـــارِ مُحْرَقَاتٍ لِلْبَعْلِ الَّذِي لَمْ أُوصِ وَلاَ تَكَلَّمْتُ بِهِ**)(أرميا ١٩). فالربّ بهذا النصّ لم يأمر بهذه القرابين ولمْ يُوصِ به، بل كهنةٌ منحرفون عن الإنسانيّة والإخلاص بالغوا وافتروا باسم الـــربّ، وهـــذا انحراف متأصّل في الملل حتّى في جاهليّة عرب ما قبل محمّد (ص) الـــذين أزرى الله تعـــالى عليهم الفعل نفسه في قتْل أولادهم تقرّباً بافترائهم عليه، وهو غير وأد البنات الرذيلـــة الأخـــرى (**وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِيـــنَهُمْ وَلَـــوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**)(الأنعام:١٣٧).

الثاني هو الباقي والمتروك لهم، هو الآخر (الأذر) المتــروك. وهــو أخو البكر الأوّل، فصارت كما قلنا براذر تعني أخاً!

لهذا نجد حتّى في الأسبانيّة، ويا للعجب، الأمر نفــسه، ينطــق الأسبان الابن والابنة (إخو، إخا)؛ Hijo (إيخو)، Hija (إيخا)؟

إذ (ج/j) المكتوبة تُلفظ (خ)، ما يُؤكّد مــرّةً ثالثــة أنّ البنــت والابن (الثانييْن) ما هما إلاّ أخ وأخت للولد البكر، لذلك سمّيت الابنــة لدى فارس (دوختر) لأنها أخت البكر (البسر) للسبب نفسه.

أمّا الرقم (٦) في العائلة فهي الأخت الثانية، احتفظت باســمها (سيستر) بالإنجليزية (Sister)، ومع أنّ الإنجليزية لا تحــتفظ بفعــل يُدعى (Sist) ليصوغوا منه الفاعل بإضافة الراء، بل كلّ الذي لــديهم قريباً هو (Assist) وهي عربيّة (عزِّزْتْ/أزِّزْتْ): عــزّزت وقوّيــت وساندت وأعنت، فتكون بمعنى المساعدة والمعينة (Assister)، إذن، إنّ (سيستر) وفدتْ مرفقةً مع أخواتهــا (دوختــر ومــادر ..)، وإنّ (سيس) (شيش) (سِدْس) (سِكْس) (شيشت) بكلّ اللهجــات (فرنــسيّة، عربية، إنجليزية، فارسية)، تعني ستّة وما زالت الفارسيّة (شيشت) + (ار) الفاعليّة، تُصبح (شيشتار/سيستار) السادسة، فسيستر إن لم تكــن تعني (المعزِّزة) فهي لا تعني شيئاً سوى السادسة، السادسة التي تُكمل العائلة فحسب، لكن مرّة أخــرى لأنّ بــؤرة العلاقــات هــو الابــن البكر/البسر الأول، فالسادسة (سيستر) صارت تعني أخت ذاك الولد، أي الأخت.

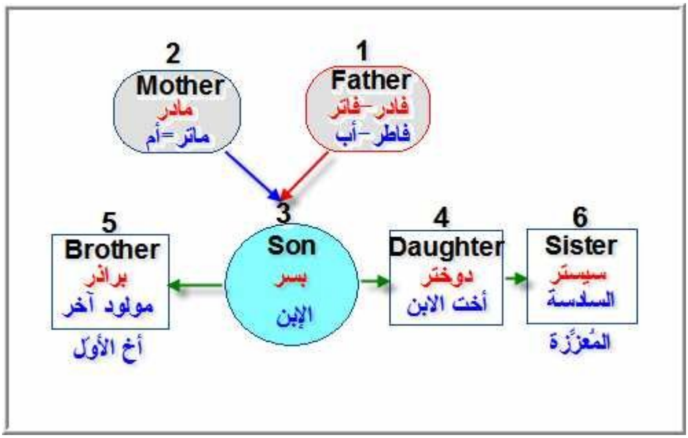

الشكل رقم (١٠): محوريّة الابن الأوّل كمنطلق لتسمية بقيّة عناصر الأسرة

هكذا، بهذه الجولة نلمح، لغويّاً، أنّ تدشين تقاليد الأسرة، ومفاهيمها، عبر أسماء عناصر تشكيلها، انطلقتْ واحدةً إلى العالَم بأسماء ومفاهيم وتعاليم آدم الرسول السرياني (ع) وأبنائه وتلاميذه وروّاده إلى الشعوب وأمم الناس شرقاً وغرباً، وعلّموهم أيضاً الحفاظ على قيَم الأسرة، ضدّ الانتهاك والاعتداء، وشيّدوا تعاليمها والعقوبات على معتدي "حُرمها Room"، ولعلّ بهذا نستطيع أن نفسِّر بعض العقوبات القاسية التي فُسِّرت لدى حضارات أنّها ربّما قرابين بشريّة وما شابه، فقد تُعزى إذا ما عزيناها لمجتمعات سويّة -كما كان الرجم والجلد لاحقاً- ولم تكنْ انتكاساً بشرياً يتبع أنظمةَ الجهل والظلم البشريّ وقسوة طبائعه، فقد تُعزى إلى عقوباتٍ تاريخيّة وِفقَ بيئتها نالتْ من مسّ هذه القيَم والضوابط المجتمعيّة المُقدّسة.

ثانياً- عقوبة الجلد وارتباطها بالذرّية الطيّبة

الرجم، عقوبة بدأتها قوى الطبيعة (المؤتمرة بأرباب التدبير الربّاني)، كردّ فعلٍ على إفساد النسل الإنساني (الذرّية) ولادةً وتربية، بدأت بقوم نوح (ع) حين أغرقوا جرّاء (**خَطيئاتهم**)، بحسب القرآن، و(**لزيغانه هو بشَر**) بحسب التوراة، وبسبب (**كوائن واختلاط نسل**) و(**الأمّة الخاطئة**) بحسب التراث المرويّ[1]، فانطمروا في طمي الطين (**عاد البشر إلى الطين**) بحسب ملحمة جلجامش، ثم ثُنِّيت هذه العقوبة مع قوم لوط مع انحرافهم المثليّ الشاذ الذي سُمّي لواطاً وسحاقاً، فرُجموا بحجارة من سجّ-إيل المرسلة من الله، (حجارة الكبريت والنار كما قالت التوراة)[2]، لمخالفتهم شريعة إيل الفطرية في التزاوج، بانفجار بركاني عليهم[3]، ثمّ لعلّ الإنسان تشدّد بالرجم ليدرأ بنفسه انتقام الطبيعة وانقلابها من فساد نفسِه (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ**)(الروم:٤١)، فيوم يتخلى الإنسان عن معالجة

---

[1] - بيّنّا هذه الأمور في بحث: طوفان نوح بين الحقيقة والأوهام، ففي القرآن (**مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا**)(نوح:٢٥)، و(**وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**)(نوح:٢٧)، التوراة: سفر التكوين ٦: ٣، الروايات راجع: الطبري، **تاريخ الطبريّ**، ج١، ص ١٠٨.

[2] - (**فَأَمْطَرَ الرَّبُّ عَلَى سَدُومَ وَعَمُورَةَ كِبْرِيتا وَنَارا مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ**)(التكوين ١٩: ٢٤).

[3] - لقد قال السيّد قطب (ره) في تعليقه على عقوبة قوم لوط في (الظلال في تفسير القرآن) أنّما أصابهم حجارة بركان ناريّة، وصدق في هذا، لكنّ الفكر الظاهري ردّ عليه القول وكذّب هذا (الزعم)، ظانّاً أنّ هذا يُنقص من قدرة الله وأعجوبته في قوم لوط شيئاً، فكأنّه لابدّ من تصوّر حجارة هبطت من السماء بكيفيّة غير معلومة عصيّة الوصف، ولو قال السيّد قطب "نيازك" لقالوا له "كذبت" أيضاً!!

فساد خطاياه تقوم الطبيعة الصارمة بفعل ذلك نيابةً عنه دون محاباة ولا مراعاة لطفل أو لشيخ لتغدو فتنة عامة؛ **(إلاّ تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ)**(الأنفال:٧٣).

من الأجدر أنْ نفترض أنّ النبيّ (ص) لم يطبّق الرّجم بغضّ النظر عمّا نسبوه من رواية مزعومة أو اثنتيْن، ويُمكننا افتراض أنّ مفهوم الرّجم الذي ورد في توراة الكهنة وساد كأنّه الشرع، نسخته (كمفهوم في الذهن) آية الجلد وليس العكس، ولسنا مرغمين أن نُصدِّق بوجود آية تُدعى آية الرجم نُسخت تلاوة وبقيت حكما، فهذا أمر نتفهّمه لا على أنّها آية قرآنية، بل ربّما إشارة نبويّة تحكي حكم الرجم حسب شرائع اليهود قبلاً إمّا كشريعة وضعها الكهنة أو عقوبة ربّانية مغلّظة، وعلى الاحتماليْن جرّاء مبالغتهم في الفساد والانحراف، والأقرب أنّهم صنعوها بأنفسهم كما صنع الرهبان رهبنتهم، وتشدّدوا فيها لاستئصال ما استشرى فيهم من هذه العادة الفاتكة بشرف الأسرة والماسخة للذرّية، فالنبيّ (ص) أسّس عقوبة الزاني المستهتر المُجاهر جلداً للحفاظ على كيان الأسرة الإنسانيّة وأنسابها وقيمها كختام لحقبة الأوّلين، لتنفتح الشريعة لعالميّتها المناسبة لجميع مجتمعات البشر حسب مناهج التربية وقوامع القانون والأعراف، مع التأكيد أنّ لفظ "الزاني" هي للممتهنّ لا للمتناول له مرّة واحدة، وعلى المجتمع (الحاكم الشرعي) تدبير قوانين رادعة، وبرامج إصلاحية وتربويّة، تمنع الزنا والحاجة له، لتُفرد فسحةً للحبّ الحقيقيّ والهدفيّة الكونيّة ولتعاليم الروح أن تطلّ.

بهذا نفهم قوله تعالى (**يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ* وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً**)(النساء:٢٦، ٢٧)، والميل العظيم نجده يملأ الدنيا اليوم، فكلّ مظاهر الهوس الجنسي والشذوذ، بالاغتصاب والدعارة والزنا واللواط والجنس مع الحيوان ومع النفس ومع المثيل ومع المحارم ومع الأطفال والصغار والآلات الجنسية، حتّى أصبحت بعض الأمور المُخلّة ليست مُخلّة بل ثقافة شائعة تُسوِّق لها الأفلام تحت ذريعة الحرّية الذاتيّة والتجربة والفنّ والإبداع وما بعد الحداثة، ووشيكاً يُصبح كلّ انحراف مقبولاً وكلّ أعوج مستقيماً وكلّ منكر معروفاً، ويُدان من يقول العكس!

فالقرآن بعد تحديده لمحارم النكاح وشرائطه وطرائقه، وبعد أنْ فتح -تيسيراً- زواجاً للإحصان الجنسيّ عن الميل العظيم يُدعى زواج ملك اليمين، ومن أنواعه كلّ زواج غرضُه الإحصان الجنسي فقط ضدّ هجمة ميل الشهوات، سمّيناه مسياراً أم مؤقّتاً أو غيره، فقال بعده (**فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ**)(النساء: ٢٥)، فلو كان العذاب رجم قتل، لما كان من معنى لنصف قتل، الرجم ليس بعذاب بل هو قتل، والعذاب إنّما يُبقي صاحبه حيًّا، ولا نجد تفسيراً "للعذاب" إلاّ في آية الجلد إذ يقول سبحانه (**الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ <u>عَذَابَهُمَا</u> طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**)(النور:٢)، ولذلك هُدِّدت أمّهات

المؤمنين –حاشاهنّ- بضعف العذاب إن أتين بفاحشة مبيّنة **(يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً)**(الأحزاب:٣٠)، أي مائتي جلدة، ولا معنى لرجمتيْن اثنتين!

بل أنّ القرآن ذهب بعيداً ليُؤكّد على بقاء حياة الزاني والزانية المشهورين في تشريعه عدم زواج المؤمنين والمؤمنات منهما **(الزَّانِي لا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ)**(النور:٣)، ومع زنا الطليقة المعتدّة أو المتوفّى زوجها تُخرج من مسكن الزوجية، وهذا يُناقض كونها تُرجم، وبإعطاء فرصة للتوبة والإصلاح، بقوله تعقيباً على الزنا **(إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً)**(الفرقان:٧٠)!

(وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ)(النساء:٢٦) فما هي سُنن الذين من قبلنا التي يُريد سبحانه أنْ يهدينا إليها؟ إنّه الزواج الذي يكوّن أسرة، الذي بدأ بآدم وانطلق المعلّمون به في كلّ الحضارات، لا نكاح السفاح ولا العشواء ولا الإباحيّة ولا حتّى المبالغة في نكاح ملك اليمين إلاّ بداعٍ إنسانيّ وإحصانيّ لا بهيميّ.

هذا الأمر بدأ بآدم حين اصطفاه سبحانه لحوّاء واصطفاها له، فكان أوّل زواج إنسانيّ-شرعيّ في محيط البشر لتكوين الأسرة الإنسانيّة بأمر الله، خالف هذه الشريعة كثيرون، ومن أوائل من

خالفها يوماً ما فردٌ يُدعى قابيل (خرج عن سمت أبيه آدم الرسـول)، ولم يكن من المتّقين، التقوى التي كانت تعني بعد التوحيد إذّاك إلاّ هذا الشأن لا أكثر وهو حفظ تعاليم الأسرة، ومن فشل في حفـظ تعـاليم أسرة كيف سيحفظ تعاليم مجتمع لو تزعّمه، فتُقبّل من أخيـه قُربانـه بسيادة المجتمع ولمْ يُتقبّل منه، فعالج أخاه بالقتل، الفاحشة الأكبر.

ثمّ سرت هذه الشريعة المطهِّرة في السلالة الآدميّة التي أقـسم بها سبحانه **(وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ)**(البلد:٣)، إلى نوح (ع) بقوله **(اغْفِـرْ لِـي وَلِوَالِدَيَّ)**(نـوح:٢٨)، ثمّ إبراهيم (ع) بالعبارة نفسها[1]، وشدّد وتوعّد على المحافظة عليها والإنذار بهلاك من يُخالفها ومثّل لهذه الشريعة بحمل زوجين اثنين من كلّ من معه من الحيوان المستأنس، وكان البـاقون نكاحُهم إباحياً مشاعاً، لذلك ندرك المرارة حين صرخ نوح **(وَنَـادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي)**(هود: ٤٥)، أي من نتاج شـريعة حلال، لكنّ ابنه كان نفسُه من منتهكي هذه الشريعة وإباحيّـاً، فأُهلـك مع من أُهلك من مُتعاطي الفجور بعد الإنذار.

ومع أنّ البشر في هذا الجزء من المعمورة قبل ٥٠٠٠ عام قد أُغرقوا لخطيئاتهم وتطهّرت السلالة الآدميّة من شرك إبليس الهمجيّ، إلاّ أنّ الإنسان سرعان ما عاد إلى حيونته، هكذا أخبر سبحانه نوحـاً بعد انحسار الطوفان وبقاء الصفوة في المنطقـة الجغرافيـة لمنبـع الرسالات، التي هي **(ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)**(الإسراء: ٣): **(قِيـلَ يَـا**

---

[1] – سورة إبراهيم آية: ٤١.

نُوحُ اهْبِطْ بِسَلامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ)(هود: ٤٨)، فالكثير من الأمم ستأتي سفاحاً لا نكاحاً، وما بزغ نجم النبيّ الخاتَم (ص) إلاّ كان كثيرٌ من العرب كذلك بفعل منحرفيّ اليهود، كان فيهم الأدعياء وكان الزنا دارجاً، أمّا يومنا الحاضر فشاهدٌ حاضرٌ، ويكاد يُصبِح السائد!

لمْ يكن هذا العمل قبل التعليم الإلهيّ يُدعى (فجوراً) بل كان طبيعياً لأيّ مجتمع غريزي يريد أنْ يُحافظ على سلالته وبقاء نوعه مع كثرة دواعي التهديد بالانقراض كما كان حال الإنسان الهمجيّ في بداياته، لكن مع وضع تعاليم الأسرة، كما قالت إيزيس في مصر، وكما فعل قدموس في اليونان، ومع التعليم والتعقّل والإنذار المُتدرِّج، صار الطبيعيّ الغرائزي مقنّناً وممنوعاً ثُمّ فجوراً، "فالعمل غير الصالح" الذي وُسم به ابنُ نوح هو العلاقة خارج الأطر الشرعية، خارج السُنن المهداة، لذلك كانت –في القرآن– الصالحات هنّ القانتات لأزواجهنّ والعاكفات عليه حصراً، والناشزات هنّ القافزات على هذا النّظام بالتطلّع إلى غير أزواجهنّ والخروج من جنّة الزوجية إلى المشاعية والتبرّج[1].

---

[1] – هذا مُستوحى من تفسيرنا بناءً على النظام القرآني لآية **(الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيّاً كَبِيراً)**(النساء:٣٤)، وهي آية لحفظ الأسرة وفقاً لهذه القيَم العليّة، حُرِفتْ عن معناها لتُظلَم بها المرأة بالخصوص، فخرَج تفسير آخر ذكوريّ لمفاهيم منها ما أنزل الله بها من سلطان وسادت قروناً إلى الآن كأنّما هي الدين، مثل: (القِوامة) (تفضيل

وحتّى في أسوأ الحالات، لدى البابليّين، من أجل إقامة أسرة (بيت زوجيّة)، ووجود حالات عقم في الرجل أو المرأة، فقد أجاز المشرّعون أموراً كالتي يُحاولها اليوم بعض فقهاء التيسير على البشريّة، فإذا كان الزوج عقيماً، أُبيح للزوجة أن تخرج إلى المعبد وعرّضت نفسها وهي مستورة مجهولة الهويّة، لطلب ماء الفحل لتحمل.

ومن الغريب أنّ مترجمي ألواح البابليّين وهم يصنّفون خدَمة المعابد، يمرّون بصنف يُسمّى "زينشات زكرم" (**sinnishat zikrum**) لا يعلمون ما هو، فيفسّرونه:

"the female male, who dresses as man among the priestesses"[1]

زي– نيشات زِكْرَم: الرجل الأنثى الذي يلبس كرجل بين الكاهنات!!

وكما ترى، فهو تعريف لا معنى له، ولو أرجعوا الأساطير لعربيّتها ضمن لهجاتها السريانية، وعرفوا نوعيّة الثقافة الإنسانيّة السائدة وفق سياقات المجتمع، لأصابوا الكثير الذي إلى اليوم يتوهون فيه ويُفسّرونه حسب تخميناتهم ويُخطئون، كما خمّن بعضُهم هنا أنّ "ذكر النساء" أعلاه إمّا يعني كاهن خنثى، أو كاهنات سحاقيّات!! أي

الرجال) (النفقة) (صلاح الزوجة) (نشوز الزوجة) (ضرب المرأة) (طاعة الزوجة لزوجها) (بيت الطاعة)، وكلُّها مفاهيم شاذّة منحرفة عن الآية ومنطوقها!

[1] - **http://www.geocities.com/SoHo/Lofts/2938/magic2workers.html.**

أنّهم رموا ذلك المجتمع بأمراضهم العصريّة وشـذوذاتهم وألاعيـبهم الجنسية وهوسهم بها!

فالعبارة (زي–نيشات زِكْرَم[1]) ذكَر النساء، لعلّه ما قصدناه بالذكر الفحل الذي يُستعمل سائلُه المنويّ في المعابِد كاستثناء يحفظ بيت الزوجيّة والذرّية للنساء عقيمي الأزواج، ممّن يرغبن بـضراوة في الإنجاب، ويُقابله اليوم (بنك الحيوانات المنويّة) وليس كما ذهبـوا إليه، إذ كان هذا أحد الحلول لطلب الولد والحفاظ على استمرار النسل وحفظ النوع الإنساني، وهذا الأمر أوقف مع شـريعة إبـراهيم (ع)، ويُقابله عقم الزوجة عن الإنجاب أو تأخّرها فكانت تلـتمس "جاريـة" وتزوّجها لزوجها لتأتي بالولد له ولها منها، كما فعلت سارة بتـزويج هاجر لإبراهيم (ع) وكذلك فعلتْ راحيل زوجة يعقوب بجاريتها "بلها" **(فأعطتْه "بلْها" جاريتها زوجة ... فدخل عليها يعقوب، فحبلت "بلها" وولدت ليعقوب ... لذلك دعتْ اسمَه دان)**(التكوين٣٠: ٤-٦).

حافظ على هذه السنّة الحكيمة في ثبوت أبوين زوجيْن، وثبوت الذرّية والنسب، إبراهيم (ع) بخلوص بعولته مع فقده الذرّيـة حتّـى شاخ، ثمّ دعائه **(ومـن ذرّيتـي)** فأجابـه ربّـه **(لا ينـالُ عهـدي الظالمين)**(البقـرة: ١٢٤)، وأوّل ظلْم بعد الشرك هو الزنا لأنّه يقع علـى النسل، ولأنّ عدم الخروج عن قانون الزوجية أوّل عهـد عهـده الله

---

[1] – هي عربية عامية (لهجة سريانية) (زي–نيشات زِكْرَم: زي هي ذي أداة التعريف، حيث ذال هي زاي. نيشات: هي نسوة، حيث السين شين (سمير عبده، **السريانيّة العربيّة**، ص٨٧). زكرم: الذكر. مجموع العبارة = ذكر النساء.

للإنسانية **(ولقدْ عهدْنا إلى آدم من قبل)**(طه: ١١٥)، و"**الظالمون**" بدأت منذ آدم بقربه الشجرة **(فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ)**(البقرة ٣٥)، مروراً بابن آدم الرسول قابيل[1] وقوم نوح الذي نودي عليهم **(بُعداً للقوم الظالمين)**(هود: ٤٤)، فاندثروا إلى ما بعدهم كما أسلفنا، لذلك تجد الأنبياء كلّهم يُولون أهميّة النسل والذرّية التي منهم وعدم تلوّثها بالشرك الإباحي الشيطاني[2]، وحافظ على تلك السنّة يعقوب-من بعد آبائه إبراهيم وإسماعيل وإسحاق- حتّى نهاية عمره حين أكرمه ابنُه يوسف **(وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ)**(يوسف:١٠٠)، ويوسف في عدم صبوته للنساء وصرف الفاحشة عنه، وزكريا في دعوته لإصلاح زوجه، وكان فرعون ممن يستحيي نساء المؤمنين بهذه الشريعة، فجاء موسى وحرّر بني إسرائيل والمؤمنين منه، ثمّ أزاح سبحانه العذاب الاستئصالي عن متعاطي هذا العمل، بالشريعة المكتوبة بأمر "**لا تزنِ**" وبعقوبة الزاني بالجلد أو ربّما تغليظاً فقط على اليهود في مرحلةٍ ما بالرجم للزاني أو كما يبدو للمغتصِب.

عيسى (ع) أيضاً خرج بهذا وبالغ بأنْ حرّم زنا العيون أيضاً[3]، وكانت النساء هنّ اللواتي يُضرب عليهنّ حجاب العفّة

---

[1] - سورة المائدة ٢٩ في قول أخيه هابيل له **(وذلك جزاءُ الظالمين)**.

[2] - نوح قال سبحانه "**وجعلنا ذريته هم الباقين**" إبراهيم "**وبشرناه بإسحاق ويعقوب**"، "**بغلام عليم**" وهو إسحاق، "**بغلام حليم**" وهو إسماعيل إذ إنشاء السلالة العربية في جوف الجزيرة بوادٍ غير ذي زرع يحتاج إلى صبر وحلم أكثر من العلم، وقد جُمع الحلم والعلم لمحمد (ص)، وأمر الذرّية تكرّر مع لوط، يعقوب، امرأة عمران، زكريا، ...

[3] - **(قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لاَ تَزْنِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ**

والتشدّد تأصيلاً لهذه القيمة في المجتمع الإنساني لصيانته في هذا الاتّجاه الذي هو منطلق الإنسانيّة، ليكون ثمّة أب وأم وأخ وأخت وابن وابنة، وليكون من **(ذَكَرٍ وَأُنْثَى)**(الحجرات:١٣)، لا ذكر وإناث، ولا ذكور وأنثى، شعوبا وقبائل ليتعارفوا، وليخرج نسلٌ كريم متّقٍ.

شرائع الله كانت بسيطة وواضحة في هذه المسألة، ربّما جاءت شريعة كاملة تعتني بهذه المسألة فقط بعد الدعوة للتوحيد، وإنّ مفهوم قدسيّة الأسرة، من والدين وأبناء، هو المفهوم الديني الثاني بعد توحيد الله سبحانه في مواثيقه لأمم بدايات الإنسانيّة، اقرأ قوله سبحانه **(وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرائيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)**(البقرة: ٨٣)، لذلك ليس عجيباً أنْ تجد في تلك الفترة أنّ بني إسرائيل (أبناء يعقوب) هم العرق الأصيل يومها فيمن حواليْهم، أو شعب الله المختار آنئذٍ، أو أبناء الله، أو المفضّلون على العالمين، وتكون ديانتهم عرقية وقومية، فبهذا الاعتبار، ولهذه الخاصّية الفُضلى جاء مصطلح "بني إسرائيل" القرآنية، لتشير إلى حقبة جديدة بصحّة الانتساب الإنساني، وإنْ كانت بدأت تباشيرها منذ آدم ثمّ نوح وحضارات السريان في العراق والشام ومصر (السومريين والفينيق)، فقال تعالى عن "بني إسرائيل": **(يَا بَنِي إِسْرائيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(البقرة:١٢٢) وأيضاً **(وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ)**(الدخان:٣٢)، لكنّ الله سبحانه مع

لِيَشْتَهِيَهَا فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ)(متّى ٥: ٢٧-٢٨).

اختياره بني إسرائيل لتمثيل هذا النهج السويّ في أرض الجزيرة العربيّة هي ملتقى قوافل الحضارات والشعوب لنشره في البشرية، يُخبر في سورة الدخان أيضاً أنّ فرعون ضربهم في صميم هذا الاعتقاد حين استحيا نساءهم وأبقاهم دون الرجال، الأمر الذي سمّاه سبحانه "عذاب مُهين" **(وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرائيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ)**(الدخان:٣٠)، ويبدو أنّ أبشع أسلوب لتعذيب المؤمن ذي الشرف المصون على يد عادٍ لا وازع له من دين ومن قانون هو تدنيس العرض والشرف أو ما يُسمّى بالعار، لذلك تجد سلاح الاغتصاب هو السلاح الدارج الذي تعمد له الغزاة الهمج للتنكيل بأعدائهم الشرفاء نسباً وديناً، انظر ماذا فعل جيش يزيد بن معاوية في حرائر موقعة الحرّة، وماذا فعل الصرب في مسلمات البوسنة والهرسك، وماذا فعل فرعون في نساء بني إسرائيل، وماذا فعل الحكام الذين استضعفوهم فيما بعد أيضاً حتّى ضجّوا إلى الله مع محبّتهم للحياة أنْ يبعث ملكاً يقاتلون معه يستنقذهم من هذا الواقع المهين الذي خلط الأنساب فيهم وأخرج الأبناء لا من صلب الآباء بل من الأمّهات فقط حتّى أفصحوا قائلين: **(وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)**(البقرة: ٢٤٦)، فالإخراج من الديار معلومٌ، وهو التهجير والشتات (الشيء الذي انعكس اليوم ليمارسه الصهاينة على الفلسطينيّين)، أمّا إخراج الآباء من أبنائهم، فليس بطرد الآباء وتفريقهم عنهم لأنّ هناك نساءً أمّهات وأزواجاً أيضاً هم أولى بالذكْر ليُقال مثلاً (أُخرجنا من ديارنا وأهلنا) ليعمّ الزوجات مع الأبناء،

وليس هو بأخذ الأبناء واستعبادهم فهذا (إخراج الأبناء عن الآبـاء) لا العكس، فما هو إخراج الآباء من أبنائهم؟

هو أحد أمرين يقوم بـه الطـاغوت دائمـاً لإدامـة وجـوده، بالسيطرة على الجيل الجديد الشاب بدفع الفتيات والنـساء لممارسـة الرذائل والإباحة (استحياء النساء) أي إبقاءهم أحياءً، ليكونـوا رهـن الخدمة والحاجة، أو برمجة شبابهم للتفسّخ الأخلاقـي عبـر الثقافـة الإعلاميّة الرخيصة، فينشأ جيلٌ ليس له ارتبـاط بالآبـاء الملتـزمين بالشريعة الربّانية، شريعة الأسرة.

فحين تُغتصب النساء أو تُحوَج لتدعر وتعهر فلا نعلـم صـحّة انتساب الابن لأبيه، فقد أخرجنا الأب بيولوجيا من دوره في الإتيـان بأبنائه.

وحين يُربّى الابن على ثقافة خليعة تُحفّـز الـشقاء والعقـوق والتمرّد على التعاليم والعصيان، فقد أخرجنا الأب اجتماعياً من دوره في تربية أبنائه.

لذلك ما آمن مع موسى من قومه إلاّ ذرّية أصـيلة، والبـاقون أُهلك بعضُهم مع فرعون وآخرون بعده كقارون وأصـحاب العجـل وغيرهم.

فالمجتمع اليهودي الذي خرج عليه عيسى (ع) كان منفلتـا بنكاح العشواء إلى حدّه، حيث لمْ تكن اليهوديّة إلاّ ديانة قومية، خاصة بهم بالمؤمنين منهم بها، بل أكثرهم كانوا فاسقين عنها، حتّى كُهّـانهم

كانوا يزنون في أقدس أقداس مواضع العبادة بشهادة نصوص التوراة، وكانوا يعبدون عبادات الخصب الشركيّة القديمة مثل "بعل" و"عشتار ملكة السماء"[1]، وهم الذين نشروا في الأرض المقدّسة (مكّة) الزنا والعهر وتجارة الرقيق والخمور، لذلك كانت صيانة مريم نفسها وإحصان فرجها بُطولةٌ إنسانيّة وصلابة فطريّة وعفاف[2] وتصديق بكتب ربّها (في الحلال والحرام وتقوى السلوك) في وقت قد تفسّخ فيه الجميع (حتّى ابتكر الرجال حزام العفّة ليُضرب على حليلاتهم)، ومن فرط تقواها استعاذت (ع) من ملاك الربّ الطاهر، روح القدس الذي حلّ على العذراء، الذي يظنّه المسيحيّون الإله المتجسّد، الملاك المتمثّل لها بشراً سويّاً، استعاذت منه إنْ كان تقيا، والتقي هو الذي لا يزني، الذي لا يُباشر غير خليلته.

فكما ورَد عن المسيحيّين أنّ عيسى جاء ليرفع عن الناس خطيئة آدم، فإنّما هي الخطيئة الأولى لآدم الأول لا آدم الرسول المعصوم، وهي معاشرة غير الزوجة وتكوين الذرّية بطريق غير

---

[1] – أمّا بعد رحيل موسى (ع) مباشرة، فيقول التوراة: (**وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ، وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلَهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ.**)(القضاة ٢: ١١–١٣)، وأمّا قبل مجيء عيسى (ع) فيقول الربّ عنهم: (**الأَبْنَاءُ يَلْتَقِطُونَ حَطَباً وَالآبَاءُ يُوقِدُونَ النَّارَ وَالنِّسَاءُ يَعْجِنَّ الْعَجِينَ لِيَصْنَعْنَ كَعْكاً لِمَلِكَةِ السَّمَاوَاتِ وَلِسَكْبِ سَكَائِبَ لِآلِهَةٍ أُخْرَى لِيُغِيظُونِي**)(إرميا ٧: ١٨)!!

[2] – (**وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**)(التحريم:١٢).

شرع الفطرة الإنسانيّة، خرج عيسى (ع) إلى الخاطئين والآثمين ليُعيد هذه الوصية وليجعل الجميع "أبناء الله" الشرعيّين، حينما كان اليهود على ادّعاء أنّهم وحدهم "أبناء الله"، وأبناء الله تعني -ما قبل الغلوّ والتحريف- أنّهم جاءوا بنكاح كما أمر الله، أبناء شرعيّين، وأنّهم شعبٌ اصطفاه الله وطهّره من هذه اللوثة البشرية البهيمية ليعرج به إلى حضارة الإنسان، أمّا الباقون ممّن حولهم فهم أبناء الناس، حيث لا يُعرف للمرء أب، إلاّ أمّه، فلذلك كان الباقون في عرف اليهود حينئذٍ أمّيين بالمعنى القاذع[1]، يُنسبون لأمّهاتهم فقط، وخالون من كتاب إلهي يُعرّفهم البنوّة المرضيّة إلهيًا كيف تكون ليصبحوا أبناء السماء، أبناء الله، أبناء شرعيّين، ما شئتَ أنْ تُعبّر، بل يُسمّون "الأميين" "غوييم" والكلمة أصلها عربي، والميم الأخيرة أحياناً للتعريف وأحياناً للجمع فقد تعني جمع "غيّ" وهو عربياً ابن غير شرعي، (أو الغاوين، أي عن شرعة السماء، فليسوا بأهل كتاب). ويكتبونها (غوي غوي)، (ولدينا حالياً مصطلح عامّي يُحاكيه صوتاً للذي حرّف الغين الحلقية هاء "هُويْ هُوي" أي لا يلتزم بشريعة)، فالغي أي الضلالة عن طريقة الرشد في أيّ مجال، فإن كان الأمر نكاحاً فغيُّه الزنا، هذا ما احتجّوا به على مريم المؤمنة، فأبوها ليس من الناس المشاعين، ليس امرأ سوْء، وأمّها ليست كذلك أيضاً لتكون بغياً، غير أنّ المفارقة أنّ

[1] – المعنى القرآني اللطيف للأمّيين، أنّهم أهل مكّة، من أبناء إسماعيل، وتوصيفهم بذلك يُوحي بأمرين؛ أنّهم قُطّان (أمّ القرى) وحاضرتهنّ وعاصمتهنّ وهي مكّة، وثانياً أنّهم بلا كتاب سماوي سابق.

من جاء ليُطهّر الناس قد رمي وأُمّه بالفاحشة، رموه بما هو منتشرٌ فيهم من فساد، ربّما ليُدينهم الله جهاراً بأنْ ليس منهم "رجلٌ رشيد" صفيّ"[1]، يستحقّ أن يكون أباً لعيسى (ع)، فكان ملاك السماء المتمثّل هو أباه، وظلّ بلا أبٍ بشريّ (بيولوجي) منسوباً إلى أمّه فقط "عيسى بن مريم"!

أمّا باقي عرب المنطقة المكّية –الذين هم من نسل إسماعيل الذي أتى لهم بهذه السنّة تأكيداً على شرائع من مضى– فهم حنفاء على شريعة أبيهم إبراهيم (ع) ثُمّ ضلّ منهم من ضل، وبُعث محمد (ص) من البيت الهاشمي المصفّى فيهم، ليجعل الإحصان والزواج من سننه والسفاح من عقوبته وإهانته، بهذا تفهم أحد أسباب تعدّد زيجاته والتعدّدية التي أتى بها مقنّنة ومضبوطة، وليقطع نهاية هذا الشريط قطعاً أبدياً في العقول والتشريع وإنْ لن يُقطع من النفس البشرية الزائغة لذلك هدّد وخوّف ورغّب وكشف حقيقة غوائل مخالفة الفطرة الإنسانيّة بقوله (ص): **(ما ظهرتْ الفاحشةُ في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم)**[2] فلما أعلنت أوروبا وأمريكا إباحة الشذوذ وإباحة الزنا

---

[1] – مع ملاحظة أنّ زكريا النبيّ (ع) كان زوج أختها الأكبر منها (إليزابيث ابنة عمران) أم يحيى (ع)، وشريعة التوراة كما القرآن لا تجمع زواجاً بين الأختين **(وَلا تَأْخُذِ امْرَأَةً عَلَى أُخْتِهَا لِلضِّرِّ لِتَكْشِفَ عَوْرَتَهَا مَعَهَا فِي حَيَاتِهَا)**(سفر اللاويّين ١٨: ١٨).

[2] – المتّقي الهندي، **كنز العمّال**، ج١٦، ص٣٠.

والفجور بأشكاله، ما إن أعلنوا هذا وأذاعوا به حتى ظهرت بعد ذلك بأعوام هذه الأمراض الجنسية الفتّاكة التي تهز كيانهم هزاً.

فعل ذلك (ص) إطلاقا لحضارة الإنسان عن مهابطها البشريّة الحيوانية، وليقول أن الزواج الإنسانيّ من سنته ومن يرغب عن ذلك فليس منه، وليجلد الزاني ويُحرّم إقامة بيت زوجيّة معه من المؤمنين، وليحبس النساء الممتهنات للفاحشة (زنا أو سحاق) في البيوت حتى يتوفاهن الموت قبل تقنين العقوبات المدنيّة المناسبة، ويستأصل شأفة أيّ فجور كاللّواط ومعاشرة البهائم التي ما جاءت شريعة ربّانية إلاّ وحرّمتها وقبّحتها، كلّ ذلك ليحكم بالموت على هذه العادات البشرية أو الانحرافيّة التي آن أوان رفعها عن كاهل الإنسانيّة لترقى عن مسافِل الشهوات إلى وعي الربوبيّة والخلافة، وليُرسي (ص) حدود الله في تكوين الأسر ويُرسِّخ كتاب محارم النّكاح، وليحرم على المؤمنين الزواج من الزانية ومن المشركة (سواء المشركة بالله التي لا ترى بأساً من تجاوز حدود العفة الدينيّة، أو المشركة للرجال في نفسها، فبهذا فإنّ مفردة "الزانية" هنا هي للكتابية المؤمنة (أي التي تعلم بالشريعة وذات دين ربّاني) و"المشركة" هي التي بغير قانون أو شرع يحدّها فهي كالبهيمة في السفاد لا تتأبى عن أحد)، فبعد التشديد في نواميس التربية والعقوبات هذه، أتت آية الجلد تُنهي عقوبة الرجم أنّى كان مُسوِّغها، كتتويج خاتم يُعلن إبادة تلك العادة، كقانون عقابيّ حارس لا أكثر.

فقد استقرّ في كلّ العالم المتحضّر زواج الأسرة الواحدة، ومُنعت التعددية (الشرْكة) الزوجية إلا بعد وفاة أحد الزوجين (الشريكين) أو طلاقهما، أو أُجيزت أخرى للرجل بدافع إنساني أو أخلاقي أو مصلحة اجتماعية إنسانيّة، لا بدافع غريزي أو حيواني، وثبتت المحارم وأُنكر الزنا وغيره من شذوذ، ودخل القاموس مقت الفاحشة لدى الجميع، فالمخالف ذنبه على جنبه. ولم يعد في العالمين أمّيّ، بل الجميع أهل كتاب سابق أو خاتم. وسقط مفهوم "المشرك والمشركة" واستقرّ بدلاً عنه المفهوم "الكتابي-الشرعيّ" الأرقى منه وهو "الزاني والزانية".

وبهذا نفهم بوضوح وانسجام قوله تعالى في سورة آل عمران **(إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ* ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ* إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ* فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ)**(آل عمران: ٣٣ - ٣٦) وكيف كان للشيطان شرك في أبناء آدم في وعده المغرور بمحضر ربّه.

ولاحظ كيف كان الرجم عقوبة من يُنادي ويتحلّى بالعفّة فأوشكوا أن يرجموا نوحاً، فعكس نقمةً على من يُنادي ويفعل فجوراً ضدّ العفّة، حين استتبّت شرعتُه في بني إسرائيل.

ونفهم قوله في سورة الحديد: **(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ* ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)**(الحديد: ٢٦، ٢٧)، نفهم لمَ جُعل النبوّة والكتاب في الذراري الطيّبة، ولماذا سُوّغ ظهور الرهبنة التي هي احتياط أشدّ عن هذا المزلق بتربية ورياضة تفوق ما جاء به الشرع، أسوةً بيحيى (ع) أو "يوحنا المعمدان" الذي كان سيّداً حصوراً عن النّساء وتمثّلاً بعيسى (ع) أيضاً حيث خلا من الصاحبة.

ولقد ترك التاريخ الحضاري لنا بصمةً ومعلماً، في اللّغات نفسها، لا في تسميات عناصر الأسرة كما قدّمنا آنفاً فحسب، بل حتّى في أسماء أشخاص أناسِه، حيث أضاف لمُعلّميهم ومبجّليهم ومصطفيهم (سين) القداسة، إبقاءً على طراوة الخارطة الحقيقيّة المرادة، بأن يكون الإنسان من (ذريّة سين)، أي من أهل البيت المتطهّرين بفطرتهم من الرجس[1]، الخارطة التي استمرّت معالمُها منذ آدم وحوّاء دونما اندراس، كما قد بيّنت أساطير بابل وسومر أنّه مع خلق حوّاء (واسمُها لديهم ننليل) تمّ **(زرع بذرة الإله سين)**[2] فيها،

---

1 – **(إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً)**(الأحزاب:٣٣).

2 – صمويل كريمر، **من ألواح سومر**، ص١٦٥.

وهو رمز معناه نفخ روح الربّ، وقالت حوّاء (ننليل) فـــي أســطورة (إنليل وننليل Enlil & Ninlil) السومريّة (**إنّ نطفة "سين"، الذرّيــة الزاهرة في رحمـــي**)[1]، وفي أسطورة أخرى عن (بذرة "سين Suen/"سين") أنّه هو نور القمر[2]، حيث كان السومريّون يُعبِّرون عن (نــور الله) (بنور القمر) لأنّه نورٌ خفيّ وبارد وجميل، و(سين)، التــي هــي (سنا) أي النور الإلهي، ومنها جاءت تسمية الشمس المنيــرة غربــاً (سن Sun)، ومنها سُمّي جبل النور (طور سينا) وبتــصغيره (طــور سينين)، وهي التي ظلّت لتعني (سين) القداســة، صــارتْ تُــضاف لأسماء الأشخاص المقدّسين والأماكن المقدّسة كأنّما حقّها الانتــسابُ إلى (سين) أي إلى النور الإلهيّ أي الروح، فميّزوا أعيانَ الناس بهذه (السين) في أسمائها لتعني أنّهم ممثّلو الله سبحانه، وأبنــاءُ شــرعيّون للرّوح الأعلى، أبناء الله، أي أنّهم ذرّية شرعيّة على الفطــرة، فنجــد إضافة المقطع الصوتي (س S) أو (سين Sin) أو (ســن Son) إلــى الأسماء: (جورج =جورجيس)، (جوليو=جوليوس/يوليوس)، (إليــا = إلياس أو إلياسين)، (ستيفن وهــي مــن الاصــطفاء = ســتيفنس أو ستيفنــسن)، (أوگــست (August) وتعنـــي (القاســـط = just) = أوگسستوس (Augustus)(أغــسطس)) .. الــخ ، وقــام الإغريــق واليونان بعدئذٍ يُضيفونها إلى نهاية أسمائهم اعتباطاً، أكانوا مقدّســين من ذرّية سين (أي شرعيّين ومبجّلين) أم غير ذلك!

---

[1] – رينيه لابات، **سلسلة الأساطير السورية**– ديانات الشرق الأوسط، ص١٦٨.

[2] – صامويل كرايمر، **من ألواح سومر**، ص ١٦٣.

هذه الذرّية الطاهرة، (ذرّية سين) ذرّيـــة الفطـــرة، المتّـــصلة بالروح، الذرّية الإلهيّة، هي التي أشار إليها سبحانه حين سمّى نبيّـــه (إيليّا Elijah) والذي معناه (إيل + يا) المنسوب لإيل (وإيل هو الله)، المُصغي لنداء (يا) الإلهيّ، والمستجيب لنداء الله بفطرته فـــي نفـــسِه بدون نار قادحة خارجيّة إضافيّة[1]، أي هو (الرجل الإلهـــيّ)، فـــسمّى القرآن (إليا) = (إلياس) مُضافاً إلى (سين) القدس، الذي قـــال لقومِـــه **(أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ)**(الـــصافات:١٢٥)، وهـــذه الآيـــة تُكافئ النصّ التوراتي **(فَتَقَدَّمَ إِيلِيَّا إِلَى جَمِيعِ الشَّعْبِ وَقَالَ: [حَتَّى مَتَى تَعْرُجُونَ بَيْنَ الْفِرْقَتَيْنِ؟ إِنْ كَانَ الرَّبُّ هُوَ اللَّهَ فَـــاتَّبِعُوهُ، وَإِنْ كَـــانَ الْبَعْلُ فَاتَّبِعُوهُ]. فَلَمْ يُجِبْهُ الشَّعْبُ بِكَلِمَةٍ)**(سفر الملوك الأول ١٨: ٢١)، ثمّ ختم القرآن قصّة إليا/إلياس بالسلام عليه بقوله: **(سَلامٌ عَلَـــى إِلْ يَاسِـــينَ)**(الصافات:١٣٠)، فصار لدينا ثلاثة دلالات لهذا النبـــيّ الكـــريم: (إليـــا) (إلياس) (إلياسين)، وهي تُقرأ مـــن الجهتـــين (إل + يـــا + ســـين = إلياسين) وهي نفسها (إليا + س = إلياس)، وهي نفسها (إل + يـــا = إيليا)، وتعني الإنسان الذي أصغى للنداء الداخلي، والمنتـــسب للنـــور الإلهي، آل الله، وهي التي خاطب بها نبيّه الطاهر المـــصطفى (ص) (يس = يا سين)[2]، و(طس = طا سين)[3].

---

[1] – هذا ما مثّله الله لنوره في قلب عبده سويّ الفطرة **(يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَـسْهُ نَـارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ)**(النور: ٣٥).

2 – **(يس، وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ)**(يس:١-٢).

3 – **(طس تِلْكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ)**(النمل:١).

ثالثاً- محور قصّة آدم

لقد كان محور قصّة آدم كلّها هو الذّرية الآدمية التي ستخلف الأرض أترقى إلى إنسانيّتها أو تخلد إلى بشريّتها، أتعمل وفق البرمجة الإلهيّة الجديدة العُليا "**شاكراً**" (الفطرة الإنسانيّة) أو تخضع للبرمجة القديمة السفلى "**كفوراً**" (الغريزة البشريّة)، الذرّية هي (شجرة الخلد) التي أغرى الشيطان آدمنا الأوّل بتكوينها على عجل، وما زال الشيطان يدعونا لتكوينها مع كلّ معاشرة قائمة لا على حبّ ووعيٍ بل على غريزة محضة وشهوة مادّة، الذرّية هي التي توعّد الشيطان باحتناكها **(قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلاً)**(الإسراء:٦٢)، وهي التي لأجلها أُمِر أوّل ذكور الإنسان "آدم" بالسكن واللّبث في جنّته **(وَيَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ)**(الأعراف:١٩)، وأمرنا سبحانه الآن كزوجاتٍ بالاستقرار البيتي **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ)**(الأحزاب:٣٣)، لتكوين هذه الأسرة وفق شريعته والمرابطة على حياطتها **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً)**(التحريم:٦).

أوّل واجباته بعد توحيده كان، الإحسان للوالدين، رعاية لقيمة الأسرة الإنسانيّة: **(وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً)**(الإسراء:٢٣) كرّر مضمونها في كتابه أربع مرّات، وأوّل حرماته بعد الشرك به وقتل النفس هو الزنا الذي يهتك قيَم الأسرة **(وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ**

اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ)(الفرقـان:٦٨)، وقد بيّنّا أنّ هذه القيَم موجـودة في كلّ الأديان والشرائع وكلّ المعلّمين دعوا إليها، منذ انطلقت أولى بعثات الرسل السريان، وجدناها لدى أساطير سومر في سيطرة شريعة إيل على شريعة عشتار، ووجدناها لدى أنبياء وحكماء مثل بوذا وكريشنا شرقاً، وأوزوريس وحورس غرباً، ولم تقم الإنسانيّة إلاّ على الأسرة، وأيّ انتهاك لها هو انتهاك لقانون الإنسانيّة نفسِه وتكرار لخطأ آدم الأوّل الذي قبّع الإنسانيّة في هجعتها الهمجيّة آلافاً من السنين، وإنّنا لنرى مظاهر هتك الأسر لائحة، والرجوع إلى الجاهلية الأولى رائجة، فكم في العالَم الملايين من أبناء غير شرعيّين، وكم ملايين حالات خيانة زوجية، وكم من علاقة جنسية غير قائمة على الحبّ والزواج بل على هوى عابر وابتذال رخيص، بل كم من شذوذ عن الطبيعة، ويُقنّن ويفشو ولا يُؤبَه لإنكاره؟!

لقد اعتنى سبحانه بالذرّية الشرعية إلى الحدّ الذي أقام على تبعاتها معالِم يومه الآخر أيضاً (**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**)(الطور:٢١)، (**قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)(الزمر:١٥).

كانتْ البشرية الأولى التي خرجتْ أفواجاً رجالاً ونساءً من طين الأرض كما يخرج النبات، لا علاقة نسبيّة بين أفرادها، كشعرات الرأس، مفتقدة لمعاني الرحمة والنسب والتعاطف بالمرّة، ثمّ في حقبة أن صار البشر يتكاثر عبر مائه المهين في أرحام إناثه، في

طوره البشري الهمجي، ظلّت العلاقة منكفئة بين الأمّ وأبنائها في تجمّعات أموميّة، أمّا الرجل فكان جائلاً يحتفظ بقطيعه من النساء وتتصارع فحوله عليها.

لكن حين بزغ الطور الإنساني من البشرية قيل للرجل (**اسكنْ أنت وزوجك**) فصار بيت الزوجيّة، وتأسّست محارم النسب، ثمّ التصاهر (الانصهار بين بيتيْن) وهذا معنى قولِه تعالى (**وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً**)(الفرقان:٥٤)، فخلْقُ مولودنا البشريّ يومنا وضخّه في هذا العالَم ينبغي أن ينحكم بقانون النسب (قانون الأسرة) أي له أب وأمّ وأخ وأخت، فلا تسقط هذه المفاهيم والقيم بظنّ أنّها قيَمٌ (برجوازيّة) موهومةٌ اخترعها الدين، بل هي لبٌّ الإنسانيّة ودرعها الأخير ضدّ الاستباحة التي تُسقط الرحم والتراحم، كانت العرب تحقن دماءها المصاهرةُ والتناسب، لأنّ الأرحام تبعث الرحمة، الرضاعة الطبيعيّة تبعث الرحمة والصحّة النفسية، التنشئة الأبويّة والرعاية الأموميّة تُسلِّم الذرّية، أمّا إذا تولّد البشري بغير نسَب، وأنتجناه كحيوان مكائن التفريخ، وتربّى بالآلات وبالمادّة والشوارع، فقد أخْرجنا الهمج الذين اندثروا، لكنْ بعقل يختزن كلّ احتمالات الشرور الجهنّميّة، ويخلو من تجارب مشاعر الرحمة والدفء والتواصل الإنساني المرهف، وأعدنا نائحة نوح علينا (**إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِراً كَفَّاراً**)(نوح:٢٧)، الذي سبق غضب الطبيعة بالطوفان الجارف.

لذلك اعتنى سبحانه بالذرّية، وما عاقب آدم وأهبطه إلاّ لانتهاكه قانون الذرّية (ذرّية سين)، وما أهلك قوم نوح وقوم لوط إلاّ لانتهاكهم قانون الذرّية بممارسة الهمجيّة الإباحيّة وأسوأ منها حين يتسخّر العقل في إبداعات شاذّة غرضها فقط دغدغة تعويضيّة للغريزة.

وحين قالتْ إيزيس تلميذة إدريس (ع): **(وعقدتْ بين الرجل والمرأة، وأنْ يُحبّ الرجل أبناءه)**[1] فإنّها أرستْ كيان الأسرة بدلاً من الأموميّة المشاعة، الأسرة الزوجيّة القائمة على الحبّ أوجب واجبات الإنسانيّة جوهراً وهيكلاً، وحين أوصى سبحانه نساء نبيّه (ص): **(وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى)**(الأحزاب:٣٣)، فقد أوضح الخياريْن الإنسانيّ والآخر البشريّ؛ إمّا القرار في بيت الزوجيّة أيْ بالالتزام بالزوج وحده، أو بتبرّج الجاهلية الأولى أيْ بالتعرّض للذكور كإناث الهمج الأوّل، وهو السائد الآن!!

الحبّ الزوجي، هو قانون الإنسانيّة الأوّل، منذ لحظة تحويل البشريْن الهمجيْن إلى إنسانيْن بروح ربّانيّة عُليا (آدم وحوّاء) **(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)**(الروم:٢١)، وما سار الأنبياء في الأقطار إلا بالحبّ، وتحمّلوا الصعاب والمخاطر بقلوب ملآى بالحبّ للإنسان، ليبذروا الحبّ وينشروه، وهذا ما ينبغي للإنسانيّة أن تتعلّمه اليوم، فنحن في الاحتراب والخصام خبراء بلا

---

[1] – أدولف أرمان، **ديانة مصر القديمة**، ص٥٥٩.

معلّم، لكنّنا نحتاج من يُعلّمنا الحبّ لنعرف كيف نُضحّي ونتسامح ونُؤثر ونهدي ونُساعد ونُعلِّم ونرحم، أولى خصائص الإنسان فقدناها، وبها معنى دينه (**وهل الدّين إلاّ الحبّ**)[1]؟! ولقد كان نبيُّنا الهادي (ص) الترجمان المبين الأروع والموسوعة الأشمل، التي جلَّتْ معنى الرحمة والحبّ والإنسانية والاهتمامِ بتطهير الإنسان وإعداد الذرّية وإصلاح الفطرة والأخلاق، ملأ بهذا جوهرَ شريعتِه ومناهجَه التربويّة وحِكمَه ومعظم مقدَّس أحاديثه الشريفة وجوانب سيرته العطرة.

الأسرة الزوجية، أساسها الحبّ، هكذا أسّس حكماءُ الربِّ (آلُ الله)، وأخبرنا نبيُّنا (ص) بضرورة قبول مَن نرتضي خُلقه ودينه لأنّ الخلُق والدّين جالبان للحبّ، وإنّ مَن يتزوّج بغير حبٍّ حقيقيّ ولو بعقدٍ شرعيٍّ دينيّاً بزعمه، فإنّه في شرعة الحكمة وناموس الطبيعة الكونيّة المُقدَّس يرتكب حراماً، هو بيتٌ "زوجيّ" خدّاعاً من الظاهر، وهو غير "زوجيّ" في حقيقته لتنافر قلبيْ صاحبيْه وربّما تباغضهما، إنّه بيتٌ لم يأذن الله له أن يُرفع كسيمفونيّة تصدح وتلقى تجاوبها في أصداء الكون الحقيقيّ اللامرئيّ، لأنّه يبثّ ذبذبةً فاسدةً نشازاً غيرَ متناغمة على المستوى الوجوديّ الحقيقيّ، الذي سينعكس ولابدّ سلباً على الذرّية جينيّاً وتربوياً فيمسخ السويّة النفسيّة للأبناء، لأنّها ستحمل ميراثاً متنافراً من أبويها يُؤدّي بمسلكها إلى الفجاجة والكُره والنفرة

[1] – محمدي الريشهري، **ميزان الحكمة**، ج١، ص٥٠٣.

والأنانيّة الفرديّة والتحطيم وعدم الإصغاء للطبيعة الباطنيّة لاكتشاف الانسجام، فيُعصّي دروبها الروحية والأخلاقية مستقبلاً، وبهذا يصدق القانون القديم **(الآباء أكلوا حصْرماً، وأسنانُ الأبناء ضرسَتْ)**(سفر أرميا ٣١: ٢٨، وأيضاً، سفر حزقيل ١٨: ٢)، بيوتٌ كهذه ليست التي جاهدتْ أنبياء التاريخ في الأقطار لتحقيقها وتحمّلتْ المشاقّ لتأسيسها بدلاً من قطعان الهمج، بل هي مفرخةٌ لجيل يحمل كوامن الهمج بإنجاب كائنات آدميّة اسماً لكنْ لا يمكن تربيتها إنسانياً كما يجب، لأنها تجسيد لشهوات الأبوين وليس لحبهما، دُفِع بها في الحياة على شرعة نكاح البشر الهمج، أمّا تربويّاً لتلك البيوت التي لم يُؤسسه الحبّ فإذا صحّتْ الحكمة القائلة **(ويلٌ للبيت الذي تصيح الدجاجةُ فيه ويصمتُ الديك)**، فإنّ صراخ الدجاجة والديك على بعضها واصطراعهما أضرّ من احتمال تربّص ثعلب، لأنّها مشاكسات تُبرمج الفراخ على التعاسة والعداوة والشذوذ، إنّها لخطيئة كونية تُرتكب ببيوت يملؤها الصراخ والتشاكس أو القطيعة حتّى الموت أو طغيان المادّة وانهدام قيَم التآلف والودّ والاحترام وجهل الغاية من وجودنا.

وحتّى ما يظنّه الناس حباً ليس إلا بديلاً وهميّاً عن الحبّ الأصلي، وهو السبب الرئيسي للأزمات الزوجية، وسبب انفصال آدمنا هذا اليوم عن حوّاء وتكرار مأساة الهبوط عن الإنسانيّة وعن الجنّة الروحانية، لأنّه قائم على الهوى والرغبة والأخذ لا على العطاء والتقبّل، هو كما يُقال (Like) وليس (Love)، في الوقت الذي علينا أن نتمثّل بآدم الرسول (ع) وبتعاليمه لنعود آدميّين كما كُنّا

أو أُريد لنا! (**أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**)(يس:٦٠).

خاتمة الفصل

(هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ)(آل عمران:٣٨).

كان أبناء الفطرة السليمة (**الذرّية الطيّبة**) هم الوارثين للآدمية الإنسانيّة أبدًا، ولأنّ فطرتهم صافية لا يشوبها كدر، اصطفاهم الله لولاية أمره وحمّلهم رسائل تعاليمه للناس أينما كانوا على امتداد تاريخ الأنبياء الطويل، فلم نجد نبيا ولا رسولا إلا وقد اعتصم هاجِرًا للهوى ولكلّ ما يفتك بعصمته الفطرية، فعصمهم الرحمن، ولما حملوا على عاتقهم الأمانة وسعوا في الأرض صلاحاً حمّلهم سبحانه أمانة النبوة وبعثهم في الناس رسلا.

أخذ كل الأنبياء والرسل على عاتقهم دور التضامن الروحي والتكافل الطبيعي، كأرباب للعائلة وحراسٍ للذرّية (عترة-خاشش Atrahasis)، عبر عدة مجالات للعودة بالروح والحرص على تنظيم أمور الناس كافة، فما تلبّث الإنسان في الصلاح إلا قليلا على امتداد الزمان كله.. ذلك إذا كنتَ لا تعملُ من الخير إلا ما تشتهي وتطيق، ولا تتركُ من الشرّ إلا ما تكره، فقد أطلعتَ الشيطان على عورتك وأمكنتهُ منك، وسقطتْ في أسر برمجته (احتناكِه)!!

منذ البدء، منذ أوّل خطيئة وقعتْ على الذرّية بمخالفة مهمّة الروح، برز الدور الطبيعي المتمثّل في قوة القانون كردّة فعل مضاد لفساد الفطرة، فما لبث الإنسان في هذه الردّة حتى وجد نفسه قرِيّ الأرض من مجرى الوادي المقدس، محاصراً بحدود طبيعة الفساد لا حول له ولا قوة !! هكذا كانت البداية! وهكذا وجد آدم الأوّل نفسه ضيفَ مستودعِ الأرض، كملاكٍ ساقطٍ بعد أن استثقل، فانساب كقشّةٍ حُملتْ على الماء الجاري من الوادي المقدّس إلى أن رُمي به خارج نطاق القداسة، ليُكابد تطهّره ويتوب!!

ثمّ في فترة لاحقة، لانتشال الإنسانيّة، من أرض المهبط الآدميّ والمعرج، مكّة أمّ القرى، الأساس الأول، انطلق آدم الرسول لإصلاح الإنسانيّة ويعمر قلوب أفرادها بالمحبّة مع عمران ديارها، وتابعه كلّ الأنبياء والمرسلين.

إنّ كلّ كلمة (**مدينة**) وردت في القرآن تعني منطقة واحدة؛ وهي نفسُها أم القرى، أيْ القرية الأولى وما حولها، والمجموعة كلها "مدينة"، أي: كلّ القرى + القرية الأم = المدينة، و(**الناس**) هم الأمّة في مجموعهم الكلي ضمن حدودها، لم يكن هناك دولة أو شيء يقال له دولة بل مدينة، وهي المدينة الفاضلة (مكة وحواليْها) التي تاه الباحثون عنها.

أما الدولة والدويلات والإمارات بمفهوم اليوم، فجاءت فيما بعد على أنقاض المدينة وقوانينها، التي لم تكن تسمح إنسانيّتُها إلاّ بالحضّ

على إطعام المسكين لا بترك الملايين في العالَم يتــضوّرون جوعــاً ويموتون سَغباً ومرضاً بينما حفنةٌ جشعة بلا ضمائر تنعم بملياراتهــا وتلهو، قوانين المدينة التي منها البرّ والإحسان والتقــوى والتــرابط الأسريّ والتكافل الاجتماعي والتراحم وإفشاء السلام والتواصي بــين الناس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

دفع هذا التطور التقنيّ والمادّي لكن لا الروحي، بــالفرد إلــى الإيمان بمذاهب لا حصر لها، مثل المساواة بــين البــشر، والحريــة الفردية، والكثير غيرها فيما بعد، بعيدًا مع الأسف عن جوهر الــروح وفرصة اختبار الوعي وممارسة الإرادة الحرّة، فتداعى البناء العائليّ تدريجيا، والتكافل الاجتماعي، استُعيض عــن الأخــلاق الإنــسانيّة والضمير برُزَم القوانين ومستلزمات تحــسين الشخــصيّة الظــاهرة، وتحوّلتْ أحكام المدينة الفاضلة إلى قوانين احتكارية مسخت الأمة عن بكرة أبيها آدم.

لازال تدهور العلاقات الزوجية والأسريّة في ازدياد، مما يزيد صعوبة التواصل الروحي للأجيال وفساد الذرّيــة!! وعنــدما تنهــار جذور الإنسان في محضنه الأوّل، فمن البديهي أن يصبح بعدها مسخًا أسير برمجته المشوّهة ومادّته المُستهلِكة ورغباته الزمنية!!

فكيف بالحريّ المجتمعُ الكليّ حين يخلو من إنــسانه الفاضــل؟ وكيف بالعالَم أجمع؟!

فتضييع الذرّية؛ تضييعُ الجيل الجديد، أضاع من إنساننا فطرته، وأخسره كماله تدريجيًّا على مدى الأجيال، وأفقده علاقته الروحانية الكونية المقدّسة، وفي عالم تجتاحه المادية، ورأسُ ماله رأسُ المال، أضاع إنسانُها المعاصر تواصلَه الحقيقي بجوهره وبربّه، وباع إنسانيته ببريق السلع المستهلكة، على عكس دعوات آدم الرسول وخلائفه (ع) الذين نادوا بتضامن الإنسان مع أخيه الإنسان!

إنّ مفهوم الخير ومفهوم الشرّ قد اختفيا حتى أصبحا مفهوميْن غامضيْن يعتمدان على وجهة النظر الفردية، فبات من الصعب الالتزام بالخير، إنْ كانت كلّ لذّة ستصبح خيرًا! وكلّ ما ليس به متعةٌ يصبح شرًّا! مثلما أكّده (فرويد) بيأسٍ مُكرِّراً مقولةَ سلفه (نيتشه): (**لا يُوجد واقعٌ بل تفسيراتٌ**)! بل يُوجَد واقع، ويُوجد مُثُلٌ وقِيَمٌ، مثلما يُوجَد تفسيرات، لكن أين النفسُ السويّة والعقل السليم الذي يفرز بين كلّ هذا؟!

هذا التقوّض الإنسانيّ والانحلال الهمجيّ، وفوضى المفاهيم، هو الذي يجعل من التفاهم بين الناس اليومَ مهمّةً صعبةً بل مستحيلة، لأنّ كل فرد يتصرّف وفقا لشهواته وكبرياء نفسِه وبرنامجه المُضلِّل له، وليس وفقًا لوعيه الإنسانيّ الروحيّ وفطرته السويّة، فبدل أن تزول الهمجيّة، فإنّها تتفاقم يومًا بعد يوم! (**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**)(العصر: ١-٣).

الخاتمة

نرجو أن نكون وُفِّقنا قليلاً في لملمة مسودّة عجولة لخطوط خارطةٍ يهتدي بها القارئ الواعي المنهوم للمعرفة، يتجاوز بفوائدها السائد المُعشعش في ذهنه من مناهج ونتائج موروثة وملقّنة تُحدّد له أفقه ونظرته للحياة ولوجوده، فهذا السائد لا يفتحه على معارف وجوده ومعانيه وغاياته، ولا يربط له حاضره بماضيه بسلكٍ ناظم تُدرَك خواتيمُه ببداياته ضمن محجّة ربّانيّة واضحة المشروع والمنهاج والتعاليم من لدن آدم إلى البشير محمد (ص)، بل يُشاكس له عقلَه العلميّ مع اعتقاده الغيبيّ، يزعزع إيمانَه بمقتضيات عقله، ويصرع عقلَه بمقولات إيمانه، ويُوقعه ضحيّةَ تناقضاتٍ تُؤخِّر كشفه، وتُلجلج انطلاقَه، وتُتعتع انسجامَه واستراحته الذهنيّة والعاطفيّة مع أشيائه ومحيطه، ويشوّش عليه الرؤية في كلّ الحقول المعرفيّة والسلوكيّة، لأنّ عقله ملوّثٌ بمسلّمات كثيرة ليس فيها من سلطان الحجّة شيءٌ سوى أنّها تراكمت فتكدَّستْ فثقُلتْ بحكم السنين وألسنة الرجال وكثرة توارد وطئهم عليها.

ولأنّ التحريف جدٌّ كبير، كان الانحرافُ عظيماً بحسبِه، ولأنّه طال أصول العلم؛ التاريخ، واللغة، والعقائد، والتفسير، والنصّ الدينيّ، وأدوات التفكير ومسلَّماتِه ومناهجِه، فإنّ الخروج من قمع هذه القوامع، لا يحتاج أكثرَ من التحرّر منها وتعريضها كلّها للمساءلة والتمحيص.

لعلّ هذه التقدمة الجديدة المُخالفة للمألوف عن خارطة وجودنا، وفلسفة حركة تاريخنا، تفتح للباحثين -إن وجدوا فيها صحّةً وقبولاً- أُفقاً لاختراقٍ آخر في غير المَدَيات التي حدّدها لنا ولقّنها إيّانا واضعو تلك النُظُم سواءً من التقليديّين لدينا أو من المستشرقين خارجَنا، الذين لا يروْن علوم المنطقة وجغرافيّتها وتاريخها إلاّ بمنظارٍ توراتي وبمركزيّة أوروبيّة وبمرجعيّة لاتينيّة، وبمساطر اخترعوها على خلاف طبيعة الأمور، من (شرق)، و(ساميّة)، و(هندوأوربيّة آريّة) و(عبريّة) و(قاموس كتاب مقدّس) وتفسيرات فجّة لأساطير منطقتنا، فتلك المناظير تحمل بذور الوأد الفكريّ والاعوجاج لنا على متونها وفي بطونها، ومهما أخذتنا اللهفة في هذا البحث لأن نسترسل لتوضيح الأمور ومعالجة التشوّه في كلّ رقعة، فلن نستطيع إبراز الصورة الأنقى لنفي الخَبث كلّه، فإنّ الخروق اتّسعتْ على الرّاقع.

لكنّا على أملٍ بأنّ خيط الزيف كلّما امتدّ واستطال أوشك أن ينقطع، وعلى رجاءٍ في تحرّر كثيرٍ ليَخطون خطواتٍ أوسع وأبدع وأرصن وأرزن، لنكون وإيّاهم على موعد تعارفٍ وتثاقف يُسدِّدونا فيه حين نُشفع هذه الخُطى بإذن الله ببحوث أخرى تكشف -بما يتيسَّر لنا- الاعوجاجَ في تفاسيرٍ لنصوص الربّ وتعاليم الشريعة، واعوجاج في تأصيل علم اللغة ودلالاتها بعيداً عن أصول شجرتها الأولى، واعوجاج لسيلِ الدخائل التي اخترقت عقائد الإنسان الرساليّ ونخرت من سدودِ قيَمِه لتجعله خاوي التجارب والمعارف (بلا تاريخ فيكون بلا مُستقبل)، ولتُجهَضَ بها جهاداتُ آدم الجبّارة، وآلامُ نوح وشقاءُ

المرسلين، ومُكابداتُ المعلّمين العظام من أبنائهم الأبرار (ع)!

فلا نقولُ كما قال المُعلِّم بوذا **(لقد أكملتُ الرحلة)**، بل رحلتنا ورحلتك ورحلةُ القلب والعقل ليتحرّرا تبدأ الآن وبالأمس وكلّ يوم، ولن تتوقّف ما دام نبضُ الكلمة الأبديّة الخارجة من أقدس فم (ص) ما زال يُؤكِّد: **(الحكمةُ ضالّةُ المؤمن)** وستظلّ "ضالّةً" وسنبقى ضُلّالاً، كلّما أمسكْنا بواحدةٍ أغرتْنا أختُها البعيدةُ بلحاقها.

والحمد لله ربّ العالمين، والصلاة على أنبياء الله أجمعين، لا سيّما خاتمهم (ص) الإنسان الكامل، والمثيل لمثال الربّ، الذي بُعث ليُتمّم مكارم أخلاق الأمم.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً – العربية والمترجمة :

١- أبي عاصم (عمرو)، **كتاب السنّة**/ تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، ط٣، بيروت: المكتب الإسلامي، ١٤١٣/ ١٩٩٣.

٢- ابن أبي الحديد المعتزلي، **شرح نهج البلاغة**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط١، القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨/ ١٩٥٩.

٣- ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي)، **المنتظم في التاريخ**، http://www.al-eman.com.

٤- ابن خلدون (عبدالرحمن بن محمد الحضرمي)، **تاريخ ابن خلدون**، لا طب، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩١ / ١٩٧١.

٥- ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان التميمي)، **الثقات** / تحقيق السيد شرف الدين أحمد، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٥.

٦- ابن حبان (أبو حاتم محمد بن حبان التميمي)، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**؛ تحقيق: شعيب الأرناؤوط، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة.

٧- ابن الجوزي (أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن)، **زاد المسير في علم التفسير**، ط١، بيروت دار الفكر، ١٤٠٧.

٨- ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني)، **فتح**

الباري/ تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ومحـب الـدين الخطيـب، بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩.
٩- ابن حنبل (أبي عبد الله أحمد بن محمد)، **المسند**، ط١ [بهامـشه منتخب كنز العمال في سنن الأقوال]، بيروت: دار الفكر.
١٠- ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع الهاشمي)، **الطبقات الكبـرى**/ تحقيق زياد محمد منصور، ط٢، المدينة المنورة: مكتبة العلـوم والحكم، ١٤٠٨.
١١- ابن سلام (أبي عبيد القاسم)، **لغات القبائل الواردة في القـرآن الكريم**، نسخة إلكترونيّة، الموقع : http://www.al-eman.com
١٢- ابن سيد الناس (فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد اليعمـري)، **عيون الأثر في فنون المغازي والـشمائل**، لا طـب [جديـدة مصححة]، بيروت: مؤسسة عزالدين للطباعة والنـشر، ١٤٠٦/ ١٩٨٦.
١٣- ابن شعبة الحراني (أبو محمد الحسن بن علي بـن الحـسين)، **تحف العقول**/ قدم له محمد حـسين الأعلمـي، ط٥، بيـروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٤/ ١٩٧٤.
١٤- ابن طاووس الحسني (علي بن موسى)، **إقبال الأعمال**، مكتـب الإعلام الإسلاميّ، ط١، قم، إيران، ١٤١٤ هـ.ق.
١٥- ابن طاووس الحسني (علي بن موسى)، **مصباح الزائر**، مكتـب الإعلام الإسلاميّ، ط١، قم، إيران، ١٤١٤ هـ.ق.
١٦- ابن عاشور (محمد الطاهر)، **تفسير التنـوير والتحريـر**، دار

النشر التونسية.
١٧-ابن عنبة (جمال الدين أحمد)، **عمدة الطالب**/ تحقيق وتصحيح محمد حسن الطالقاني، ط٢، النجف الأشرف: المطبعة الحيدرية، ١٣٨٠/ ١٩٦١.
١٨-ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي)، **البداية والنهاية**/ تحقيق علي شيري، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٨هـ.
١٩-ابن كثير (الحافظ أبي الفداء إسماعيل الدمشقي)، **تفسير القرآن العظيم** (تفسير ابن كثير)، بيروت: دار المعرفة، ١٤١٢هـ.
٢٠-ابن منظور، **لسان العرب**، ط١، أدب الحوزة، ١٤٠٥
٢١-ابن النديم (أبي الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق)، **الفهرست**، ضبطه وشرحه وعلق عليه وقدم له يوسف علي طويل، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٢ / ٢٠٠٢.
٢٢-أبو خليل (شوقي)، **أطلس القرآن**، ط١، دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١.
٢٣-إرمان (أدولف) ، **ديانة مصر القديمة**: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة/ ترجمة عبدالمنعم أبو بكر ومحمد أنور شكري، ط١، القاهرة: مكتبة مدبولي، ١٤١٥/ ١٩٩٥.
٢٤-إدزارد (د)، بوب (م. هـ)، رولينغ (ف)، **قاموس الآلهة والأساطير**: في بلاد الرافدين (السومريّة والبابليّة) في الحضارة السوريّة (الأوغاريتيّة والفينيقيّة)/ تعريب محمّد وحيد خياطة،

ط٢، لبنان، سورية: دار الشرق العربي،٢٠٠٠.
٢٥- الأردبيلي (محمد بن أحمد)، **زبدة البيان في أحكام القرآن**، تحقيق وتعليق محمد باقر البهبودي، لا طب، طهران: المكتبة المرتضوية، لا تا.
٢٦- أوفيد، **مسخ الكائنات**/ ترجمة ثروت عكاشة، ط٣، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢.
٢٧- البخاري (محمد بن اسماعيل)، **صحيح البخاري**، [طبعة بالأوفست عن طبعة دار الطباعة العامرة باستنبول – ١٤٠١]، بيروت: دار الفكر.
٢٨- البستانيّ (بطرس)، **محيط المحيط**، بيروت: مكتبة لبنان، ١٩٧٧.
٢٩- بشور (وديع)، **الميثولوجيا السورية** – أساطير آرام، ط٢ منقحة ومعدلة، لا بلدة: لا ناشر، لا تاريخ.
٣٠- باقر (طه)، **ملحمة كلكامش**، ط٥، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع ، ١٩٨٦.
٣١- البيضاوي (ناصر الدين أبو الخير)، **تفسير البيضاوي**، لا طب، بيروت: دار الفكر، لا تاريخ.
٣٢- البيهقي (أحمد بن الحسين بن علي)، **سنن البيهقي الكبرى**، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، مكة المكرمة: مكتبة دار الباز، ١٤١٤ / ١٩٩٤.
٣٣- الترمذي (محمد بن عيسى)، **سنن الترمذي**، تحقيق احمد محمد

شاكر وآخرون، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
٣٤- الثقفي (إبراهيم بن محمد)، **الغارات**، تحقيق السيد جلال الـدين الحسني الأرموي، لا طب [نسخة بالأوفست]، لا بلـدة: مطـابع بهمن، لا تاريخ.
٣٥- الجرجاني (عبدالله بن عدي)، **الكامـل فـي ضـعفاء الرجـال**؛ تحقيق: يحيـى مختـار غـزاوي. ط٣، بيـروت: نـشر دار الفكر،١٤٠٩هـ.
٣٦- الجزائري (السيد نعمة الله)، **قصص الأنبيـاء**، ط٨، بيـروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٨/ ١٩٧٨.
٣٧- جمعيّة التجديد الثقافيّـة الاجتماعيـة، **الأسـطورة - توثيـق حضاري**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافيـة الاجتماعيـة، ٢٠٠٤.
٣٨- جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **التوحيد- عقيدة الأمّة منـذ آدم**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ٢٠٠٤.
٣٩- جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **جنّـة آدم - تحـت أقـدام السّراة.**
٤٠- جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **الخلق الأوّل - كمـا بـدأكم تعودون**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافيـة الاجتماعيـة، ٢٠٠٤.
٤١- جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **طوفان نوح - بين الحقيقـة والأوهام**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافيـة الاجتماعيـة،

٢٠٠٤.
٤٢-جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **اللسان العربيّ - بُعد فطريّ وارتباط كونيّ.**
٤٣-جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **ليلة القدر- عيد الخليقة.**
٤٤-جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **مفاتح القرآن والعقل**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ٢٠٠٤.
٤٥-جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **نداء السّراة- اختطاف جغرافيا الأنبياء**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ٢٠٠٤.
٤٦-جمعيّة التجديد الثقافيّة الاجتماعية، **وعصى آدم - الحقيقة دون قناع**، ط١، البحرين: جمعية التجديد الثقافية الاجتماعية، ٢٠٠٤.
٤٧-الحرّ العاملي (محمد بن الحسن)، **الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة**/ تحقيق مشتاق مظفر، ط١، قم: دليل ما، ١٤٢٢.
٤٨-الحويزي (عبد علي بن جمعة العروسي)، **تفسير نور الثقلين**، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي، ط٤، قم: مؤسسة إسماعيليان، ١٤١٢.
٤٩-الخميني (مصطفى روح الله)، **تفسير القرآن الكريم**: مفتاح أحسن الخزائن الإلهية، ط١، طهران: مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني، ١٤١٨.
٥٠-داوود (أحمد)، **تاريخ سوريا الحضاري القديم ١- "المركز**،

ط٣، منشورات دار الصفدي، دمشق، ٢٠٠٣.
٥١-ديورانت (ول وايريل)، **قصة الحضارة**/ ترجمة زكي نجيب محمود، ط١، بيروت: دار الجيل، ١٤١٢/ ١٩٩٢.
٥٢-الذهبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز)، **سير أعلام النبلاء**/ تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقسوسي، ط٩، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤١٣.
٥٣-الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ابن قايماز)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**/ تحقيق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥.
٥٤-الربيعو (تركي علي)، **الإسلام وملحمة الخلق والأسطورة**، بيروت، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ١٩٩٢.
٥٥-رابين (تشيم)، **اللهجات العربيّة القديمة – في غرب الجزيرة العربيّة**/ ترجمه وقدّم له وعلّق عليه عبدالكريم مجاهد، ط١، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ٢٠٠٢.
٥٦-رشيد (عبد الوهاب حميد)، **حضارة وادي الرافدين**، ط١، دمشق: دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٤.
٥٧-الراغب الأصفهاني ([الحسين بن محمد بن المفضلي])، **مفردات ألفاظ القرآن**/ تحقيق صفوان داوودي، ط١، دمشق، بيروت: دار القلم، الدار الشاميّة، ١٤١٦/ ١٩٩٦.

٥٨-رودولف (كورت)، **النشوء والخلق في النصوص المندائية/** ترجمة صبيح مدلول السهيري، بغداد: جامعة بغداد ١٩٩٤.
٥٩- الراوندي (قطب الدين)، **الخرائج والجرائح**، ط١ [كاملة ومحققة]، قم: مؤسسة الإمام المهدي (ع)، ذي الحجة ١٤٠٩.
٦٠-الريشهري (محمدي)، **ميزان الحكمة**، ط١[منقحة]، قم (إيران): دار الحديث، ١٤١٦هـ.
٦١-الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر)، **تفسير الكشاف**، ط٤، قم: مركز الإعلام الإسلامي.
٦٢-سليمان (عامر)، **اللغة الأكدية**: البابلية والآشورية، ط١، بغداد: الدار العربية للموسوعات، ٢٠٠٥.
٦٣-السواح (فراس)، **الأسطورة والمعنى** (دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية)، ط٢، دار علاء الدين، دمشق-سوريا، ٢٠٠١.
٦٤-السواح (فراس)، **مغامرة العقل الأولى** (دراسة في الأسطورة، سوريا، أرض الرافدين)، ط١٣، دار علاء الدين، دمشق-سوريا، ٢٠٠٢.
٦٥-السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر)، **الجامع الصغير**، ط١، بيروت: دار الفكر، ١٤٠١.
٦٦-السيوطي (جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر) ، **الدر المنثور**، ط١ [بهامشه القرآن الكريم مع تفسير ابن عباس]، بيروت: دار المعرفة، ١٣٦٥هـ.

٦٧-شابيرو (ماكس)، هندريكس (رودا)، **معجم الأساطير**/ ترجمة حنّا عبود، دمشق: دار علاء الدين، ١٩٩٩.
٦٨-شحرور (محمد)، **الكتاب والقرآن**: قراءة معاصرة، دمشق: الأهالي للنشر والتوزيع، ١٩٩٠.
٦٩-الشربيني (محمد بن أحمد)، **مغني المحتاج**، لا طب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٧/ ١٩٥٨.
٧٠-الشريف الرضي (محمَّد بن الحسين بن موسى)، **نهج البلاغة**/ شرح محمد عبده، بيروت: دار المعرفة.
٧١-الشوكاني (محمد بن علي بن محمد)، **فتح القدير**: الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، عالم الكتب.
٧٢-شاهين (هشام عبد الصبور)، **نوح بين القرآن والأساطير**، لا بلدة: دار الكتب، ٢٠٠٤.
٧٣-الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي القمي)، **الخصال** / تحقيق وتعليق علي أكبر الغفاري، لا طب: قم منشورات جماعة المدرسين، ١٤٠٣.
٧٤-الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي القمي)، **علل الشرائع**، ط٢، النجف: المكتبة الحيدرية ومطبعتها، ١٣٨٦/ ١٩٦٦.
٧٥-الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي القمي)، **عيون أخبار الرضا**، لا طبعة، النجف الأشرف: منشورات المطبعة الحيدرية، ١٩٧٠.
٧٦-الصدوق (أبي جعفر محمد بن علي القمي)، **كمال الدين وتمام**

النعمة، تصحيح وتعليق علي أكبر الغفاري، لا طب، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٠٥.

٧٧- الصليبي (كمال)، **خفايا التوراة:** وأسرار شعب إسرائيل، ط٥، بيروت: دار الساقي، ٢٠٠٢.

٧٨- الضحّاك (أحمد بن عمرو)، **الآحاد والمثاني/** تحقيق فيصل أحمد الجوايرة، ط١، الرياض: دار الدراية، ١٤١١/ ١٩٩١.

٧٩- الطبرسي (أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل)، **تاج المواليد**، لا طب [طبعة حجرية]، قم: مكتب آية الله المرعشي النجفي، ١٤٠٦.

٨٠- الطبري (محمد بن جرير)، **تاريخ الطبري** (تاريخ الأمم والملوك)، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧.

٨١- الطبري (محمد بن جرير)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن/** ضبط صدقي جميل العطار، بيروت: دار الفكر،١٤١٥.

٨٢- الطبري (محمد بن علي)، **بشارة المصطفى/** تحقيق جواد القيومي الأصفهاني، ط١، قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤٢٠.

٨٣- الطباطبائي (السيد محمد حسين)، **الميزان في تفسير القرآن**، ط٢، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٣٩٢/ ١٩٧٢.

٨٤- الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسن)، **التبيان في تفسير القرآن**، تحقيق أحمد العاملي، ط١، مكتب الإعلام الإسلامي، ١٤٠٩.

٨٥- الطوسي (أبي جعفر محمد بن الحسن)، **مصباح المتهجـــد**، ط١، بيروت: مؤسسة فقه الشيعة، ١٤١١/ ١٩٩١.
٨٦- عبابنة (يحيى)، **اللغة الكنعانيّة:** دراسة صوتية صرفية دلاليـــة مقارنة في ضوء اللغات السامية، ط١، عمّـــان: دار مجـــدلاوي للنشر والتوزيع، ٢٠٠٣.
٨٧- عبده (سمير)، **السريانية العربيّـــة- الجـــذور والامتـــداد**، ط٢، دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٢.
٨٨- العجلوني (إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغنـــي)، **كشف الخفـــاء**، ط٣، بيـــروت: دار الكتـــب العلميـــة، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.
٨٩- علي (فاضل عبدالواحـــد)، **ســـومر أســـطورة وملحمـــة**، ط١، دمشق: الأهالي للتوزيع، ١٩٩٩.
٩٠- علي (فاضل عبدالواحد)، **عشتار ومأساة تموز**، ط١، دمـــشق: الأهالي للتوزيع، ١٩٩٩.
٩١- العاملي (علي بن يونس)، **الصراط المستقيم**/ تحقيـــق وتعليـــق محمد الباقر البهبودي، ط١، قم: المكتبة المرتضوية، ١٣٨٤.
٩٢- فرانكفورت (هنري)، **فجر الحضارة في الشرق الأدنى**/ ترجمة ميخائيل خوري، ط٢، ١٩٦٥.
٩٣- القرطبي (محمد بن أبي بكر بن فرج)، **الجامع لأحكام القرآن** / تحقيق أحمد البردوني، ط٢، القاهرة: دار الشعب، ١٣٧٢.
٩٤- الكحلاني (محمد بن اسماعيل)، **سبل السلام**، مراجعة وتعليـــق

محمد عبدالعزيز الخولي، ط٤، القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٩/ ١٩٦٠.
٩٥-كريمر (صامويل نوح)، **من ألواح سومر**/ ترجمة طه باقر، بغداد، القاهرة: مكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي.
٩٦- الكفعمي (إبراهيم)، **المصباح**، ط٣، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
٩٧- الكليني(أبي جعفر محمد بن يعقوب)، **الكافي**/ تحقيق علي أكبر الغفاري، بيروت: دار الأضواء، ١٤٠٥/ ١٩٨٥.
٩٨-**كنزا ربا** : الكنز العظيم (اليمين – اليسار)، ترجمة يوسف قوزي، صبيح السهيري، ط٣، بغداد: اللجنة العليا للترجمة المشكلة بموجب قرار مجلس شؤون الطائفة، ٢٠٠١.
٩٩- لابات (رينيه)، وآخرين، **سلسلة الأساطير السورية**: ديانات الشرق الأوسط/ تعريب مفيد عرنوق، ط١، دمشق: دار علاء الدين، ٢٠٠٠.
١٠٠- المتّقي الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين)، **كنز العمال**/ تحقيق بكري حياني وصفوة السقا، بيروت: مؤسسة الرسالة.
١٠١- الماجدي (خزعل)، **إنجيل سومر**، ط١، عمان: الأهلية للنشر والتوزيع، ١٩٩٨.
١٠٢- الماجدي (خزعل)، **ميثولوجيا الخلود**: دراسة في أسطورة الخلود قبل الموت وبعده في الحضارات القديمة، ط١، عمان:

الأهلية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٢.
١٠٣- المجلسي (محمد باقر بن المولى محمد تقي)، **بحار الأنـــوار**، ط٢، بيروت: مؤسسة الوفاء، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
١٠٤- المسعودي (علي بن الحسين بن على)، **التنبيه والإشـــراف**، ط١، بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٩٩٣.
١٠٥- المازندراني (محمد صالح)، **شرح أصـــول الكـــافي**/ تعليـــق الميرزا أبو الحسن الشعراني، ضبط وتـــصحيح الـــسيد علـــي عاشور، ط١، بيروت: دار إحيـــاء التـــراث العربـــي، ١٤٢١/ ٢٠٠٠.
١٠٦- الميرزا النوري (ميرزا حسين بن محمد تقـــي الطبرســـي)، **مستدرك الوسائل**، ط٢، مؤسسة آل البيت (ع) لإحياء التـــراث، ١٤٠٩هـــ.
١٠٧- مسلم (ابن الحجاج النيسابوري)، **صحيح مسلم**، بيروت: دار الفكر.
١٠٨- مظهر (سليمان)، **قـــصّة الـــديانات**، ط٢، القـــاهرة: مكتبـــة مدبولي، ٢٠٠٢.
١٠٩- المفيد (محمد بن محمد بن النعمان)، **الاختصاص**/ تحقيق علي أكبر الغفاري والسيد محمـــود الزرنـــدي، ط٢، بيـــروت: دار المفيد، ١٤١٤/ ١٩٩٣.
١١٠- منير البعلبكي، **المورد** (قاموس إنجليزي عربي)، ط٢٤، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ١٩٩٠.

١١١- المناوي (محمد عبدالرؤوف)، **فيض القدير شـــرح الجـــامع الصغير**، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥.
١١٢- النعماني (محمد بن إبراهيم بن جعفر)، **كتـــاب الغيبـــة**، ط١، بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ١٤٠٣/ ١٩٨٣.
١١٣- النيسابوري (محمد بن الفتال)، **روضة الـــواعظين**/ تحقيـــق السيد محمد مهدي الخراسان، قم: منشورات الرضي.
١١٤- ياقوت الحموي (ياقوت بن عبد الله الرومي)، **معجم البلـــدان**، لا طب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٩/ ١٩٧٩.

ثانياً – الأجنبية :

1- Cavalli-Sforza, Luigi L. [Professor of Genetics Emeritus, Stanford University School of Medicine, USA], "The Genetics of Human Populations", Scientific American, Vol. 231, September 1974.

ثالثاً – الإنترنيت :

1. http://yosemite.epa.gov/oar/globalwarming.nsf/content/ClimateTrendsSeaLevel.html
2. http://bahzani.org/Maqalat ordner/M78.html
3. http://blogs.nationalgeographic.com/channel/blog/2005/06/explorer_adam.html
4. http://en.wikipedia.org.
5. http://home.apu.edu/~geraldwilson/atrahasis.html
6. http://news.nationalgeographic.com.
7. http://qamishly.com/web/modules.php?name=News&file=article&sid=707
8. http://theoldpath.com/inanaenki.htm
9. http://touregypt.net/godsofegypt/seker.htm

10. http://truthway.com/ISOT/ISOT005.htm
11. http://www.ancienttexts.org/library/egyptian/bookodead/book6.htm
12. http://www.answers.com/topic/ayllu?method=8
13. http://www.china.org.cn/arabic/78456.htm
14. http://www.gatewaystobabylon.com/myths/texts/enlil/enlilninlil.htm
15. http://www.golden-dawn.org/isis.html
16. http://www.grisda.org/origins/11009.htm
17. http://www.islamnoon.com/ijazresearches.htm
18. http://www.mandaeanunion.org/Views/AR_Views_126.htm
19. http://www.mythome.org/gilgamesh11.html
20. http://www.philae.nu/philae/aretalogy.html
21. http://www.piney.com.
22. http://www.geocities.com/SoHo/Lofts/2938/magic2workers.html
23. http://www.piney-2.com.
24. http://www.religioustolerance.org/xmas_sel.htm
25. http://www.truthseeker.com/truth-seeker/1993archive/120_6/ts206i.html
26. http://www.vcn.bc.ca/oshihan/Pages/Yalda.htm
27. http://www.twilightbridge.com/hobbies/festivals/christmas/star.htm
28. http://www.wilsonsalmanac.com/jesus_similar.html
29. http://www3.iath.virginia.edu/anderson/retellings/Cave.html#div1.2.14
30. http://xoomer.virgilio.it/bxpoma/akkadeng/enuma1_expl.htm
31. http://www.al-eman.com/islamlib/viewchp.asp?BID=179&CID =6#s1

رابعاً – برامج إلكترونية :

أ – القــرآن :

١ – سيمافور للتقنية، **مصحف النور للنشر المكتبي**، الإصدار الثاني، الرياض: المملكة العربية السعودية، ٢٠٠١.

ب – التــوراة :

1- Rick Meyers,E-Sword, Ver 7.1.0,2000-2004, http://www.e-sword.net
2- Online Bible Millennium Edition. Version:1.11.90, Mar 28, 2002, http://www.onlinebible.net/.

ج – أقراص مدمجة :

١ – مركز المعجم الفقهي ومركز المصطفى للدراسات الإســلامية، **برنامج مكتبة أهل البيــت علــيهم الــسلام**، الإصــدار الأول، ١٤٢٦/ ٢٠٠٥.www.almarkaz.net

٢ – مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلي، **المكتبــة الألفيــة للــسنة النبوية**،الإصدار 1.5، الأردن(عمان) : مركز التــراث، ١٤١٩/ ١٩٩٩.

٣ – مركز التراث لأبحاث الحاسب الآلــي، **تــاريخ دمــشق لأبــن عساكر**،الإصدار 1.5، الأردن (عمان): مركز التراث.

تسجيل:٤١٤

سلسلة عندما نطق السراة

١. مفاتح القرآن والعقل.

٢. التوحيد .. عقيدة الأمة منذ آدم.

٣. جنة آدم .. تحت أقدام السراة.

٤. اللسان العربي .. بعد فطري وارتباط كوني.

٥. الإنسان الإنسان .. وتحسب أنك جرم صغير.

٦. نداء السراة .. اختطاف جغرافيا الأنبياء.

٧. ليلة القدر .. عيد الخليقة.

٨. طوفان نوح .. بين الحقيقة والأوهام.

٩. بين آدمين .. آدم الإنسان وآدم الرسول.

١٠. مسخ الصورة .. سرقة وتحريف تراث الأمة.

١١. الأسطورة .. توثيق حضاري.

١٢. وعصى آدم .. الحقيقة دون قناع.

١٣. الخلق الأول .. كما بدأكم تعودون.

١٤. اليهود وتوراة الكهنة.